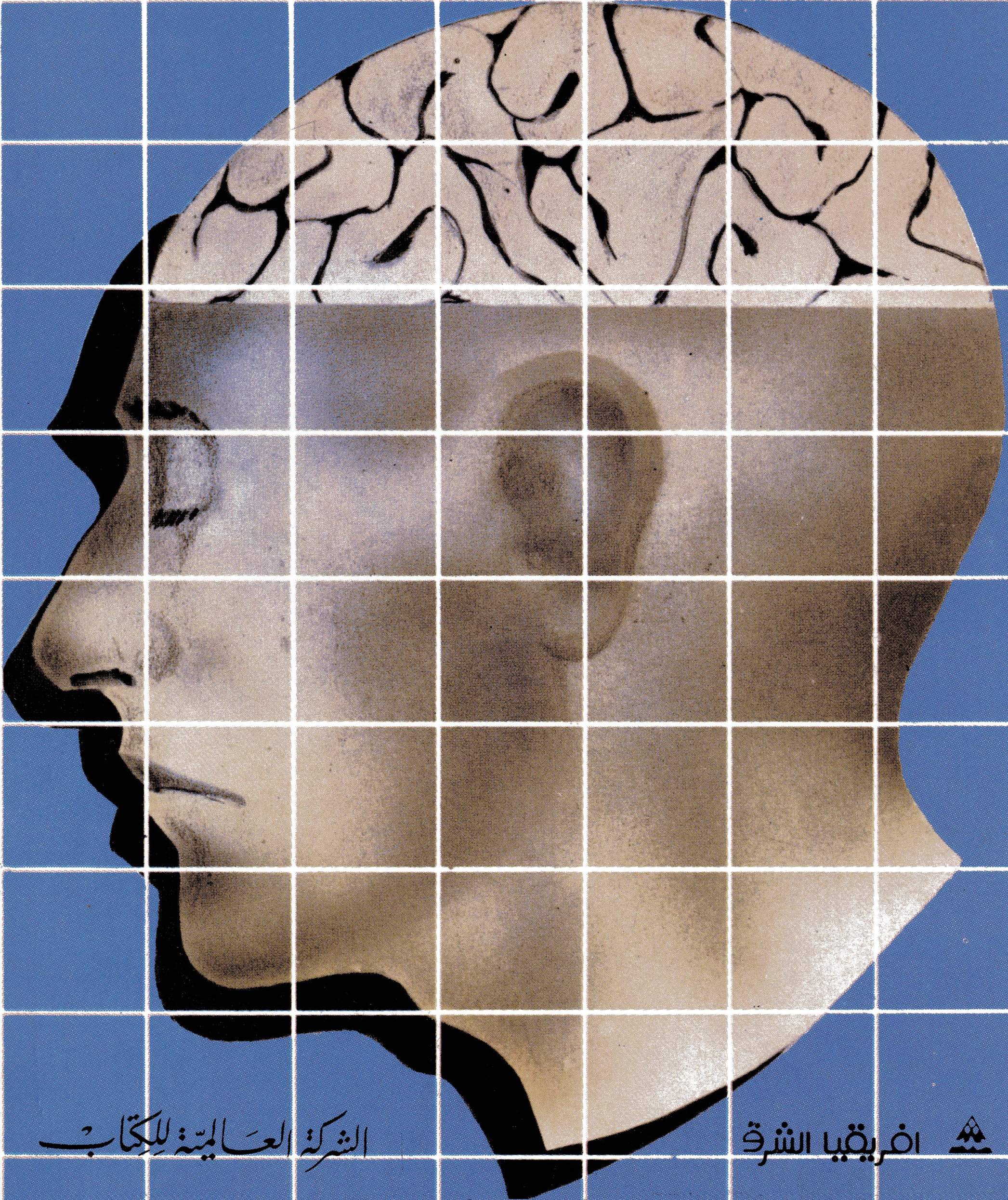
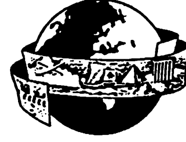
عبدالحميد الجوهري

الشفاء بالتنويم المغناطيسي والطاقة الروحية



الشركة العالمية للكتاب
افريقيا الشرق



الشركة العالمية للكتاب ش.م.ل.
طباعة - نشر - توزيع

دار الكتاب العالمي

مكتبة المدرسة

الدار الافريقية العربية

الادارة العامة

الصنائع - مقابل الاذاعة اللبنانية
هاتف ٣٤٩٠٥٥-٣٤٩٣٧٠ - ص ب ٣١٧٦
تلكس LE ٢٢٨٦٥ - برقيا: كتالبان

بيروت - لبنان



١٩٨٨

للمؤلف

«حياة الأرواح وطرق الاتصال والعلاج» يوضح لغز الموت، ومصير الروح، وموقع عالمها، وطرق الاتصال والعلاج، بأسلوب علمي متزن.

«الروح والروحية الحديثة» يوضح إثبات وجود الروح وحياة الآخرة وعالم الأثير وظواهر الاتصال والتجسد.

«الشفاء بالتنويم المغناطيسي والطاقة الروحية» يكشف عن طرق التنويم المغناطيسي، والقوى الخفية، ونماء الطاقة المغناطيسية الشخصية، واستغلالها في شفاء الأمراض النفسية والجسمية.

«التصوف مشكاة الحيران» يبسط الصوفية للإنسان الحيران، ويشفي بوائق الزيغ والتيه، بأسلوب سلفي، ينير الطريق نحو الإيمان والطمأنينة والطريق إلى الله، والفناء في حبه سبحانه وتعالى.

«ديوان الجوهري» ديوان شعر جامع لأغراض شعرية مختلفة... من صوفيات، وروحانيات، وزهديات، وتأملات، وحكم، وقوميات، وسياسيات... إلى آخره.

الشفاء بالتنويم المغناطيسي والطاقة الروحية

شفاء من

الجنون والأشباح	ما يسمى بالسحر
توتر الأعصاب	تفكك الشخصية
الشلل الهستيري	التشاؤم والانتحار
الخوف والوسواس	الاستبداد والاستسلام
الضيق والأرق	الخمر والمخدرات
الوهم والانطواء	الضحك والبكاء
الجريمة والانتقام	العادات السيئة
الأمراض الجسمية	الأمراض المستعصية

أفريقيا الشرق
159 مكرر، شارع يعقوب المنصور
الدار البيضاء

إهداء

إلى ذلك الذي التمس الشفاء من الأطباء
حتى إذا ركن إلى اليأس
التمس الشفاء من قبور الصالحين
حتى إذا ركن إلى اليأس
كمدها زفرة ودخل دار اصطباره
إليك أهدي الكتاب
مع كامل الشفاء

المؤلف
عبد الحميد الجوهري

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمدلله «الذي يطعمني ويسقين، وإذا مرضت فهو يشفين» «إن الله لذو فضل على الناس، ولكن أكثر الناس لا يشكرون».

والصلاة والسلام على الرسول البشير النذير الذي قال: «لكل داء دواء، فإذا أصاب دواء الداء برأ باذن الله عز وجل»، وهو الواضع حداً لتكرار السؤال، حينما جاءه «خزامة» وقال: «قلت يا رسول الله، أرأيتَ رقىً نسترقيها، ودواء نتداوى به، وتقاة نتقيها، هل تَردُّ من قدر الله شيئاً؟ فقال: هي من قدر الله».

أمَّا بعد: فان كتاب «الشفاء، بالتنويم المغناطيسي والطاقة الروحية» قد يبدو غريباً شيئاً ما، خاصة في عصر طغت الأدوية على النفوس، وملكت الأطباء الحناجر، لكن الحقيقة تبرر الوسيلة، فالشفاء بالتنويم المغناطيسي والطاقة الروحية، أقدم بكثير من الطب الدوائي، غير أننا أهملناه فتسلمه المشعوذون وأدخلوا عليه من فنون الشعوذة ما هبط به إلى الحضيض، فأصبحنا ندعوه سحراً.

غير أن أيدٍ أمينة لامعة من علماء الشرق والغرب، أوقفوا حياتهم بكل تحد وشجاعة لإعادة الاعتبار، وتطوير الأسلوب، وفك الرموز، حتى أصبح اليوم في متناول الجميع، فصعد من الحضيض إلى أسمى مقام.

لقد حاولت في هذا الكتاب، أن أتطرق إلى مواضع مختلفة متماسكة مع بعضها، حتى يلم القاريء بثقافة عامة عن هذا العلم من جهة، ويكون مرجعاً لمن له قدم راسخ فيه. وبالتالي يساعد الهاوي على أن يتخذ منه دروساً تغنيه عن غيره.

بوبته إلى عشرة أبواب، تضم مائة فصل بين جنباته، استقطبت فيها دراسة موجزة بعيدة عن الملل، تكاد تكون جامعة مانعة لهذا العلم. والدارس لهذا الكتاب، سواء درس بعضه أو نصفه أو كله، يمكنه بعد الاستقصاء، والتدريب أن يصل إلى مبتغاه، ولعله يبدأ من نفسه إذا كان مصاباً بمرض، بالأحرى يمكنه أن يساهم في شفاء الآخرين. إنه بالتأكيد قد يكشف موهبة في نفسك قد تدريها أو لا تدريها،ولعلك كنت متعطشاً إلى من يأخذ بيدك، فإذا بك الآن تجد بين ناظريك كتابي هذا.

إن فائدة واحدة إذا استفدتها، يكفيني من سلواها عناء البحث والجهد. لقد قمت بجولة غير يسيرة بين كتب علم النفس وما وراء الطبيعة، فوقفت على تحليل الشخصية والأمراض النفسية والعقلية، منكباً على دراسة الغرائز والأحلام، معرجاً صوب المادة والعقل، حائماً بين عالم الروح بعدها دخلت إلى دراسة أسرار التنويم المغناطيسي وطرقه، وأسرار المغناطيسية النفسية والجسمية، خاتماً نهاية المطاف بما لقوة الارادة من عجائب تنتهي بالدارس إلى حقائق القوى الخفية، وما يمكن أن يصله الإنسان من طرح روحي، وجلاء بصري وسمعي، يؤهله للوساطة الروحية، التي هي أقوى اتصال أثيري بين العالمين.

هذا هو كتابي «فمن أبصر فلنفسه، ومن عمي فعليها» «قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي».

ما أعجب ما تنطوي عليه النفس البشرية من أسرار، وما أصدق قول الله عز وجل:
﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾.

المؤلف

عبد الحميد الجوهري

يوم الأحد 8 ذي القعدة 1404 هـ.

في 5 غشت 1984 م

آسفي ـ المغرب

الباب الأول

التحليل النفسي
الشخصية
الأمراض النفسية والعقلية
الاضطرابات
الغرائز
الأحلام
العلاج

الفصل الأول

التحليل النفسي

إن التحليل النفسي من الأسس الصحية لكشف حقيقة الأسباب التي أدت إلى صدمة نفسية، وهو مبدأ فعال في معالجة الأمراض العصبية وانطلاقة لتبيان الخلل العصبي واستجلاء غوامضه حتى يمكن مناقشته مناقشة بناءة.

إن الفضل في خلق مفاهيم التحليل النفسي تعود إلى «فرويد» الذي بذل مجهوداً في هذا الباب للوقوف على معالجة هذه الأمراض، إنه كان يتحدث لمرضاه بهدوء ويستمع إليهم في اتزان بعدها يشرح لهم فوائد المعالجة عن طريق التنويم المغناطيسي.

إن بعض العلماء المهتمين بالتنويم المغناطيسي يؤكدون عدم وجود ارتباط بين العقل والمخ، كل له استقلاله وزمنه ومكانه، خصوصاً عند تتبع ذاكرة المنوِّم وتنقلها بين مراحل التنويم، إن دراسة الظواهر الوساطية تلقي ضوءاً جديداً على بعد علاقة العقل بالمخ، وأدت دراسة هذه الظواهر إلى توجيه علم النفس الحديث وجهة صحيحة نحو نفي تبعية العقل للمخ، يقول العالم «كلودبرنار»: «إننا بقولنا أن المخ يفرز التفكير نكون كمن يقول أن الساعة تفرز الزمن أو فكرة الوقت، إن المخ والساعة جهازان أحدهما حي والآخر ميت، وهذا هو كل الفارق».

إن من يبحث في الأمراض النفسية والعصبية وطرق معالجتها عن طريق الإيحاء

والتحليل والتنويم المغناطيسي لا بد وأن يأتي على ذكر الطاقة الروحية وأحلام اليقظة والكبت.

ونعود إلى التحليل النفسي فنجده ينطلق من التحليل والإستقصاء فيغور في أعماق الذكريات والحوادث والصدمات فيبين مدى التأثير الإيحائي أو التنويم المغناطيسي الذي دخل حقل معالجة الأمراض العصبية على يد العالم «فرانز أنطوان مسمر» 1734 - 1815 م. غير أن التنويم المغناطيسي دخله الدجل فانصرف عنه أغلب الأطباء حتى سنة 1860 - 1880 م. حين ظهر صراع بين «مدرستي باريس ونانسي».

إن التحليل النفسي مبدأ فعال في الطب العصبي، وهو انطلاقة هامة ضد الإتجاه الجسدي الذي ساد في القرن التاسع عشر، إن الطب انتقل من التشخيص الجسدي إلى التحليل النفسي، على اعتبار أن الصدمة النفسية قد تؤثر في الجسد بحكم التركيب الفيسيولوجي للدماغ والأعصاب، فتترك أثرها في الذاكرة. من هنا يحاول المعالج كشف الاضطرابات العصبية على ضوئها يناقش العقل الواعي ليعيدها إلى الصواب. وكما أسلفت فإن «فرويد» الطبيب الذي اختص في الأمراض العصبية خاصة ما يتعلق «بالهستيريا» وطريقة علاجها عن طريق التنويم، وقد اعترض كثيرون على «فرويد» وأحدثوا تطورات في قواعد التحليل، فذهب بعضهم إلى أن الاضطرابات النفسية تعود إلى أحداث بغيضة أو مركبات مختلفة معظمها من الإندفاعات الجنسية المكبوتة، لكن بعض العلماء عارضوا أيضاً هذه النظرية وقالوا بأنها قد تنطبق في قطر من العالم ولا يمكن أن تنطبق على آخر لاختلاف الحالة البيئية.

وإذا قلنا بأن «فرويد» هو صاحب النظرية والمنهاج فإننا نؤكد أن قلة من العلماء سبقوه إلى ذلك أمثال الطبيب العصبي المشهور «شاركوا» سنة 1825 - 1893 م والذي لاحظ بأن الأشخاص الذين ينامون نوماً عميقاً ربما أصيبوا بنوبات هستيرية، وظهر أيضاً تلميذه «بيير جانه» الذي اختص بالأفعال العصبية غير الشعورية التي أسماها الآليات العقلية، وأكد استعمال التنويم المغناطيسي لمعالجة «الهستيريا» وأثبت أن المصاب «بالهستيريا» يستطيع أثناء التنويم أن يستعيد الحوادث التي لم يتذكرها وقت الوعي، وإذا

ما أوحي إليه بنسيانها فإنها تنمحي بالمرة، ثم لاحظ بأن الأمراض العصبية تنشأ عن حالة التوتر النفسي الذي يقف حائلاً بين الإنسان وقوة إرادته، وهذه النظرية وجدت استحساناً من قبل علماء النفس آنذاك. وهذا طبعاً قبل ظهور التحليل النفسي بقليل، ولما ظهر التحليل النفسي كوسيلة علاجية للأمراض النفسية كان المحلل لا يرى بعداً بين الطب العصبي والجسدي. في هذه الأجواء المتضاربة شرع «فرويد» يعمل بنشاط في دراسة الحالات العصبية عامة والهستيريا خاصة مستعملاً طريقة التنويم كوسيلة للمعالجة رغم العقبات التي أصابته في عدم تنويم بعض الأشخاص مما جعله يهاجر إلى فرنسا قصد الإتصال بجماعة مدرسة «نانسي» التي ادعت أنها تنوم جميع الأشخاص من غير استثناء، لكنه عاد خائباً إلى «فيينا» بعد أن أكدوا له أن نسبة المرضى من الفقراء قابلة للتنويم أكثر من نسبة الأغنياء الذين يتميز بعضهم بذكاء حاد، وفي «النمسا» ظهر «جوزف بروير» الذي مارس تجاربه بتعاون مع زميله «فرويد» إلا أن هذا الأخير تبيَّن له بأن رفع الرقابة عن الأفكار والذكريات التي ترد على خاطر المريض والتحدث عنها رغم سخافتها هو أفيد وأجدى للمريض، إذ يجد فيها متنفساً. كما تبين «لفرويد» أن الأحلام لها ارتباط وثيق أيضاً، فكان يسأل مرضاه عن الأحلام الليلية سعياً وراء الذكريات التي تترابط أجزاؤها لتكشف عن المركب النفسي الذي يسبب الإضطرابات.

لقد شطبت جميعة الأطباء في «النمسا» على اسم «فرويد» من قائمة أعضائها، لكن لما برهنت الأيامَ عن صدق نظرية التحليل النفسي وتأثيرها في شفاء طائفة من الأمراض العصبية «أعجزت الطب قروناً عديدة». إن التحليل النفسي قد دخل صراعات الاختصاص، فالأطباء حينما اقتنعوا بوجوده سنوه لأنفسهم وحرموه على غيرهم، هكذا طالب الأطباء إلى حكوماتهم سن تشريعات والحاق التنويم بالطب وتحريمه على غير الأطباء، وابتدأت الانطلاقة من الإدارة الصحية «للنمسا» التي جعلته حقاً من حقوق الأطباء، وعارض هذا الاتجاه كل المشتغلين بالتحليل النفسي من غير الأطباء، وأيد هذه النظرية «سيجموند فرويد» الذي ابتدعه والذي كتب كتاباً بهذا الصدد تحت عنوان «مشكلة التحليل بواسطة غير الأطباء» عرض فيه أساليب التحليل وأغراضه، وكذب

الأسانيد التي استند إليها الأطباء لاحتكار التحليل لأنفسهم، وانتهى إلى أن التحليل فن قائم بذاته لا علاقة له بالطبيب، كما كشف الأضرار الصحية والاجتماعية التي تجعل إباحة التحليل النفسي للأطباء وحدهم دون أن تكون لديهم المؤهلات لذلك. حيث وصف بعضهم بالدجل والشعوذة ووصف بأنهم أشد خطراً على المجتمع باعتبار أنهم يسترون أخطاءهم ومساوئهم تحت ستار الطب، كما أشار إلى أن ما يتلقاه طالب الطب نقيض ما يحتاج إليه المحلل النفسي، وأن هذه الدراسة النفسانية التي يحتاجها المحلل تشمل حيزاً من العلوم لا علاقة لها بالطب مثل دراسة تاريخ المدنيات القديمة وعلم الأساطير وعلم نفس الأديان، وأكد أن الدراسة التي يتلقاها الطب لا فائدة فيها للمحلل بل تغرس أفكاراً مضادة للتحليل وتجعلهم أقرب لتحقير الظواهر النفسية ورمي علاجها بالدجل والشعوذة، لذلك نجد السواد الأعظم منهم غير أهل لمزاولة التحليل النفسي، وبرهنت التجربة على فشلهم فشلاً ذريعاً. وقد قررت الجمعية الدولية للتحليل النفسي في هذا الموضوع سنة 1827 م. أن تقبل غير الأطباء من المحللين النفسانيين ذوي المواهب، وطلبته من الجمعية البريطانية أن تضع كقاعدة للشروط التي تقبل على أساس غير الأطباء أن تكون الاستشارات والفحوص الأولية مقصورة على الأطباء، ويترك لهم الإشراف العام على الحالة، وقد انتهى مجلس إدارة الجمعية الطبية البريطانية إلى ما يلي: «إنه بالنظر إلى قلة المحللين الذين تلقوا دراسة طبية، وإلى حقيقة أن المحللين من رجال العلم، وافقت الجمعية الطبية البريطانية على ذلك مما لم تكن موافقة عليه. فإن المجلس يرى أنه ليس مما ينقص من قدر المهنة أن تعترف بالمحللين النفسانيين من غير الأطباء سواء كانوا من رجال الدين أم من غيرهم ممن يكونون قد تلقوا دراسة كافية على أن يعملوا فقط بالإتصال مع الطبيب».

الفصل الثاني

افاق جديدة في التحليل

إن مجاهل النفس ومعرفة حقائقها يلقي حالياً على علم التحليل النفسي عبئاً ثقيلاً للعثور على بعض أسباب الصدمات النفسية لتشخيصها ومعالجتها، هكذا تصبح مهمة المحلل النفسي شاقة ودقيقة، وما دمنا بصدد التنويم فإن عليه أن يجعل المريض في غيبوبة ثم إرجاعه بذاكرته إلى الوراء وأبعد من حياته الحالية، وحتى يتمكن من جمع المعلومات من غير إفلات جزئياتها ولا بد من آلة تسجيل تحفظ له ما يسرده المريض حتى إذا ما استيقظ يستمع إلى كل ما أملاه في نومه لكي يبرهن له عن صحة التشخيص، ولربما ذلك ساعد المريض على الشفاء، ربما هذا يبدو غريباً للمحلل النفسي لكن كيفما كان الحال لا ننفي صحة العمل، وقد أكد علماء النفس أن التنويم المغناطيسي أفضل الحالات التي تكشف عن فحوى العقل الباطن، وكمثال فإن أي جلسة تنويمية لا يتذكر الشخص أحداثه التي عرضها أثناء يقظته، بينما لو أوقعناه في غيبوبة مرة أخرى فإنه يتذكر ما عرضه في الجلسة السابقة، وبهذا يمكن أن نصل إلى العقل الباطن. وإن هذه الحالة توصلنا إلى ما هو أغرب، فلو صح ما قيل بأن للنفس حياة سابقة قبل حياتها الحاضرة، حيث أن أحداث الحياة الأولى انزلقت إلى اللاشعور فإن التنويم المغناطيسي أفضل وسيلة للوصول إلى تلك الذكريات المنزوية في اللاشعور، وإن مثل هذه التجربة قد بدأها «دي روشا» ثم سار على دربه علماء آخرون بأشكال ودرجات متفاوتة من النجاح مما جعل نظرية «التجسد» تثار من جديد بين المذاهب الفلسفية. إني شخصياً أبدي تحفظي حول

هذه النظرية لكن لا يمنع من القول أن بعض الحالات النفسية يستعصي تعليلها بأحداث معينة مر فيها المريض في حياته الراهنة خاصة إذا كانت بنيته حسنة من الناحية المادية والمعنوية، فالخوف مثلاً من المباني الشاهقة أو الفأر أو بعض الحيوانات الأليفة أو من لون معين إلى غير ذلك أمر يثير الإستغراب، وهذا النوع شائع، فقد أثبتها البعض بأنها على صلة باختبارات من مبنى عال أو احتراقه بنار أو عضة حيوان إلى غير ذلك، وإن هذه النظرية لا يستبعدها عدد من المحللين النفسيين، ومن بين هؤلاء «دنيز كلزي» عضو الكلية الملكية البريطانية للأطباء، والذي ناقش هذه النظرية في كتابه «حياة متعددة» أكد فيه التجسد مقرراً أن الإنسان يتجسد بالطبع الذي يكون فيه سابقاً من تاريخه الطويل، ويرى أن هذا الطبع لم يرثه الإنسان كله ولم يتشكل تحت ضغط بيئتِهِ، لكن قد تشكل عن طريق استخدام الإنسان لحريته في الإختيار مؤكداً أن الضغوط الخارجية لا تتسبب في التغيير، بل أن التغيير يحدث حينما يريد تغيير نواياه، فمثلاً إذا أمكن تبصير المريض عن طبعه الذي يقوده للعزلة وأمكن امتناعه برغبة تغييرها فبالطبع ستبدأ الأعراض في التراجع، أمّا النسيان والضمير فما هما إلا انزلاق أحداث من الشعور إلى اللاشعور في حياة سابقة، فالحدث أثناء الوجود الأرضي في فترة معينة أخذ مكانه في اللاشعور وأصبح منسياً، وأما الضمير فهو تلك الدروس التي قد وعتها النفس عن طريق الأهوال المخبوءة في اللاشعور والتي تنبه أحياناً الضمير إلى عدم الوقوع في نفس الأخطاء الماضية تتفاوت في مداها بمقدار تطور الذات، وبمقدار يقظة الشعور الدفين الذي هو الضمير، والذي هو حصيلة الماضي حيث يساعد على شق طريق المستقبل السائر نحو النمو والتطور الذي لا يعرف نهاية. فالنسيان لم يحدث وإنما هو مجرد وظيفة بيولوجية محددة، وهي انزلاق اختبارات الماضي من الشعور إلى اللاشعور. إن علم النفس الحديث قد نجح في اكتشاف وجود اللاشعور أو العقل الباطن غير أنه لم ينجح في اكتشاف المجهول في اللاشعور؛ فإذا صح القول بأن هذا اللاشعور هو عبارة عن مخزن للماضي السحيق للإنسان فإن هذا اللاشعور لم يثبت وجوده عند الكائنات الحية الأخرى منها الفقريات وغير الفقريات، ولا أعتقد أن عالماً واحداً سلم بالحصان أو الكلب أو غيرهما أن لهما لا شعوراً أو أصيبا بجنون العظمة أو مركبات نقص أو انفصام الشخصية،

كما ينبغي أن نعرف أن هذا اللاشعور للإنسان فيه قدر كبير من دوافع الحقيقة مختبىء فيه لدرجة أنّ الشعور فيه واحد من عشرة واللاشعور فيه تسعة من عشرة، فاللاشعـور هو خزان أحداث ماضينا، وهو قسمان، ماضينا المباشر ومستقبلنا الوشيك، فعلى الماضي نتكيء وعلى المستقبل ننعطف، فالإتكاء والانعطاف من خاصة الكائن الشاعر، وأمـا الشعور كما يبدو فهو صلة بين ما كان وما سيكون أو جسر يلتقي فيه المستقبل بالماضي.

الفصل الثالث

الشخصية وقياسها

الشخصية مجموعة من الصفات والخصائص المختلفة التي يتميز بها الإنسان عن غيره، أو بعبارة أخرى هي الأثر العام الذي تتركه صفاته العقلية والخلقية والمزاجية والجسمية، في شعور شخص آخر يلاحظه فيحكم عليه؛ وعلى أي فبكل تعريف يقرب معنى الشخصية فهو أنسب، والشخصية ليست وظيفة نفسية أو عقلية خاصة مثل الإدراك أو التذكر أو التفكير بل مجموعة من الصفات والمميزات تشير إلى نوع سلوك الفرد، وباختصار فإن كل عمل أو فعل يقوم به الشخص كيفما كان ما هو إلا مظهر من مظاهر شخصيته؛وكلمة الشخصية هي مشتقة من الشخص نفسه وهذا ما يشير إلى أن الناس قد تدرك أنَّ أي تصرف من الشخص هو تعبير عن شخصيته، وقد يرى الباحثون أن الحكم على الشخصية وتحليلها وتفصيلها لعناصر منفصلة ومنعزلة لا يفيد في معرفتها مثل تشريح الإنسان إلى أعضاء قصد معرفة ظواهر الحياة، ومن الخطأ أن نقول بأن فلاناً منعدم الشخصية، فالشخصية ليست عضواً مبتوراً من فلان، فانعدام الشخصية قائمة على انعدام الإنسان.

وقد اهتم الإنسان منذ القدم بتصنيف الناس إلى شخصيات متعددة حددوها في أربعة أمزجة، المزاج الدموي ـ والصفراوي ـ والسوداوي ـ والبلغمي. فالدموي سهل متفائل سريع الإستجابة مرح يتسم بالنشاط ممتلىء الجسم متقلب السلوك،وقد يعرف

بالهوائي. والصفراوي تظهر قوة جسمه يميل إلى العنف سريع الغضب. أما السوداوي فإنه بطيء التأمل والتفكير متشائم ميال إلى الكآبة قوي الإنفعال ثابت الإستجابة. أما البلغمي أو ما يسمى أيضاً باللمفاوي بطيء ميال للخمول سطحي بليد بطيء الإستشارة بدين ميال للشره.

أما علم النفس الحديث فقد جاء بتصنيفات كثيرة أذكر منها التصنيف الثلاثي الذي جاء به «كرتشمر» والذي يربط فيه الميزات النفسية ومظهر الجسم الخارجي منها «الواهن» وهو طويل رفيع ذو يدين وقدمين مستطيلين وجلد شاحب وصدر مسطح وعضلات مترهلة، منطو إلى حد كبير، يطيل التفكير في نفسه سهل الاصطدام مع المجتمع، فإن اختلت شخصيته فهو مهيأ لمرض «الفُصام» وهو نوع من الجنون. والنوع الثاني «البدين» ذو بطن مكور بارز وعنق كبير، فإن اعتل كان نصيبه «الجنون الدوري. أما النوع الثالث فهو «الرياضي» ذو عضلات قوية وجسم متناسب التقاسيم، وسط في صفاته النفسية، بين النوعين السابقين، وهو أقرب إلى «الفُصام» إذا اعتلت شخصيته.

وقد تعودنا أن نحكم على شخصية الإنسان بحكم الحياة اليومية وعن طريق الإتصال، ولعل مصادر أحكامنا لا تخرج عن الشكل الظاهر، فقد ننظر إلى بناء جسمه وتعابير وجهه وحركاته وهندامه، أو إلى سلوكه في ظروف معينة أو ما نعرفه عن تاريخه الخاص أو ما يفضي به إلينا من آمال وخبرات ومتاعب أو ما يعرفه المتصلون به.

وهكذا نرسم للشخص صورة عما ذكرنا بعضاً أو جلا، غير أن هذه الأحكام ذاتية تميل مع الهوى، وتتأثر بانطباعات وقتية ممزوجة بوجدانيات تحيدها عن الأحكام الصحيحة.

الفصل الرابع

تكامل الشخصية وصحتها

إن الإنسان حينما يولد يكون مزوداً بجملة من الاستعدادات الفطرية منها الغرائز والذكاء والقدرات والمزاج، فالتربية المقصودة أو غير المقصودة ليست سوى عملية يراد بها الإدماج في أحضان المجتمع وإبراز إنسانيته عن ثنايا طبيعته الحيوانية، وليست العادات والعواطف والخبرات والمهارات والمثل التي يحصل عليها إلا اشتقاقاً وتعديلاً أو إعلاء واستغلالاً لاستعداداته الموروثة، إن موقف الفرد من بيئته المادية والإجتماعية لم تكن سلبية ينظر إليها حتى تأتيه بما يحتاج، كما أن البيئة ليست سلبية تتيح له الظفر كما يريد، بل إنه يقاومها وتقاومه ويؤثر فيها وتؤثر فيه فيبقى الرد موصولاً بينهما، إن علاقة الإنسان موصولة مع بيئته من حيث الصحة أو المرض أو السعادة أو الشقاء، فتكوين الشخصية كما يبدو لا يعدو أن يكون عملية تعلم بمفهومه الواسع، ولعل النظم الإجتماعية كانت دينية أو اقتصادية أو سياسية أو ثقافية بالإضافة إلى العوامل الجغرافية تكون سبباً في تحوير الشخصية وتعيين اتجاهها ومضمونها حتى إن علماء الأنثروبولوجيا قالوا بأن الشخصية وليدة المجتمع وحده دون اعتبار للعوامل البيولوجية والسيكولوجية.

لقد اختلف العلماء إلى مجرد الشخصية، فبعضهم ذهب إلى عوامل وراثية والبعض الآخر إلى أنها اجتماعية وثقافية، فالتي تأخذ الإتجاه الأول تبني رأيها على «الغدد الصم» التي ترى أن اختلاف الشخصيات يعود إلى اختلاف في توازن إفرازات هذه الغدد.

فالغدة الدرقية: وهي على جانبي الحنجرة والقصبة الهوائية على شكل جناحي طائر، إذا اتسمت بنقص في النمو منذ الميلاد وقف معها نمو الجسم وجف الجلد ودق الشعر وانتفخ البطن وبقي يافوخ القحف مفتوحاً مع ضعف في نمو خلايا اللحاء في المخ مما يجعله قزماً ضعيف الذكاء، أمَّا إذا قصرت هذه الغدة بعد الميلاد أو أصيبت بعطب ظهرت على الشخص أعراض منها تكثف البشرة وجفافها وسقوط الشعر وهبوط حرارة الجسم وفرط في النوم وفتور في النشاط الجنسي وبلادة ونسيان وعجز عن التركيز والعمل، أما إن كان إفراط في نشاطها. فقد يزداد نشاط الجسم وتزداد معه ضربات القلب فيصاب بالأرق والقلق والتهيج وجحوظ العينين، فإن كان في النمو أسرع نموه في الطول حتى يصبح عملاقاً، وعلى الرغم من هذه الزيادة فإن النمو العقلي والذكاء يبقيان على حالهما.

غدتا الأدرنالين: «الكظران». هما فصان صغيران صفراوان يقومان فوق الكليتين لكل منهما قشرة ونخاع يختلف أحدهما عن الآخر في تركيبه ووظيفته، فالقشرة غدة صمَّاء مستقلة تفرز هيرموناً يسمى «الكورتين» والنخاع غدة تفرز «الأدرنالين» والأدرنالين هيرمون قوي إذا أفرز بكميات طفيفة أدى إلى ازدياد سرعة النبض وشدته مع ارتفاع في ضغط الدم الذي يندفع نحو العضلات والمخ أكثر مما يندفع إلى الجلد والأمعاء، كما يحدث وقف في نشاط المعدة والأمعاء واتساع في المسالك الهوائية في الرئتين وصرف السكر المخزون في الكبد، وبالتالي تأخير التعب العضلي وإفراز العرق وتمدد في العين، وقد ثبت أن هذه المادة تزداد إفرازاتها أكثر في حالة الغضب والخوف والألم والجوع. أما «الكورتين» فقد يتوقف عليه الجسم في الحصانة ضد العدوى ومقاومة الإجهاد العضلي، فإن تَلِفَتْ قشرة الكظرين أصيب الشخص بمرض «أديسون» إذ يتغطى الجلد ببقع مائلة إلى السواد وتقل الحصانة ضد العدوى ويضعف المجهود الحركي وينزل به الأرق فيصبح شديد التأثير وتضعف فيه الرغبة الجنسية ويتبلد، أمَّا إن اشتد إفراز هذه القشرة فقد تبرز صفات الذكورة في الرجل والمرأة سواء، فيلاحظ أن المرأة استدار شكلها وغلظ صوتها وبدأت لحيتها في الظهور.

الغدة النخامية: هي في حجم الحمصة تقطن في منخفض داخل الجمجمة عند قاعدتها، يسميها العلماء «سيدة الغدد» إن الهيرمونات التي تفرزها لها أثر على غيرها من الغدد الصم، تتكوَّن من فصين يفرز الأمامي منها هيرمونات تنبه الغدد التناسلية والدرقية وقشرة الكظرين، ومن غير هذه الهيرمونات لا تنمو هذه الغدد أو تقوم بوظيفتها على نحو سوي، كما أن لإفرازات هذا الفص تأثير كبير في النمو الجسمي، فلو أفرطت في إفرازها في مرحلة الطفولة أسرع في نمو العظام والعضلات حتى يصبح الشخص عملاقاً، أما إذا أفرطت في الإفراز بعد النمو الجسمي زادت في استطالة اليدين والقدمين والأنف وضخَّمت الأذن والفكين، أما تفرط هذا الفص أو ضموره خلال مرحلة النمو فيؤدي إلى القزامة لكن الذكاء يبقى سوياً. أما الهيرمون الخلفي فقد يفرز هيرموناً يرفع ضغط الدم سريعاً، وهيرموناً آخر يحدث قبض العضلات.

الغدد التناسلية: الغدد الأولية عند الأنثى «المبيض» وعند الذكر «الخصيتان» إن هذه الغدد تفرز الخلايا التناسلية «بويضات وحيوانات منوية» بيد أنها تفرز فوق هذا هيرمونات لها تأثير بالغ في نمو الجسم وتشكيل السلوك، بمعنى أن الغدد التناسلية تعمل عمل الغدد القنوية والغدد الصم معاً، ففي طور البلوغ تعين هذه الهيرمونات على إتمام ونضج الأعضاء التناسلية وعلى ظهور الصفات الجنسية الثانوية كاللحية وتضخم الصوت عند الذكور ونمو الفخذين وبروز الصدر وترسب الشحم تحت الجلد عند الإناث؛ إن إفرازات هذه الغدد إن اضطربت لم تظهر الصفات الجنسية عند النوعين، وقد تفرز هذه الهيرمونات الجنسية منذ الطفولة فتزداد في طور المراهقة حيث تظهر النضج الغريزي، وهي فارق بين الجنسين في الجسم وصلة بينهما في الرغبة.

إن الغدد الصم بحق لها أثر في النمو الجسمي والعقلي وفي الاتزان والانفعال والنضج الجنسي فهي عوامل بيولوجية تسهم في تكوين الخصية وتلوينها، إلا أنه من الغلو أن نقول بأنها كل شيء، فلا بد من مراعاة العوامل الإجتماعية المختلفة وما لها من أثر في نمو الشخصية أو تعطيلها. إنه من المسلم به أن المجتمع لا يخلق شيئاً من عدم، لكن الوراثة هي أيضاً لا تظهر وتنمو دون تأثير البيئة والمجتمع، والفصل بينهما لا يجدي

شيئاً في التفسير، إن الإنسان لا يشكل كما يشكل الصلصال بل بيئته تؤثر فيه فيستجيب لمجتمع به وينمو نشاطه الذاتي، وإذا قلنا بأن الشخصية من خلق العوامل الفردية الوراثية لم نستطع أن نعلل الفوارق البعيدة المدى بين الشخصيات المختلفة في الثقافات المختلفة مع تشابهها في التكوين الوراثي، وبعبارة موجزة فإن الشخصية لو كانت لحناً موسيقياً فإن الوراثة هي نغماته والبيئة ملحنه، وبديهي أن تتوقف جودة اللحن على نوع النغمات ومهارة الملحن، وعلى أي حال فإن الشخصية لو كانت رواية يمثلها الشخص على المسرح، فإن هذه الرواية كانت مهزلة أو مأساة لا يمكن وصفها دون إشارة إلى الشخص الممثل وإلى المسرح الحياتي الذي يدور فيه التمثيل؛ ومثل الشخصية المتفككة كمثل فريق كرة القدم قام بينه شجار شغلهم عن الهدف فكانت عاقبته الخسران المبين، إن تكامل الشخصية ليس بالأمر الهين، فهي تقتضي جهوداً متواصلة إلى جانب الوراثة غير المثقلة وتوجيهها توجيهاً سليماً في مرحلتي الطفولة والبلوغ، وتربية ناضجة تهدف إلى الاعتماد على النفس وضبطها والثقة فيها، بعيدة عن الإسراف في الخوف والتدليل والقسوة والحرمان من العطف وبث شعور الذنب في النفس؛ إن تكامل الشخصية كتكامل الصحة في الجسم، فتكامل الشخصية شرطه الصحة النفسية، بذلك تأخذ الشخصية نضجها المتكامل، ولإثبات هذا التكامل فقد تصدر أمارات من الشخص هي علامة الشخصية الناضجة؛ إننا إذا لاحظنا أن قدرة الشخص تستطيع ربط صلات اجتماعية مرضية لا لبس فيها من الإحتكار والمضايقات والشكوى وقدرته على الجلد تجاه الأزمات مبرزاً إنتاجه الجدي في حدود ذكائه واستعداداته وحيويته، يسعى إلى الطمأنينة راضياً مرضياً سعيداً مرتاح البال، حياته النفسية سالمة من التوتر والقلق، ضابطاً نفسه ومواقفه بعيداً عن التهور والاندفاع ثابت المواقف سلوكه خال من التناقض إزاء المواقف قادراً على التصميم والإختيار دون توقف؛ كل هذه امارات للشخصية المتكاملة الصحيحة نفسياً، وقد نرى هذا التكامل التام يكاد يكون خرافة لكن الواقع أن أغلب الشخصيات هي في طريقها إلى التكامل وليست متكاملة، وقل أن نجد شخصاً بلغت شخصيته إلى التكامل التام كما أسلفنا.

الفصل الخامس

الشخصية المضطربة

قد يحدث أن الشخصية تصاب باضطراب تختلف في درجاتها شدة وعنفاً واستعصاء عن الشفاء، منها ما تسبب التوقف عن العمل حتى تجعل صاحبها غريباً عن نفسه ومجتمعه خطراً على غيره بعيداً عن الواقع، والعلماء اختلفوا في تصنيف هذه الحالات، منها ما صنفوها تحت اسم الأمراض النفسية، ومنها ما وضعوها تحت اسم الأمراض العقلية والإنحرافات الجنسية والشخصية السيكوباتية إلى غير ذلك.

فالمرض النفسي هو اضطراب وظيفي في الشخصية يظهر في صورة أعراض نفسية وجسمية مختلفة كالهستريا والوسواس، ومما تجدر الإشارة إليه أن نميز بين الأمراض النفسية والأمراض العصبية، فالأمراض العصبية عضوية ناشئة من عطب في النسيج العصبي للمخ أو الخلايا العصبية، قد تنشأ عنها حالات منها الصرع الناشيء عن التهاب في الدماغ مثلاً، أو نشج لا إرادي ناشيء عن مرض روماتيزمي فينشأ عن كلتا الحالتين أعراض مختلفة كالغيبوبة وسرعة القلق والتهور والإندفاع والبلادة والتبلبل والعجز عن ضبط النفس والإندفاع، ويمكن أن نشبه بين الحالتين النفسية والعصبية كساعة حدث فيها اضطراب، فإن كان الخلل نتيجة كسر أو عطب في الآلات فالحالة عصبية مرجعها إلى أطباء الأمراض العصبية، أما الحالة النفسية فعلاجها عند الطبيب النفسي؛ فلننتبه إلى هذا الخلط الذي قد يحدث بين النوعين.

الفصل السادس

«فرويد» والشخصية

إن الشخصية في نظر «فرويد» تنقسم إلى ثلاثة مظاهر هي :

الذات السفلى أو الهو: مجموعة من الدوافع الجنسية والعدوانية التي يزود بها الطفل من يوم مولده ثم يسير «بمبدأ اللذة» الذي يستهدف إشباع غرائزه حتى يجد ما يخفف عنه من حدتها وهو لا شعوري محض ليس بينه وبين الواقع اتصال، من أجل ذلك لا يعرف الخير والشر ولا المنطق والزمان والمكان.

الأنا: جانب من الشخصية يتميز عن «الهو» من أثر اتصال الطفل بالعالم الخارجي عن طريق الحواس، فقد يرى النار فلا يقيم لها وزناً حتى يحترق، وقد يحفظ كلمات تدل على الخطر فيبقى الخطر باستساغتها، على هذا النحو تتكوَّن «الأنا» عن طريق الخبرة للحد من اندفاع «الهو» ولضبطه وتوجيهه، «والأنا» عند الرضيع ضعيف لذا وجبت حمايته حتى يشتد «الأنا» كذلك «الأنا» عند ضعاف العقول وجب رعايته وإلا هلك، «والأنا» عند العقلاء يسير على هدي «مبدأ الواقع» وقد يحمل الشخص على إرجاء غرائزه أو أن يتنازل عن شيء منها ويحتمل ما ترتب عن هذا الإرجاء أو التنازل من ألم وقتي، فالتربية مسؤولة عما يكون عليه «الأنا» من إفراط أو تفريط في الغرائز أو تدليل أو تخويف أو إضعاف الثقة بالنفس، كل هذا يدعو إلى وقف «الأنا» عن النمو فيبقى الشخص طفلاً مهما كبر، و «الأنا»

الضعيف الذي لا يستطيع ضبط غرائز «الهو» يكون خطراً على نفسه ومجتمعه فيبقى أسيراً لشهواته ونزواته.

الأنا الأعلى أو الذات العليا: قد يعاق في الطفولة المبكرة كثير من الدوافع والرغبات عن طريق الأوامر والنواهي التي تتجلى في القواعد الخلقية وسلطة الوالدين؛ كل هذه الأوامر والنواهي تمتزج مع الطفل من غير قصد فيجعلها حكماً لسلوكه وسلوك غيره، ومع مرور المدّة تقوم في نفسه سلطة داخلية بديلاً عن الأبوين، هذه السلطة الداخلية هي ما يسمى «بالأنا الأعلى» وهي سلطة تشريعية قضائية تنفيذية وظيفتها مراقبة «الأنا» وتوجيهه ونقده وعقابه حتى تهان مع «الهو» فالإنسان المحَضَّر بمعنى الكلمة لا يصل إلى درجة من الترقي لا تقف عند تكوّن «الأنا» التي تنحصر في الدوافع الضارة والحيلولة دون تحقيقها بحكم تنبيه الفرد بأضرارها، بل إن «الأنا العليا» يمنع الفرد حتى في التفكير في عمل لا يتفق مع معاييره، فقد يمنع من عمل الشر لا لأن الشر خطر بل لأنه شيء يجب تركه، و «الأنا الأعلى» هو أصلاً من صورة تعاليم الأبوين ثم تفرزه بعد ذلك تربية المدرسة والمجتمع، فإذا قلنا مثلاً بأن «الهو» بمثابة القوة لمحرك السيارة فإن «الأنا» عجلاتها وزمامها، و «الأنا الأعلى» مجموعة التعاليم التي يجب أن تتبِّع في السير وما يترتب عن مخالفتها وعقوباتها، ومثال آخر فإن «الهو» يمثل النفس الأمارة، و «الأنا الأعلى» يمثل النفس اللوامة، ولكي نبسط مفهوم الثلاثة أكثر، فإن «الأنا» تمثل قولنا «أنا أريد أن أذهب» وأما «الهو» فيبدو في قولنا «لا أدري ما الذي دفعني إلى ارتكاب جريمة كذا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» وفي هذا إشارة إلى دافع لا يعطف به الشخص ويعده غريباً عنه، وأما «الأنا العليا» فيتمثل في هذا القول: «أستطيع أن أعتدي عليه لكن ضميري لا يسمح بذلك». إن «الأنا» السوي كمثل حكومة ديمقراطية تعترف بالحاجيات الخاصة من كل صنف وتستمع للجميع فترضي الرغبات، أما «الأنا» المريض أو الشخصية المريضة كمثل حكومة أتوقراطية تقمع آراء الجميع وترفض الرغبات التي تساير رغباتها. بهذا الشكل

تسود الوحدة على أساس بركاني إذا لاح في لحظة أثر الوهن انقض الثائرون فحطموا النظام كله، وبعبارة واضحة، فإن الشخصية المضطربة يسودها الخوف ويصدعها الصراع والكبت فتتفكك وتأخذ الأعراض ذرعاً خادعاً ورمزاً ناطقاً بين الدوافع الغريزية والبواعث الإجتماعية فتختلف هي أيضاً باختلاف الاضطرابات.

إن «فرويد» قد قدم لنا نظريات لاقت سنداً عن الشخصية موجزها كما يلي:

- الدوافع اللاشعورية.
- الكبت.
- الوظيفة التعبيرية للأحلام.
- الحيل اللاشعورية.
- الجنسية الطفيلية وضرورة إدخال الدوافع الجنسية في نواح تبدو غير جنسية في ظاهرها.
- خطورة زمت الدوافع الأساسية.
- فائدة التنفيس في العلاج النفسي.
- أهمية الاستبصار في التاريخ الماضي للمريض.
- ظاهرة التحويل.
- ظاهرة المقاومة.
- مغزى الهفوات كفلتات اللسان وزلات القلم والنسيان.

هذه نظرة موجزة عن رأي «فرويد» إلى الشخصية الإنسانية وقف منها علماء النفس والطب النفسي مواقف شتى من الرفض والقبول.

الفصل السابع

الشخصية عند المدارس المختلفة

«فرويد» و «وليم مكدوجل» هما اللذان أدخلا فكرة الغرائز في وصف الشخصية. و «مكدوجل» هو الذي أدخل فكرة العواطف ودورها في وحدة الشخصية وتكاملها، ثم بعد ذلك فريق من العلماء شرعوا في دراسة الشخصية عن طريق التجريب والقياس والإحصاء منهم مدرسة تحليل العوامل، على هذا النحو تكون هناك اتجاهات ثلاثة في دراسة الشخصية، الإتجاه الأكاديمي ويمثله «مكدوجل» والإتجاه الاكلينيكي ويمثله المحللون النفسيون، ثم الإتجاه التجريبي، ومن باب الإنصاف أن نقول بأن مدرسة التحليل النفسي أكثر من أية مدرسة أخرى للشخصية الإنسانية، غير أنها تورطت في أشكال تقارب التناقض، ففي الوقت الذي قدمت فيه طائفة من المباديء العامة نراها تلح على أهمية التأويل الفردي مؤكدة أن كل شخصية لها بناؤها الفريد من نوعه بل ذهبت أكثر من هذا قائلة: ليس هناك تمارض بل مرضى، والأدهى من هذا قول بعضهم: إن الشخصية لا يمكن أن تكون موضع دراسة علمية، مما يجعل رد الآخرين بقولهم: إن لم يكن علم النفس قادراً على دراسة الشخصية فلا بد من خلق علم آخر يقوم بهذه المهمة، كما نلاحظ تعارضاً بين الإتجاه الاكلينيكي والتجريبي أو تحليل العوامل الذي يرى أنه الإتجاه العلمي الصحيح، في حين يرى الفريق الأول أن الشخصية نظام معقد حافل غير بسيط، ويرى الفريق الثاني أن أساس الشخصية بناء

بسيط وعدد صغير من السمات أو العوامل أو الأبعاد.

إن رأي «وليم مكدوجل» يأخذ بنظرية إثبات السلوك واستقراره عند الناضج يرجع إلى التنظيم الذي يتناول الغرائز ويوجهها توجيهاً معيناً على تكوين العواطف، فهناك لجنة من الغرائز تمثل التعاون لا الفوضى، لو قيل إن الرسام يستطيع أن يعمل من ثلاثة ألوان أعداداً لا نهاية لها من الأصباغ، فكذلك في المقدور أن يصاغ عدد ضخم من العواطف من لجنة الغرائز التي قال بها «مكدوجل». إن الطفل الصغير كالحيوان تحركه غرائزه وهي مستقلة عن بعضها تقريباً، فهو في سلوكه مضطرب ومتناقض، فإذا ترعرع وكبر بدأ شيئاً فشيئاً يكتسب بعض العواطف نحو أبويه وإخوانه وأصدقائه وأساتذته إلى غير ذلك، وهذه العواطف هي خطوة أولى في تنظيم غرائزه وتعديلها في إثبات السلوك إلى حد ما، وهكذا لو نظرنا إلى سلوك السواد الأعظم من المراهقين والكبار لألفيناهم يتميزون بتنظيم جديد يتناول مواطنهم كالتنظيم الذي تناول الغرائز من قبل، ونعني تنظيم العواطف التي اكتسبها الفرد من قبل، من هنا نلمس نظرية «مكدوجل» عن بناء الشخصية وتكاملها، إن هذا التكامل رهين بشرطين، هما انتظام ما لدى الفرد من غرائز في العواطف، وانتظام هذه العواطف في بناء تتوّجه عاطفة اعتبار الذات.

الفصل الثامن

الأمراض النفسية وأعراضها

العرض هو إنذار يعني وجود اضطراب في الشخصية، وهو بوجه عام استجابة شاذة أصبح بمثابة عادة ملحة يصدر تلقائياً، وليس من اليسير ردعه أو إزالته، وإن الأعراض النفسية قد تكون جسمية كفقد إحساس أو ضعف حاسة أو شلل عضو أو إمساك مزمن أو قيء أو غثيان أو إسهال أو انقباض القلب أو نوبات أو إغماء أو إفرازات في البول أو خلجات عصبية أو أرق أو قضم أظافر أو توتر عضلي مستديم أو إسراف في نوم أو فقد شهية، وقد تكون الأعراض نفسية كقلق أو سخط أو تشكك أو جزع أو اكتئاب أو هبوط معنوي أو مخاوف شاذة أو ضعف إرادة مع عدم قدرة على التركيز أو إسراف في تأمل ذاتي أو إنطواء أو نسيان أو شدة قابلية للاستهواء أو الخوف من أماكن مقفلة أو واسعة أو الخوف من أماكن مقفلة أو واسعة أو الخوف من الدنيا أو من الجرذان أو العزوف عن تحمل التبعات. إن لكل مرض مجموعة من الأعراض الأساسية تميزه عن غيره.

فالهستيريا: مرض يتميز بأعراض حسية وحركية ونفسية، فالحسية كالعمى والصمم الهستيري اللذين منشأهما الأعصاب أو مركز المخ وزيادة الحساسية أو فقدانها في بعض أعضاء الجسم، أما الحركية فمثل الشلل الهستيري واضطراب الدورة الدموية كالشعور بالحرارة أو البرودة أو زيادة خفقان القلب. أو نفسية

كفقدان الـذاكرة لمجموعـة من الحـوادث المؤلمـة والتجـوال النومـي كأن يتـرك المريض بيته إلى مكان آخر من غير قصد واع حتى إذا عاد نسي أين كان وما حدث ؛ والهستيري يكون شديد الحساسية تثيره التوافه إلى حد يعجز عن ضبط انفعالاته ، فيستسلم أحياناً لنوبات الضحك والصياح أو البكاء دون سبب ، تبدو عليه ظواهر الصبيانية وعدم النضج يتقبل الآراء من غير مناقشة يخادع نفسه بمهارة ، وهو منبسط متظاهر متفاخر، ما أن ركز نفسه على شيء حتى يتحول عنـه بسرعـة ، لديه فتـور جنسي. إن الهستيري يعرف أنه يريد التخلص من موقف حرج لكنه لا يعرف أن هذا هو السبب في مرضه ، وهي عادة تصيب الرجال والنساء كما تصيب الكبار والصغار والأغلب في طور المراهقة وأوائل الشباب لما يحيط به هذا الطور من مشكلات .

أما «الحصار» : فهو حالة وجدانية تقارب الخوف ، صاحبها يشعر بضيق وقلق ، وهذا المرض النفسي شائع غير أن ما يصاحبه من أعراض بدنية يهرع صاحبه إلى طبيب البدن ، ومن أعراضه الجسمية ضيق التنفس وانقباض القلب وإصابته أحياناً بنوبات هستيرية تصاحبها رعشة ثم أعراض أخرى ، منها إفراز العرق بغزارة وغشاوة في البصر وقيء وإسهال ودوار شديد، أما إذا كانت هذه الحالة مزمنة فقد تخف الأعراض إلى الإحساس بالعياء وكثرة التبول مع القلق الدائم ، أمـا إذا اشتـدت انفعالاته فقد تشتد معها الأزمة . أما الأعراض النفسية فأهمها القلق الذي لا يعرف المريض مصدره حتى يتحول به إلى فزع وبكاء وتوجع وصراخ ولربما يشعر بطائر الموت فوقه ، ينتهز كل فرصة يتخذها ذريعة القلق يتوقع الشر من أي مصدر، فإذا دق بابه أحد ظن حادثة وإن سار أحد جنبه ظن أنه يرقبه ، وإن أوى إلى فراشه تردد بإغلاق الباب مراراً، وإذا ما كتب رسالة أعاد إصلاحهـا مراراً أو مزقهـا وأعـاد كتابتها ، فهو كثير الشـك جزع سريع الغضـب يثـور لأتفـه الأشياء ، ينتابـه مرض الكابوس أثناء النوم . إن مدرسة التحليل النفسي تقول بأن الحصار استجابة لدوافع مكبوتة تكاد تقتحم شعوره ، من أجل ذلك يكون المريض خائفاً من نفسه أن تتسلل دوافع الكبت فتجد سبيلاً إلى التنفيذ ، لكنه لا يعرف شيئاً من ذلك .

أما «الحَوايزُ»: فهو خواطر استبدادية تلازم الشخص كالظل فلا يستطيع الخلاص منها مهما بذل جهده أو حاول إنسان إقناعه، فقد تستحوذ عليه مثلاً مشكلة فلسفية أو دينية يظل معها التساؤل من غير طائل، وإن السمة التي يتسم بها سلوك المريض أنه يكون مرغماً على القيام بسلوك معين أو التلفظ بألفاظ معينة مهما كانت سخافتها أو مهما كان ضررها أو خطرها. مثلاً قد يكون مرغماً على عد مصابيح الشوارع أو عد الدرج أو أن يقف فجأة عن السير أو السير في طريق خاص أو الإسراف في غسل يديه مرات في اليوم، وقد كان أحدهم لا ينام إلا إذا قبَّل صورة أبيه المتوفي خمسين مرة، فإن أخطأ العد أعاده. إن مثل هذه الحالات أو غيرها، في مثل هذه الأمراض النفسية ما هي إلا رموز وتعبيرات تنطوي على معانٍ ودلالات مضمرة لا يعرفها إلا المريض، فهي بمثابة الشفرة لا يحللها إلاّ المحلل النفسي، حينما يتوصل إلى تحليل شخصية المريض، فيأخذها من أحداثه الماضية المنسية.

إن المريض «بالحوَايز» يغلب على سلوكه النظام والدقة والتشكك فهو ينظر إلى الأشياء من جميع النواحي لكنه لا يستطيع أن يفعل بصدده شيئاً، والأغلب أنه من ذوي الحساسية المرهفة، فهو يلاقي تعذيباً من الضمير، وإن من سمته الصرامة والتزمت والتردد والإعتقاد، هكذا تبقى حياة هذا النوع من المرضى تؤدي بصاحبها نحو القلق والخوف والشعور بالذنب.

الفصل التاسع

الأمراض العقلية وأعراضها

المرض العقلي هو اضطراب خطين في شخصية الفرد يجعله لا يعاشر مجتمعه، فيمنعه من التوافق الإجتماعي. في شتى صوره، وقد يتميز بصنفين اثنين من الأمراض، فهناك صنف عضوي ينشأ عن تليف نسيج الدماغ بميكروب الزهري، أو تورم أو تصلب شرايين المخ، وهذا الصنف يدعى بالمرض العقلي العضوي حيث ينتج عنه جنون الشيخوخة أو جنون المخدرات أو جنون الشلل العام، وعلاج هذا المرض مرده بالمقام الأول إلى الطبيب البدني أو طبيب الأعصاب، أمّا اضطرابات العقل التي لا تقل عن الأولى خطورة فإنها لا تكون مصحوبة بتغيرات عضوية عصبية وهي ما تدعى بالأمراض الوظيفية ومنها:

الفُصَامْ: ومن أعراضه المبكرة سرعة التهيج، وزيادة الحساسية، والإنطواء الشديد، فصاحبه يقطع الصلة بالواقع، ويعيش في عالم الأوهام والأخيلة المختلفة، فيحدث اضطراب بيّنٌ في انفعالاته، ويفقد الشعور بين سلوكه وبين تفكيره، حيث يضحك لما يؤلم ويبكي لما يسر، أو يقوم بإنجاز توافق أو تظاهر بعظمة شخصية بارزة أو هو يتكوّن بين هذه وتلك فضلاً عن انحرافات شتى ككشف الصورة أو القيام بأعمال مستهجنة أو تغير في الألفاظ والعادات، زيادة على نقص شديد في الحيوية، وبلادة تحدوها أفعال اندفاعية فجائية، كالصياح

والهجوم والإعتداء، كما تحدوه أفكار عاجلة يناقشها حيناً وينفذها، ولربما تسيطر عليه فكرة واحدة، كأن يسمع هاتفاً يخبره بنبوَّة، وأن الدنيا هالكة فليقدم شخصاً ضحية وقرباناً حينما يشير له هاتف النبوة بذلك، وقد يعتقد صاحب هذا المرض أيضاً أن نفراً من الناس يكيدون له كيداً، وقد يدسون له سماً أو يعتقد أنه من الأغنياء أو من الشخصيات أو مريض بنوع ما من الأمراض لا يقتنع مهما كانت الأدلة. فالفُصام مرض خبيث يستعصي علاجه. كلما تقدم بصاحبه كلما ازداد تفككاً وانحلالاً.

النُّوَابُ: كل الناس معرضون لتقلبات في المزاج، فقد يكون الإنسان في رغد من سعادة ونشاط، ومتى كان في حالة اكتئاب وهبوط تقلبت حركاته وتلاشى نشاطه، فهذه الحالات مردها إلى عوامل نفسية أو جسمية أو اجتماعية عابرة. غير أن هذا التذبذب قد يكون على درجة كبيرة من الغلو والشدة لا يتلاءم مع مختلف الظروف المحيطة بالشخص، ومن هنا نلمس مرض «النُّواب» فقد ترى هذا الشخص ينتقل من أقصى حدود الإبتهاج إلى أقصى حدود الإنقباض والهبوط من غير سبب ظاهر معقول، ونوبات الإبتهاج هذه يُدعى «بالهَوَس» كما يُدعى نوبات الإكتئاب «بالشّوَاذ» أو «الميلانخوليا» ومثل هؤلاء الأشخاص يدعون «بالشخصيات البندولية»، إن نوبات «الهوس» تكثر الأفكار والإنفعالات والحركات، فالمريض يكثر من الحديث ويحاول تنفيذ ما يخطر بباله، كما ينتقل من موضوع إلى آخر بسرعة، ولا يلبث أن ينتقل بموضوعه إلى عدوان كاعتداء على أثاث أو متاع أو قول فاحش ومرض «الشّواذِ» هذا تتبلد حركات صاحبه ويخمد جسمه ويفتر اهتمامه بالعالم الخارجي وتسودّ الدنيا في عينيه فتحوم حوله الذكريات والوساوس والشعور بالذنب واتهام النفس مما يجعل فكرة الإنتحار تحدوه، فيعزف عن الطعام ويستحوذ عليه الأرق.

إن نوبات الهوس توجه عدوانه إلى العالم الخارجي بينما نوبات الشُواذ

توجه عدوانه إلى نفسه، ومن الملاحظ أن هذه النوبات سرعان ما تثور إذا واجه المريض مشكلة أو مأزقاً أو موقفاً عسيراً.

الهُجَاسُ: ويدعى «البارانويا» يتميز هذا المرض بطائفة من المعتقدات الباطلة مثل العظمة والإضطهاد والغيرة والبطولة، وقد يسمونه أيضاً «جنون الأباطيل» والمصاب بهذا المرض يكون سلوكه وتفكيره عادياً صوب الموضوعات التي تمس أباطيلهم وهم قادرون على تحمل أعمالهم اليومية ويتحدثون في حكمة مع غيرهم ولا تبدو عليهم سمات التفكك إلا إذا تطور استحواذ معتقدهم على جميع أعمالهم ونشاطهم؛ وإن صاحب هذا المرض يكاد لا يشعر به الناس ولا يلفت النظر إلا إذا حدث تصرف يقتضي الحيطة، وقد يظل هاجس هذا المرض أيضاً يحمل الكيد والدس والإيقاع، فهو مثلاً قد يحرر رسائل مجهولة وخطابات سرية تحمل التهديد والرعب، إنه متشكك ومرتاب في نيات الناس حوله ولربما صاحبه يلجأ إلى القتل دفاعاً عن نفسه من شخص يتوهم عداوته.

الفصل العاشر

بين المرض النفسي والعقلي

إن المرض العقلي يتميز عن المرض النفسي بعدم تبصره بنفسه وشعوره بشذوذ لا يعترف ولا يتألم ولا يسعى إلى علاج، اللهم ما يشعر به من ذنب وحدة ومشاعر تقض مضجعه، لقد قطع صلته بالواقع وكوَّن لنفسه عالماً من الأوهام؛ أما المرض النفسي فصاحبه لا يزال متصلاً بمجتمعه وواقعه يحاول أن يساير الناس لكن حساسيته المرهفة وصراعاته النفسية تحول دون ذلك، وهو يعمل جاداً مع ما يقاسي من مرارة العجز، وكمقارنة بين المرضين فإن المريض النفساني كشخص اصطدمت سفينته فعطبت حيث سار يجاهد بين الأمواج للوصول إلى شاطيء السلامة، أما المريض عقلياً كشخص غرقت سفينته تموج به حطام السفينة كرهاً إلى عرض البحر لا يلوي على شيء، وقد تظهر أن عوامل الوراثة أشد وأعمق في تهيئة الشخص إلى الأمراض العقلية أكثر منها إلى الأمراض النفسية، ثم أن الأمراض العقلية لا تظهر في الطفولة خلاف الأمراض النفسية؛ أما من حيث العلاج فإن حدة المرض العقلي لا يمكن علاجه عن طريق التحليل النفسي لأن المريض عاجز عن التعاون مع المحلل النفسي عكس المرض النفسي.

الفصل الحادي عشر

الاضطراب الوظيفي وأسبابه

إن الإضطراب الوظيفي هو وليد عوامل ثلاثة: الإستعداد الموروث ـ وهو عامل مهيىء ـ والصدمات الإنفعالية المكبوتة في الطفولة وهو ـ العامل الرئيسي ـ والأزمات الراهنة وهي ـ العامل المباشر.

فأما الإستعدادات الموروثة فأمر واقع فهناك اضطرابات الشخصية تجري داخل بعض الأسر غير أنه يجب تحديد هذا الاستعداد الموروث، فإن كان المقصود به وجودموروثات خاصة لهذه الاضطرابات يمكن القول بأن البيئة تستطيع مقاومة هذه الاستعدادات الموروثة وأن تعطلها مثلما تستطيع أن تقويها، وأما إذا كان المقصود بالإستعداد الموروث حساسية مرهفة تولد مع الشخص تجعله أشد تأثراً بصدمات الحياة فلا شك أنها تكون عاملاً مهيأ للاضطراب خاصة إذا نشأ في بيئة يغمرها الصراع والحرمان.

أما الصدمات الإنفعالية في عهد مبكر من الطفولة وما يترتب عنه من كبت وقساوة فتجعله أقلّ احتمالاً في حياته المقبلة لما لاقاه من صدمات وأزمات لم يبق له إلا النذر القليل من الطاقة لمواجهة كل الحياة المقبلة وكلما كانت الطاقة تلاشت أكثر كلما كان الصمود هزيلاً عند المواجهة.

أما الصدمات التي يلاقيها الشخص في مستقبل حياته كالخسارة أو الحزن أو

الإخفاق فتختلف آثارها في نفسه باختلاف استعداده الفطري وتربيته الأولى، إن من الناس من يفضل مواجهة الموت على مواجهة جمهور الناس، والعكس بالعكس، ومن الناس من يرى أبسط الأمور وأهونها أشد عليه وأشق، ولا ننسى أن الإجهاد العقلي والجسمي والحرمان الجنسي والصبر على الظلم والإضطهاد وعدم الرضى عن النفس وكظم الغيظ أو رغبة الإنتقام والخوف المستمر من أجل طريقة أو انكشاف إثم إلى غير ذلك، كل هذه الأشياء إذا بالغ فيها الشخص آلت إلى اضطراب الشخصية، وما أعراض الشخصية إلا استجابات يقوم بها الفرد ليخادع بها ويفر من الواقع المؤلم ويحمي بها نفسه حيال المواقف الصعبة.

الفصل الثاني عشر

الغرائز

كثيراً ما نمر على اسم الغرائز مر الكرام، وحتى نبين مدلولها ومداها لا بأس أن نلقي عليها الضوء حتى تتضح جوانبها، إنًا نزاعون بفطرتنا إلى التساؤل عن الدوافع التي تحملنا للقيام ببعض التصرفات، فمثلاً قد نرى رجلاً خرج من داره في زينة وأناقة فتساءل عما دفعه إلى ذلك بقولنا: ربما هو مدعو إلى حفل؟ ربما هو مسافر؟ ربما يريد عقد صفقة؟ إننا نحاول تحديد الغرض عن طريق التأويلات التي لا حدود لها، فقد نتساءل أيضاً ما الدافع إلى السفر؟ ما الدافع إلى تلبية الدعوة؟ ما الدافع إلى عقد الصفقة؟ إلى آخره، وقد نصل أخيراً إلى تساؤلات كأن نقول: إن الذي دفعه هو غريزة المحافظة على الحياة. إن الناس تحركها أعراض ودوافع ورغبات تقررها أعراض ودوافع ورغبات أخرى حتى ينتهي الأمر عند دوافع أساسية قصوى لا يمكن أن تدخل تحت دوافع أخرى.

إن «مكدوجل» ذهب برأيه في هذه الأغراض أو الغرائز، حيث يرى أن كل كائن حي يولد مزوداً بعدد معين من الاستعدادات الغائية ـ والمقصود بالغائية أنها تحمل الكائن الحي على بلوغ غايات طبيعية محدودة حين يدرك أشياء معينة في بيئته ـ والإستعدادات الغائية ما نسميها بالغرائز.

والغريزة استعداد فطري نفسي جسمي يدفع صاحبه إلى أن ينتبه ويدرك

أشياء من نوع معين مع الشعور بانفعال نفسي من نوع خاص عند إدراكه لهذا الشيء فيسلك نحوه مسلكاً خاصاً، أو يجد في نفسه دافعاً على الأقل نحو هذا المسلك، فالدجاجة التي يتبعها فراخها إذا فوجئت بما يمسها أو يمس فراخها انفعلت وبادرت إلى الهجوم؛ إن الغريزة بعبارة أخرى استعداد فطري متعدد الجوانب إدراكي يحمل الفرد على إدراك الأشياء، وهو بمثابة المنبه، إننا لو شبهنا الغريزة بالعقل لكان الإدراك مفتاحها، وهناك جانب وجداني انفعالي هو الجانب الداخلي الذاتي للغريزة التي لا يشعر بها إلا صاحبها، والتي يتعذر ملاحظته عند بعض الكائنات الحية كالنمل مثلاً، وجانب نزوعي أو تنفيذي يبدو في السلوك الحركي الظاهر، ومن هنا يبدو لنا التمييز بين الدافع الغريزي والسلوك الغريزي، مثال على ذلك أن إنساناً ما جاءته سيارة فخاف وهرب، فالسلوك الغريزي وراء دافع الهرب، والدافع الغريزي وراء الهرب وكلاهما الغاية الطبيعية للغريزة.

هكذا يرى «مكدوجل» غرائز الإنسان والحيوانات العليا ذات الثدي تتعدد وتتميز عن بعضها، فهناك:

غريزة التماس الطعام: تثيرها رؤية الطعام أو رائحته أو حالة خاصة لأعضاء الهضم، وانفعالها هو الجوع، وسلوكها التماس الطعام وادخاره، وهي تظهر منذ الطفولة.

غريزة النبذ: مثيراتها الفطرية وجود شيء منفر كلمس شيء مخاطي أو رؤية شيء يثير القيء أو شيء منفر في الفم، وانفعالها النفور أو التقزز وسلوكها الإجتناب والنبذ.

الغريزة الجنسية: تثيرها رؤية فرد ملائم من الجنس الآخر، أو رؤية صفات جنسية جسمية نشاطها يتوقع إلى حد ما على حالة الجسم ونشاط الغدد الصم وانفعالاتها الشهوة الجنسية، وسلوكها التودد والتزاوج.

غريزة الهرب أو الخلاص: تثيرها منبهات كثيرة منها الأصوات العالية

المفاجئة وصيحات الخطر والألم الجسمي إلى غير ذلك، انفعالها الخوف وهي تنزع بالفرد إلى التخلص مما يصيبه بالتجنب أو الهرب أو الإختفاء أو التماوت.

غريزة الإستطلاع: تثيرها المواقف التي يألف الفرد جانباً منها ويجهل سائرها، وانفعالها التعجب، وتنزع بالفرد إلى الإستطلاع أو التنقيب أو ارتياد الأماكن الغريبة.

الغريزة الوالدية: نسبة إلى الوالدين مثيراتها الفطرية رؤية الإنسان أو صغار الحيوان أو سماعها أو شم رائحتها أو صياحها، وانفعالها الحنو، وتنزع بالفرد إلى حماية صغاره وتزويدها بالطعام وإيوائها، وقد تظهر متأخرة شيئاً ما عند الإنسان.

الغريزة الإجتماعية: تثيرها رؤية أفراد النوع أو صراخ خاص أو شم رائحة خاصة، وإنفعالها الشعور بالوحدة، وتنزع بالفرد إلى الاجتماع ببني جنسه والبقاء معهم.

غريزة السيطرة أو التسلط: يثيرها وجود الفرد بين مجموعة أقل منه وأضعف، وانفعالها الزهو، وتنزع بالفرد إلى التحكم والزعامة وإبراز القوة أمام غيره أو التفاخر أو الغرور والخيلاء.

غريزة الخضوع: يثيرها وجود أفراد أقوى أو موقف يشعر فيه بضعف أو نقص أو عجز، وانفعالها الشعور بالدونية، تنزع بالفرد إلى الانقياد والإستسلام للأقوياء.

غريزة المقاتلة: انفعالها الغضب، يثيرها كل موقف يسعى لتخفيف كل رغبة أو غريزة أخرى، وهي تميل بصاحبها إلى إزالة كل عائق ومقاومته وتحطيمه.

غريزة الاستغاثة: يثيرها إخفاق غريزة المقاتلة وحاجة الفرد إلى المعونة حيث يستنجد بالغير كالأبوين، وإنفعالها الشعور بالتخاذل ومظهرها البدائي الصراخ.

غريزة الإنشاء: يثيرها ظهور أشياء صالحة لإثبات شيء كبناء بيت أو إظهار صناعة أو آلات إلى غير ذلك، وإنفعالها حب النشاط والعمل.

غريزة التملك: أو الجمع أو الإقتناء، تنزع بالفرد إلى امتلاك ما ينفع والدفاع عنه، وإنفعالها حب التملك.

غريزة الضحك: من الغرائز الخاصة بالإنسان، مفتاحها المواقف التي تسبب لنا الضيق أو الألم إن لم يضحك، حيث يكون الضحك ذريعة للتخفيف والراحة، انفعالها المرح، وتنزع بنا إلى الضحك من عيوب زملائنا وما يصيبهم من تعثر أو فشل.

غريزة التماس الراحة: تنزع بالفرد إلى التخلص أو البعد عن كل ما يتسبب في الإزعاج وذلك بتغيير الوضع الذي يكون عليه.

غريزة النوم والإستجمام: تحملنا على الرقاد في حالة التعب.

غريزة المهاجرة: تميل بنا إلى ارتياد الأماكن أو المناظر الجديدة.

مجموعة غرائز بسيطة: تخدم حاجات الجسم كالسعال والعطاس والتنفس والإخراج.

هذا رأي «مكدوجل» في تصنيف الغرائز، وقد يراها غير نهائية مؤكداً أن بعض الغرائز قد لا تظهر عند بعض الأفراد أو السلالات، وقد بات من المسلم به أن الغرائز تتفاوت قوة باختلاف التكوين الفطري كما تسهل أو تكاد تتعطل حسب الظروف الإجتماعية المختلفة بين الشعوب، لكنها مشتركة بين كل الناس بأية حال، وقد قيل أن الذكاء عند الإنسان يوجه غرائزه. بينما الغريزة عند الحيوان هي التي تهديه، إن السلوك ومختلف مراحل التطور لا يخلو من أثر الغريزة والذكاء في آن واحد، إلا أن أثر الذكاء ومجال الخلق والإبتكار والتعلم عند الحيوانات الدنيا ضئيل جداً، والخلاصة أن الغريزة عند الإنسان بمثابة محرك السيارة والذكاء مصباحها الذي يهديها ويعصمها.

الفصل الثالث عشر

الأحلام

إني أرى أنواعاً من الصور تخطر أمامي، ولا شيء موجود منها، وأحسب أنني أسير وأعود وأمرّ بمجموعة من الحوادث، على حين أنني مستلق على سريري. وقد أسمع نفسي أتحدث وأسمع الجواب من الغير، على حين أنني وحدي وما أقول شيئاً.

ما مصدر الوهم؟ لماذا أرى أشخاصاً وأشياء كما لو كانت ماثلة بالفعل؟ وقد أتساءل: أصحيح أنه ليس ثمة شيء قط؟ أليس هناك مادة محسوسة يدركها البصر والسمع وغيرها من الحواس كما هو في اليقظة؟

هذه الأسئلة يجيب عنها العالم الشهير «هنري برجسون» مع شيء من التصرف.

علينا أولاً أن نغمض أعيننا، ماذا نرى؟ ستقولون لا شيء؟ الواقع أننا نرى أشياء كثيرة، نرى أولاً صفحة سوداء ثم نرى بقعاً مختلفة الألوان، تارة كامدة وتارة براقة، وقد نرى هذه البقع تتسع وتضيق وتتغير من شكل إلى آخر ومن لون إلى لون، ويجور بعضها على بعض، فنرى التغيير بطيئاً تارة وسريعاً تارة أخرى، فمن أين المصدر؟ قد حدثنا علماء الفيزيولوجيا والسيكولوجيا عن عجاج مضيء وأطياف بصرية، وقالوا بأن هذه المظاهر ما هي إلا تبدلات طفيفة تحصل في

الدوران الشبكي بغير انقطاع ، كما عزوها أيضاً إلى ضغط الجفون على كرة العين التي تنبه العصب الضوئي تنبيهاً حركياً، لقد لاحظ «الفريد موري» و «المركيز ذي هير في دي سان دينيس» أن البقع الملونة ذات الأشكال المتحركة قد تتجسد لحظة الإغفاء حيث ترسم لنا حدود الأشياء التي نراها في الحلم ، غير أن الملاحظة هذه لم تكن تطمئننا لأن صاحبيها لاحظاها وهما في حالة إغفاء ، لذلك تخيل الفيلسوف الأمريكي «ج. ت. لاذ» استاذ في جامعة «يال» طريقة أصح لكنها أصعب لأنها تحتاج إلى شيء من الرياضة ، وقوامها أن يظل المرء مغمض العينين حين يستيقظ وأن يحتفظ بالحلم الذي يهم أن يتبدد من البصر والذاكرة ، فيلاحظ أن أشياء الحلم تخيل إلى الاحساسات البصرية التي تنجم عن إغماض العينين وتختلط بالبقع الملونة ، فإذا كان المرء يحلم بأنه يقرأ جريدة رأى حين يستيقظ أنه لم يبق من الجريدة إلاّ بقع بيضاء عليها غضون سوداء، أو إذا كان يحلم أنه يتنزه في البحر ويتأمل في أمواجه الزرقاء يتوجها الزبد رأى حين يستيقظ أن كل شيء تحول إلى بقع زرقاء ، فوق نقط لامعة ، فهناك شيء ندركه أثناء النوم هو نوع من «العجاج البصري» صنع من الحلم ، فهل هذا العجاج وحده يصنع الحلم؟ الواقع أن إحساسات سببها خارجي ، فالعين حين تغمض يظل جفنها يميز النور من الظلمة ، حتى أنها تعرف طبيعة هذا النور إلى حد ما ، والإحساس عن وجود ضوء واقعي هو أصل كثير من أحلامنا ، لنعرض مثلاً أن شمعة أشعلناها فجأة فإنها تولد في النائم الذي ينام نوماً عميقاً طائفة من الصور تسيطر عليها فكرة الحريق ، وقد ذكر «تيسه» مثالين من ذلك قال : «كان ـ ب ـ يحلم بأن مسرح الإسكندرية يحترق وأن اللهب يضيء الحي كله . وفجأة انتقل إلى حوض في ساحة القناصل ، فرأى النار تلتهم السلاسل التي تربط الأحجار الضخمة الموضوعة حول الحوض ، ثم عاد إلى باريس فرأى المعرض يحترق ، وما يزال يرى هذه المشاهد المؤلمة حتى استيقظ مذعوراً ، فرأى حزمة من النار المنبعثة من المصباح الذي قربته منه الراهبة المشرفة أثناء مرورها بسريره» . . . «وكان ـ هو ـ يحلم أنه انخرط في سلك المدفعية البحرية الذي سبق له أن خدم فيه ، فرأى نفسه يمضي إلى مجموعة من المدن وهو

يرى وميض البرق وقصف الرعد وشهد معركة فيها نار من أفواه المدافع فاستيقظ مذعوراً وهو تحت ضوء مصباح الراهبة المشرفة . تلك هي الأحلام التي يسببها نور ساطع مفاجيء أو كل نور ناعم ، فنور القمر مثلاً يبعث على رؤية عذارى كما روى «كراوس» أنه لاحظ ذات ليلة حين استيقظ من نومه وهو لا يزال يمد ذراعيه إلى أشعة القمر الساقط عليه حيث كان يراها في حلمه غادة جميلة ، وليست هذه الحالة بالوحيدة . فالظاهر أن أشعة القمر تداعب عيني النائم تريه دوماً حور العذارى .

وللأذن أيضاً إحساسات داخلية من طنين ودندنة وصفير لا نميز هما في اليقظة ، ولكن النوم يظهرها في وضوح . يضاف إلى ذلك أننا حين نغفو نظل نسمع الأصوات من الخارج . فالأصوات المختلفة والمحدثة أمامنا قد يجعلها الحلم صراخاً وموسيقى إلى غير ذلك . كان «الفريد موري» نائماً فقربوا من أذنه مقصاً يقرع فإذا به يسمع صوت إنذار ويشهد حوادث بوسعنا أن نذكر أمثلة أخرى إلا أننا ننتقل إلى الألوان وما تلعبه في الأحلام ، فالإحساسات البصرية لها الشأن الأول ، فكثيراً ما نظن أننا نسمع على حين أننا نرى فقط، قد يتفق لنا أن نتحدث أثناء الحلم في رؤية طويلة ثم يظهر فجأة أنَّه لم يتكلم أحد، لقد كان الحديث تبادل أفكار بطريق مباشر بيننا وبين محدثنا ، كان حديثاً صامتاً . حقاً ظاهرة عجيبة إلا أن تفسيرها سهل ، إننا نقول بوجه العموم أنه لا بد من وجود أصوات حقيقية مدركة حتى نسمع في الحلم أصواتاً معينة . لأنَّ الحلم لا يوجد شيئاً من لا شيء . فإذا لم نقدم له مادة صوتية صعب عليه أن يضع أصواتاً . وبقدر ما للسمع من تأثير فكذلك للمس ، إن المرء حين ينام يصل إلى شعوره إحساس باللمس أو الضغط، وهذا الإحساس قد يؤثر في الصور التي تشغل ساحة البصر في تلك اللحظة فيغير شكلها ويبدل معناها ، فمثلاً إذا شعر النائم بلمس القميص للجسد وتذكر أنه يرتدي لباساً خفيفاً، واتفق أنه يحلم بنزهة في الشارع ، رأى نفسه أنه يمشي بلباس خفيف بين الناس ، ولننتقل الآن إلى حلم كثيراً ما تردد عليك وعلى كثير من الناس ذلك هو الطيران في الفضاء ، إن هذا الحلم قد يتكرر مرات ، سوف أبرهن لكم أنه بوسع

الشخص أن يتحرر من قوانين الثقالة، إنه حين يستيقظ الشخص فجأة يشعر بأن قدميه فقدتا نقطة استنادهما لأنه كان مستلقياً بالفعل، ولما كان من جهة أخرى لا يحسب أنه نائم، لم يشعر بأنه مستلق وأنه لا يلامس الأرض مع أنه قائم فتخيل أنه يطير، لنلاحظ أننا في الحالات التي نشعر فيها بالطيران نتخيل أننا نقذف بجسمنا إلى أحد الجنبين الأيمن والأيسر بحركة من الذراع كحركة الجناح، وهذا الجنب هو نفسه الذي نكون مستلقين عليه، وما الإحساس بالجهد في سبيل الطيران إلا الإحساس بالضغط الذي يحسه الذراع والجسم فوق السرير، إلا أن هذا الضغط انفصل عن علته وأصبح إحساساً غامضاً بالتعب فعزوناه إلى الجهد وبات في اعتقادنا أن الجسم بارح الأرض، فأصبح إحساساً واضحاً بجهد نبذله لنطير إذ تصعد إلى ساحة البصر وتستفيد من عجاجه المضيء الذي يشغل الساحة حيث تنقلب إلى أشكال وألوان. لقد رأى «ماكس سيمون» ذات ليلة أنه أمام كومتين ذهبيتين، وهما متفاوتتان قدراً ما حيث حاول أن يساوي بينهما فلم يظفر بذلك، فسبب له ضيقاً شديداً وهو يحاول حتى استيقظ، فلاحظ أن إحدى ساقيه كانت تمسك بها ثنايا الغطاء، وأن قدميه لم تكونا على مستوى واحد، وأنه كان يحاول عبثاً تقريب إحداهما من الأخرى، فمن البديهي أن قد خرج من ذلك إحساس غامض بالتفاوت لم يلبث أن دخل إلى ساحة البصر، وقد لاحظ بقعاً صفراء فأفصح عن نفسه في لغة البصر بتفاوت بين كومتين من القطع الذهبية، وإذن فالإحساسات اللمسية أثناء النوم تميل إلى أن تصبح بصرية وتدخل الحلم في هذه الصورة.

وأهم هذه الإحساسات إحساسات اللمس الداخلي التي تصدر عن كل نقاط الجسم لا سيما الأحشاء، فالنوم يهب لها أو يعيد كثيراً من اللطافة والحدة، إن هذه الإحساسات موجودة أثناء اليقظة غير أننا نغفل عنها بالعمل، فإذا اتى النوم ردنا إلى داخلنا، وقد يحدث أن الذين سيصابون بالتهاب في الحنجرة أو في الغدة النكفية أن يروا مناماً أنهم مصابون بذلك لشعورهم وقت النوم بالحرقة في الحلق، فإن استيقظوا قالوا ذلك وهْم، ولكن قد يصبح الوهم حقيقة، وطالما سمعنا عن بعض الأمراض والأحداث الخطيرة كالصرع وإصابات القلب. إن ضحاياها قد تنبأوا بها

في الحلم ، فلا عجب إذا قلنا بأن بعض الفلاسفة على حق إذا قالوا بأن الحلم تعبير عن الشعور باهتزازات آلية من الجملة العصبية السمبتاوية ، ولا عجب إذا قلنا بأن بعض علماء النفس على حق إذ اسندوا إلى كل عضو من الأعضاء قدرة على تهييج نوع معين من الأحلام يمثله رمزاً ، ولا عجب إذا قلنا بأن بعض الأطباء إذا قالوا بأن الحلم تشخيص للأمراض ، وقد أثبت «تيسه» أن اضطرابات الهضم والتنفس والدوران تعبر عن نفسها بأنواع مختلفة خلال الحلم .

وخلاصة ما تقدم ، أن حواسنا وقت النوم لا توصد دون التنبيهات الخارجية . حقاً هي غير واضحة كاليقظة ولكنها تلتقط كثيراً من التنبيهات الذاتية التي لا ندركها في اليقظة . لكنها تعود في النوم لأننا في النوم نعيش من أجل أنفسنا حتى أنه يمكن القول بأن الإدراك يضيق في النوم أو الأصح أنه يوسع ساحة عمله في اتجاهات معينة على الأقل . فكيف نضع هذه الأحلام؟ إن الإحساسات التي نستعملها مادة في هذا الصنع غامضة ، لننظر إلى البقع الملونة التي تتراءى لنا حين نغمض الأجفان ، هذه سوداء على صفحة بيضاء تشكل إلى أشكال ، فمن ذا الذي ينتخب؟ ما هي تلك الصورة المحددة التي تفرض نفسها على هذه المادة المترجرجة؟ إن هذه الصورة هي الذكرى! قد يذكرون امثلة تدل على أن بعض الآثار الفنية أو الأدبية أو العلمية قد تم خلقها أثناء الحلم . فالموسيقي «تارتيني» في القرن التاسع عشر كان يعمل جاهداً في تأليف لحن لكن لم تسعفه القريحة ، فرأى في منامه الشيطان شخصاً يعزف اللحن المنشود على الكمان ، فصحا وسجلها تحت اسم «لحن الشيطان» ومثال ثانٍ عن الروائي الإنجليزي «ستيفانسون» فهو يذكر أن أكثر قصصه أصالة هي التي كتبها أو رسم مخططها أثناء الحلم . إن الحلم ما هو إلا انبعاث لماضٍ لا نستطيع معرفته ، فكثيراً ما يكون أمراً تفصيلياً نسيناه أو ذكرى يخيل إلينا أنها زالت على حين أنها اختبأت في أعماق الذاكرة ، وغالباً ما تكون الصورة المنبعثة صورة شيء أو حادث أدركناه في اليقظة ونحن ذاهلون لا نشعر نتقدم إلى شعور النائم بصورة غير ملتحمة ، فإذا وقف العقل أمام مجموعة لا معنى

لها حاول أن يهب لها معنى، وهكذا إلى غير نهاية، إن القوة المصورة للمواد التي تنقلها أعضاء الحواس والتي تعود إلى الإحساسات الغامضة الواردة من العين والأذن وسطح الجسم وداخله إلى أشياء واضحة محددة، إنما هي ذكرى.

الذكرى: قد تملكك كثير من الذكريات في اليقظة ثم تختفي، وتسترعي انتباهنا واحدة بعد الأخرى إلا أنها مرتبطة بالظروف، وذكرياتنا في لحظة معينة تكوِّن كلاً متضامناً، إلا أن وراء الذكريات التي تتوارد على هذا النحو تقيم فوق مشاغلنا الحاضرة وتظهر بواسطتها، هناك الوف وألوف من الذكريات تنزل في الأسفل تحت المشهد الذي يضيئه الشعور، إنني أعتقد أن ماضينا موجود كله بأدق تفاصيله، ونحن لا ننسى شيئاً، على أن هذه الذكريات في أعماقها المظلمة توجد في صورة أشباح لا ترى وللناس ما يصرفهم عن عدم اكتراثهم بها، إن هذه الذكريات الساكنة وقت النوم نكون قد أزحنا عنها الحاجز والغطاء بالذي كان يحبسها تحت الشعور، فتتحرك وتنهض وتضطرب وترقص في ظلمات اللاشعور وتندفع نحو الباب الذي انفتح، تود لو تخرج كلها لكنها لا تستطيع، فأثناء النوم تأتي صور غامضة ترسم على العين وأصوات مختلفة تستقطر على الأذن ولمس مهم يتبعثر على سطح الجسم وإحساسات وافرة العدد داخل الأعضاء، فإذن بين تلك الذكريات الشجية التي تتطلع لكي تكسب لوناً وصوتاً ومادة لا تظفر بذلك إلا التي تستطيع أن تتمثل العجاج الملون الذي أدركه، والأصوات الداخلية والخارجية التي أسمعها، ويحدث الإنسجام بالإضافة إلى الحالة الإنفعالية التي تؤلفها الإحساسات العضوية، فإن تم هذا الربط بين الذكرى والإحساس كان ذلك حلماً. فالحلم إذن ليس بالشيء الغيبي العجيب إنه يتم كما تتم رؤيتنا للعالم الواقعي تقريباً، والخطوط الكبرى لهذه الآلية هي العملية نفسها في الحالين.

إن معرفتنا لشيء من الأشياء أثناء اليقظة تنطوي على عملية تشبيهه بالعملية التي تتم في الحلم، إننا لا ندرك من الشيء إلا بعض خطوطه، وهذه الخطوط توقظ ذكرى شيء كامل، والذكرى الكاملة التي لم يكن يشعر بها الفكر والتي كانت

داخلية كأنها مجرد فكرة، تستغل الفرصة فتنبري إلى الخارج، فهذا النوع من الإدراك الوهمي الذي يدخل في إطار واقعي هو ما يقع لنا حين نرى الشيء، فالذكريات نائمة وإنما هي في حالة انتظار تترقب الفرصة وتكاد تكون منتبهة. فالذكريات تندسُّ في الإحساسات وتستفيد من حيويته كي تعود إلى الحياة. هناك سؤال يتبادر إلينا، ما هي الحالة النفسية للشخص الذي ينام؟ إن الفكر يستمر على العمل أثناء النوم، وهو عمل كما ذكرنا بإحساسات وذكريات، وسواء نام أو لم ينم فقد ربط الإحساس بالذكرى التي يوقظها الإحساس، ومع ذلك فهناك الإدراك العادي من جهة والحلم من جهة أخرى، والآلية لا تعمل إذن في الحالين على نحو واحد. فأين هو الفرق؟ وما هي الصفة النفسية المميزة للنوم؟.

إننا لا نطمئن كثيراً للنظريات، فقد قالوا أنه انعزال عن العالم الخارجي. ولكننا بينا بأن النوم لا يوصد الحواس دون التنبيهات الخارجية وأنه يستمد منها مواد معظم الأحلام، وقالوا أن النوم راحة للوظائف الفكرية العليا وتوقف عن التفكير، ولكنني لا أرى هذا القول أصدق، لئن كنا لا نبالي بالمنطق أثناء الحلم في كثير من الأحيان فليس معنى هذا أننا غير قادرين على النطق، بل إني لأكاد أقول أن خطأ الحالم ناتج عن الإفراط في التفكير المنطقي، ولقد كان في وسع الحالم أن يتفادى الوقوع في السخف لو كان يكتفي بمشاهدة ما يخطر أمامه من رؤى، لكنه يأبى إلا أن يفسرها، ويأبى منطقه الذي وجد لربط الصور غير المنسجمة إلا أن يحاكي منطق العقل فيقع في السخف. وإذا كنت أعترف بأن الوظائف العقلية العليا ترتخي أثناء النوم وأن ملكة التفكير تلهو أحياناً بتزوير التفكير العادي عندئذٍ، ولو لم تشجعها على ذلك حركة الصور المفككة، فإن هذا يقال في سائر الوظائف الأخرى. إذن لا بزوال التفكير، ولا بانغلاق الحواس نستطيع أن نعرِّف حالة الحلم: فلندع النظريات جانباً ولنتصل بالواقع.

إن الوظائف التي تشتغل في اليقظة والحلم هي نفسها في الحالين، ولكنها في اليقظة مشتدة وفي الحلم مرتخية، إن الحلم هو الحياة النفسية كلها. فأثناء النوم

نظل ندرك ونفكر، وقد تكون الإدراكات والذكريات والإستدلالات غزيرة لدى النائم، لأن الغزارة في ميدان الفكر لا تعني الجهد، وإنما يكون الجهد حيث تكون المطابقة الدقيقة، وحسبي أن ألفت انتباهكم إلى ثلاث نقط. عدم الإستقرار في الحلم - السرعة التي يمكن أن يتم بها - إثارة الذكريات التافهة. أما عدم الإستقرار فتفسيره سهل، لما كان جوهر الحلم هو العبث لا أحكام المطابقة بين الإحساس والذكرى، كان الإحساس الواحد يمكن أن تنطبق عليه ذكريات شتى، لنفرض مثلاً أنه في ساحة البصر بقعة خضراء عليها نقط بيضاء. إن هذه البقعة تصلح مادة لذكرى مروج خضراء من أزهار ولذكريات أخرى كثيرة أيضاً، وكل هذه الذكريات تريد أيضاً أن تحيا بالإحساس، فتعدو وراءه جميعاً، تتبلغه واحدة بعد أخرى فنشهد تحولات عجيبة، إن الحلم يستطيع أن يمثل لنا بضع حوادث مسلسلة في بضع ثوان عكس ذلك لو كان في اليقظة لتتطلب الوقت أياماً، إن الحالم يلقي على الأمور نظرة سريعة ويعمل كما تعمل الذاكرة، إن الذكرى البصرية التي تفيد في تأويل الإحساس البصري أثناء اليقظة مضطرة لان تنطبق على الإحساس انطباقاً تاماً، لذلك فهي تتبع جريانه وتشغل نفس الوقت الذي يشغله، أي أن الإدراك المتذكر للحوادث الخارجية يستغرق المدة ذاتها التي تستغرقها هذه الحوادث ذاتها.

أما في الحلم فإن الذكرى المؤلمة للإحساس البصري تستعيد حريتها، وميوعة الإحساس البصري تجعل الذكرى لا تنطبق عليه ولا يبقى على إيقاع الذاكرة المؤلمة أن يتبع إيقاع الواقع، ويكون في وسع الصور عندئذٍ أن تسرع كفيلم سينمائي زيد في سرعته، فلا السرعة ولا الغزارة قوة في ميدان الفكر، وإنما يكون الجهد حيث يكون إحكام دائم في المطابقة، فمتى كانت الذاكرة مشتدة منتبهة إلى الحياة - أي خارج الحلم - ورأينا الحوادث الخارجية موقعة السير بطيئة السلوك مثل رقاص الساعة يقسم ارتخاء النابض إلى أقسام يوزعها على عدة أيام، في الوقت الذي يمكن أن يرتخي النابض دفعة واحدة لو ترك حراً.

بقي علينا أن نبحث لم كان الحلم يفضل الذكريات على غيرها، في حين أنها تستطيع جميعاً أن تنطبق على الإحساسات الحاضرة. إن أخيلة الحلم ليست أيسر على التفسير من أخيلة اليقظة، لكن يمكن رسم بعض اتجاهاتها.

إن أحلامنا في النوم العادي، تفضل المعاني التي مرت بنا مرور البرق، والأشياء التي أدركناها من غير أن نثبت عليها انتباهنا، فإذا حلمنا في الليل بحوادث النهار حلمنا بالحوادث التافهة لا بالحوادث الهامة. تلك ملاحظات تتصل بالنوم الخفيف، أما حين ننام نوماً عميقاً فلعلنا نحلم أحلاماً من نوع آخر، وأنا أميل إلى الإعتقاد أننا نشهد فيها ماضينا على نطاق واسع وفي تفاصيل أدق. انتهى قول «هنري برجسون» بتصرف.

إن هذا العرض هو زاد للمحلل، إذا سمع حلم مريضه استطاع أن يكشف كنه مرضه، وقد يحدث أن الشخص يبتكر شيئاً خلاف ما رآه في المنام، فذلك أيضاً يقبله المحلل، لأن ذلك لا يقل شأناً عن أحلامه الحقيقية التي تعيها الذاكرة وأن خياله وتصوره نابع عن أسلوب حياته فليس من الضروري أن تصور المخيلة رسماً طبق الأصل من حركات الإنسان الحقيقية لتعبر بها تعبيراً صادقاً عن أسلوب حياته، إن الأعراض التي تشاهد على الشخص وحركاته وأحلامه ما هي إلا لون من التدريب لمساعدته على الوصول إلى الهدف المسيطر عليه. إن الحلم هو البرزخ الذي يصل بين ما يواجه الحالم من مشاكل وبين هدفه النهائي. وبهذا المعنى يصدق الحلم في غالب الأحيان، إنه في وسع الشخص الذكي الصادق أن يعرف المستقبل سواء حساب على حياته في حلمه أو يقظته، وكل ما عليه أن يشخص حاله، إن سبب عجز معظم الناس عن فهم معنى ما يرونه من أحلام سببه أنهم لا يعرفون أنفسهم حتى في حياة اليقظة، وما دام الإنسان أشد تعقيداً على تحليل سلوكه في اليقظة فلا غرابة إذن أن يكون هذاالتحليل فوق قدرة أكثر الناس. نعود إلى قول «برجسون» حينما قال: «أما حين ننام نوماً عميقاً فلعلنا نحلم أحلاماً من نوع آخر».

حقاً إنه صادق في هذا القول، فالنوم العميق الذي يصبح ضرباً من الطرح الروحي فإننا نقول إن الروح تغادر الجسد خلال النوم العميق، وتمضي حيث تجوب في عالم المادة وعالم الروح معاً، فينعدم لديها الزمان والمكان بالمعنى المفهوم، فترى من الأحداث الشيء الكثير، بينما تكون متصلة طيلة المدة بالجسد المادي بحبل أثيري يستطيل وينكمش وينثني وينفذ من الجدران، وهذه الظاهرة هي التي يسميها العلم الروحي «بالطرح الروحي» فإذا أفلت هذا الحبل الفضي من الجسد المادي حدث طرح دائم للروح ـ أي الموت ـ، وهذا الطرح يحدث خلال الغيبوبة الوساطية أو السبات العميق الذي ينتج عن مخدر «الكلوروفورم» أو خلال ما يسمونه «تعليق الحيوية» عندما يدفن فقراء الهنود أنفسهم أياماً وأسابيع، وفي حالة التلباثي. وقد أفصح «كارنجتون» و «ملدون» في كتابهما «طرح الجسم الروحي» في ذلك أيما إفصاح عند كلامهما عن النوم، قالا: «قدم الباحث فيما مضى عدة نظريات لتفسير النوم، ولكنها رفضت كلها، إذ لم تكن بينها واحدة ملائمة تفي بالغرض، فمثلاً نجد النظريات المسماة بالنظريات الكيماوية تحاول تعليل النوم بافتراضها تكوين مواد سامة داخل الجسم خلال ساعات اليقظة، وتقول إن النوم يبيد هذه المواد. وترمي بعض النظريات إلى أن سبب النوم حدوث حالات غريبة في دورة المخ الدموية، ويقول بعضها إن النوم راجع إلى وجود غدد خاصة، وبعضها ينسبه إلى الإسترخاء العضلي، ويقول بعضها إن الحاجة إلى منبهات خارجية تكفي لإحداث النوم العميق. إن هذه النظريات كلها عجزت في الواقع عن تفسير الحقائق. ومما لا شك فيه أننا لن نصل إلى نظرية صحيحة ملائمة تفسر النوم ما لم نسلم بوجود قوة حيوية ووجود روح آدمية قائمة بذاتها، تنسحب كثيراً أو قليلاً من الجسم خلال ساعات النوم للحصول على تقوية وتغذية روحيتين خلال استيطانها الموقت في عالم الروح» يقول عز وجل: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها، والتي لم تمت في منامها، فيمسك الذي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى﴾ ومعنى هذه الآية الكريمة بصريح العبارة أن النوم طرح روحي موقت، وأن الموت طرح روحي مستديم، ويرى أصحاب الجلاء البصري

أرواح الموتى وأرواح الأحياء المطروحة.

وما دام النوم طرحاً روحياً مؤقتاً فإن الأحلام تكون سياحات بالروح في عالم المادة وعالم الروح فتأتي ببعض التنبؤات حقاً. إن التنبؤات تجيء عن طريق تتبع أشعة الضوء في لوحة الفضاء والزمن، وكلما كانت روح المتقصي أقدر على تتبع هذه الأشعة واستخلاص ما ترسمه من حوادث كان أقدر على معرفة الأحداث المقبلة، ويلاحظ أن العلامة «إينشتاين» قال في نظريته عن النسبية باندماج الماضي والحاضر والمستقبل معاً. ومما ذكره العالم السيكولوجي «ملدون» قوله «لقد رأيت في الحلم مرتين أني أنقل أشياء من منزلي، وعند استيقاظي وجدت الأشياء وقد نقلت كما رأيت» وقوله «يتحدث الدكتور «بيرنز» عن رجل رأى في منامه أنه يدفع باب حجرة في بيت بعيد عنه، وقد كان الدفع من القوة بحيث كاد يعجز الموجودون في تلك الحجرة عن مقاومة الضغط» فإذا اعترض معترض على حلم «ملدون» بأنه كان جولاناً خلال النوم لأن الأشياء نقلت في المنزل الذي ينام فيه، فبماذا نعلل حلم ذلك الرجل الذي رأى أنه يدفع باب حجرة في بيت بعيد عنه، وشعر الموجودون بالدفع إنها الروح المطروحة دون شك.

وروى شيخ الإسلام شمس الدين أبو عبدالله محمد الشهير بابن قيم الجوزية، في مؤلفه المسمى «كتاب الأرواح» أنه «كان ثابت بن قيس وسالم مولى أبي حذيفة يقاتلان مع خالد بن الوليد، مسيلمة الكذاب، فقتلا، وكان على ثابت يومئذٍ درع نفيس، فمر به رجل من المسلمين فأخذها، فبينما رجل من المسلمين نائم إذ أتاه ثابت بن قيس فقال: إني أوصيك بوصية، فإياك أن تقول هذا حلم فتضيعه، إني لما قتلت أمس مر بي رجل من المسلمين ومنزله في أقصى الناس، وعند خبائه فرس يستن في طوله، وقد ألقى على الدرع برمة، وفوق البرمة رحل. فأْتِ خالداً بن الوليد فمره فليبعث إلى درعي فيأخذها، فإذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله ﷺ - يعني أبا بكر - فأخبره أن علي من الدّيْن كذا وكذا، وفلان وفلان من رقيقي الحال. فأتى الرجل خالداً بن الوليد فأخبره، فبعث إلى الدرع فأتى

بها، وحدث أبا بكر رضي الله عنه برؤياه فأجاز وصيته؛ ولم نعلم أحداً أجيزت وصيته بعد موته غير ثابت بن قيس» ـ هذه نظرة خاطفة عن النوم العميق، من الأفضل أن نتوقف عند هذا الحد.

الفصل الرابع عشر

العلاج النفسي

العلاج النفسي يقصد به تطبيق الطرق السيكولوجية لعلاج الإضطرابات النفسية والأمراض الجسمية، وهذا العلاج قديم حيث كان يلجأ إليه الإنسان عن طريق الطلاسم والتمائم والرقي والدعوات المبهمة، وهذه الطرق كانت تأتي بنتائج مرضية إذا كان المريض مقتنعاً بذلك عن رغبة وطواعية، بالإضافة إلى قدرة المعالج على التأثير والإيحاء.

والعلاج النفسي في يومنا هذا له طرق عدة كل طريقة لها ميزتها وما يناسبها من الحالات، فهناك العلاج بالإيحاء وبالإقناع وبالتنفيس وبالإستبصار وباللعب وبالعمل وبالإرشاد.

فالعلاج بالإيحاء: أو الاستهواء هو أن تزرع في نفس الفرد فكرة يتقبلها دون عناء مقابل ما يعتقده فيك من قوة أو ما لك به من صلة، وبالطبع في هذا المجال تظهر مهارة المعالج، وقد يستخدم الإيحاء في النقطة أو بالتنويم المغناطيسي وفي كليهما تبقى الصلاحية دوماً للمعالج الذي يتمتع بقوة ويقظة بجانب ذلك قابلية المريض؛ إن الإيحاء أثناء النوم يؤدي إلى نتائج باهرة أو تنتج حالة انتكاس بعد مدة، وتأويل ذلك أن الإيحاء يتناول أعراض المريض لا أسبابه، ومن هنا تبقى براعة المنوِّم المغناطيسي في الميزان.

العلاج بالإقناع: يلجأ صاحب هذه الطريقة إلى عقل المريض حيث يناقشه بالمنطق لا ليفسر له طبيعة مرضه ولكن ليقنعه بأن مرضه سيزول مهما كان الحال، ولعل هذه الطريقة تؤدي إلى نتيجة مرضية غير أنه يجب أن نذكر بأن الإقتناع بالمنطق لا يبعد الأعراض في أغلب الأحوال.

العلاج بالتنفيس والتعبير: تستهدف هذه الطريقة بإطلاق سراح الدوافع المعتقلة وإرضاء الحاجات المرموقة والتعبير عن الإنفعالات المكظومة، بحيث تهيأ للمريض كل الفرص الملائمة أو تغيير البيئة للمريض أو مساعدته على التماس وسائل سليمة لتنفيسه.

العلاج بالفهم والإستبصار: إن الشرح البسيط ومناقشة المشكلات أو نوع المرض كثيراً ما يؤدي إلى تحسن حالة المريض، فالتفسير والتنوير إذا كان يستجيب لأفكار المريض ومشاكله النفسية ومستواه العقلي على أساس أن يسهم هو أيضاً في حل مشاكله فإن ذلك يكون له أجدى وأنفع، ويبقى فهم نوع المشاكل إمَّا كتابة أو شرحاً شفوياً ليتسنى للمعالج لعب ورقة الشفاء.

العلاج باللعب: اللعب منفذ غير ضار لكثير من الغرائز والرغبات المكبوتة التي لا يمكن تنفيذها في الواقع، إن اللعب نشاط حر تلقائي، فقد تبدو فيه سمات الشخصية أكثر ما تبدو في العمل الجدي. إن اللعب والألعاب كثيراً ما تكون رمزاً عمَّا يدور في خلد الفرد.

العلاج بالعمل: إن العمل يزيد الثقة بالنفس خاصة عند من تعوزه هذه الثقة، وقد أصبح العلاج عن طريق العمل أمراً مألوفاً في مستشفيات الأمراض العقلية، فالعمل يعيد المريض ويجتذبه من عالم الخيال الذي يعيش فيه كما يزيح عنه الملل ويقوي قدرته على التركيز ويشعره بالقوة حينما يقوم بإنجاز عمل موفق فيمده بالشفاء، يضاف إلى هذا أن سلوك المريض أثناء العمل يساعده على تشخيص مرضه واقتراح الحلول الملائمة.

العلاج بالإرشاد: الإرشاد وسيلة من وسائل العلاج النفسي وهو نوعان، إرشاد مفروض وإرشاد ذاتي. فالأول يقف فيه المعالج من المريض موقف المعلم من تلميذه يأمره بالقيام بأعمال خاصة ويأمره بتنظيم أوقات فراغه وعمله ويقدم له من النصائح ويصحح معتقداته الخاطئة.

أما الإرشاد الذاتي فيكون فيه موقف المعالج من المريض موقفاً سلبياً أكثر منه إيجابياً، فقد يوضح الموقف للمريض حتى يبيّن له أخطاءه ويقف المريض عليها مما يجعله يفكر في علاجها بنفسه، وفي الإرشاد لا يلجأ المعالج طبعاً إلى الفرض والأمر بل يحترم أهداف المريض، وبعبارة أصح فإن العلاج والتعلم في هذا النوع من الإرشاد يقع على كاهل المريض.

هذه مجموعة طرق علاجية كل حسب حالاته وظروفه وبناء شخصيته، وقد يمكن إضافة علاجات أخرى تكون بتقوية الإرادة وبالتمثيل وبتغيير الصلات الإجتماعية وبالتكيف.

الفصل الخامس عشر

العلاج بتحليل الشخصية

يكون العلاج بتحليل الشخصية في الحالات التي يكون فيها سوء التوافق حدث عن إضطراب في الشخصية أكثر منه في ضغط الظروف الإجتماعية، وهو يقتضي عادة مدة طويلة ومهارة وإعداداً من طرف المحلل، وقد أصبحت اتجاهات مختلفة ومدارس عدة في هذا الباب نكتفي بذكر أهمها.

هناك التحليل النفسي «لفرويد» وقد يقصد بالتحليل وجوب الحياة النفسية وتأويل اللاشعور الذي لا يفصح عنه غالباً إلا بالمجاز والرموز، إن التحليل النفسي عند «فرويد» يقوم على جهد كبير وصبر متواصل من طرف المحلل، بل يقوم على دراسة واسعة للنفس الإنسانية مع تدريب عملي طويل يؤهله لعلاج المرضى، بجانب هذا يكون على جانب كبير من الرفق والأمانة والفطنة، لقد كان «فرويد» في أول الأمر يلجأ إلى التنويم المغناطيسي للوصول إلى اللاشعور والكشف عن الذكريات المنسية. لكنه حاول تقليصه لما رأى عدداً يستعصي تنويمهم تنويماً مغناطيسياً، وآمن أن العلاج المجدي هو التعاون الوثيق بين المريض والمعالج فالتجأ إلى طريقتين إحداهما مكملة للأخرى. . . طريقة التداعي الطليق وتأويل الأحلام، فالتداعي الطليق يعني إطلاق العنان لخواطر المريض وأفكاره، فيذكر كل ما يرد على ذهنه من ذكريات وخواطر دون الإهتمام بترابط الألفاظ وتماسكها،

بل يطلق له العنان فيما تنطوي عليه أفكاره من معان تافهة أو غريبة أو مخجلة، وبمعنى أصح فإن المريض يستسلم لخواطر من غير مقاومة مهما كان المضمون، أما المحلل فعليه أن يكون متيقظاً فطناً لا نفعالاته وبها ينطق أو يأتي به من حركة عصبية أو ما قد يعتريه من تلعثم أو تعثر أو تعطل في سلسلة التداعي، بجانب هذا يساعده عن طريق الأسئلة في حالة توقفه أو يركزه على موضع إذا رأى فيه موطن المقصود والمريض يراوغ في إخفائه، فعليه أن يتلمس النواحي الحساسة من كلام المريض.

ولكي يستكمل المحلل معلوماته يستعين بتحليل أحلام المريض حيث يقص عليه ما رآه منا ما في ليلته السابقة دون حرج مع ملاحظة ما يظهر عليه من تعليق وانفعال، فيحلل المحلل النفسي ذلك جزءاً جزءاً، وهكذا حتى يكشف عن العناصر الفعالة في حياة المريض معيناً بتلك الخلاصة مريضه كيف تفاعلت حتى وصل إلى ما هو عليه من أعراض وانفعالات بصورها الرمزية والمقنعة. صلة بمرضه وأعراضه تحسنت حالته، وانقشعت عنه أعراض المرض، قد يبدو الأهم من هذا أن المريض يكتشف بنفسه المرض وتطوره، فإن وصل المريض إلى هذا الحد فتلك شهادة على براعة المحلل وفطنته وحسن تصرفه. ومما تجدر الإشارة إليه أن بعض الظواهر قد تحدث في أول التحليل وفي أثنائه وقرب نهايته، فقد يبدأ المحلل بدايته بمقارنة من طرف المريض كأنْ يمتنع عن النطق أثناء الأسئلة أو يعجز عن تركيز أفكاره أو يترك حجرة العلاج وينصرف أو يلجأ إلى التمويه والتضليل ولربما تبلغ المقاومة حد العدوان بالقول أو الفعل أو يتكاسل عن جلسات التحليل بل قد تظهر أعراض جسمية كنوبة حادة تعطله عن الإستمرار في العلاج، إنها مقاومة لا شعورية غير مقصودة: فالمريض النفسي قد يتشبث بمرضه تشبثاً عجيباً، وهذه المقاومة هي التي تحول دون استدراج مكنونات اللاشعور إلى الشعور لإلقاء الضوء عليها، لذا كان من المفروض على المحلل تحطيم هذه المقاومة وإيضاحها للمريض أكثر من التفاته إلى أعراض المرض؛ وقد كشف التحليل وغيره من طرق

العلاج النفسي ظاهرة غريبة تحدث أيضاً أثناء التحليل وتشتد في نهايته، ذلك أن موقف المريض من المحلل في البداية يكون موقفاً محايداً لكنه لا يلبث أن يتغير إلى انفعالات وعواطف من الحب أو الكره من شأنها أن تغير من نظرة المريض إلى المحلل وسلوكه نحوه، وبعبارة قد يصبح المحلل هدفاً لدوافع المريض المكبوتة التي كانت نحو أشخاص، وهذه الظاهرة ما يعرف بالتحويل، فبراعة المحلل هي التي توقف هذا السيل بإشعار المريض أن مشاعره هذه ليس مصدرها الموقف الراهن ولا تتعلق بشخصه وإنما هي مشاعر حدثت في الماضي البعيد، فإن أفلح كان ذلك مفتاح الشفاء.

إن خطوة العلاج هي إزالة ما عند المريض من عادات سيئة وتزويده بأخرى تكون أحسن وأفضل في تقويم التفكير والسلوك إما بفلسفة خاصة في الحياة أو عوناً على مواجهة مشكلاته بدل الهروب عنها كوضع خطة للعمل تكون واضحة تكفل له استغلال وقته بالمفيد وتبعده عن الإنطواء أو العزلة. وخلاصة القول فإن الكشف عن اللاشعور وإفراغ ما علق به من إنفعالات قائمة، يتبعه في ذلك نوع من التعلم كفيل بأن يجعل المريض يتماثل إلى الشفاء؛ إن التحليل النفسي يهاجم أسباب المرض لا أعراضه فهو يتناول النواحي اللاشعورية لا الشعورية فقط، إنه يحرر الشخص من العبودية التي تحارب الدوافع الدفينة، فهو يجعل الفرد أقدر على بسط إرادته، إن الهدف الذي يرمي إليه التحليل النفسي هو الكشف عن العناصر اللاشعورية الثائرة على الشخصية والتي لا تخضع للشعور الإرادي للمريض، إنَّ الشحنات الإنفعالية الشديدة إذا تسربت إلى الشعور فقدت شدتها وتبددت، وهكذا يبدو التحليل النفسي أنه يخلق من تلك الخيوط النفسية التي كانت بالأمس عقداً يخلق منها شخصية هي أقدر على مواجهة الواقع، فهو ذكرى وتبصرة وتطهير وخلق وتكامل يمكن المريض من العودة إلى ساحة المعركة.

إن التحليل النفسي زهد فيه كثير من الناس والمعالجين لما يبدو فيه من بحث وتنقيب في ماضي المريض، ثم أن المريض يقضي وقتاً طويلاً في التحليل، من

أجل هذا رأى فريق أن يجري التحليل عن طريق التنويم المغناطيسي أو حقن المريض بمخدر «كبنتوتال الصوديوم» إذ يسهّل التغلّب على المقاومات واستثارة الذكريات المنسية المكبوتة حينما يكون المريض في حالة نوم مغناطيسي أو تخدير.

الباب الثاني

المادة والعقل
العقل الباطن «اللاشعور»
الدماغ
الجهاز العصبي

الفصل السادس عشر

المادة والعقل

لقد بات من المسلم به أن الكون في الواقع ما هو إلا حركة، سرعته على ما يبدو لنا سرعة الضوء، إن الكون مركب من درجات مختلفة من الحركة، وهذه الحركة بعضها نحس به نحن الكائنات الفيزيقية، وهو ما يسمى بمادة فيزيقية، بينما توجد حركات كثيرة غيرها هذه التي تثير حواسنا، وبالطبع لا بد أن يوجد تحول متواصل خلال هذه المنطقة الشاسعة، فالمادة الفيزيقية هي نفسها تستحيل إلى مادة غير منظورة، وهذا بالطبع إذا أطلقنا كلمة مادة على الأثر الذي تحدثه الحركة على العقل. والعقل طبعاً هو أعلى ما نعرفه في مجال الإهتزاز ودرجاته. إن الذين ينظرون إلى الكون بأنه عبارة عن مادة فيزيقية وكفى، يظنون أنه سائر إلى ذهاب وإن المادة الفيزيقية قد تفنى يوماً من الأيام إنهم ينظرون بنظرة محدودة جداً، إن المادة الفيزيقية ما هي إلا جزء من الكون فقط. فالشمس مثلاً قد تشع ببطء حتى تختفي عن الأنظار كذلك الكون يتكون من عوالم عن طريق إبطاء الحركة، وهكذا تظهر عوالم فيزيقية جيدة للعين الفيزيقية، والكون قابل للتغيير باستمرار، فالعوالم الفيزيقية ما هي إلا كالسدم تتولد ببطء فيراها الفيزيقي على حين تعود عوالم أخرى للظهور كالشمس. إنه من الصعب أن نناقش موضوعاً لا نحس بلمسه، ولكن المادة حركة والحركة مادة، فالمادة إذن هي الكون ومنها يتكون وهي في كل مكان ولا يوجد أي مكان في أية جهة يخلو منها. وليس لها أول وآخر، متحركة باستمرار

حركة انفكاك وحركة انتقال، وليس في الكون خلاء، إن المادة التي لا نحسها والتي هي في حالات خاصة من الحركة قد يحس بها أهل العالم الأثيري كما نحس بالمادة الفيزيقية فيكون لهم كالعالم الملموس عندئذٍ وهكذا، أما أن نتساءل كم من عالم أو مكان مختلف فهذا ما يبدو فوق العقل، وبدون العقل لا يوجد شيء ولن نحس بشيء فيزيقياً أو أثيرياً إلا بوجود العقل. وعلى هذا يكون من باب المنطق أنه لا مادة حيث لا عقل وأن الكون يمكن أن يُختزل من شيء واحد هو العقل، وأن العقل يؤثر في المادة، فالعقل والمادة لا بد أن يكونا متلازمين على الرغم من تباينهما، إذ يبدو أن أحدهما إيجابي والآخر سلبي، علماً بأننا نطلق على الشيء الذي يتركب منه الكون مادة، ومن هنا تتضمن الإيجابية والسلبية بين العقل والمادة اثنينية الطبع. إذ لا يمكن تصور واحد دون الآخر، وهكذا يرتبط العقل والمادة معاً. إن العقل يؤثر في المادة، ويقدرها وهو القوة أو الحركة السائدة في هذا الكون. والعقل جزء من الكون والمادة الفيزيقية أو الأثيرية جزء منه أيضاً، وخاصيته القدرة على التفكير ـ وهو كالمادة ليس له أول وآخر ـ وبعبارة أخرى فإن له القدرة على صوغ أشياء ترى أو تتصور، وقد يتدرب العقل وهو بمعقل المادة الفيزيقية والأثيرية أيضاً، ومن السخافة أن نتساءل عن تاريخ العقل بشكل محدود جداً.

إن الحركة تدل على العقل غير أننا نتساءل، هل الحركة كلها قد تدركها الحواس ـ والتي أسميناها مادة محكمة بالعقل ـ وأين تبدأ مملكة العقل؟ وهل يوجد للحجر عقل؟ إن علماء الفيزياء يقولون بأن الحجر في حالة حركة، لأن الألكترونات والبروتونات دائبة في اهتزاز سريع ومنظم، فلو اشتمل على عقل أو تأثر بعقل كان لا بد من المفروض أن يكون الحجر عقلاً فجّاً، وقد نكون غير جازمين أن حكمنا بدون تمحيص، الحق إن الحجر يمكن أن يكون مأوى العقل، لأن ما يتألف منه الحجر يمكن أن يكون مأوى للعقل. فالحجر عن طريق المطر والصقيع يتحول ببطء تراباً يعطي زرعاً تأكله الأبقار التي تعطي لبناً للجسم الذي

يهيمن عليه العقل، إذن لا نستطيع أن نقول جازمين أين يوجد العقل وأين لا يوجد، لكن يمكن القول بأن العقل يرى عند بدء حالات تكشفه ابتداء من أحقر الطفيليات إلى العقل المسيطر على الإنسان إنه من باب الرأي السديد أن لا نسرع الخطى في الحكم، فإن الكون الأثيري بدأت تتبدد خيوطه وتتكشف فلعلنا يوم نكشفه نقيم النظرية فتبلغ أشدها على نظرة الكون. يقول «سيرجيمس جينز» في كتابه «الكون الخفي» ما يأتي «لم يعد العقل بعد ذلك دخيلاً فجائياً في دولة المادة، ولقد بدأنا نتردد في الظن بأن علينا من باب أولى أن نادي به خالق الدولة المادة وحاكماً لها». إن العقل بما يتميز به من قدرة التفكير والإنشاء والتذكير جدير بأن يتبوأ مقعده الجدير به في الكون، باعتباره جماع القوة الحاكمة المسيطرة فيه، يقول الله تعالى: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾. إن العقل دائب في التفكير والنمو يجعل من القديم صوراً جديدة ويخلقها، فهو لن يقرّ له حد.

إن المادة الفيزيقية والمادة الأثيرية محكومتان بالعقل وهما اللتان تكوّنان الكون وليس شيء فيما قبلهما أو بعدهما، وأينما وجد العقل وجدت المادة الفيزيقية أو الأثيرية، ومن ذلك لن نتصور كوناً محدداً. إذ يتحتم أن يكون غير محدود كالعقل، إن لكل إنسان نصيباً في هذا العقل، وما تفاعل هذا العقل مع المادة الفيزيقية والأثيرية إلا بقصد تدريبه على تكوين الصور الذهنية. كما للعقل قدرة غريبة على صوغ نفسه أو تشكيلها إلى صور الأشياء المحيطة به وبالحركة، كما يستطيع توليدها من جديد إذا أراد، فتحدث الحركة هنا في العالم الأرضي عن طريق المادة الفيزيقية، أما العالم الأثيري فله قدرة على صوغ المادة الأثيرية وتشكيلها بطريقة أكثر ظهوراً، فعن طريق الفكر تتحول المادة الأثيرية إلى صور، قد يتصورها العقل، فالأرض هي حقل لتجربة العقل فهو يتدرب على تكوين الصور بحكم اتصاله بالأشياء المتجسدة والمحيطة به. فكلما نما تزايدت قوته حول ما يحيط به، فإن وقف عمله خلال المادة الفيزيقية زادت سيطرته تدريجياً

على ما يحيط بالعالم الأثيري إلى أن نصير مماثلين بالضبط لما نظنّه ونتخيله. وهكذا ندرب العقل الفردي على التفكير المبدع عن طريق التصاقه بالأرض، وهذا التدريب يكيف ما يحيط بنا هنا وفيما بعد. إن العقل لا يموت، بل يستمر في نموه وتكشفاته إلى الأبد، باستمراره واشتداد عوده نحو ما يحيط به يقل لديه شأن الزمان والمكان تدريجياً، إن العقل موجود من الأزل إلى الأبد، بحيث يبدأ عمله الأرضي فيلج طريقاً يصل به إلى تشكيل ما يحيط به، أما حظه المقدر له فينتقل من حال لآخر حسب ضبط التفكير.

الفصل السابع عشر

الجهد العقلي

إننا حينما نضع نصب عينينا وقائع الماضي، وحينما نرسم وقائع حاضره وحينما نسمع أحاديث أو نتائج تفكير غيرنا أو نصغي إلى أنفسنا لمجموعة معقدة من التصورات فقد نشعر أننا أمام موقفين، إما أن نكون في حالة توتر، وإما في حالة ارتخاء، وهذان الموقفان يتميز أحدهما عن الآخر بوجود الجهد في الأول ونفيه في الثاني، إن حركة التصورات ليست واحدة في الحالتين، والعناصر ليست من نوع واحد، والعلاقة ليست واحدة، والتصور نفسه والإستجابات الداخلية التي يحققها. كل هذا يميز بين الفكر الذي يرخي لنفسه العنان وبين الفكر الذي يتركز ويقوم على الجهد. قد نطرح السؤال قائلين: ما هو المميز العقلي للجهد العقلي؟ إنه كلما تعقدت حالة التركيز العقلي اشتد التلازم بينها وبين الجهد الذي يصحبها، فهناك أعمال فكرية لا نستطيع أن نتصورها، أو تتحقق في يسر، إننا لا نستطيع أن نخترع آلة بدون جهد، فالحالة العقلية هنا تعمل على الجهد، وهذا يعني أن هناك مميزاً عقلياً للجهد العقلي، وإذا وجد هذا المميز بالنسبة إلى التصورات المعقدة فلا بد أن نعثر على شيء منه في الحالات البسيطة، إن جهد التذكير يقوم على قلب تصور تخطيطي متداخل الأجزاء، إلى تصور صور توضع أجزاؤه بعضها إلى جانب بعض، والجهد العقلي الذي يبذل للتأويل والفهم والإنتباه ما هو إلا حركة من المخطط الحركي على نحو الصورة التي تنشره، وما الشعور بالجهد إلا فهم

يحصل في الطريق من المخطط إلى الصورة، بقي أن نتحقق من هذاالقانون في الصور العليا من الجهد العقلي ـ ونعني به جهد الإختراع. يقول «ريبو» إننا نتخيل أولاً أعلى نتيجة حاصلة، فنحاول بعدها أن نعرف بأي تركيب من العناصر نصل إلى النتيجة، فنحن ننتقل بقفزة إلى النتيجة الكاملة ـ أي إلى الغاية التي نريد تحقيقها ـ وفي حدود جهد الإبداع نكون ملأنا المسافة التي قفزنا فوقها، والوصول إلى الغاية مرة أخرى، لا بالقفزة في هذه المرة، لكن باتباع سلسلة الوسائل المتصلة التي تحقق لنا الغاية، فالغاية تدرك بالوسيلة والكل يدرك بالجزء. والوسيلة والجزء لهما صورة، والصورة في نفسها وسائل تسير نحو النتيجة، إذن علينا أن نتصور المجموع مخططاً، وأن المخطط قلبه الاختراع إلى صورة. إن الموسيقي الذي يؤلف لحناً يقوم في ذهنه أول الأمر شيء بسيط مجرد هو بالنسبة له عاطفة جديدة بعدها تنتشر أصواتاً، قد يعمل في مخطط حتى إذا وصل إلى صورة واضحة للعناصر حصلت النتيجة، فهو سار من الكل إلى الجزء ومن المخطط إلى الصورة. وقد بات من الواضح أن المخطط لا يظل ساكناً خلال أية عملية بل يتغير بالصورة نفسها، قد يتفق أن لا يبقى في الصورة النهائية شيء من المخطط الأصلي بسبب تقدم المخترع إلى تحقيق نتائج جعلته يعدل عن الجزء الذي كان يريد الحصول عليه، إنه تراجع الصورة إلى المخطط تقوم بتغييره أو إزالته، والجهد العقلي يظل يظهر وراء المخطط.

إن العمل العقلي هو السير بتصور وحيد خلال مستويات شعورية مختلفة في اتجاه يمضي من المخطط إلى الصورة، يبقى أن نعرف ما هي الحالات الخاصة التي تشعرنا فيها الحركة الفكرية اشعاراً واضحاً بجهد عقلي؟ إن الحس وحده يجيب على هذا السؤال، قد يكون الجهد إذا كان العمل صعباً، يبقى علينا أن نفسر الجهد العقلي هو مفهوم يفسر النتائج الرئيسية للعمل العقلي، وأنه في نفس الوقت أقرب المفاهيم إلى ملاحظة الواقع ملاحظة صافية بسيطة، إن كل جهد عقلي فيه كثير من الصور كامنة أم مرئية تتزاحم لتدخل في مخطط. وأما المخطط فهو واحد

غير متغير، فالصور الكثيرة التي تتطلع إلى ملئه قد تكون متشابهة فيما بينها أو متوافقة، ولا يكون الجهد العقلي إلا حيث تكون عناصر عقلية ماضية نحو التنظيم، وبهذا المعنى قد يكون كل جهد عقلي هو اتجاه إلى وحدانية فكرة، والوحدة التي يسير لها الفكر ليست وحدة مجردة يابسة فارغة، إنها وحدة فكرة موجهة مشتركة بين عدد كبير من العناصر المنظمة، نعم إنها وحدة الحياة ذاتها.

الفصل الثامن عشر

بين العقل والمادة

. لما كانت المادة عبارة عن ذرات، والذرة عبارة عن كهارب دقيقة أبسطها «البروتون» وهو موجب التكهرب و «الألكترون» وهو سالب التكهرب من شحنة طاقات، والكوَن الذي تعودنا أن نصفه بأنه مادي هو نهاية طاقة كهربائية إيجابية وسلبية في آن واحد وقد تبدو لحواسنا صلبة من باب خداع الحواس، فلولا الظواهر الوساطية لبات في حسابنا التفكير بعالم الروح، وما الذرة إلا هالة تحيط بنجوة كما عرفها «أروين شرونجر» فالعالم المادي ليس أكثر من شيء شخصي لا يوجد إلا في الحواس، أي أن معالمه تتوقف على نشاط عقلي قد يكتشفها. وهذا رأي «أدنجتون» يقول: «إن الظاهرة المادية ما هي إلا نتيجة اختبار عقولنا وتركيبها لبعض الأشياء من وحدة روحية تختفي وراءها. ويقول «جيمس جينز» في كتابه «الكون الخفي» لم يعد العقل بعد دخيلاً فجائياً في دولة المادة».

إن العقل أصبح في الفيزياء الحديثة هو القوة والحركة التي تؤثر في المادة، وهما وحدتان متلازمتان يؤثران في بعضهما؛ إن ما نلمسه أو نراه أو نشمه أو نتذوقه ما هو إلا أثير في درجة معينة من الإهتزاز، وكل اهتزاز يولد موجة لها طولها، وحواسنا تدرك عن طريق العقل بنسبة ضئيلة جداً من تموجات الكون، إن من الماديات ما قد يتجاوز في اهتزاز، 64.000 موجة في البوصة فلا نشعر به بل قد ننكر

وجوده، علماً بأن وجوده الآن حقيقة علمية، إنه بات من المسلم به جدلاً أن لا نعترف بصلابة المادة كما لا ننفي إمكان وجود مادة صلبة خارج نطاق الحواس، أن التموجات من حيث كان مصدرها من مادة أو طاقة لها تأثير على العقل، وهذه التموجات وتلك الطاقة لا يمكن وصفها بأنها مادية، والمادة نفسها غير مادية لأنها ليست صلبة، وهكذا يصبح الكون كله غير مادي يسير في موجات إرسال مادة من جميع الكائنات مع موجات استقبال صادرة من العقل الذي يستقبلها عن طريق الحواس، هكذا تصبح جميع الموجات مجرد حركة في الكون.

وما دام العقل ملازماً للجسد الأثيري فإن ذلك يقتضي بقاء الذاكرة وهي أيضاً تنمو بنمو العقل، وهكذا نجد في الفلسفة أن للإنسان ذاكرتين، ذاكرة لجسمه الأرضي وذاكرة لجسمه الروحي الأثيري، فكل ما حام على ذاكرته وورد عمله ومر على سمعه وبصره قد تم تسجيله في ذاكرته الروحية التي يطلق عليها علم النفس «العقل الباطن».

إن الإنسان يقف تطوره التدريجي بميول العقل واتجاهاته، وهو بالطبع يتفاوت من شخص لآخر فالذكي الطموح يتطور أسرع من البليد القانع بحاله، هذا ما يحدث على المستوى الأرضي، حيث أن قوانين الحياة التي تسيطر على طبائع البشر لا تختلف مهما اختلفت مظاهر الطبيعة وإمكانيات البيئة للعقل، والإنسان قد يحتفظبعواطفه بنفس المقدار والنوع، وقد تتقدم به هذه العاطفة بالتدريج، هذا ما يحدث في عالم الروح، لانه لا يوجد أي حائل يعجز عن تكامله إلى ما لا نهاية، فينمو عن طريق المعرفة، بل يتضاعف ويثمر فلا نهاية لأي شيء طيب، لأن الطيب يستمد وجوده من اللانهاية، من أجل ذلك تتقدم الأرواح والملائكة باضطراد في ذكاء وحكمة عن طريق معرفة الحق والخير.

الفصل التاسع عشر

العقل الباطن «اللاشعور»

إن «فرويد» توفر على دراسة العمليات العقلية، وخرج بنظرية قوية ربما هي خير مذهبه، حيث يرى أننا إذا أردنا أن نكوّن صورة للعمليات العقلية لا بد أن نقرها في مراتب ثلاث من الشعور. أولها الشعور العادي الذي يضم الأفكار التي نفطن إليها في وضوح أو غموض في أي وقت، وهو ما نشعر به من حالات السرور والألم والحب والكره والتفكير والفهم والتذكر والتصور والرغبة والتصميم والتردد، وهو جهاز الإدراك. ثانيها، ما قبل الشعور، وحيزه محدود بالنسبة للشعور وهو مرتبة بين الشعور واللاشعور يضم التخيل وشرود الذهن والوحي الذي تكشفه الحقائق الداخلية والذي يكون بمثابة الصدى الذي يتردد في طيات اللاشعور، وإن ما قبل الشعور هو مدخل إلى الشعور، وكل الأفكار قبل الشعور هي في حد ذاتها شعورية في الظروف التي تستلزم ذلك إما بجهد خاص تبذله الإرادة أو بواسطة الترابط والتداعي، ومع هذا كله فهناك نوعان للأفكار قبل الشعورية، الأولى تشمل الأفكار التي نفطن إليها بسهولة كالذكريات الغريبة، والثانية تشمل الأفكار التي لا يمكن الشعور بها إلا بعسر، وهذا الصنف يرتبط باللاشعور مما يسبب صعوبة استرجاعه. ثالثها، اللاشعور الخالص، وهو من المراتب النفسية الكبرى وأشدها خطراً وعمقاً على النفس، حيث يضم القوى الموجهة للتفكير والنشاط كما يشمل الميول البدائية والغرائز الفطرية التي تسيطر

على الإنسان وترسل الحركة والطاقة في حياته كلها. وهناك عامل آخر يقرر وجود الفكرة في أية واحدة من المراتب الثلاث أسماها «فرويد» الرقابة، وهي على أشد أشكالها تقع بين اللاشعور وما قبل الشعور، مع العلم أن هناك رقابة لينة بين ما قبل الشعور والشعور.

إن «فرويد» يقرر أيضاً مَراتب في أعماق النفس «اللاشعور» تضم عدة ميول بدائية ودوافع غِريزية دائمة الحركة تحاول لنفسها التماس مخرج جاهدة لإشباع نفسها والتخفيف من النشاط أو التوتر الذي يتحرك في عمقها، وإن هذه الدوافع غير شخصية تعود إلى تراث النوع الإنساني كله، أطلق عليها «فرويد» ضميره «الهو» و «الهو» هذا هو الينبوع الغزير الذي تفيض منه الطاقة النفسية وهو العماد المكين للعقل كله، وفي بداية النمو يتميز جانب «الهو» عن غيره بحكم تأثيره بالعالم الخارجي. فيسعى إلى إيجاد الصلة بين الإنسان وبين ظروفه التي تحيط به، وهنا يطلق «فرويد» على هذا الجانب الآخر لفظة «الأنا» ـ «والأنا» قوة تبث فينا الشعور بالكيان والشخصية. ولا يتعلق «الأنا» بالشعور بل إن جل مقوماته تبقى في اللاشعور مخبوءة بعيدة عن الشعور، وهذا «الأنا» يتخذ موقف النافذ والمهذب منذ وقت مبكر إزاء «الهو» الذي يبقى على الدوام فطرياً، فيسمح له «الأنا» ببعض رغباته ولا يرضى عن البعض الآخر فيسقمه، وهذه العملية الأخيرة ضرب من الكبت، والكبت هذا لا يقتصر على إمساكه على الرغبات والخواطر عن الشعور، بل يمنع «الهو» عن القيام بما لا يقره «الأنا»، وبهذا تصبح الرغبات المكبوتة جانباً معيناً من «الهو» إنك أحياناً تقول «أنا» بنفسي وذاتي. أريد أن أقوم بكذا، لكن أمراً آخر «الهو» ـ غير نفَسي ـ يهتف بي. لا تقم بكذا.

إن جانباً من «الهو» ينفصل عنه فيكون الكبت كما قلنا، كذلك ينفصل جانب من «الأنا» فيكون «الأنا الأعلى» ـ و «الأنا الأعلى» وظيفته التهيؤ للإتصال «بالهو» أكثر من اتصال «الأنا» «بالهو» حيث يرقب العلاقات بين «الأنا» و «الهو» ويعمل كحارس عليهما. يحذر «الأنا» من الأخطاء التي تعترضه إذا قبل الإستجابة

للرغبات المكبوتة التي تصدر عن «الهو» وهـذا ما يعـرف بعمـل «الرقابـة» التـي عرضناها، ومما يؤكده «فرويد» أن عملية الكبت نفسها يقوم بها «الأنا» لا «الأنـا الأعلى» إلا ما جاء من «إملاء فعل الخير، ويتكون «الأنا الأعلى» من سن العاشرة من العمر فيأخذ معاييره من القيم المختلفة، وقد يقوم على الصلة الوجدانية التي توجد بين الصغير وأهله، لكنه لا يبقى على الدوام بنسخة أمينة للتعاليم التي تصدر عنهم.

إن العمليات اللاشعورية عبارة عن رغبـات وأفـكار لا تتوافـق مع شعـور الإنسان فتحرمه من الدخول فيه بتأثير العوامل الكابتة التي تقوم على الأخلاق، لأن الرغبات والأفكار تتعارك مع المستويات الخلقية أو الإجتماعية التي يؤمن بها شعور الشخص فلا يستطيع أن يطيق للرغبات والأفكار وجوداً لدرجـة أنـه يرفضهـا ولا يعترف بها بين طيات نفسه. كما يتميز اللاشعور بمنطقة يجري فيها عمل هام، فهو ليس بمستودع جامد خامل، لأن العمليات اللاشعورية نزوعية أصلاً تسعى إلى ما يشبعها في عالم الواقع أو الخيال، واللاشعور هو أقرب مراتب النفس إلى الغرائز البدائية التي أبرزتها قبل أن تخضع لعوامل التهذيب التي تترك من التأثير والعراك نصيباً قبل بلوغ غايتهـا. إمـا دون تربية فهـو حيوان تسيطـر عليه الأنـانية والغيرة والإعتداء والقسوة والغرور، وإما اهتمام بالقيم الإجتماعية والخلقية التي تؤمن بها الجماعات المتحضرة، غير أن تهذيب الفطرة الموروثة نادراً ما يبلغ حد الكمال، بل تبقى مجموعة من الميول الفطـرية خشنـة مدفونـة في اللاشعـور طول الحياة جاهدة أن تظهر، وكثيراً ما ينزلق الشخص نحوها فينقاد لها إذا أغفلته حيث تنتهز فرصة لبث نشاطها.

إن «فرويد» يرى تقسيم العقل إلى مناطق شعورية ولا شعورية قد يبدأ في سن مبكر قد يتم من السنة الأولى. فينجم عن هذا التقسيم عراك بين التراث البدائي غير الخلقي الذي نفذ به إلى عالمنا، وبين قوى الكف التي تحـاول الوفـاق بين الشخص والجماعة، فتكبت الميول الأولى وتحولها إلى غايات اجتماعية، غير أنها

إن لم تظهر فلا يعني أنها انمحت بل إنها الزمت البقاء تحت السطح تتلمس مخرجها بطريقة أو أخرى. إننا لا نتجاهل اللاشعور رغم طبيعته الطفلية مقاييس الخلق وكفى، بل معايير المنطق أيضاً، فاللاشعور له منطق الإنفعال والوجدان لا منطق التفكير والإستدلال حتى أننا نكاد نقول بأن اللاشعور غير منطقي، كذلك يرى «فرويد» أن الميل الجنسي يسيطر على الجانب الأعظم من اللاشعور لأن ملازمة الميول الجنسية للإنسان هي منذ الطفولة. وقد ثبت أن اللاشعور لا يخضع للزمان إذ أن الزمان غير موجود في مراتب العقل لذلك فإن العوامل متجمعة ومنعزلة عن الحقائق الخارجية، من أجل ذلك لا يمكن التأثير على اللاشعور إلا بإخراج ما فيه إلى اللاشعور أي اختلاف وتباين وتناقض مع بعضها، لأن الأفكار مهما تعارضت فهي ملتصقة باللاشعور، متناسقة، كما أن اللاشعور لم تكن فكرة السلب أو النفي بالأفكار مصاغة بأسلوب إيجابي، من أجل ذلك لا تُعرف «لا» على حد تعبير «فرويد» كما أن الرغبات التي توجد في الشعور تتصل بالموضوع الذي تمسه، طبعاً ليس باللفظ، لأن اللفظ من عمل الشعور الخالص أو ما قبل الشعور إن حياة النفس كما يبدو كجبل من الجليد أغلبه خاف وأيسره ما يرى، أو كمثل قطعة من الأرض يحرثها جماعة إذا حل الظلام لم ير الناظر ما تبذله الجماعة من نشاط، فإذا ركزنا شعاع الضوء على بعض الأرض ظهر النشاط ـ وهذا هو الشعور ـ بينما يظل خافياً علينا أكثر ما يجري في الظلام من نشاط ـ وهذا هو اللاشعور ـ.

الفصل العشرون

الأدلة على وجود دوافع لاشعورية

في حياتنا اليومية أشياء كثيرة تشير إلى أن دوافع أعمق من الدوافع الظاهرة تكون رمزاً تتجلى في زلات اللسان عن غير قصد أو نسيان، والمنومون المغناطيسيون يلاحظون هذا في عمليات كثيرة حين تظهر بعض الظواهر غير العادية لا يمكن تعليلها إلا بانفراض دافع اللاشعور. وهي وحدها كافية لإثبات وجود الدوافع، فهذا منوّم نوّم شخصاً وأمره بأن يقوم بعد خمسة عشر يوماً في ساعة معينة بخروجه إلى الشارع ويفتح مظلته ثم يشتري شيئاً لا قيمة له. فلما وصل اليوم والساعة قام بتنفيذ العمل المطلوب، فلما سألوه عن السبب، برر عمله بأنه له الحق في أن يتصرف كيف يشاء، إن هذه الأوامر أخذت مكانها في اللاشعور ونفذت في وقتها بدافعه. وهذا موظف وقف يلقي كلمة في حفل تكريم رئيسه وتهنئته، فبدل أن يقول «إن سرورنا لا يقدر بفوز رئيسنا» قال «إن سرورنا لا يقدر بفقد رئيسنا» فكلمة «بفقد» التي جاءت من غير قصد ما هي إلا دافع لا شعور لفظبها ترمز لشيء. وقد أخذ أحد المحررين القلم حيث حرر مقالاً يدافع فيه عن الحكومة، فبدل أن يكتب «إن الحكومة تحترم نفسها» كتب «إن الحكومة تخدم نفسها» فكلمة «تخدم» هي في الواقع دافع لا شعوري، وقد يحدث أنك تكتب رسالة وتضعها في جيبك لتلقيها في البريد فتظل في جيبك مدة أو نسيت أن تلصق بها طابع البريد، فهذا النسيان من أين مصدره، فهو طبعاً بدافع لا شعوري.

فالملحوظ من هذه الأمثلة أن هناك صراعاً بين دافعين، دافع شعوري والقصد الظاهر للشخص، ودافع لا شعوري وهو الذي لا يفطن الشخص إلى وجوده ونوعه، فالدافع اللاشعوري ليس ساكناً بل يتحين الفرص للتعبير عن نفسه بأية صورة أو بأي رمز، إن الحياة النفسية كما رسمها «فرويد» مجموعة من الدوافع الشعورية واللاشعورية في صراع وحركة وتدافع.

والتحليل النفسي أثبت أمثلة كثيرة كذلك الدوافع، ولنا في العقد النفسية أمثلة كثيرة، سأكتفي بمثالين إثنين.

هذه فتاة في العقد الثاني من عمرها، تشكو نوبات ضيق الصدر والتنفس، مع انقباض في القلب، عرضت نفسها على محلل نفسي، بعد أن يئست من معالجة الأطباء، ظهر بعد التحليل أن أعراض المرض ظهرت فيها منذ عامين، إثر مشاهدتها شريطاً سينمائياً من مناظره حريق، وما أن شاهدت الحريق المهول حتى شعرت على الفور باختناق وضيق تنفس كاد أن يحل بها إغماء. ومن ثم بدأت تعاودها الأعراض، وقد كانت تشتد عليها حينما كانت تلتقي بأبيها. أما التحليل فقد كشف سر ذلك حيث وجد أن الفتاة لما كانت في الرابعة من عمرها، حدث حريق بالمنزل شمله كله، فاضطر أبوها إلى حملها، وخرق منطقة الدخان الكثيف، الذي كادت الطفلة أن تختنق فيه، وهكذا فإن النوبات التي أصابتها، ما هي إلا ذكرى أليمة منسية منذ كانت طفلة راقدة حتى أثارها منظر الحريق من الشريط السينمائي، والذي كان قبله بقليل فسخ خطبتها الذي لا شك قد سبب لها إجهاداً.

ومثل آخر عن ضابط في العقد الثالث من عمره، يشكو قلقاً وخوفاً منذ زمن طويل، كلما كان في مكان ضيق مقفل، وجاءت الحرب فإذا هو يجد نفسه يقضي معظم أوقاته في الخنادق، مما كان يزيده حرماناً من النوم، ويضطره إلى التجوال داخل الخندق، وازداد حاله لدرجة إعفائه بسبب انهياره. وبفضل محلل نفسي استطاع المريض أن يستعيد ذكرى مؤلمة، حدثت له في الرابعة من عمره ما كان ليتذكرها طول حياته، تتلخص في أنه كان يتردد على حانوت يشتري منه بعض

الأشياء، ولكي يصل إلى الحانوت كان يمر بممر ضيق له باب كبير، وذات يوم هو في عودته من الحانوت إذ بباب الممر قد أغلق وأمامه كلب ينبح فيه وهـو عاجـز أمامه، هذه الحادثة كبتت وأصبحت نسياً منسياً، حتى وقع للضابط ما يشبـه تلك الحادثة وهو في كبره، فظهرت الأعراض معها الإنهيار نتيجة الإرهـاق والإجهـاد الذي كان عاملاً على خلق الإنهيار.

فالعقد النفسية مجموعة من الـذكريات المؤلمـة المكبوتـة تبقـى راسبـة في اللاشعور حتى إذا ما واتت ظروف مماثلة أو مثيرة تحركت نحو الشعور وأخذت مجراها.

الفصل الواحد والعشرون

اثار الكشف عن اللاشعور

إن الكشف عن مجهول النفس أصبح له صدى بالغ الأثر في الميدان التطبيقي من نشاط الإنسان في ميادين التربية والطب والصناعة والإجرام، فالكشف عن اللاشعور في ميدان التربية والتعليم أحدث انقلاباً كبيراً، فقد دعت الضرورة إلى تغيير الجو المدرسي وتحويره حتى يسمح بإعلاء الدوافع المكبوتة والتعبير عنها بطرق سليمة، وذلك بالإكثار من الألعاب والفنون والنشاط الاجتماعي بأنواعه، وعمل كهذا يوازيه كيفاً وكماً يستهدف ارساء الصحة النفسية، إن حلقات النشاط خير وسيلة لانتزاع الفرد من دائرة المجتمع الصغير المقفل وهو البيت إلى المجتمع الكبير وهو الوطن، وهي أيضاً وسيلة لإظهار ما لديه من قدرات خافية عليه. وفي الميدان الطبي كان الكشف عن اللاشعور له الصدى المدوي، إن «فرويد» أكد بأن الأعراض الجسمية في مرض «الهستريا» ما هي إلا تعبيرات لاشعورية مكبوتة، فالصمم «الهستيري» رمز عن رغبة لاشعورية في عدم السمع، والشلل الهستيري رغبة لاشعورية عن الكف عن العمل، وأن بعض حالات النوبات القلبية أو قرحة المعدة أو الربو أضفى عليهم العلاج النفسي ثوب الشفاء بعد اليقين بأن الحالات من فضول اللاشعور، وعلى كل حال، فإننا إذا لم نمكن دوافعنا وانفعالاتنا المكبوتة من التعبير الصريح الظاهر بصورة ملائمة. فإن أجسامنا وأعضاءنا تتولى التعبير عنها.

الفصل الثاني والعشرون

قصة لطيفة عن العقل الباطن «اللاشعور»

هذه القصة تصرفت فيها عن كتاب «التداوي بالإيحاء الروحي» لصاحبه الدكتور. أمين رويحة، ترجمها عن مقال طويل كتبه الأستاذ الألماني «براوخله» يقول فيه: التحقت بالمستشفى طبيباً مساعداً لأول وهلة، صاحبني الطبيب الرئيسي في الصباح نحو المرضى، فنبهني لمريضة بمفردها في غرفة بحكم مرضها غير قابل للشفاء، هي حقاً شابة في الثالثة والعشرين، أصيبت بشلل في ظهرها ورجلها، وهي عاجزة عن رفع رأسها، لازمها المرض منذ سنتين، كانت عند عمتها في إحدى قرى سويسرة، أجريت لها فحوص عديدة من قبل الأطباء حيث وجدوا عندها تبدلات في قاع العين مع ضغط في السائل النخاعي، وهذا ما حمل الأطباء على إصابتها بورم في الدماغ، الأعراض هي هي، وآمن الأطباء أن المريضة غير قابلة للعلاج، فأرسلوها إلى المستشفى في بلدها الذي عينت فيه، فتعرفت عليها في ذلك الحين.

حقاً لا يجرؤ أحد على تحريكها، بحكم أن حركة تكفي إحداث نزيف داخلي في الدماغ، يؤدي بحياتها، لقد بدأت أزورها وقت فراغي وأحدثها وأدرس أوراقها، فخرجت بنتيجة اليأس ما دام الأطباء قرروا ذلك، غير أنني أذكر أيام الدراسة في جامعة «فرايبورغ» أتيح لي أن أدرس التنويم المغناطيسي، وقد تهيبت

في البداية أن أجري عملية التنويم في أخطر مرض وفي اليوم الأول من ممارستي الطب حتى، لا أفتح حياتي الطبية بحادث وفاة، ولكني كنت طموحاً.

أقدمت على عملية التنويم، ووصلت بها إلى درجة السبات، وفي هذه المرحلة أوحيت لها بالشفاء وتحريك الرجل المصابة بالشلل، وقد استغرقت الجلسة ساعة، وكررت العملية طيلة اسبوع، دون أية نتيجة، فانتقلت بعد ذلك إلى استعمال العنف في الجلسات الأخرى، إلى جانب استعمال التيار الكهربائي من تيار «فرادي» حيث أمررها في العضل المشلول، وقد كنت أرفع قوة التيار إلى درجة الألم، فنجحت هذه التجربة المختلطة وعادت الحركة للرجل المشلولة، فأحدث هذا النجاح دهشة بين الأطباء والممرضين، أما أنا فقد تأكدت من النجاح كما تأكدت من خطأ الشخصيات السابقة، وأن الإصابة هاته ضرب من «الهستريا» منشأه رغبة العقل الباطن في تحقيق غرض مستتر في عمق النفس لا تدركه المريضة نفسها، والحالة ليست وهماً وليست للمريضة قدرة الإرادة للسيطرة عليها.

إن عملية إزالة الشلل من الرجل شجعتني على إزالة الشلل من الرأس، وكررت التجربة من غير طائل، غير أني عرفت من المريضة روح تدينها فلجأت إلى ربط العقيدة بالعلاج، حيث أكدت لها أثناء التنويم أن المرض نوع من الهستريا التي تغضب الله وتعتبر خطيئة كبرى. هذه الجملة كانت مفتاح القفل إذ بدأت المريضة تحرك رأسها حتى في حالة اليقظة، قد يدرك السامع درجة سروري لتحقيق المعجزة، إن السرور انقلب إلى خيبة في اليوم التالي مع شعوري بالخجل بين الأطباء إذ عاد الشلل إلى الرأس ثانية، هنا استولى علي طموح جنوني للتغلب على العقبات، دفعني للدخول على المريضة مساء، فنومتها تنويماً عميقاً ونقلتها بنقالة صحبة ممرضتين إلى الحمام، فنزعنا لها ملابسها ووضعناها في المغطس بألقاء رأسها إلى أسفل، ورجليها إلى حافة المغطس، وفتحت عليها الماء الساخن، اتبعته بالبارد، وكان الماء ينصب بغزارة، وبدأت في الإيحاء بأن تنقذ نفسها من موت محقق، وذلك برفع رأسها وتحريكه ـ حقاً أخذت على عاتقي

مسؤولية موت المريضة ـ وأثناء العملية كنت أراقب نبض المريضة والماء يرتفع فوق وجهها حتى وصل إلى نصف المغطس، وقد لاحت فقاقيع هواء الصدر تجذب سطح الماء، وأمام خطر الموت رفعت المريضة ظهرها ثم رأسها فوق سطح الماء واستوت جالسة في المغطس فأمرتها بالخروج فرفعناها في النقالة إلى سريرها وتركتها في سباتها العميق حتى الصباح حيث تحسنت حالتها واستطاعت أن تحرك رجلها ورأسها لكنها تعجز عن رفع جسمها إلى وضعية الجلوس في السرير، فلم يبق لي إلا أن أعيد عملية الحمام في كل مساء مدة أسابيع إلى أن تمكنت من الوقوف والسير، وقد كنت أثناء التنويم أوحي لها بالتشجيع والإنسجام النفسي، إن هذا النجاح جعلني في موقف الإعجاب والثناء من طرف الأطباء والممرضين والابناء والأقرباء، وبينماكنت في نشوة الإنتصار إذ فقدت المريضة حاسة اللمس في جميع أجزاء جسمها وبدأت تشكو من صداع وشعور بالخوف الشديد. هنا تأكدت بأن العقل الباطن له رغبة في استمرار المرض، يترصد معها هدفاً ما، وكنت أثناء العمليات التنويمية ألطف حدة الصداع والخوف، تطول معها الأعراض وتقصر، وحتى ذلك الحين أكون قد أجريت معها 355 مرة عملية التنويم، غير أن عدو المرض كان على أشده، وصبري الطويل لم يكافأ بالنتيجة المرجوة، ولا أخفي سراً إذا قلت أن إحدى عمليات التنويم استمرت ثلاثة أيام بلياليها وبدون انقطاع، وقد فقدت من وزني أثناء ذلك ولشدة شجني 5 كيلوغرامات، وفي إحدى الليالي ساورتني فكرة ما جاء في الكتاب المقدس عن الشياطين وكنت لا أعرف شيئاً سوى ما تعلمته من دروس الدين ذلك أن الشياطين تعني قوى شريرة في روح الإنسان يمكن التغلب عليها بقوة الإيمان. فصورت لنفسي أني أقف أمام شيطان شرس حطّ رحاله في العقل الباطن لهذه المريضة. فنومت المريضة وطلبت إلى الشيطان ـ يعني العقل الباطن ـ بلهجة الآمر أن يقف وجهاً لوجه ويجيب على أسئلتي. كم كانت المفاجأة شديدة عندما أجابني. لقد شكا مضايقتي وأكد لي استمرار عراكه معي، وأبدى انزعاجه منذ بداية عمليات التنويم وخشي أن أكشف أمره وهذا ما حدث الآن.

سألت الشيطان هل هو السبب في الإصابة؟ وهل له رغبة الإستمرار في المرض؟ لم يتردد في الجواب على السؤالين بنعم وأنه عدو السلام، وهو وحده الذي جاء بالمرض وسيحاربني بلا هوادة لاستمرار المرض ولن يخلد إلى الراحة إلا بعد القضاء على حياة الفتاة. حقاً لولا شجاعتي التي تعلمتها في الحرب لكنت المنهزم بسرعة، ولكنني كنت مصمماً على مقاومته حتى النهاية، فسألته عما حمله على هذا وسبب تصميمه على قتلها، فلم يتأخر في قوله أنه يرغب في ذلك للإنتقام من والدها، قلت أي ذنب اقترفه لتعاقبه بقتل ابنته؟ قال: إنه تزوج للمرة الثانية بعد ولادتها وللمرة الثالثة بعد بلوغها حيث الحق إهانة كبرى بابنته التي كان باستطاعته أن يعهد إليها بإدارة المنزل بدل الزوجة الثالثة، بل زاد على هذا أن طردها من المنزل بتحريض زوجته. لقد حاولت إقناع الشيطان بدروس دينية لكن كان يقابلها بالضحك والإستهزاء.

لقد استمر الصراع بيننا ليال بدون نتيجة، وقد كنت أعرف من دراستي لعالم الروح أنه يحدث انفصال جزئي من العقل الباطن ليسلك سلوك الإنتحار، فأصبحت أرجح أن هذا الجزء الإنتحاري المفصول موجود في العقل الباطني للمريضة، وفي إحدى الليالي خطر ببالي أن أعقد هدنة مع الشيطان بموجبها يعيد الحس للمريضة ويحررها من الخوف مقابل أن أكف عن ملاحقته، وبعد التهديد والرجاء قبل الهدنة بالإتفاق على 8 أيام أقف الجلسات مقابل شفائها خلال المدة. لم أكن مرتاحاً للهدنة، فأخذت شمعة وأوقدتها ثم طلبت منه أداء قسم الوفاء على الإتفاقية، كان الوقت منتصف الليل فغادرت غرفة المريضة، وفي الصباح كانت معجزة الشفاء من كل شيء حيث تبدو السعادة على وجه الفتاة حينما قابلناها نحن الأطباء الثلاثة وعلى وجهها الإبتسامة والتهلل، بل قامت لترقص أمامنا من فرط فرحها، أما أنا فقد اعتقدت أني اهتديت إلى أفضل طريقة لتهدئة الشيطان، لكنه خيب أملي بعد 3 أيام حينما جاءتني المريضة تشكو الصداع والخوف كما أن فقدان الحس باشر عمله من جديد. فالشيطان إذن قد أخلف وعده. فأسرعت لمجابهته

بتنويمها، فاعترف بإخلاف وعده وأنه لم يستطع الصبر لملاحقتها إلى نهاية حياتها، هزني هذا القول ولكنه لم ينل من عزيمتي، فعمدت إلى وسيلة جديدة للتغلب عليه، فأوحيت إلى المريضة في عملية تنويمية بأنني سأحول الشيطان من مخبئه في العقل الباطن إلى عقلها الواعي ـ أي من اللاشعور إلى الشعور ـ وكان الأمر كذلك في الوقت الذي كانت المريضة لا تعلم به، غير أنه أصبح يستولي عليها رعب وأخذت تسلك سلوك المتهيج الذي فقد عقله وتوازنه، بل أنا انتابتني ما يشبه حالة المريضة إذ خشيت أن يحقق الشيطان هدفه لقتلها، فنومتها مرة أخرى وأعدت الشيطان إلى مكانه السابق «اللاشعور» وهكذا سجلت فشلي في المعركة. وكان حقاً عليَّ أن أعود للشيطان يومياً لمدة زمنية، أما هي فقد بقيت فاقدة للحس شاعرة بالصداع والخوف، وبعد أن استنفذت قواي طلبت مساعدة طبيب نفساني لعله بالتحليل النفسي يستطيع الوصول إلى النتيجة، كما وجدت للمريضة عملاً عند أحد المزارعين الكبار، وهنا فقدت الصلة بالمريضة «أليزابيت» إلى أن جاءتني منها رسالة بعد عشر سنوات خلت تخبرني أنها ما زالت تحتفظ بقدرتها على العمل وأنها تعمل عند أحد الأطباء المختصين بعلم النفس المعني بإجراء التجارب في هذا الصدد.

كان ذلك في وقت أثارت فيه النبيلة «تيريزفون كورنر سروت» ضجة عالمية لظهور جراحات المسيح على جسمها ترمز إلى الصليب، وذلك بأمر من الله ـ كما تدعي ـ وكان الطبيب يؤكد بأن الجروح لم تحدث بأمر من الله ولا لحكمة بل إنها قد تحدث من الإستغراق في النوم المغناطيسي الذاتي، وقد أجرى الطبيب هذه التجارب على مريضتنا «إليزابيت» البروتستانتية المذهب وحدثت نفس الجروح التي حدثت عند «تيريز» الكاثوليكية. وقد أرسلت لي «أليزابيت» ضمن رسالتها صورة فوتوغرافية لجروحها، وبعد سنوات من هذا الحادث كنت أشغل مركز الطبيب الثاني في مستشفى الأستاذ «شونبرجو» الجامعي ببرلين، وقد دخلت لهذا المستشفى مريضة في سن 25 سنة مصابة بجروح عديدة في الجزء الأيسر مع فقدان

الحس كما كان عند «إليز بيت» من قبل ، والحكاية أنها أصيبت بصدمة فوق ثديها الأيسر ظهر على إثر جرح مفتوح في مكان الصدمة منه انتقلت الجروح تظهر تباعاً في الجزء الأيسر كله رافقه الشلل امتد إلى الرجل اليسرى فأصبحت المريضة لا تحرك ساكناً ، وقد قطع طبيبها قطعة من جلدها المشلول دون أن تحس بألم ، وبعد التشخيص حدد الطبيب موضع العلة في النخاع الشوكي ، فعرضنا المريضة ثانية على أشهر مختص في الأعصاب حيث أثبت أن موطن الداء حول الجزء المسمى «بالجسر» من الدماغ . هكذا بقيت الفتاة المشلولة طيلة 6 أشهر نواسيها بدون نتيجة ، وقد كانت تصاب بإغماء كلما غسلوا جسمها مما اضطرنا إلى تركها ساكنة ، وبات في الحسبان أن نسلمها لدار العجزة بحكم إصابتها بمرض غير قابل للشفاء .
قبل الموعد المحدد لنقلها طلبني رئيسي الطبيب أن أقوم بتجربة التنويم المغناطيسي مع المريضة ، حقاً كنت أخشى صرف قواي النفسية على الحالة الميؤوس منها ، باشرت عملية التنويم ، وبعد تجارب تمكنت من المريضة أثناء النوم العميق برفع يدها المشلولة عن طريق الإيحاء ، كما فطنت إلى أن المريضة تبدي شيئاً من المقاومة ، مما جعلني أتأكد أن نوع الشلل هستيري وليس نتيجة ورم دماغي ، فتذكرت التيار الكهربائي «الفرادي» وما لعب من دور في الحصول على النتيجة في المريضة «اليز بيت» فباشرته مع المريضة أثناء سباتها ورفعت من قواه فأخذت تبدي انتفاضات ، هنا حدث حادث مخيف ، لقد هاجمتني المشلولة فجأة وبقوة أخذت تضربني وتنهشني بأسنانها فقابلت العنف بالعنف مدة نصف ساعة ، بعدها كانت المريضة في أحسن حال وشفيت شفاء تاماً وعالجنا جروحها غير أن المريضة لم تقبل بي بعد تنويمها، بل أصبحت تظهر لي منتهى الحقد والكراهية ، وخرجت من المستشفى وهي في أحسن حال وأتم صحة ، وكم زاد اغتباطي حينما سمعتها تزوجت بعد نصف سنة ـ انتهى المقال ـ.

هنا أريد أن ألفت الإنتباه مرة أخرى بأن ما حدث كان مصدره العقل الباطن «اللاشعور» وأن حديث الأستاذ مع الشيطان ما هو إلا «اللاشعور» وكلماته كانت

تنطق بها المريضة نفسها وما ذلك إلا تعبيراً عما يدور فيه دون أن يدرك العقل الواعي «الشعور».

إن العقل الباطن له سلطة ورغبات مستترة تظهر أحياناً بشكل أعراض جسمية أو نفسية، والهستريا أحد أعراضه، وإن التنويم المغناطيسي هو وسيلة اتصال مباشر بالعقل الباطن لكشف خفاياه قد يشفي أمراضاً عجز عنها الأطباء.

الفصل الثالث والعشرون

الدماغ

الروحانيون على حق عندما يدافعون دفاعاً عن تسامي الإنسان على غيره من كائنات الطبيعة، كما أن الماديين لا يخطئون حينما يؤكدون أن الإنسان ليس سوى حلقة في سلسلة الأشكال الحيوانية. ويؤول كل التحول المؤنس من الناحية العضوية إلى مسألة دماغ أفضل، هذا قول من أقوال «تيارده شاردان»، إن الإنسان في ذاته ازدواجية مدهشة، بقدر ما هو مادي بجسده تقابله الباطنية الروحانية لفكره ووجدانه وروحه، وهي التي تجعل منه شخصاً يتمتع بسلوك حر وقدرة على الحكم. وهكذا يجب أن نميز بين ما هو مادي روحاني في الشخص، ولما كانت العادة الميتافيزيقية أن يُرى في المادة والروحاني حقيقتين مستقلتين متفاعلتين فقد كان هدف الإختصاصيين الأوائل بالدماغ أن يحددوا نقطة ولوج الروح في المادة إذا كانوا روحانيين أو يعتبروا الروح مادياً من حيث هو نتائج النشاط الدماغي إذا كانوا ماديين، والموقفان متجاوران على الرغم من تعارضهما، إنه على الرغم من أن جهلنا ما يزال كبيراً فقد أصبح من الممكن أن نكوّن فكرة صحيحة على سير الآليات الدماغية التي تتيح التفكير والوجدان المنعكس عند الإنسان، وفي مقابل المظهر الفيزيولوجي لما هو روحاني يتكون المظهر العضوي الدماغي وهذان المظهران عنصران لا ينفصمان عن عناصر الحقيقة النفسية والجسدية فيتكاملان ولا يحل أحدهما محل الآخر.

بجهد من الواقعية والموضوعية وصل التحليل العلمي إلى الفكر بكل ما فيه من تعقيد في المظهر العضوي. فبدأنا نتعرف إلى باطنيتنا الغامضة أنها تتعلق بالدماغ من الوجهة الوظيفية دون أن تفقد هذه الروحانية نوعيتها، فالآليات المكوِنَة للشخصية والتي ترفع التفكير إلى حد ما فوق ذواتنا تصل إلى مدلول التمييز بين الروح الموجِّه والجسم المبلِّغ والموجِّه، وهذا يعزي إلى عضو مادي هو الدماغ، نقول صراحة بأن التحليل العلمي غير قادر على الوصول إلى الروح في ذاته، فليست لديه إمكانية أو أدلة التقرير بسبب التعقيد الشديد في دماغه، فسمو الطبيعة الإنسانية على الحياة واضح وعنه سيبقى المجال مفتوحاً أمام كل التفسيرات الميتافيزيقية، وعلى الفيلسوف أن يجيب عما إذا كان هناك ظهور سمو حقيقي.

. وُصف الإنسان بالعاقل فهو مدين إلى العضو العجيب الذي هو دماغه، غريب حقاً هذاالدماغ في تكوينه التشريحي الذي لا يحتوي على شيء يختلف عما نجده في مركز أكثر من بدائية كالنخاع الشوكي أو دماغ الحيوان، بل في كون سير هذه الأجهزة المادية البسيطة تسبب تولد الفكر والوجدان المنعكس فتتيح التقرير الحر، فدراسة غدة تؤدي وظيفتها تعني التحولات المادية التي تعني تحليل التحولات المادية التي تتيح إعداد الناتج المادي الذي هو الإفراز ـ سبق أن تحدثنا عن إفرازات الغدد ـ.

وقد يرتبط الوجدان والفكر والإرادة بالنشاط المنسجم لطبقة المادة العصبية السنجابية التي تغطي سطح العضو الذي يشكل القسم الأعلى من المحور الدماغي الفقري ـ أي من نصف الكرة الدماغية ـ ونعني بها «القشرة الدماغية» وهذه القشرة قدَّروها بـ 14 مليار خلية عصبية مستقلة تجمعها ألياف عصبية في شبكة متداخلة لا حصر لها في مراكز الاتصال، كل منطقة وطبقة ذات صفة خاصة بينما منطقة الجبهة لها علاقة مباشرة بتنظيم الشخصية والمزاج والطبع والسيطرة على الذات، وقد يظهر دماغ الجبهة الأمامية بالإشتراك مع الدماغ الغريزي والشعوري ـ وهو أيضاً مكون من قشرة ـ يظهر بمظهر الموحد الأساسي الذي يتيح للإنسان أن يكون مجرد

ذكاء واع يعبر عنه بالنطق، غير أن منطقة الجبهة الأمامية تظل أبعد المناطق عن معرفتنا وأكثر سواء استعمال من قبلنا.

نعود إلى نشاط الدماغ حيث نجد فيه كهرباء حياتية كما في أية آلة إليكترونية بمعنى أن يكون الدماغ مركزاً لإشارات كهربائية هو موجة من السائل العصبي، وبقدر ما يكون التنشيط قوياً بقدر ما يكون تواتر الموجات مرتفعاً، وهذه الإشارات الكهربائية التي تحسب شدتها «بالميلبولت» وحدتها ببعض أجزاء الألف من الثانية وسرعتها بالأمتار في الثانية مع التواتر يبلغ أقصاه من 500 إلى 1000 في الثانية، فكل تحريض كاف لحدوث إشارة معينة وهي إجابة واحدة من قبل ليفة من الألياف، وهناك ثمة ألياف بطيئة ذات سيل خفيف وثمة ألياف سريعة ذات سيل قوي، وكل ما يعدل نشاطها يغير صفات الشدة والمدة في الموجة وهذا يصح في جميع التقلبات في البيئة الخارجية، إن العمل التحريضي للسيل عندما يصل إلى نقطة ما تحدث استجابة في النقطة المجاورة الساكنة. إذن كل قابلية على التحريض تتجاوب في آن واحد.

وقد قسموا الدماغ إلى قسمين ـ أيمن وأيسر ـ فالأيمن يتحكم بالجبهة اليمنى من الجسم وهو انطباعي حدسي بديهي، فنان، حالم فيه عملية التأمل العميق، أما الجزء الأيسر فهو عملي لفظي منطقي رياضي، من الطفولة إلى سن العاشرة يعملان معاً بعد ذلك يختص الجزء الأيسر بالنطق، فإذا أصيب هذا الجزء بأذى في الطفولة يقوم الجزء الأيمن مقامه، أما عند البالغين فإن المصاب يبقى فاقداً قوة النطق مدى الحياة، أما إصابة الجزء الأيمن بأذى لدى الراشدين تؤثر على القدرة الموسيقية والنظرة والشعور الذاتي بالجسد، وإن ضعف نشاط من الجزئين يمنع أو يضعف نشاط الجزء الآخر.

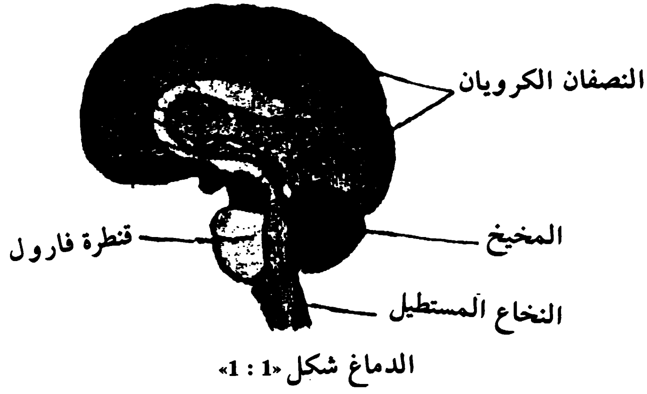
هكذا يبقى الدماغ كتلة عصبية محفوظة بإحكام في علبة عظيمة هي تجويف الجمجمة والنخاع الشوكي ممتد منه بشكل حبل اسطواني يبلغ سمكه مبلغ الإصبع الصغير يمتد من أسفل المخ يخرق الجمجمة عن طريق فتحة كبيرة، ويبدو لون وسط

الدماغ أبيض لتجمع الزوائد المحورية للخلايا العصبية بينما سطحه الخارجي كثير التجاعيد ذو لون أسمر لتجمع الخلايا السمراء على السطح، ولحفظه وحمايته عن عظام الجمجمة توجد ثلاثة أغشية واقية، الأول يبطن عظام الجمجمة من الداخل والثاني يقوم بتغليفه، وقد تنتشر فيه الأوعية الدموية لتغذيته، والثالث يتوسط بين الأول والثاني، كما يوجد بين كل غشاء وآخر تجويف يحتوي على سائل يخفف من تأثير الصدمات الخارجية، وقد يزن في الشخص البالغ ما يقارب 1470 جرام، وقد يتصل به إثناعشر زوجاً من الأعصاب وهو مقسم إلى أربعة أقسام، النصفان الكرويان وهما المخيخ والحاجز الذي فوقه المسمى بقنطرة «فارول» والنخاع المستطيل وقد يكوّنان معظم الدماغ، يتميزان بشق عميق لا يفصلهما حيث يكون الشق الأيمن مسؤولاً عن الحركات التي يقوم بهانصف الجسم الأيسر، والنصف الكروي الأيسر مسؤول عن الحركات التي يقوم بها نصف الجسم الأيمن، وقد تكثر التجاعيد على السطح العلوي منهما، كما يلاحظ وجود تجويف ممتلىء بسائل في النصفين الكرويين الآخرين، فهما مركز الحركات الإرادية، حيث تصدر الأوامر التي تبثها الأعصاب الحركية إلى العضلات لتحريكها، وهما أيضاً مركز الحواس الخمس إذ لا يمكن الرؤية أو سماع الأصوات إلا بعد وصول هذه الإحساسات إلى النصفين الكرويين بواسطة الأعصاب الحسية، أما الذكاء والذاكرة والإنتباه فقد ثبت مركزها حيث أن تجاعيد السطح الخارجي من الدماغ للنصفين كلما ازدادت كلما ازداد الذكاء.

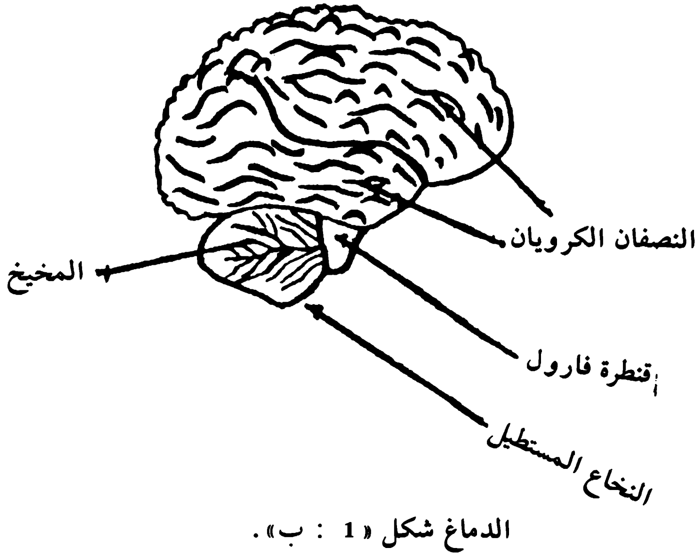
نعود إلى المخيخ وهو يتركب من جسم عصبي أصغر بكثير من النصفين الكرويين، حيث يوجد أسفل الجزء الخلفي فيهما، ويتركب من ثلاثة فصوص سطحها فيه تجاعيد بسيطة، أما وظيفته فهي تنظيم الحركات الإرادية وربطها ببعضها ـ فمثلاً عند القيام بقراءة موضوع ما يقوم المخيخ بربط المعاني المختلفة مع تخيل صور الوصف الذي نقرأه. زيادة على قيامه بالمحافظة على توازن الجسم بتأثيره على عضلات الحركة وجعلها باستمرار في حالة يقظة دائمة . أما الحاجز

المسمى «بقنطرة فارول» فتوجد أمام المخيخ وأسفل النصفين الكرويين، ووظيفتهما نقل الأوامر التي يصدرها النصفان الكرويان والمخيخ بواسطة الأعصاب الحسية من النخاع المستطيل وتوصيلها إلى النصفين الكرويين والمخيخ.

أما النخاع المستطيل فهو جسم عصبي هام يتصل من أعلى «بقنطرة فارول» ومن أسفل بالنخاع الشوكي، بينما وظيفته السيطرة على الأعمال الحيوية التي تحدث بداخل جسم الإنسان بدون تحكم الإرادة فيها، مثل نبضات القلب والحركة الدموية والهضم وحركات التنفس وإفراز البول والعرق واللعاب، وهو الصلة في توصيل التيار العصبي من النصفين الكرويين والمخيخ إلى النخاع الشوكي والعكس، وقد يلاحظ أن معظم الأعصاب تتقاطع من النخاع المستطيل بحيث تذهب الأعصاب القادمة من النصف الكروي الأيمن إلى النصف الأيسر من الجسم والعكس أيضاً، فمثلاً عند ملامسة عضلات اليد لجسم غريب تتأثر الأعصاب الحسية الموجودة في عضلات اليد وتنقل هذا الإحساس من عضلة اليد إلى النخاع الشوكي ثم النخاع المستطيل ثم قنطرة فارول ثم النصفين الكرويين والمخيخ، وهناك يدرك ما هو هذا الجسم الغريب فيصدر أوامره على شكل تيارات عصبية تنقلها الأعصاب الحركية إلى قنطرة فارول ثم النخاع المستطيل ثم النخاع الشوكي ثم إلى العضلة فتنقبض.



الدماغ شكل «1 : 1»



الدماغ شكل « 1 : ب» .

الفصل الرابع والعشرون

الجهاز العصبي

للإنسان جهازان عصبيان، كل منهما مستقل عن الآخر وبينهما ارتباطات عديدة، والجهازان هما:

الجهاز العصبي المركزي: يتكون من المخ «الدماغ» وتوابعه، ومن النخاع الشوكي ومجموعته العصبية، أسموه بالجهاز العصبي المركزي لامتداده في منتصف مركز الجسم، فالمخ يملأ الجمجمة، والنخاع الشوكي يمتد داخل الفقرات المكونة من العمود الفقري، إن المخ يتكون من طبقتين، طبقة سنجابية وهي مجموعة من الخلايا العصبية المركزية تملأ ما بين مجموعات الطبقة السنجابية، وللطبقة السنجابية في المخ علاقة بالإرادة والعقل الواعي والعقل اللاواعي، لهذا نسمي الجهاز العصبي المركزي جهاز الإرادة والعقلين الواعي والباطني، فكل تغير وتبدل عضوي من إصابة أو مرض في الطبقة السنجابية للمخ ينتج عنه تبدل نفسي وعقلي، ولهذا الجهاز وظيفتان أولاهما داخلية والثانية خارجية، فالخارجية متصلة بالعالم الخارجي عن طريق الحواس الخمس وعضلات الهيكل العظمي، وهذه الحواس كلها تؤدي أعمالاً نحو الخارج.

فالعصب البصري ما هو إلا نتوء بارز من المخ، أصبح من الممكن الإستدلال به على أوضاع العين نفسها، فمثلاً إذا أصيب المخ بنوع من الضعف

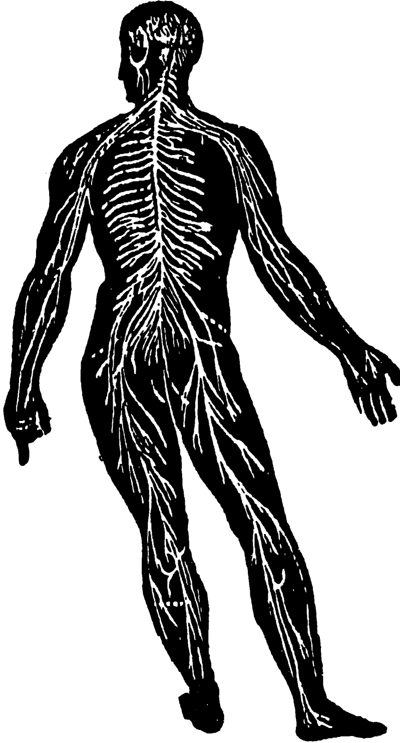
ظهرت آثاره في العين كتعب مع ضعف الرؤية أو تشنج، فالضعف والتشنج شقيقان يرافق أحدهما الآخر، فإذا أردنا معرفة الوضع في المخ خصوصاً في منطقة البصر وجب فحص العين عن حالة التشنج أو الضعف فإن بدا فهو الطريقة لتشخيص الإصابة بضعف الأعصاب. أما الشم فهو يتصل بعصب المخ مباشرة كالبصر، فقد يحدث فيه انحراف زائغ تظهر اضطراباته في حاسة الشم كأن تنعدم بالمرة أو تصاب بإحساسات مختلفة ليس لها في الواقع أي مبررات خارجية، وبفحص هذه الحاسة يمكن أيضاً الإستدلال على أوضاع المخ وما يكون قد أصابه من ضعف. وهذا أيضاً ينطبق على حاسة السمع وعصبها، فقد يصاب هذا العصب من المخ بانحراف تضعف معه قوة السمع أو يسمع طنيناً أو ضوضاء دون وجود مبررات لها، فهذا التشويش غير طبيعي خاصة إذا كان على شكل صفير أو نبرات شبه غنائية، فمثل هذه الحالات لا ترجى فائدة ملموسة من معالجتها الطبية، لأن الإضطرابات تكون متركزة في المخ وليس في الأذن. أما عصب الذوق المنتشرة في حبيبات التذوق في قاعدة اللسان فإنه أيضاً إنذار بخلل في عصب المخ، فإذا ظهر فقدان حاسة الذوق أو إصابتها بتشنج أو بتأثرات كأن يشعر المصاب بطعم حامض أو مر أو مالح أو حلو دون أن يدخل فمه ما يبرر ذلك، كل هذا يشهد باضطرابات مضلله في عمل المخ. أما حاسة اللمس فهي منتشرة في الغطاء الخارجي من الجلد كله. فسليم الأعصاب لا يشعر بأي عرض من الأعراض في أية منطقة جلدية بعكس المصاب بضعف في أعصابه فإنه يشعر بأعراض غير طبيعية في بعض المناطق ككلالة أو تنميل إلى غير ذلك من التأثيرات المضللة في حين لا تظهر على الجلد أية أعراض مرضية مما يدل على خلل في حاسة اللمس منبعثة عن المخ ذاته.

والآن بعد هذا العرض عن الحواس الخمس كأحد الظواهر الخارجية للجهاز العصبي المركزي يبقى أن نعرض الجزء الثاني، أي عمل عضلات الهيكل العظمي، وهي التي تقوم بجميع تحركات الجسم بإشراف الجهاز العصبي

المركزي، وللإرادة فاعلية كبرى في حالة هذه العضلات وتعيين أوضاعها. ففي حالة شعور بضعف العضلات فقد يكون مرد ذلك إلى نقص في ميزانية المقويات والمعادن الضرورية الذي يرافقه في الغالب حدوث تشنجات أو يكون مردها إلى إصابة خلل عصبي ينقص من كفاءتها، إننا نكون الآن قد حددنا العمل الخارجي للمخ وبقي أن نعرف الأعمال الموجهة نحو الداخل من طرفه وهي التي تتعاطى مع الفكر والشعور والإرادة. فالفكر يمكن أن يصاب بالضعف أو بالتشنج فينجلي ضعفه بضعف الذاكرة أو بظهور أفكار الزامية قسرية يصعب كبحها، وما يمكن أن يحدث في الأعمال الداخلية للمخ من اضطرابات هو نفس ما يحدث في أعماله الخارجية أي «الضعف والتشنج». والشعور أيضاً يمكن أن يصاب بكلالة وضعف أو زيغ أو فزع ومبعثه دائماً من الجهاز العصبي المركزي وعلى الأخص من الطبقة السَّنجابية للمخ، أما الضعف في الإرادة فيظهر بشكل تذبذب، بينما التشنج يظهر بشكل أخطر كالإنتحار أو إصابات ذاتية في الجسم، فكل الإجراءات في العقل الواعي والعقل الباطني لا تخلو من علاقات بالجهاز العصبي المركزي.

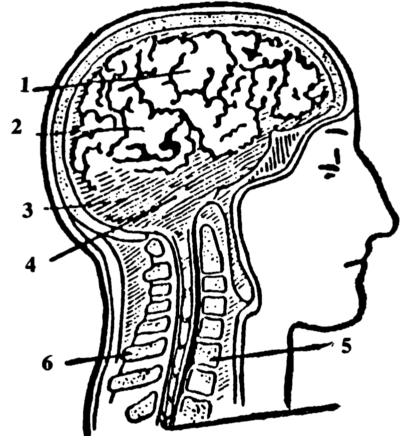
الجهاز العصبي النباتي: إن هذا الجهاز العصبي الثاني ينقسم إلى قسمين هما: الجهاز الودّي أو السمبتاوي ـ جهاز النظير الودّي أو الباراسمبتاوي ـ. والجهاز العصبي النباتي بجزئيه يدير أعمال الغدد وجهاز الدورة الدموية وجهازي التنفس والهضم وجهازي البول والتناسلي والطحال إلى غير ذلك، وهو مستقل عن الجهاز العصبي المركزي، يعمل بطريقة عفوية دون تأثر بالمؤثرات الخارجية، والجزءان متضادان ولو أنهما يعملان معاً، فالسمبتاوي مثير، والباراسمبتاوي كابح للإثارة. وقد يتكون الجهاز السمبتاوي من عقد عصبية منتشرة على جانبي العمود الفقري تتصل ببعضها على شكل سلم من الحبال كما تتصل مع الأعصاب المحيطة من الجهاز العصبي المركزي، وبواسطة هذا الإتصال بين الجهازين تنتقل الإنفعالات الروحية في الجهاز العصبي المركزي إلى الأحشاء فيرافق الخوف مثلاً تسرّع في نبضات القلب، ويرافق الحزن توقف في إفرازات عصارات

الهضم إلى انعدام الشهية، كما تنقل هذه الإتصالات بين الجهازين التفاعلات في الأحشاء إلى الأعمال الداخلية للجهاز العصبي المركزي. فإذا أصيب الكبد مثلاً بخلل ما يحدث نتيجة لذلك اضطراب في الفكر والشعور، هكذا نلاحظ أنه لا يوجد عضو واحد في الأحشاء الداخلية يعمل مستقلاً بل يتصل بواسطة جهازه العصبي بالجهاز المركزي ويتلقى منه انعكاسات للإنفعالات الطارئة عليه ثم العكس.

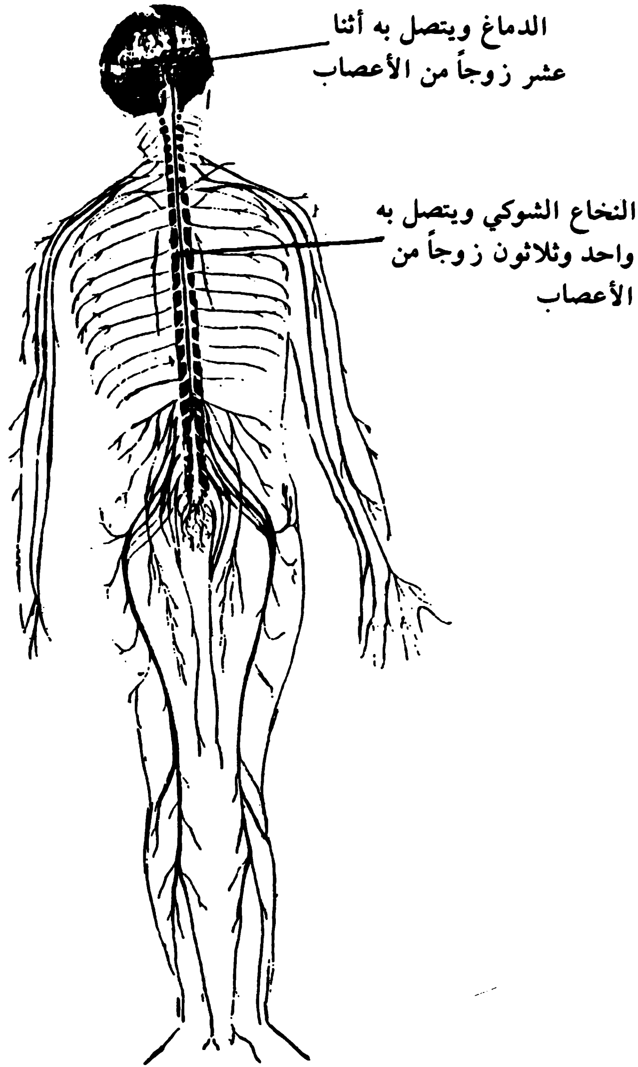


الجهاز العصبي

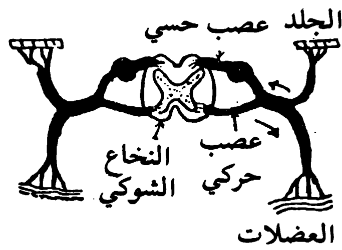
شكل2 .



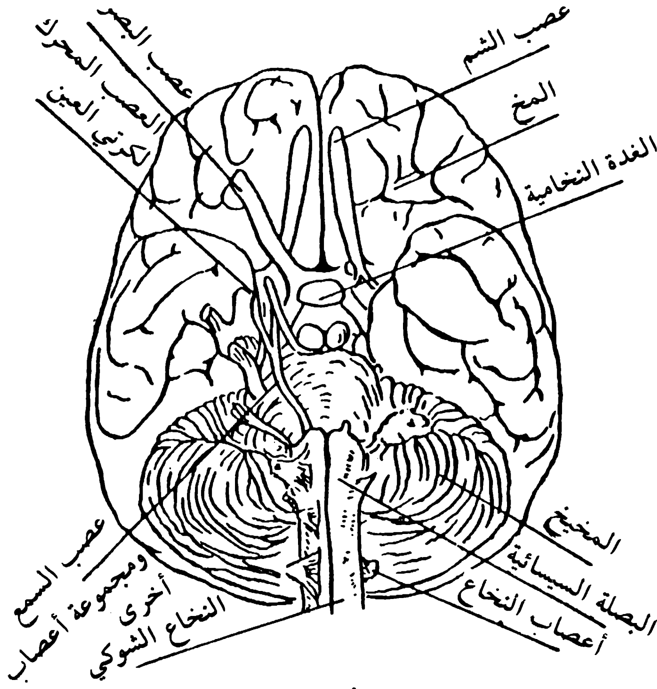
1 و2 ـ المخ 3 النخاع المستطيل.
4 ـ المخيخ 5 و6 ـ فقرات.
7 ـ الحبل الشوكي.
شكل3 .



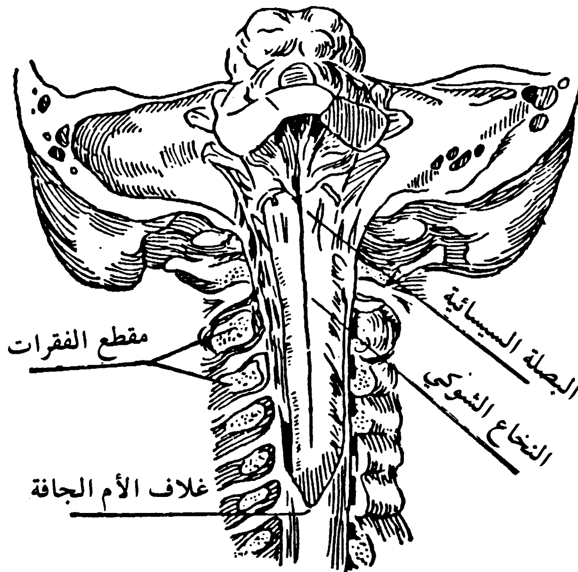
شكل عام للجهاز العصبي وتفرع الأعصاب «شكل 4 ».



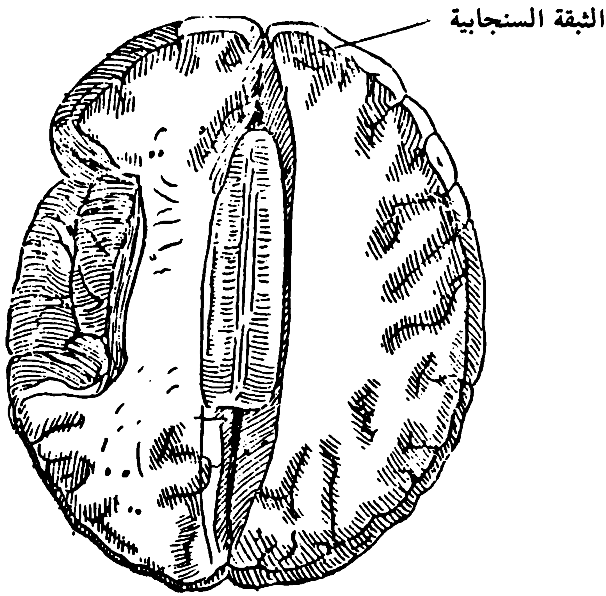
الحركة المنعكسة «شكل 5 ».



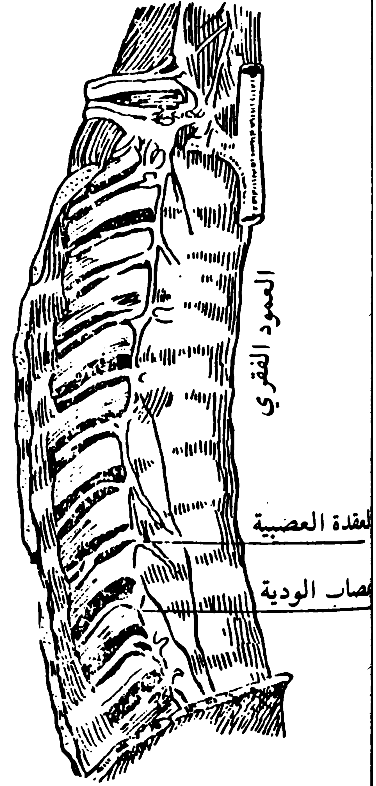
المخ (النخاع) بجميع أجزائه (شكل6).



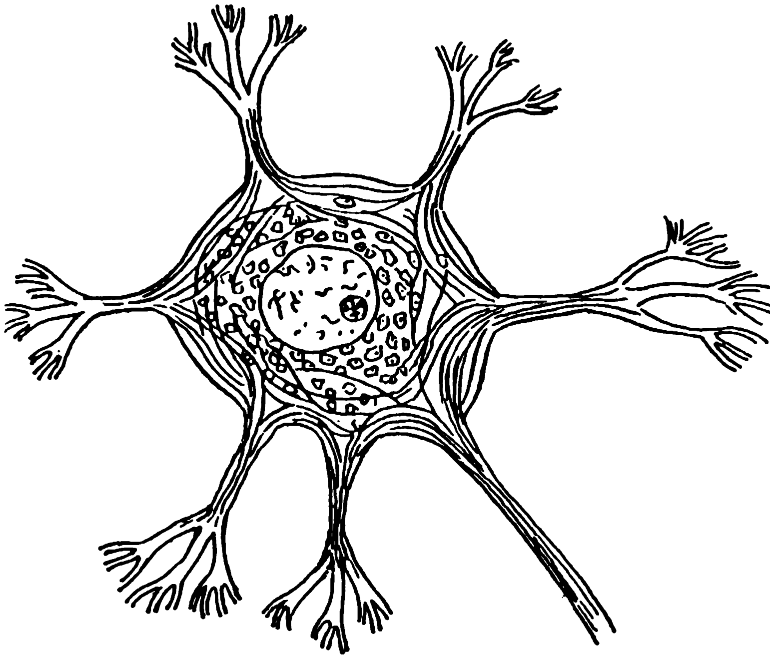
النخاع الشوكي داخل الفقرات (شكل7).



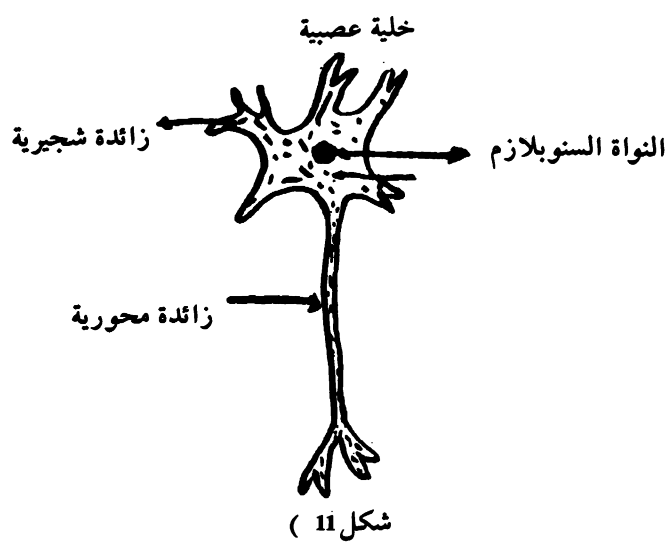
مقطع المخ بطبقتيه السنجابية والبيضاء (شكل8).



(شكل9
العقد العصبية للجهاز العصبي السمباتوي
على العمود الفقاري.



الخلية العصبية بفروع الدندريت القصيرة
وفرع النويريت الطويل (شكل10).



شكل 11)

الفصل الخامس والعشرون

ضعف الأعصاب وأمراض وظائفها

ضعف الأعصاب بالتعبير الطبي «نويراستني» ناشيء عن أسباب في الجسم أو النفس، فإذا لم يوجد في الجسم أي مرض يبرر حدوثه عندما يكون ضعف الأعصاب فمعناه خلل وظيفي دون وجود أية تبدلات مرضية جسمية، وفي هذه الحالة يحسن أن نتساءل عن المسببات النفسية لضعف الأعصاب، فقد تكون فطرية كما قد تكون مكتسبة. ففي الحالة الفطرية يكون المصاب شديد الإحساس، وعند الموهوبين أيضاً يزداد الإستعداد بضعف الأعصاب، فإذا كانت الموهبة عطية الله فإن الموهوب يدفع ثمنها من قوة أعصابه، يقول العالم الإيطالي «لوهبروزو» في كتابه «العبقرية والجنون» إن العباقرة مصابون بدرجة عالية من ضعف الأعصاب تصل أحياناً إلى درجة الجنون. كثيراً ما نصادف في عائلات تميز أفرادها بمواهب يصابون بضعف عصبي في آن واحد حيث انتقل إليهم ذلك عن طريق الوراثة، كما أن هناك أفراداً يصابون بضعف عصبي لم يكن نتيجة الوراثة بل هو مكتسب، وقد ينشأ عن أخطاء صحية يتعرض لها الجسم أو تتعرض لها النفس، فالإجهاد العقلي أو الجسمي يلعب دوراً في هذا الصدد إذا تجاوزفيها الإنسان طاقته، فالصدمات والإرهاق أو مآسي الحب أو الخسارة المالية أو الفقر أو فقد شيء إلى غير ذلك من الهموم والأحزان كلها سلاح تصيب الأعصاب بالضعف.

ننتقل الآن إلى الأمراض العصبية الوظيفية، وهي عبارة عن اضطرابات في وظائف الأعصاب أو المراكز العصبية، قد نلاحظ شخصاً يشكو علة في عضو، لكن بعد الفحص يتبين أن العضو سالم، فمن أين هذه العلة؟ إنها من الأعصاب الوظيفية، ولكي نبين أكثر نورد مثلاً. فهذا هاتفي رنّ عندي، ولما أخذته سمعت أصواتاً مشوشة فيه تتداخل مع محدثي فتجعلني لا أفهم ما يقول، فهذه العلة ليس منشأها في الهاتف عندي، وإنما هي في حبال الخطوط الموصلة التي اشتبكت بخطوط أخرى مما جعل الإضطراب والتشويش في أداء وظيفة الهاتف، بهذا المعنى يظهر المرض العصبي الوظيفي؛ فعلة العضو أيضاً ناتجة عن تشابك في الأسلاك العصبية الناقلة لا في الجهاز ذاته.

فالأمراض العصبية الوظيفية منشأها اضطراب في العصب ذاته أو أن العصب أو المراكز العصبية تلعب فيها دور الوسيط، لذلك سميت «نوير روزة» وهي مشتقة من كلمة «نويرون» يعني المادة العصبية، وقد يتكون «النويرون» من الخلية العصبية وامتداداتها، ولكل خلية عصبية جسم في داخله نواة ومادة عصبية خاصة «بطارية»، وقد تمتد من جسم الخلية فروع متعددة قصيرة تسمى «دندريتْ» أي فروع الخلية، والفرع الواحد الطويل فقد يسمى «نويرت» وهو العصب، إن هذه الفروع تؤمّن الإتصال بالخلايا العصبية المجاورة بالطبقة السنجابية في المخ، وقد تنقل التأثرات منها وإليها، وأما العصب فإنه يؤمن اتصال الخلية بالخارج وينقل التأثرات من الخارج إلى جسم الخلية أو من الخلية إلى خارجها، ويمكن تشبيه الخلية براحة الكف أصابعها هي الفروع، والساعد الممتد منها يشبه العصب، وتتكون الفروع والعصب من خيوط كأسلاك، كل خيط عصبي مغلف بغلاف عازل للكهرباء التي تجري فيه. فالخلية العصبية بتكوينها يمكن أن تتلقى إفرازات من الجسم كما يمكن أن تتلقاها من الطبقة السنجابية «الروح». والإفرازات عندما تصل إلى الخلية تصنّعه المواد الخام إلى آلات وأدوات وتصدِّره بواسطة العصب فيتصل بجميع أنحاء الجسم وأحشائه، وهذا التأثير المصنع قد يعود بدوران رجعي

فيستقر في أحد أعضاء الجسم أو أحشائه أو في الطبقة السنجابية في الدماغ بما فيها العقل الواعي والعقل الباطني، وفي بعض الظروف قد ينتج عن هذا الدوران الرجعي حلقة مليئة بالمحن الصحية، وهذه الظروف المواتية هي التي تكون فيها الخلية العصبية مصابة بسوء التغذية أو بخلل في عملية الإستقلاب، أو تكون مصابة بنقص في دورتها الدموية، وعلى كل حال، فإن الخلية قد تترك أثرها في الجسم والروح معاً إذا كانت في أحوال غير عادية، فتظهر أمراض عصبية وظيفية دون أن يحدث أي تبدل تشريحي، وهذا ما يميز المرض العصبي الوظيفي عن المرض العضوي، أما الأعراض فقد تكون واحدة في الحالتين، والمرض العصبي الوظيفي يكون في أحد أعضاء الجسم أو في النفس، فينجلي بظهور ضعف في الأعصاب أو فزع أو قلق أو أفكار متضاربة متلاحقة أو بما يسمى بالهستيريا، وكلا النوعين من الأمراض العصبية الوظيفية والتي منشأها من الجسم أو النفس، وهنا تتجلى لنا حقيقة منشأ الإنسان من وحدة لا تتجزأ عن الجسم والروح، فالإضطرابات الفكرية والمشاعر والإرادة والمجتمع والعقيدة إلى غير ذلك من أعمال الدماغ الداخلية يمكن أن ينشأ عنها مرض عصبي وظيفي في أجزاء الجسم وأحشائه والعكس بالعكس، قد يصعب جداً تحديد منشأ المرض العصبي الوظيفي وتمييزه عن الجسم أو النفس، من أجل ذلك يجب معالجته معالجة جسمية ونفسية في آن واحد.

ونعود إلى الجهاز العصبي، فنوجز تفسيره بورشة كهربائية أو مبدّل هاتفي أو منظومة تلغرافية كبيرة، وعلى هذا الأساس تمثل الألياف العصبية أنسجة رقيقة دقيقة أشبه بخيوط العنكبوت، والحق إن الطاقة البيولوجية الحياتية داخل الأعصاب هي التي تدعم الحياة، وما اشبهها بأسلاك كهربائية تنقل الطاقة وتحول النبضات العصبية إلى سلسلة من الحلقات الكهربائية. وأن هناك شيئاً يتحكم في التفريعات الكهربائية التي تنقل النبضات العصبية إلى موجات مغناطيسية سالبة، والموجات المغناطيسية الموجبة بوظائف المنخرين الأيمن والأيسر على التوالي. على ضوء ما

أسلفنا يتجلى لنا أن الجهاز العصبي يسيطر على ثلاث وظائف كبرى في جسم الإنسان، وعلى جميع الحواس الخمس، وعلى الحركات الإرادية التي تقوم بتحريك الأعضاء، وبالتالي يسيطر على الأعمال الحيوية التي تحدث بداخل الجسم كنبضات القلب والحركة الدورية في الأمعاء والهضم وحركات التنفس وإفراز اللعاب والعرق والبول، فهو مسيطر على الجسم سواء إرادية أو غير إرادية بمعونة الملايين من الخلايا العصبية، فلو حدث أن لمست جسماً غريباً فإنه يتولد تيار حسي ينقله العصب الحسي إلى النخاع الشوكي ثم إلى المركز المختص في الدماغ الذي يدرك ماهية الشيء ثم يرسل أوامر عن طريق عصب حركي يمر على النخاع الشوكي ثم إلى العضلة ذاتها بأمرها بالتصرف بما توحي به الظروف. وقد نلاحظ أننا نقوم أحياناً بأعمال لا يتدخل فيها التفكير «الدماغ» فلو لمست جسماً حاراً فإنك فجأة دون تفكير - أي من غير أن يكون للإرادة علاقة بذلك - تجذب يدك، فقد نسمي هذه الحركة بالحركة المنعكسة، حيث يحدث تنبيه في بعض الأعصاب الحسية بالجلد، فينقل الإحساس إلى مركز عصبي حركي في النخاع الشوكي، وهذا أيضاً يحوِّل التيار الحسي إلى تيار حركي يعود في بعض الأعصاب الحركية إلى العضلات المتفرعة في اليد فتنقبض وتبعد. وعلى أي حال، فإن الدماغ هو المسؤول عن الحركات الإرادية والإحساس الشعوري؛ أما النخاع الشوكي فمسؤول عن الحركات المنعكسة التي تستلزم فيها السرعة فيعمل دون الحاجة إلى الدماغ.

الباب الثالث

الهالة

الروح

الفصل السادس والعشرون

الهالة

للإنسان هالة ـ أي جو أو طيف يحيط بجسمه، ويتحرك معه من غير أن يراه ـ إلاّ الذين وهبهم الله قوة الجلاء البصري أو الذين وصلوا إلى درجة عالية في دراسة الروحية، وهذا ليس غريباً، فالعلم الحديث أثبت وجود الهالة على كل جسم صلب أو سائل أو غاز أو صورة ضوئية قد يراها الإنسان أو لا يراها ولكن يمكن إثبات وجودها بالأجهزة العلمية كآلة التصوير مثلاً. إن «كلنر» أول من اخترع جهاز «الديكانينين» والذي أمكن بواسطته مشاهدة الإشعاعات الإنسانية المختلفة، كما أثبت العلم الحديث أن الإنسان له مجال مغناطيسي وكهربائي مثل ما للكرة الأرضية من مجال كهربائي ومغناطيسي. والطيف أو الهالة الإنسانية تنشأ عن المراتب السبع المختلفة التي يتكون منها جسم الإنسان، وهي المراتب التي اعتمدناها عن كتاب الفلسفة اليوجية لصاحبه «يوجي راماكاراكا» وهي: الجسم الأرضي ـ الأثيري ـ القوة الحيوية ـ العقل الغريزي ـ الإلهام ـ العقل الروحي ـ الروح ـ فبعضها يصدر عن الجسم الأرضي وبعضها عن الجسم النجمي، وهكذا. . . وتجدر الإشارة إلى عدم الخلط بين الهالة والمراتب، إذ أن إحداهما تنشأ عن الأخرى كما تنشأ الأشعة الضوئية عن الشمس أو الحرارية عن الموقد مثلاً. وقد تختلط الأطياف السبعة الصادرة عن المراتب السبع لتكوّن هالة تحيط بالإنسان، ومن هنا يمكن القول بأن الهالة هي من مجموع الأطياف السبعة مختلفة

وفي الذبذبة متداخلة مع بعضها كأمواج اللاسلكي في الفضاء، قد تشغل نفسها ولا تؤثر على بعضها، وقد يمكن رؤيتها منفصلة في كثير من الأحيان، وهي تمتد بمقدار نصف متر تقريباً عند الشخص العادي، وتزيد عن ذلك عند الشخص الموهوب.

الجسم الأرضي وهالته: جسم ظاهر لأعيننا، أقل الهياكل ذبذبة، قد ينحل عند الوفاة إلى خلايا ثم إلى ذرات عائدة للتراب إن أكثف الهالات الصادرة من الجسم يسمونها بهالة الصحة، لأنها تدل بالضبط على الحالة الصحية للشخص، وهي كغيرها من الهالات بيضوية الشكل، عديمة اللون أو بيضاء، شيئاً ما، مع ميل للزرقة، تشبه لون الماء إلى حد ما، تمتاز عن الهالات الأخرى بخطوط ضوئية مستقيمة رفيعة وكثيرة، تشبه الشعر فوق سطح الجسم، هذه الخطوط تكون منتصبة في حالة الصحة، ومنحنية أو مقوسة في حالة المرض، وذلك ناشيء عن نقص القوة الحيوية، وقد ذكر «كلنر» أن لها أشكالاً مختلفة حسب نوع المرض، فإذا كان الصرع تكون متضخمة جهة اليمين، وإذا كانت «الهستيريا» تكون كبيرة عند الظهر، والحامل تكون الهالة عندها ضخمة عند الثديين وأسفل البطن، وعند المعتوة يتغير لونها من الأزرق إلى الأشهب، وقد يقول «كلنر» أن هناك طريقة بسيطة تمكن من رؤية الهالة عند الإنسان، وذلك بالنظر إلى الجسم المضاء أمام ثوب أسود وبزاوية 30° وفي مستوى يعلو عينيه قليلاً من بعد 2 إلى 3 أمتار، فبعد تثبيت النظر محملقاً في الشخص لمدة كبيرة يمكنه أن يرى هالته. إن الشخص الذي أوتي حظاً بسيطاً من الروحية يمكنه رؤية هذه الهالة بوضوح، أما الذي له حظ أكبر في الروحية فإنه لا يراها واضحة بسبب رؤيته للهالات المختلفة المراتب كلها في وقت واحد، فتندمج في بعضها ويصعب تمييزها، فما عليه إلا أن يرفع بنفسه إلى درجة معينة من الذبذبة حتى يرى الهالة ذات الدرجة المماثلة؛ وكلما تقدم الإنسان في البحث الروحي كلما ازداد قدرة على الإطلاع على الهالات ذات الرتب الراقية، وهناك عدد من الناس يمكنهم رؤية المراتب الخمس، في حين لا يوجد إلا القليل من وصل إلى الإطلاع على المرتبة السادسة، أما المرتبة السابعة فلم يطلع على هالتها أحد ـ وهي الروح ـ.

إن الهالة الأرضية ليست صورة ضوئية وكفى بل هي مادية أيضاً، لكن ماديتها من نوع خفيف جداً ذات شفافية بحيث لا يراها الشخص العادي، ويمكننا أن نشبهها برائحة تبخرت من قارورة عطر فوصلت إلى الأنف، فتبخر السائل كان على هيئة مادة خفيفة غير مرئية أو هالة تسبح في الجو، على هذا النمط يكون الإنسان إذا جلس وفي مكان ثم تركه بقي جزءاً من هالته الأرضية لا يمكن للشخص العادي أن يراه لكن ثبت اكتشاف ذلك ببعض الآلات أو كما نلاحظ ذلك عند الكلاب البوليسية التي تشم جزءاً من الهالة فتهتدي إلى صاحبها المجرم.

الجسم الأثيري أو «النجمي» وهالته: جسم خفيف عن الجسم السابق، يطابقه في هيئته، وقد يمكن طرحه وفصله عن الجسم الأرضي بصفة مؤقتة أثناء النوم أو بالارادة، وفي هذه الحالة يظل متصلاً بالجسم الأرضي بواسطة حبل يدعى بالحبل الفضي، وقد أمكن لأصحاب الجلاء البصري رؤية هذا الجسم الأثيري، ولا يتم الفصل نهائياً إلا عند الوفاة، وقد يظل هذا الجسم موجوداً بعد الوفاة فترة من الزمن كما قد يراه بعض الناس أو الأهل أو الأصدقاء في الأماكن التي كان يرتادها، وقد ينتاب الرائي ذعر وخوف، ولربما لقبوه بالعفريت.

إن هذه الهالة أقل كثافة من الجسم الأرضي، وهي أشبه بالبخار في المظهر واللون، يصعب رؤيتها إذا كانت مختلطة بغيرها من الهالات، لكن في حالة الطرح كالنوم أو الغيبوبة أو الموت يمكن رؤيتها بوضوح خاصة عند الشخص الذي ليست له القدرة على رؤية غيرها من الحالات، وهي كسابقتها بيضوية الشكل، لونها برتقالي.

القوة الحيوية وهالتها: إنها طاقة تبعث الحياة في المادة، موجودة في كل كائن حي، وهي قوة طافية يستخدمها الضمير، تزول سيطرته عنها وقت الوفاة حيث تنطلق إلى مكان آخر فتظهر من جديد، وبهذا يمكن أن يقال بأنها غير قابلة للزوال.

وهذه الهالة أخف من الهالتين السابقتين، تشبه إلى حد ما في خواصها أشعة الكهرباء من نوع «إكس» فالذين لهم القدرة على رؤيتها يصفونها أنّها أشبه

بالسحابة البخارية في لون الشرارة الكهربائية وفي لون وردي بالقرب من الجسم، وقد ينعدم هذا اللون إذا ابتعدت عنه، كما أنهم يشاهدون جزئياتها تنصب من أصابع الشخص الموهوب أو الوسيط الذي يقوم بمهمة العلاج الروحي أو التنويم المغناطيسي، كما أن كل الناس يمكنهم أن يروا تلك الحالة على شكل هواء ساخن يرتفع في اهتزازات أو تموجات، وتعزى إلى هذه الشحنة الكهربائية في الهالة تلك الخطوط المستقيمة السابقة الذكر والتي تنتشر على سطحها كالشعر، فبعضها طويل وقد تكون شحنة سالبة، وبعضها قصير، وقد تكون شحنة موجبة، أما في حالة الصحة فإن الخطوط تكون منتصبة. أما وفي حالة المرض، فإن الخطوط السالبة تكون أطرافها منحنية كما تتصل بأطراف الخطوط الموجبة وتحاول أن تقفل الدائرة الكهربائية وعندئذٍ يقتم لون الهالة. ولكي نرجع هذا الشخص إلى حالته الصحية لا بد أن نجعل هذه الخطوط السالبة المنحنية الأطراف تستقيم كما كانت أولاً، ويمكن الوصول إلى ذلك باستخدام منبع كهربائي قوته حوالي450000 فولت يوصل إلى لوح معزول، يوضع فوق الجسم عند العمود الفقري، وفوق الضفيرة الشمسية، حيث يظن أن الشحنة السالبة تصدر من هناك، فتنكمش خطوطها، وبذلك يتعدل ويمتنع التفريغ الكهربائي، يتم على صورة عامة ويكون ذلك خلال القطبين الكهربائيين العامين للجسم، حيث توجد أقوى شحنة موجبة وأعظم شحنة سالبة، هذان القطبان موجودان في الرأس، فالموجب موضعه بين العينين في قرنة الحاجبين والسالب خلف الرقبة، وعندئذٍ ينفصل الجسم الأثيري عن الجسم الأرضي فينقطع الحبل الفضي تحدث معه الوفاة، وهذا هو السبب في أن ذوي الجلاء البصري يقولون أنهم يرون الجسم الأثيري يخرج من جسم الوسيط بين عينيه ويدخل في موضع خلف رقبته؛ إننا نلاحظ أن المعالج الروحي ـ أي الوسيط ـ يضحي بقوته الخاصة لإنقاذ المريض وذلك بتزويده بشرارات كهربائية على حسابه مما يسبب للوسيط ضعفاً.

لقد أثبت العلماء أن هذه الهالة تؤثر على الأشعة دون الحمراء فتجذبها

إليها، كما أنها تضعف عند الشيوخ، والجدير بالذكر أن المريض يجتذب شحنات من الصحيح الذي يجالسه. وقد قيل أن بنتاًاعتلت صحتها بسبب نوم إمها معها في الفراش لم تتماثل للشفاء حتى استقلت عن أمها، وقد يبدو أحياناً للزائر أنه غير مرتاح في جلوسه أمام شخص فينتحل أتْفه الأسباب للفرار منه، في حين أنه يرتاح لشخص آخر يتمنى دائماً مجالسته.

العقل الغريزي وهالته: إن العقل الغريزي يقابل العقل الشخصي أو الباطني، وهو مشاهد في النبات والحيوان على السواء، إلا أنه يأخذ في التدرج والتعقيد إذا ما ارتفعنا إلى سلم التطور، وقد نجده في الإنسان بدرجات متفاوتة، فمن الناس من تسيطر عليه هذه القوة ومنهم من يتحرر منها تحت قوة العقل الآخر أو الإلهام؛ والعقل الغريزي له مظاهر يُعرف في علم النفس بالغرائز، وقد سبق الحديث عنها في باب الغرائز.

كل الكائنات الحية ومنها الإنسان على اختلاف درجاته يخضع لهذه الغرائز بدرجات متفاوتة، إن العقل الغريزي عند الإنسان هو أحط مراتب العقل الإنساني وهو الذي يشده إلى الأرض فيهتم بالمال والطعام والشراب وزينة الحياة، إننا لا ننكر حاجة الإنسان ومطالبه التي لا غنى له عنها، لكنه يجب أن لا يكون ذلك فوق الكفاية، وإنما يجعلها منظاراً وسلاحاً للوصول إلى عالم أرقى.

إن العقل حينما يكون هادئاً تصدر عنه هالة ذات لون أحمر غامق، وقد يمكننا أخذ هذا اللون على أنه دلالة على العقل الفطري أو الغريزي، حيث أن الإنسان عند نومه يكون بعيداً عن المؤثرات العقلية التي تنتابه أثناء اليقظة وقد يكون نسبياً أقرب إلى الحيوان، وهذا اللون الأحمر الغامق يظل في حالة اليقظة ولكنه يتخفف إثر الألوان الفاتحة التي تسبب عن الأفكار أو الإنفعالات التي لا بد أن تحدث فتبعده قليلاً أو كثيراً عن العقل الغريزي، وكلما طرأ على الإنسان إنفعال أو شعور تغير اللون الأصلي إلى لون خاص أيضاً يقابل ذلك الإنفعال أو الشعور، فحالة الغضب مثلاً تثير الهالة إلى شعلة حمراء زاهية فوق أرضية سوداء بحيث

تغطي غيرها من الألوان، فتستمر الحالة مدة قصيرة أو طويلة حسب قوة الإنفعال، أما إذا هزت موجة الحب العقل فإن الهالة تكون في لون قرمزي وفي حين أن الشعور الديني يصبغ الهالة بلون أزرق، وهكذا يظل اللون ملازماً للشخص ملازمة التفكير المعين والدائم وهو برهان على أخلاق الشخص، في حين أن الألوان العابرة هي دلالة فقط على ما يعتريه من انفعالات أو أفكار عابرة، ومن هنا يمكننا أن نميز بين شخص منحط وآخر راقٍ، بالأول تكون هالته المستمرة ذات ألوان ثقيلة قاتمة تغطي عليها ألوان أخرى مختلفة في معظم الأحوال، أما الثاني فإن هالته المستمرة تكون ذات ألوان فاتحة أي أعلى تردداً وأكثر ظهوراً، إذ قلما تطغى عليها ألوان أخرى بحكم ما يتسم به من قوة عزيمة تؤهله أن يتحكم في انفعالاته الطارئة فلا يكون لها أي أثر. إن هذه الهالة تفضح صاحبها، إذ أن كل الكائنات في عالم الأثير لها القدرة على رؤية هذه الانفعالات كما نرى نحن الزهور ذات الألوان المختلفة.

الإلهام وهالته «الذكاء»: الإلهام يقابل العقل أو الواعي، وهذه المرتبة أرقى من المرتبة السابقة، وهي العقل الغريزي. وليس ثمة فاصل بين العقلين مثل لونين في الطيف الضوئي إلا أن أحدهما يمتد قليلاً أو كثيراً عن الآخر.

إنه كلما كانت نسبة الذكاء كبيرة كانت هالته صفراء ذهبية، وقد شوهد أن هذه الهالة تكون قريبة من رأس الإنسان وكتفيه. في حين أن الألوان الحيوانية الأصل تكون في الجزء الأسفل من الهالة.

العقل الروحي وهالته: وجود العقل ـ أي الإلهام ـ ليس دلالة على رقي الإنسان، حقاً قد يتغلب صاحبه على غرائزه ويخفيها، لكنه يستعملها بطريقة ملتوية، فالمكر والخداع مثلاً يوصلان إلى الهدف ذاته، وكلاهما يعتمد على الذكاء ـ أي استعمال العقل ـ ومن هنا نلاحظ أن بعض الناس وصلوا إلى المرتبة الخامسة «الإلهام» ولكنهم لم يستعملوها لخيرهم وخير المجموعة، بل للوصول إلى أهدافهم الغريزية الأولى، وبذلك فإنهم يتغلبون على إخوانهم المنحطين

بواسطة العقل فقط ـ أي الذين هم في المرتبة الرابعة ـ «العقل الغريزي» لذا وجب أن نبحث عن مرتبة أعلى من الذكاء السابق، بمعنى أن الإنسان الراقي هو الذي يستخدم ذكاءه في خير المجموعة، وهذه هي المرتبة التي نسميها العقل الروحي، إذ أن هذه التسمية تشعرنا بأن هناك قوة داخلية فوق العقل توجهه إلى الأعمال النبيلة التي تنطوي على الأمانة والرحمة والعدل والحب إلى غير ذلك، وعلى هذا يكون العقل الروحي هو عبارة عن إيحاء داخلي يدعو الإنسان إلى حب بني جنسه خالقه. وعلى هذا فإن الذكاء بمثابة مادة خام يمكن استغلاله في الخير والشر. أو لو اعتبرناه في حالة كهربائية متعادلة يكون إما سالباً عند خضوعه للغريزة أو موجباً عند خضوعه لنداء الروح. إن العقل الروحي هو مصدر الإلهام الذي يصيب الفنانين على اختلافهم من شعراء وكتاب وموسيقيين وغيرهم، وهو في متناول الجميع، إذ كل من يركز نفسه على المثل العليا ويترفع عن الأعمال الدنيا يمكنه التوصل إلى العقل الروحي الذي يوصله إلى الكون العلوي، وعلى حب درجة الصلاح أو الذبذبة العليا يمكنه أن يتصل بالمستوى المماثل له في الذبذبة.

فإذا كان الذكاء ـ العقل الروحي ـ موجهاً نحو الخير فإن هالته تظهر باللون الأصفر السابق الذكر وهذا اللون الأصفر البسيط قد يصحبه وميض يراه الأشخاص العاديون، ويكون محاطاً عند حافته بإطار من ظل خفيف مضيء ذي لون أزرق، وقد يكون هذا الإطار الأزرق عريضاً بحيث يكون أكبر من الهالة الصفراء ذاتها، وقد تظهر فيه نقطنجمية بيضاء لامعة مثل ما تتلألأ في السماء الصافية، في مثل هذه الأحوال يكون الشخص قد تقدم روحياً.

الروح وهالتها: هذه المرتبة السابقة في الإنسان هي القوة المجهولة التي نعرفها بمظاهرها الست السابقة فقط ﴿ويسألونك عن الروح، قل الروح من أمر ربي، وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ إن الروح هي أرقى شيء في عالمنا، وهي قطرة من المحيط الروحاني، وحبة رمل من الشواطيء اللانهائية، وقبس من نور الله جلت قدرته، إنها المرتبة التي توصل إلى ملكوت السماء حيث تقربنا إلى الله

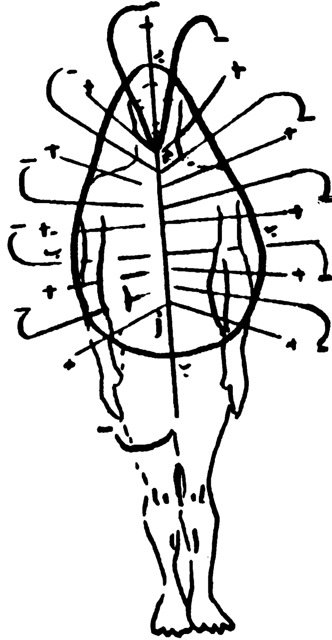
زلفى، إن هذا القبس النوراني المقدس الخالد جاء إلى هذه الأرض يوماً واكتسى بالطبقات الست السابقة الذكر. وظهر لنا على هيئته الأرضية في رداء من لحم ودم وعظم، وبعد مدة ما شاء الله يخلع عنه هذه الأردية راجعاً إلى الملكوت الذي جاء منه حيث ينضم إلى الشعلة الأبدية الكبرى.

إنه إذا قويت فينا هذه المرتبة العليا ـ أي الروح ـ أمكننا أن نتصل بالروح العظمى ونكتسب من صفاتها إذا ما سمونا بأنفسنا في هذه الحياة وذبنا في الحياة العليا، إنه إذا ما وصلنا إلى هذا أصبحنا جزءاً من الكون نشعر بما يجري فيه فنطلع على القوانين التي لا تدركها حواسنا الأرضية، إننا سنعرف أن هناك قوانين روحانية أقوى بكثير من القوانين الوضعية، إننا سنتعرف على قوى جديدة تلمع في ملكوت السماء غير تلك التي اعتدناها من قوة حرارة أو ضوء أو كهرباء، إننا سنكشف قوة أخرى كالأمانة والصدق والحب الإلهي وكل عمل صالح.

إنه لم يكن من اليسير مشاهدة هذه الهالة، ولكن كما قيل أنها ضوء أبيض نقي لم يتوصل العلم لحد الآن إلى معرفتها، وأن هذه الرؤيا مقصورة على مجموعة لا يمكننا أن ننسبها إلينا، بل هي إلى الملكوت الأعلى أقرب.

يتجلى لنا بوضوح أن الإنسان إذا أراد أن يضمن لنفسه منزلة حسنة في الطبقات الأثيرية العليا. أن يقوم بعملية تطهير، وأن يكبح جماح الغرائز، ويرتقي بسمو العقل والروح، وصدق عز وجل إذ يقول: ﴿قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها﴾. وقال ﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض، ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك، فقنا عذاب النار﴾.

الجسم الأرضي بداخله الجسم الأثيري مع خطوط الهالة الحيوية وقد انحنت السالبة للموجبة . مما يدل على اعتلال الجسم .



(شكل 12) .

الفصل السابع والعشرون

ألوان الهالة ومعانيها

قد تلعب الألوان دوراً في معرفة حقائق الإنسان.

- فالأسود يدل على الكراهية والحقد والثأر وما ماثله.
- والأشهب الفاتح يدل على الأنانية.
- والأشهب بلون الجسم يدل على الخوف والفزع.
- والأشهب القاتم يدل على الإنقباض ومرض الأعصاب.
- والأخضر الرديء يدل على الغيرة.
- والأخضر عليه شرر أحمر يدل على الغيرة الممزوجة بغضب.
- والأخضر الرصاصي يدل على الخديعة.
- والأخضر الزاهي يدل على التسامح والمرونة والأدب والمكر النظيف.
- والأحمر الدامي المدخن يدل على الشهوات الحيوانية.
- والأحمر القاني علـى هيئة ألسنة اللهب أو البرق يدل على الغضب.

وإذا كانت الأرضية سوداء يكون الغضب ناشئاً عن الحقد.

وإذا كانت الأرضية خضراء يكون الغضب ناشئاً عن الغيرة.

وإذا كانت الأرضية غير موجودة يكون الغضب ناشئاً عن الغيظ من الظلم.

- والقرمزي يدل على الحب، ودرجاته تتفاوت.

ما إذا كان لونه قاتماً دل على الحب الجنسي.

وإذا كان لونه فاتحاً دل على درجات أعلى من الحب.

وإذا كان لونه كالوردة كان الحب في الدرجة العليا.

- والأسمر المائل إلى الحمرة يدل على البخل والجشع.
- والبرتقالي الفاتح يدل على الكبرياء والطمع.
- والأصفر على اختلاف درجاته يدل على القوة العقلية.

فإذا كان الأصفر قاتماً دل على ذكاء متجه لأشياء منحطة.

وكلما أخذ الأصفر لون الخفة كلما ارتفعت درجة الذكاء.

- الأزرق القاتم يدل على الأفكار أو الشعور الديني.

وإذا تغيرت شدته من اللون النيلي إلى البنفسجي الجميل الذي هو أسمى المشاعر الدينية.

- الأزرق الفاتح ذي الظل المضيء الواضح يدل على الروحية خاصة إذا صحبته نقط بيضاء مضيئة كالنجوم.

وقد توجد ألوان أخرى بين الألوان السابقة كل واحد منها يدل على معنى، كما أن هناك ألواناً أخرى ليس لها أسماء حيث لا تقع في الطيف المنظور بل تقع في المنطقة غير المنظورة منه وإنما يثبت وجودها أجهزة مختلفة، وأول هذه الألوان يقع في منطقتين معروفتين الأولى تسمى فوق البنفسجية، والثانية تحت الحمراء، وهاتان المنطقتان يمكن للشخص الروحي أن يراهما.

إن هالة الشخص إذا كان بها إشعاع فوق البنفسجي دل على أن الشخص لم يستخدم ارتقاءه الروحي في الأعمال السفلية أو الذاتية، أما إذا كانت هالته بها إشعاع تحت الحمراء ولذلك على أن الشخص يستخدم ارتقاءه الروحي لمصالحه الذاتية والأعمال السفلية.

للهالة كما رأينا أهمية عظمى، فهي تدل في كل لحظة على صحة الإنسان ونوع أفكاره ومعتقداته، إنه بمجرد ما تعتريه نوبة أو تتغير أفكاره يتلون بلون جديد

يتجلى في الهالة، والهالة يراها ذو الجلاء البصري، فهي حقيقة لا مراء فيها، وأمكن تصويرها كما يصور الطبيب الأمراض ويشخصها بأشعة أكس، إن السيدة «كاتلين هولم» تمكنت بواسطة «السكوتجراف» أن تصور هالة مخ وسيط عندما كان مستغرقاً في تخيل صورة ذهنية، فقراءة الأفكار والصور العقلية أصبحت ميسورة التصوير. فالهالة يمكن اعتبارها سجلاً أثيرياً للشخص تكشف عن سلوك، إذ أنه بمجرد النظر إلى شكلها يمكن لذوي الجلاء البصري الحكم عليها، فما بالنا بالمخلوقات الأثيرية في العالم الآخر، لقد صدق عز وجل ﴿ وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم ﴾، والهالة مركزها حول الرأس كما أثبتت الصور والتجارب الروحية، ولعل هذا هو سر قوله تعالى: ﴿ وكل الزمناه طائره في عنقه وتخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً، إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾ فالإنسان بغد الوفاة يوهب حاسة الجلاء البصري فيمكنه رؤية الهالات المختلفة وضمنها هالته، والهالة كالتيار الكهربائي ومصباحه، يجب أن نغذيها غذاء روحياً جيداً وطعامه وشرابه ظاهراً، فالروحانيون يعترضون على الغذاء الثقيل مثل الدخان والخمر إلى غير ذلك لأن ذلك يؤخر إضاءة الهالة ويعمل على جذب الأرواح الشريرة، فعلى ضوء ما أسلفنا يظهر جلياً أن الجسم وسيلة ليست له أية قيمة في المستقبل وإن خلاصة الحياة تتركز في العقل والذكريات اللذيذة أو المؤلمة والنفس المطمئنة أو الشقية، فليفكر الإنسان في كل عمل يومي يقوم به ﴿ اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾.

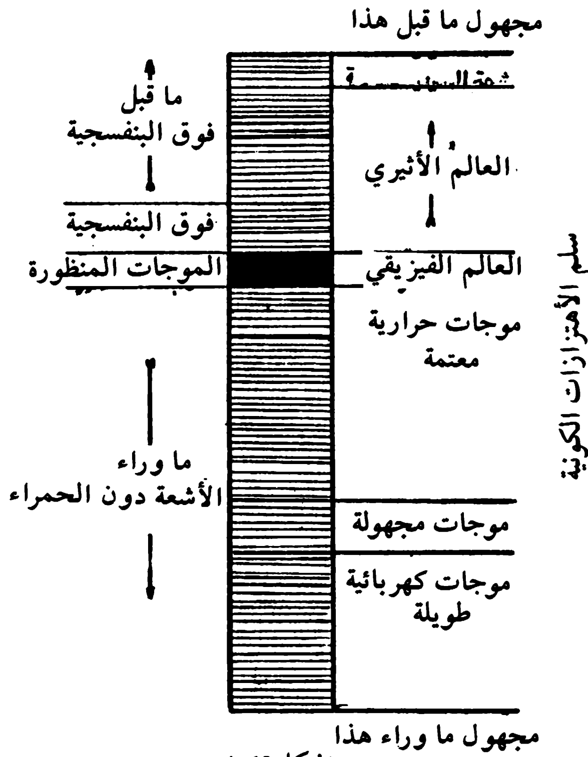
الفصل الثامن والعشرون

مكان عالم الروح

إن العلم الروحي وحده حدد عالم الأرواح، هذا العالم الذي لا زال الإنسان يجهل مكانه، وقد كان ولا زال البعض يعتقده في بعض الكواكب، ولكن هذا الرأي سقط أمام الروحيين، وأصبح الرأي يشير إلى الحياة الأثيرية التي لا يربطها بالرأي السابق سوى قدرة الروح على التنقل، إن الروح تتنقل في جنبات الأثير عبر مساحات شاسعة تتخطى حدود بعض الكواكب، وقد حدد المهتمون بهذا البحث مكان عالم الروح بأنه مجرد رتبة من رتب الإهتزاز الكوني الذي يحيط بنا من كل جانب دون شعورنا بذلك، لأن مداركنا الحسية هي أيضاً رتبة معينة من اهتزاز الكون لا نتعداها، بينما المدركات الروحية لها رتبة أخرى هي أيضاً لا تتعداها، وهذا ما يفسر أن عالم الروح ليس له مكان مجرد، بل إن مكانه اهتزازي. والإهتزاز حسب مفهومه العلمي خاصية عامة لكل درجة من درجات الوجود في الكون، والفارق الوحيد بينهما هو رتبة الاهتزاز، ويقول العالم «أوليفرلودج»: «إنني أحدد فكرة السكون هي فكرة خيالية حيث لا توجد قطعة من المادة ساكنة، بل كل مادة متحركة، والأثير هو صلة الوصل بين العقل والمادة، وقد يوجد جسم مادي وآخر أثيري وهما غير منفصلين، فعند استعمال كلمة «أثير» فقد أعني هذا الشيء الذي كان موضوع بحثي طيلة حياتي العلمية، وكل صفات الأثير التي وصلنا إليها تدل على أنه مادة كاملة». والأثير مادة لا يمكن الوصول

إليها من أجل ذلك أنكرها البعض، والصحيح أن هذه المادة تروغ من الحس إلى المادي وإليها يرجع أمر الكهرباء والمغناطيسية والضوء والجاذبية، وإلى هذا الأثير يعود فصل تماسك المادة، إن الأثير يقوم بأجل عمل.

وعالم الروح لا يرى ولا يسمع ولا يلمس - مع وجوده الحقيقي - لأنه أثير يتردد ويهتز بسرعة تتجاوز سرعة الضوء، إن الأثير وسط غير مادي يتغلغل في كافة الموجودات، وهو صلب جداً ومرن جداً في الوقت ذاته وكل الأجرام المكونة للكون تسبح في بحر الأثير، من أجل ذلك كانت دراسة الظواهر الضوئية والكهرمغناطيسية بصفة عامة تشمل حتماً دراسة للحركة بالنسبة للأثير الذي يقع في منطقة اهتزاز تتجاوز حتماً منطقة اهتزاز الأشعة السينية، لذا فهو يتخلل عالمنا ولا نشعر به لوقوعه في المنطقة العالية من الإهتزاز.



(شكل 13)

الفصل التاسع والعشرون

العلم الروحي

العلم الروحي له أسس مستمدة من تجارب تقبل الخضوع للنقاش العلمي من أجل الحكم له أو عليه، لقد عبر عن ذلك النائب البريطاني «جورج جرز» في خطابه لجمعية «ماريلبون» الروحية بقوله: «ليس من حقنا أن نصف بأننا أصحاب دين قائم بذاته، ذلك لأن معظم الديانات الكبرى بدأت بظهور معلمين لها يرسمون للناس سبل الحياة. ولكننا لا نكاد نرى شيئاً من ذلك في الروحية، فليست لنا فلسفة جديدة، وكل ما عندنا هو حركة كشف القناع عن براهين جديدة لتلك الحقائق التي ثبتت قديماً. فالروحية على ذلك امتداد لمعرفتنا بالله.

إن كل المعتقدات تقوم على الإيمان بينما البحث الروحي لا يقوم على أي إيمان مفروض ولا إلى الانضمام إلى عقيدة معينة، فهو فقط مجرد بحث علمي محض، ولو أصبح عند البعض أسلوباً من أساليب الحياة القائمة على الإقناع بثبوت الحياة بعد الموت وبإمكان الإتصال بأرواح تسكن عالماً غير عالم المادة. ثم من ناحية هو علم بين العلوم الأخرى وإن كان يتعذر اعتباره فرعاً معيناً من علم معين رغم أنه وثيق الصلة بمجموعة من العلوم، فمثلاً له صلة بالفيزياء من نواحٍ عدة مثل اتصاله بنظرية الإهتزاز والأمواج والأثير ونظرية النسبية وبحقائق الطاقة والمادة وبمعنى الزمان والمكان بالإضافة إلى صلته بالمجالات المغناطيسية

والكهربائية . كما هو على صلة بالسيكولوجيا وبفرع الباراسيكولوجي بوجه خاص، وقد يعد الوسيلة العلمية لدراسة كل الظواهر الوساطية والتخاطر والإستشفاف والتجسد وتقصي أثر الإنسان في الزمان والمكان والطرح الروحي والتنبؤ بالمستقبل والغيبوبة الوساطية، فضلاً عن اتصاله بموضوعات التنويم المغناطيسي وبنظريات العقل والتحليل النفسي والعلاج الإيحائي. كما هو على اتصال بالفسيولوجيا - علم وظائف الأعضاء - من ناحية انبعاث مادة «الأكتوبلازم» وعودتها للجسد وطبيعتها للجسد وطبيعتها والظواهر الفيزيقية وما يتصل بها من تجسدات جزئية أو كلية بالإضافة إلى دراسة كوامن البشرة الكهربائية. وبعلم الأحياء «البيولوجيا» له صلة به إلى حد أن بعض العلماء اعتبروه من صميم موضوعاتها، لأن الروح من خصائص الأحياء دون غيرها وقد تتجلى الصلة بالمجالات الحية الذاتية التي تعين بطبيعتها الفطرية تكوين الكائنات الحية ووظائفها، والتي ثبتت أن دراستها تصل مباشرة إلى إقرار الرأي القائل بخلود النفس البشرية عن طريق عدم فناء وعيها. ولعل أقوى رابطة بينه وبين علوم السيكولوجيا والفسيولوجيا والبيولوجيا دراسة الجسد الأثيري - أي اللامادي - للإنسان حيث أن هذا الجسد هو الذي يحمل عقل الإنسان الذي اصطلحوا عليه بالواعي وهو يعمل عن طريق المخ، ومن وراثة الآخر وهو الفوق واعي الذي يعمل من طريق غير المخ، والذي يمثل الجذر الدفين، وهو الذي يمثل مشاعر الإنسان وعواطفه وغرائزه ويتحكم فيها، وهو من هذه الزاوية يتبع النفس بمفهومه التقليدي، وفي الوقت ذاته نجد هذا الجسد الأثيري هو الذي يتحكم في وظائف الأعضاء وإفرازات الغدد الصماء وغير الصماء ودورة الدم وحركة التنفس، وهو من هذه الزاوية يتبع علم الفسيولوجيا. وهو الذي يهب الحياة للجسد المادي ويمسك لذراته ويوجهه نحو النمو إلى أن يسلمه من جديد نحو الميلاد الجديد، فهو من هذه الزاوية يتبع البيولوجيا - علم الأحياء - ثم بالتالي يصدق على دراسة الصلة بين المخ والعقل في الإتصال والانفصال جزئياً أو كلياً، إذن هو مشترك بين السيكولوجيا والفسيولوجيا والبيولوجيا، ومن ثم أدت إلى اقناع عدد عديد من

العلماء بحقيقة الروح وعالمها عن طريق الإقتناع بعدم الارتبا ط بين المخ والعقل وبالتالي بين المخ والحياة نفسها وبين الإحساس وأعضاء الإحساس ، فالدراسات المحايدة في هذه الموضوعات العويصة لعبت بجانب الظواهر الوساطية دوراً في إقامة دعائم هذا العلم على أسس علمية جلية قبلتها أذهان العلماء الباحثين . كما يبدو أن هذا العلم له صلة بعلم الفلك بالنسبة للفضاء الكوني واحتمال تعدد العوالم وغيرها ، وبالطب ارتبط أيضاً من ناحية العلاج الروحي . كما ارتبط بعلم الكيمياء من ناحية بعض التحاليل . بالإضافة إلى التحقيق في قيمة بعض الرسائل الروحية التي كثيراً ما ترتبط ارتباطاً خاصاً بالأدب والتاريخ واللغات المختلفة . كما له صلة بعلم الأخلاق من حيث اتصاله بالمباديء الخلقية وقانونها بما في ذلك تحديد ماهيتها وآثارها . كما تبدو صلته بالعقائد المقارنة من ناحية الثواب والعقاب والخلود وكل ما يتصل فيها بموضوع الروح . وبالتالي على صلة بعلم ما وراء الطبيعة وبفلسفاته .

إنه يتضح لنا من مجموع هذه الصلات كيف أن البحوث الروحية مهما جرت على نمط علمي منظم كان لها كل خصائص العلم القائم بذاته ، وهذا ما دفع بعض الجامعات في العالم إلى إنشاء كرسي أستاذية للبحث في فروع هذا العلم ، كما دفعها إلى إنشاء معامل معدة لتحقيق الظواهر الوساطية ، وقد يشترك في بحثها إلى جانب العالم الروحي عدد من الإختصاصيين تتفاوت نوعاً وكماً حسب نوع الظواهر منها الفسيولوجي والسيكولوجي والطبيب والكيميائي واختصاصي الرسومات الدماغية وخبير التصوير بما فوق البنفسجية وتحت الحمراء إلى غير ذلك .

يبرز أن الإرتباط المتبين بين موضوعات علم الروح وبعض العلوم الأخرى هو الذي فرض البحث الروحي وجعله قائماً بذاته تقريباً ، وسنبحث بشيء من التفصيل عن مواقف بعض الأعلام الفلاسفة والماديين وعلماء النفس وما وراء النفس .

الفصل الثلاثون

وقفة عند بعض الفلاسفة في العلم الروحي

«هنري برجوسون» 1859 - 1941 :

يعد من غير شك أعظم فلاسفة القرن الحالي، وأعظم فيلسوف فرنسي منذ ديكارت، بحث الظواهر الوساطية على عدد عديد من الوسطاء في باريس، واختير رئيساً لجمعية البحث الروحي «س ـ ب ـ ر» في لندن سنة 1913 وهي أكبر أكاديمية للبحث على نطاق دولي، لأنها تضم لفيفاً من كبار العلماء التابعين لدول مختلفة، إنه من الواضح أن «برجوسون» لا يقبل أحد أن يدافع عن فلسفته رغم خطورتها البالغة ما لم يلائم بينها وبين آرائه السيكولوجية العميقة عن النفس والعقل، لقد راح يزيح الستار عن الأفكار المادية المعترضة على البحث الروحي والساخرة منها ويواجهها وجهاً لوجه، وقد أخذ يوفق بين الروحية ببحوثه الفلسفية ويشيد عليها آراءه وينكر قيمة المعرفة المادية في استنكارها أسرار الحياة، فهو يقول: «نحن هنا إزاء إحساس بالنفس وهي تنبض بالحياة، إننا نتتبع النفس في تموجات حركاتها وتدفق حالتها، نحن هنا أمام نمط من التجربة المباشرة له صبغة كلية شاملة للوجدان فيها الغلبة للعقل، إن كل من يتأمل نفسه متحرراً من التحليل مستغنياً عن وسائل العلم المألوفة يمكنه أن ينطلق على الوجود المطلق الذي نجده في أنفسنا كما نجده في جميع الأشياء، والحدس ليس بمثابه امتلاك المرء لوجدانه فحسب، وإنما هو أيضاً تعاطف عقلي يفتح لنا مغاليق الموجودات الأخرى مثلما

يكشف لنا عن مكنون أنفسنا» كما يرى في شأن «التطور الخالق» إن المبادىء الآلية التي يقابلها الإنسان عند «لامارك» و «داروين» و «سبنسي» تعجز عجزاً تاماً عن تفسير التطور في العالم الآن، إذ أن هؤلاء انحصر همهم في بحث المادة ولم ينفذوا إلى جوهر التطور الذي هو ـ في نظره ـ عبارة عن وثبة حية أشبه ما تكون بانطلاق الحياة وتدفقها، وقد يستطرد قائلاً: «من الواجب أن تقتنص الفلسفة الضروب الشاردة من الحدس والتي لا تضيء إلا على مسافات بعيدة لكي تدعمها أولاً، ثم لكي تمد في أجلها وتوقف تبعاً لذلك فيما بينها، وكلما تقدمت الفلسفة في هذا العمل أدركت أن الحدث هو الروح نفسها، وأنه الحياة نفسها بالمعنى العام، أما العقل فإنه يقتطع من هذه الروح بعمليةتحاكي العملية التي أدت إلى نشأة المادة، وهكذا تظهر وحدة الحياة العقلية، فلا يمكن التعرف على هذه الحياة إلا إذا نظرنا إليها من وجهة نظر الحدس لكي ننتقل منه إلى العقل، ذلك لأنه لا يمكن أن ننتقل أبداً من العقل إلى الحدس. وعلى هذا النحو تقودنا الفلسفة إلى الحياة الروحية، وهي تكشف لنا في الوقت ذاته عن الصلة بين حياة الروح وحياة الجسد. إن الخطأ الكبير الذي وقعت فيه المذاهب الروحية، إنما يرجع إلى أنها كانت تعتقد أنها إذا فصلت الحياة الروحية عن كل ما عداها، وإذا ما علقتها في أعلى درجة ممكنة من الفضاء فوق الأرض فإنها تجعلها بمأمن من كل اعتداء متناسية أنها تنتهي بكل بساطة إلى جعل تلك الحياة تبدو في نظر المرء بمظهر السراب. نعم، لقد كانت هذه المذاهب على حق في استماعها إلى الشعور عندما كان الشعور يؤكد الحرية الإنسانية، لكن العقل ما زال موجوداً هنا ليقول إن السبب يحدد نتيجته، وإن المثل شرط في وجود المثل، وإن كل شيء معاد وإن كل شيء موجود من قبل. وقد كانت المذاهب على حق عندما آمنت بوجود شخصية فردية مطلقة، وباستقلال الفرد تجاه المادة، لكن العلم مائل هنا ليبين لنا التضامن بين الحياة الشعورية والحياة العصبية. وقد كانت هذه المذاهب على حق عندما نسبت إلى الإنسان مكاناً ممتازاً في الطبيعة، وقالت بأن المسافة التي تفصل الإنسان عن الحيوان مسافة لا نهاية لها، غير أن تاريخ الحياة يأتي هنا ليعرض علينا نشأة الأنواع

بطريق التحول التدريجي، ويبدو أنه يدمج الإنسان بمعزل عن الطريقة في السلسلة الحيوانية، وإذا نادت إحدى الغرائز القوية بإمكان خلود النفس كانت تلك المذاهب الروحية على حق عندما لم تصم آذانها عن سماع صوت هذه الغريزة، ولكن إذا وجدت نفوس تستطيع البقاء في حياة مستقلة، فمن أين جاءت؟ ومتى وكيف؟ ولماذا تتطرق إلى هذا الجسم الذي نراه تحت أعيننا، والذي يصدر بطريقة طبيعية جداً من خلية مشتركة انحدرت من جسم والديه؟ إن جميع هذه الأسئلة ستظل معلقة دون جواب وستكون فلسفة الحدس إنكاراً للعلم، وسوف يكتسحها العلم بطريقة إن آجلاً أو عاجلاً إذا هي لم تعقد العزم على النظر إلى حياة الجسم حيثما وجدت هذه الحياة حقيقية، أي في الطريق الذي يقود إلى حياة الروح، لكنها لن تعبأ في عزمها هذا بتلك الكائنات الحية المحددة، فإن الحياة بأسرها ابتداء من الدفعة المبدئيةالتي قذفت بها في العالم، سوف تبدو لتلك الفلسفة كما لو كانت موجة صاعدة تعترضها في طريقها حركة المادة الهابطة.

إن «برجسون» انتهى إلى تأسيس التطور على أسس عقلية مختلفة تماماً عن أسس الآلية التي كان يقول بها التطوريون الماديون، لقد أسس عقلية استمدها إنطلاقاً من إيمانه بالروح عن طريق تجارب معملية، ومن تسليمه بأن حياة النفس الإنسانية عبارة عن ديمومة وصيرورة، فالروح من معدن غير معدن المادة، لأنها صاعدة حرة والمادة هابطة مقيدة، ولذا كانت الروح في هذا التطور الخالق هي أصل المادة ولم تكن المادة أصل الروح. فالعين لم تكن هي أصل النظر، بل النظر أصل العين، والعضو بوجه عام ليس أصل الوظيفة. بل الوظيفة كيفما كان نوعها أصل العضو. إن «برجسون» يتفق في جملته وتفاصيله مع الروحية التجريبية ولا يتفق مع غيرها. لقد ينتهي بصراحة إلى قوله: «إذا كانت الحياة النفسية كما حاولنا أن نبرهن على ذلك تتجاوز الحياة الدماغية، وكان الدماغ لا يزيد عن أن يعبر بحركات عن جزء صغير مما يجري في الشعور، فإن البقاء يصبح عندئذٍ معقولاً جداً بحيث يقع واجب البرهان بعدئذٍ على عاتق من ينكر لا على عاتق من يدعي».

إن «برجسون» أكد في فلسفته عن الخلود، وإن تحقيقها بالأسانيد العلمية ليس بعيداً عن متناول الدراسات الروحية.

«وليام جيمس»1842 - 1910 :

موقف عالم النفس الشهير الفيلسوف الأميركي «جيمس»، موقف يواكب موقف «برجسون»، فمن نتائج بحوثه الروحية التي كانت حاجزاً لتسليمه التام بوجود عالم الروح وبتأثيره الذي لا ينقطع في عالم المادة، لقد انضم هو أيضاً إلى جمعية البحث الروحي بلندن «س ـ ب ـ ر» وقد يحمل معه وفاء الدفاع عن نتائج بحوثها إلى أن أسس لها فرعاً أميركياً أسس على نتائج أبحاثها فلسفة روحية مرتبطة بطابع الواقعية الفكرية التي كان يمثلها أصدق تمثيل. وضمن هذه الفلسفة الروحية إثبات العقل المجرد وإنكار ما ذهب إليه بعض علماء الفسيولوجيا والسيكولوجيا من أن العقل من عمل المخ. بالمخ عند «جيمس» كما عند «برجسون» و «رينيه» و «كلود برنار» و «مكدوجال» و «هانز دريش» و «راين» وغيرهم ـ ممن سلموا بوجود عالم الروح ـ جهاز العقل فحسب، لا مصدره، لذا كانت ظواهر العقل في الإنسان غير ظواهر الغرائز في الكائنات السفلى، وكانت ظواهر المادة عند «وليام جيمس» غير ظواهر الحياة. وهو يقترب إلى حد ما من فلسفة «برجسون» وشيد آراءه على تجارب علمية بحيث أن «جيمس» لا يفوته من أن يتحقق من صحة الأفكار إذ يقول: «يجب أن نتحقق من صحة الأفكار كما نتحقق من صحة الأوراق المالية وإلا كان مصير أفكارنا الإنهيار كما ينهار نظام مالي» إن «جيمس» أقام الأدلة الموفورة على وجوب الإيمان بالله تعالى وعلى أن العقائد الدينية لا ترضى ميولنا الوجداني فحسب بل عقلنا ومنطقنا أيضاً، وقد يقول: «إن للإيمان بالله مكاناً طبيعياً في نفوسنا، فتبقى النفس مضطربة وثائرة حتى تصل إليه وتدركه، وحينئذٍ تمتليء هدوءا وطمأنينة، وفي يقيني أن حياة التدين خير من جميع أنواع الحياة الأخرى في هذه الدنيا وفي غيرها، فهي تقتل روح التشاؤم وتملأ النفس ثقة وأملاً، وهي التي تجعل الجهاد في الحياة حلو المذاق، وهي التي تجعل هذا العالم عالماً

يستحق أن يعيش فيه الإنسان» وقد يزيد «جيمس» قائلاً: «إننا مضطرون لأن نعتبر أن الإله هو الموضوع الطبيعي للإعتقاد العقلي، لأن كل نظرية تؤدي إلى موضع أقلّ من الإله لا يمكن أن ترضي المنطق أو تشبع العقل إذا أخذت كلمة المنطق بمعناها الكامل ووضعها الصحيح، بينما أن كل نظرية تذهب أبعد من الإله تكون أمراً محالاً في نظر العقل، لأن المذاهب المادية ومذاهب الشك وكل ما هو أقل من مذهب التأليه غير مقبولة عقلاً، لأنها ليست بواعث كافية وليست ملائمة لطبيعة الإنسان العملية. ويكفي المرء أن يعلم أنه نفسه موجود، وأنه يحتاج إلى الإله، وأن هناك وراء هذا العالم إلهاً أزلياً أبدياً، وأنه يسمع نداءه واستغاثته، وفي الإيمان تلك الحقائق التجريبية من غير تفلسف أو نظر في مباحث الوجود، ومن غير فيض ميتافيزيقي أو خلقي ليبررها أو ليجعلها مستساغة لدى العقل، وفي السعادة الناشئة عن مجرد الإعتراف بها موجودة، توجد طمأنينة المرء وقوته التي يرغب فيها، وتتفتح له أبواب طوفان الحياة على مصراعيها فتمر منها التيارات بقوة وبشدة» وانتهى «جيمس» بتسليم وجود عالم الغيب قائلاً: «قد افترضت أن عقيدتنا في عالم الغيب هي التي تلهمنا وتبعث فينا هذا الصبر، وتلك المحاولات التي تجعل عالم الشهادة عالماً صالحاً لأن يعيش فيه الرجل الخلقي، فعقيدتنا أن هذا النظام المشاهد خير وحسن ـ وللخيرية هنا من معنى الاصلاحية والمناسبة لحياة ناجحة خلقياً ودينياً ـ عقيدتنا هذه تبرهن على صحة نفسها من حيث أنها معتمدة على اعتقادنا في عالم الغيب».

«كامي فلاماريون» توفي 1925 :

عالم فلكي كبير، وفيلسوف من أبرز فلاسفة عصره، انتقل إلى عالم الروح سنة 1925 ، دافع عن الروحية إلى آخر رمق من حياته أسهم فيها بعدد من مؤلفاته منها «الموت وغامضه» و «المنازل المسكونة» و «المجهول والمشكلات الروحية» و «قوى الطبيعة المجهولة» إلى غير ذلك، كلها روائع فلسفية في العلم الطبيعي وما وراء الطبيعي. وسننصت إليه وهو يقدم مؤلفه «الموت وغامضه»

قائلاً: «لقد قررت أن أقدم اليوم لاهتمام الأشخاص المفكرين مؤلفاً بدأته منذ أكثر من نصف قرن، ومع ذلك فأنا غير راض تماماً، فإن الأسلوب العلمي التجريبي. هو الوحيد الذي يصلح للبحث عن الحقيقة، له مطالبه التي لا يمكن ولا نقدر أن نروغ منها، والمشكلة الكبرى التي تعرض لها هذا البحث هي أكثر المشكلات تعقيداً، وتمثل بالنسبة للتكوين العام للكون، كما تمثل للتكوين العام للكائن الإنساني، ما يمثله الجزء الصغير في الكون العظيم. لقد بدأت هذه الدراسة التي لا تنتهي منذ سن الشباب، لأنه في هذه السن لا يشك الإنسان في شيء، ولأنه يجد أمامه حياة طويلة مستقيمة، ولكن هذه الحياة تمر مهما كان طولها كحلم له أضواؤه وله ظله، وإذا كان بمقدورنا أن نكوّن أمنية ما خلال هذا الوجود فهي أن نكون قد خدمنا بصورة ما التقدم البطيء، ولو أنه حقيقي للإنسانية، هذا الجنس العجيب الذي يجمع بين سرعة التصديق والتشكك، وبين عدم الإكتراث وحب الإستطلاع، والطيبة والشر والفضيلة والجريمة، هذا الجنس غير المتناسق والجاهل في مجموعه، والذي خرج منطلقاً من إسار أصله الحيواني. والإنسان، هذه الذرة المفكرة التي تحملها ذرة مادية عبر السدم الشاسعة، يمكنه أن يسأل نفسه عما إذا كان تافهاً بالروح بمقدار تفاهته بالجسد، وعما إذا كان لقانون التطور أن يرتفع به في صعود لا نهائي، وعما إذا كان يوجد نظام لعالم خلقي مترابط في تناسق مع العالم المادي، أليست الروح أسمى من مادة؟ وما هي طبيعتنا الحقيقية؟ وما هو مصيرنا في المستقبل؟ وهل نحن لسنا إلا شعاعات عابرة تومض لحظة كيما تنطفيء نهائياً؟ وهلا نرى أبداً أولئك الذين أحببناهم، والذين سبقونا إلى العالم الآخر؟ وهل انفصالنا عنهم أبدي؟ وهل يموت فينا كل شيء؟ وإذا كان يتبقى فينا شيء، فما مصير هذا الشيء الذي لا يوزن ولا يرى ولا يخضع للحواس، ولكنه مع ذلك واع ويكوّن شخصيتنا الدائمة، وهل سيبقى بعد الموت لأمد طويل؟ وهل سيبقى بعد الموت للأبد؟. أن نكون أو لا نكون؟ هذا السؤال العظيم الذي وضعه الفلاسفة والمفكرون والباحثون في جميع العصور وجميع العقائد، هل الموت نهاية أم هو تحول؟ وهل توجد أدلة وبيانات على حياة الكائن الإنساني بعد انهيار

أعضائه الحية؟ ولغاية هذه الأيام ظل هذا الموضوع خارج إطار المشاهدات العلمية، فهل من الجائز أن نتناوله بمبادىء الأسلوب التجريبي الذي تدين له الإنسانية بكل التقدم الذي أحرزته العلوم؟ وهل تكون المجادلة منطقية؟ ألسنا إزاء أسرار عالم غير منظور مختلف عن هذا العالم الذي يخضع لحواسنا، ولا يمكن اختراقه بأساليبنا في التحقيق الوضعي؟ ألا يصح أن يحاول الإنسان أن يبحث فيما إذا كانت هناك وقائع معينة، متى خضعت للملاحظة الصحيحة الأمينة يمكن أن تقبل التحليل العلمي، وتقبل بوصفها حقائق عن طريق أشد صور النقد صرامة؟ فنحن لا نريد بعد مجرد عبارات، ولا «ما وراء الطبيعة» بل وقائع وحقائق. والأمر متعلق بمصيرنا، بقدرتنا، بمستقبلنا الشخصي، بوجودنا. وليس هو وحده العقل الفاتر الذي يتساءل، ولا الروح وحدها، بل أيضاً هو الإحساس وهو القلب، وإنه لمن التفاهة الصبيانية وحب الظهور أن يخرج الإنسان إلى خشبة المسرح، ولكن قد يكون الإمتناع عن ذلك صعباً أحياناً، وبما أن ذلك يجري بوجه خاص لمواجهة آلام القلوب الكسيرة، التي لأجلها تابعت هذه البحوث المضنية، فإنه يبدو لي أن التقديم المنطقي أكثر من غيره، لهذا ينبغي أن يصدر من بعض الأسرار التي لا تحصى والتي حصلت عليها منذ نصف قرن للوصول في لهفة إلى حل هذا اللغز...».

وبروح مثابرة وناقدة يستعرض بحوثه في الظواهر المتصلة بخلود الروح وصحتها، وصحة الظواهر الوساطية والصلاة بين الأحياء على الأرض وأحياء الأثير، ثم يختتم عباراته الصريحة قائلاً: «لقد فكرت في أن أنهي هذا المؤلف المضني، ولكن عدداً من القراء يطالبني كيلا أتجاهل الوقائع الهامة التي بعد أن جمعتها كان عليَّ أن أستبعدها من هذا الكتاب أثناء طباعته لكي أخفف من طوله. ومنها ظهور أشباح الموتى بجانب أسرة المتحضرين، والصور الفوتوغرافية الثابتة للأشباح، وظواهر المنازل المسكونة، والأشباح، والظواهر الواردة في التاريخ المقدس منذ عهد صموئيل إلى عهد المسيح، وكذلك في التاريخ العادي، وتعدد

وجود الروح بحسب وجهة النظر الفلكية. بالإضافة إلى ذلك فيما يتعلق بالظواهر وراء الروحية والوثائق، والإتصالات التي تصلني يومياً بغير انقطاع من جميع أركان العالم، إن هذه الوقائع أكثر بكثير مما يظن الانسان عادة، ففي كل مرة يتحدث فيها إنسان سيجد أن بين مستمعيه من يعرفون وقائع مماثلة».

الفصل الواحد والثلاثون

وقفة عند بعض علماء المادة في العلم الروحي

«أوليفر لودج»:

«السير أوليفر لودج» عالم كبير الشأن في الأثير واللاسلكي، واصل بحثه أزيد من خمس وعشرين سنة خرج بعدها بصحة الخلود بعد أن ربط بين معارفه في الأثير والفضاء الكوني والمادة والطاقة، وبين ما أسفرت عنه تجاربه مع بعض الوسطاء، وهو أحد الأعضاء المؤسسين «لجمعية البحث الروحي» بلندن سنة 1882 واختير رئيساً لها منذ سنة 1901 إلى 1903 ، وكتب مؤلفه تحت عنوان «حياة الإنسان بعد الموت» سنة 1909 وقام بعدة محاضرات في خلود الروح وإثبات الإتصال بها، فهو يقول في الفصل الأخير من الكتاب «إننا نكتشف أن أصدقاء موتى من بينهم عدد ممن كانوا معروفين لنا جيداً وساهموا بدور إيجابي في أعمال «جمعية البحث الروحي» أثناء حياتهم، خصوصاً منهج «جيرني» و «مايرز» و «هودجسون» يزعمون على الدوام أنهم متصلون بنا يدفعهم قصد مستقر تماماً على أن يثبتوا شخصياتهم بعد الموت في أناة، وهم يعطوننا مراسلات متبادلة عن طريق وسطاء متعددين، كما نكتشف أنهم يجيبون أيضاً على أسئلة محددة بطريقة مميزة لشخصياتهم المعروفة، وتكشف عن معلومات كانت خاصة بهم. وإني أقدم هذا الإقرار لا بسهولة ولا قبل الأوان، فبالرغم من محادثات طويلة مع تلك الكائنات التي تزعم أنها تمثل الذكاء الذي تبقى بعد موت أولئك الأصدقاء

والباحثين، فإننا لم نقتنع بشخصياتهم - على أي وجه كان الإقتناع - عن طريق مجرد محادثة عامة. حتى ولو كانت ذات صيغة ودية وشخصية، كتلك التي تكفي لإقناعنا في المعتاد، وبغير تردد ممكن، بشخصية الأصدقاء الذين نحادثهم في التليفون مثلاً، أو يكاتبوننا عن طريق خطابات الآلة الكاتبة، بل طلبنا منهم دليلاً محدداً لا يمكن دحضه، دليلاً صعباً في تصوره بقدر ما هو صعب في تقديمه. ويدرك المراسلون الظاهرون من الأرواح بقدر ما ندرك نحن ضرورة هذا الدليل، وقد بذلوا غاية ما في وسعهم لإرضاء مطلبنا المعقول هذا، ويعتقد البعض منا أنهم قد نجحوا فعلاً في تقديم هذا الدليل، حين لا يزال البعض الآخر منا متشككاً. إن الحاجز بين الحالتين المعروفة وغير المعروفة لا يزال سميكاً، ولكنه قد رق في بضعة مواضع، وإننا وسط هدير المياه والصخب الآتي من ألف مصدر آخر نعمل كعمال يحفرون نفقاً من طرفيه، ونحاول من آن لآخر أن نستمع إلى طرقات معاول زملائنا الذين يعملون في الجانب الآخر، وعندما نخرج من نفقنا إلى ضوء النهار نبلغ ما سمعناه إلى عالم متشكك منهمك. وأحياناً سريع التصديق أكثر مما ينبغي، ولا نأمل أن يصدقنا الناس، ولا نعدم من يقول لنا إن أخبارنا ليست طازجة، وإن المسالك إلى الجانب الآخر من الجبل موجودة منذ القدم، وإن النفق الذي شيدناه ألفيناه عديم الجدوى، نحن لا نعلن نبأ غير مألوف، ولا سبيلاً جديداً للاتصال، ولكننا نعلن فحسب مجموعة الأدلة لإثبات الشخصية التي أقيمت بعناية وبوسائل متقدمة وإن كانت قديمة، أدلة أكثر صواباً، وربما أقرب إلى الكمال من الأدلة التي تم الحصول عليها حتى الآن. وأنا أقول أدلة أقيمت بعناية، لأن البراعة التي تم بها إعدادها متوافرة لدى عقول الجانب الآخر من الحاجز بقدر ما هي متوافرة لدى هذا الجانب. فقد جرى البحث في جو من التعاون الواضح بين أولئك الذين لا يزالون في المادة وأولئك الذين ليسوا فيها. فمن حقنا أن نعلن - إن لم يكفك قرار نهائي فهو الأقل كنظرية شائعة - صحة الإعتقاد القديم بإمكان التراسل بين العقول في الأسلوب المادي للوجود وأسلوب آخر له، أثيري فيما يبدو. ولا يمكننا مع ذلك أن نقبل القول بأن أولئك الذين اختفوا من فوق كوكبنا لم يعد للمكان أي

معنى عندهم، لا ريب أنهم لم يعودوا متصلين بالمادة، وبالتالي لا يمكنهم بعد أن يلجأوا إلى أعضاء إحساسنا كما كانوا يفعلون عندما كانت لهم أجساد معدة خصيصاً لهذا الغرض، ومع ذلك فبقدر ما سمح لنا أن نعرف فإنه من الجائز أن يوجد في الفضاء، وأن تتوافر لديهم معرفة بالمكان مثلنا، وبحقائق الهندسة إن لم يكن الجغرافيا، ولا داعي لأن نجزم بأن الظروف والوسط الذي يوجدون فيه، قد يختلف اختلافاً أساسياً ومطلقاً عن الظروف وعن الوسط الذي تتحرك فيه الإنسانية، فإن هذا أمر من الأمور التي يمكننا تدريجياً كشف عدم صحتها. وفي انتظار ذلك ماذا يمكن أن نستنتج مؤقتاً من التعاليم الجادة التي يعطينا إياها التقرير بصحة هذه المراسلات؟ أول شيء نتعلمه وأوضحه معرفة هو الدوام، فلا يوجد في ظروف التواجد أي انقطاع مباغت. مما كان من السهل توقعه، ولا يوجد أي تصدع في الذات الواعية الباقية ذات الخصائص المميزة والشخصية، فصفاتهم الأساسية: مثل الذاكرة والتربية والتعليم والعادات والميول والعواطف، كل هذا يحتفظ به، بل وربما يتم أيضاً الإحتفاظ إلى مدى معين. بنفس الذوق والإهتمامات مهما حدث، أما المشاعر الأرضية، مثل الأحوال المادية والآلام البدنية والعاهات فإنها في جانبها الأقوى تترك جانباً» ويقول في شأن الأثير «وعندما استعمل كلمة أثير فإنما أعني هذا الشيء الذي كان موضوع بحثي طيلة حياتي العلمية. وكل صفات الأثير التي وصلنا إليها تدل على أنه مادة كاملة» إلى أن يقول «إن هذا الأثير يقوم بعمل أجل شأناً مما يعلمه الناس من أمره، وينبغي علينا أن نفكر فيه إذا أردنا أن نحصل على علم كامل» وفي إحدى محاضراته سنة 1917 يتحدث قائلاً عن الأرواح «إني كما تعلمون انضممت بصفة نهائية إلى جانب المقتنعين بدوام الوجود، وقد وصلت إلى هذا الإقتناع مستنداً إلى وقائع وتجارب لا تثبت فحسب حياة غامضة غير محددة بعد الموت، بل تثبت نظرية بقاء الشخصية والذاكرة بعد الإنفصال الذي نسميه موتاً. فبعد فحص عدد كبير من الحالات وجدت نفسي مضطراً بالبينة المقنعة إلى الإعتراف بالحقيقة البسيطة عن إمكان التحدث ـ حتى توافرت شروط خاصة ـ من أشخاص عاشوا حديثاً على الأرض،

وإمكان تلقي اتصالات ورسائل، رغم أن هؤلاء الأشخاص فقدوا بالموت الوسائل المألوفة لإظهار أنفسهم، وإني أقدر كل ما لهذا الذي وصلت إليه من أهمية، ومن جسامة كفيلة بأن تضفي عليه نتائج تتجاوز في خطورتها كل قياس في اليوم الذي يتقبلها الجنس الإنساني ويقرها، إذا قدر لهذا اليوم أن يجيء، ففي الواقع إن هذا الكشف إذا ما تقبله الناس غيَّر مصير البشرية. ومن الأمور الحقيقية إن الحياة بعد الموت والإتصال بالأرواح قد اعترف بهما منذ أقدم العصور عند البعض، لكن استمرار الوجود لم يعتبر أبداً حقيقة وضعية للحياة، وقد أحاطت الإعتقادات والوقائع بغلالة كثيفة صناعية لها مظهر من الحقيقة جعلت هذه الحقائق تبدو غير مقبولة، ومخيبة للآمال ومصدراً للاضطراب.

«وليام باريت»1845 - 1926 :

إن ما ذكر عن «لودج» يصدق عن موقف «سير وليام باريت» العالم الكبير في الفيزياء وعضو المجمع العلمي البريطاني، قد ظل هذا العالم يواصل بحثه عن منهاج علمي صرف لمدى عشرات السنين قبل وصوله إلى إثبات وجود الحياة بعد الموت وقيام صلة بين العالمين، ففي مؤلفه «على عتبة غير المنظور» يقول «إن القاريء سيلاحظ أن النتائج التي وصلت إليها ليست ثمرة امتحان عاجل سطحي، فها قد مضى عليَّ أكثر من أربعين عاماً، وأنا أدرس بروح متحررة تماماً وبغير مصلحة خاصة، الظواهر المسماة بالفرق العادية، ولما أصبح من الضروري تأسيس جمعية تكفل دوام التحقيق وتقييم أسلوب كامل للتجريب أسست منذ سنة 1882 «جمعية البحث الروحي» بمساعدة صديق أو صديقين، ونشرت الجمعية حتى الآن «في سنة 1917 » ستة وأربعين مجلداً من مضابطها وجريدتها، كما دعوت لتأسيس شقيقتها «الجمعية الأمريكية» التي تأسست منذ سنة 1889 بمعرفة بعض أصدقائي من «بوسطن ـ و ـ هارفارد» وقد ملأت أيضاً مضابطها وجريدتها مكتبة عظمى، وهكذا تتراكم مجموعة ضخمة من شهادات انتزعت بعناية سيصبح لها في دراستنا قيمة ضخمة يرجع إليها» وفي فصل آخر يقول: «إن هناك عدداً متزايداً من

الأشخاص أصبح يقدر ـ على حد تعبير الأستاذ «هنري سدجويك» ـ أن من المخجل أن نرى أشخاصاً لا يزالون يناقشون صحة الظواهر الرائعة للروحية، وسيكون من المحال مع ذلك ألا نتهم بالمغالاة في تقدير أهميتها العلمية لو أمكن لأي إنسان أن يعرض فحسب عدد الشهادات الجديرة بالثقة فيها» ثم يضيف قائلاً: «ومع ذلك فإن تحولاً لا يجري الآن في آراء النخبة بشأن هذا الموضوع، فإن عدداً من أصحاب أكثر النفوس ثقافة، ومن الباحثين اليقظين قد اقتنعوا في هذه السنوات الأخيرة بصحة الظواهر الروحية، أو على الأقل بجدية الأسباب التي تحمل على دراستها، وتأثروا تأثراً عميقاً بما يولده القبول العام لهذه الظواهر من اتساع في الأفق ومن نشاط واسع في التفكير، وإن هذا الإتساع في التفكير هو الذي سمح للرواد الشجعان للروحية أن يغامروا بسمعتهم، وأن يتحدوا ما أثارته تحقيقاتهم من سخرية ومن لوم. فإنه عندما حصلوا على ما بدا لأعين الدليل الكافي على موضوعية هذه الظواهر، نشروا آراءهم بشجاعة نادرة، وفي الصف الأول منهم يبرز الرياضي العظيم الأستاذ «مورجان» الذي كتب منذ سنة 1862 يقول: «إني مقتنع تماماً بأني رأيت وسمعت في ظروف تجعل رفض التصديق مستحيلاً أشياء موصوفة بالروحية لا يمكن لأي كائن عاقل أن يفسرها بالتدليس أو بالتعاصر الزمني أو بالخطأ».

«آرثر كوجبتون»:

حائز جائزة نوبل في الذرة ورئيس المجمع العلمي الأميركي، فهو أيضاً يقرر «لست في معملي أعنى بإثبات حقيقة الحياة بعد الموت، ولكن أصادف كل يوم قوى عاقلة تجعلني أحس إزاءها أحياناً أنه يجب أن أركع احتراماً لها، فلو أني أوقدت شمعة ثم أطفأتها على الفور بنفخة من فمي فإني لا أكون قد أبدت ضوأها. إنك لن ترى هذا الضوء بعينك الفيزيقية، ولكن لهب هذه الشمعة الضئيل يظل مجنحاً في الفضاء لمدى سنين ضوئية لا نهاية لها، فإذا كنت لا أستطيع أن أبيد ضوء شمعة أوقدتها أنا بنفسي ثم أطفأتها، فكم يكون سخيفاً أن نظن أن شخصية

الإنسان تنعدم وتبيد بسبب ذلك الموت الفيزيقي». وعن خلود الإنسان يقـول: «بالرغم من أهمية الإنسان من الناحية الفيزيقية فإنه كشخص ذكي يمثل أهمية غير عادية في تخطيط الكون، فلو كان لنا أن نستخدم أفضل ما نملك من وسائل الحكم على الأمور، فما هو أهم شيء في الإنسـان النبيل؟ هل هو قوة جسـده أو بريق وعيه؟ ألا ينبغي أولاً أن نعتبر جمال أخلاقه؟ إن جسد الإنسان يبلـغ أوجـه قبـل منتصف العمر، ولكن بناء أخلاق الإنسان النبيل يحتاج إلى استنفاد حياته بأسرها. فمران الشباب وخضوعه للنظام ونضاله بفشله ونجاحه وآلام النضـج ومتعـه، ثم وحدة الشيخوخة وهدوئها.... هذه هي الأشياء التي تصنع النار التـي ينبغـي أن يجتازها الإنسان حتى يحصل على الجوهر النقي لروحه، فإذا تم ذلك على الوجه الأكمل فماذا ستصنع له الطبيعة؟ هل ستعدمه؟ فأي جهد ضائع لا ينقطع هذا..؟ ولأتحدث الآن ـ لا كعالم ـ بل حديث إنسان لإنسان، فكيف يمكن لأب يحـب أطفاله أن يختار لهم الموت؟ طالما كان في السماء إله للمحبة فلا بد أن توجد عند «إلـه الأطفال» حياة لا تنقطع لهم. وهذا ليس فحسب المنطق الفاتر للعلم، بل هو الإيمان الحار بأب رأى طفله بالفعل وهو على حافة الموت».

«الفريد راسل والاس»:

يعد أحد أعلام البيولوجيا، ونظريته شائعة بينه وبين «داروين» وهي مكملة لنظرية التطور التي أعلنها «لامارك» و «سبنسر» ولم يبـق له إلا أن سلـم بصحـة الظواهر الوساطية وخلود الروح، فوفق بين نظرية التطور وبين كشوفاته الروحية. مؤكداً أن من يتأمل في وجود جسد أثيري يتبين له ناموس التطور والإرتقاء، خاصة وأن هذا الجسد الأثيري يحمل عقل الإنسان، فالتطـور يبـدأ في العقـل أولاً ثم يفرضه العقل على الجسم الأثيري ثم يفرضه هذا الأخير على الجسد المادي خلال المصاحبة الأرضية بحكم الصلة المحتومة بين العقل والمادة. فالعقل لا يستغني عن المادة بحكم حاجته لإظهار نفسه، والمادة لا تستغني عن العقـل للمحافظـة عليها في أضعف الفروض ولخلقها في أقواها، بينما العقل ينمو عن طريق صلته

بالمادة بحكم أنها تقاومه وتؤلمه وتؤثر فيه وتدعوه إلى العمل المتواصل من أجل التغلب عليها أو على الأصح على عقباتها، ثم هي بدورها تفرض عليه بقاء محتوماً في عالم شقي محكوم بناموس المادة وهي شديدة الوطأة على الروح مما يدفع العقل إلى النمو البطيء عن طريق الألم الذي يفرضه عليه الإلتصاق بالمادة الصلبة والخضوع لناموس عالم الأرض، كما ينمو العقل عن طريق التأمل في حقائق هذا العالم المادي وخبرته التدريجية وصلاته بعقول الآخرين والمرتبطة بنزوات الجسد المادي الملازم له إلى حين، قبل أن ينطلق إلى عالم الأثير الذي يبقى بعد ذلك هذا الجسم الأثيري خاضعاً للعقل فينشيء صلة معه تلتئم مع احتياجاته العقلية لا البدنية، فمادة الجسم الحيواني تتطور عن طريق صلتها بالعقل في تطوره البطيء الذي يسير عن طريق التدريج عبر الحقب، لأن العقل هو الذي يوجه في النهاية المادة الحيوانية التي تعطيه جسماً وشكلاً خارجياً مهما بدا مشدوداً بها بسبب شديد وطأتها عليه، من أجل ذلك كانت عملية التطور بطيئة، وهكذا نرى ناموس التطور واضحاً عن طريق التسليم بالعقل وبالجسد الأثيري وبالخلود، بينما نراه غامضاً وغير مفهوم عن غير هذا الطريق. وقد راح «ألفرد راسل والاس» يلوح بوجود عوامل روحانية وراء تطور الحياة على أرضنا مؤكداً اقتناعه بوجود الملائكة. إن هذا الفيلسوف الذي راح يضع على قدم المساواة مع «داروين» إرساء أسس نظرية التطور أكد قائلاً: «إن للملائكة دورهم في النشاط الكوني، بل وفي تفسير سير عجلة الحياة في العالم، وإن لجموع العالم عبارة عن مظهر للقوة العظمى التي تبعث في الكون الحياة، وربما لا تبعثها رأساً. بل عن طريق توسط سفراء لهذه القوة، وهم الملائكة الذين يعمل كل منهم بحسب درجة ذكائه وقدرته... فلا يمكن أن توجد هوة لا نهاية لها بين الإنسان وبين الروح العظمى للعالم. إن افتراضاًكهذا يبدو غير راجح إلى أقصى الدرجات».

الفصل الثاني والثلاثون

وقفة عند بعض علماء النفس وما وراء النفس في العلم الروحي

إن لفيفاً من علماء النفس وما وراء النفس والروح، والذين قضوا أشطراً من حياتهم باحثين في الظواهر الوساطية بغير ارتباط سابق بأية وجهة نظر، فأبحاث الباراسيكولوجي ـ ومثلها تماماً أبحاث ما وراء الروح ـ لها طابع مميز عن بحوث الروحية الصرف، فهي تبدأ منكرة هذا التسليم وتنتهي حيثما تقودها نتائج بحثها إلى التسليم بحياة الإنسان بعد الموت وبإسناد عدد من الظواهر الروحية المختلفة إلى أرواح من نسميهم بالموتى. فالدكتور «جوستاف جيلي» مدير «المعهد الدولي لما وراء الروح» بباريس قال في خطبة له في مؤتمر دولي للبحوث الروحية بمدينة «كوبنهاجن» سنة 1921 «إن المبدأ الثالث للفلسفة وراء الروحية هو مبدأ تحفظ وحذر يجعلنا نحتاط من النظريات المدرسية ومن أنظمة العلوم الخفية ومن الثيوصوفية ومن الاسبرتزم. فلا يوجد في أساس علمنا نظريات مقررة أو مفروضة صحتها مقدماً، فإنه إذا كانت حياة الإنسان بعد فناء أعضائه المادية ومصيره هناك مشكلات ما وراء الروحية، إلا أن هذه المشكلات الخطيرة لن تحل بحسب ما يبدو لنا إلا في نهاية المطاف» إلى أن يقول: «إن الإثبات المباشر لحياة الكائنات بعد الموت ـ إذا كان ممكناً ـ لن يكون هو أساس البنيان الوراء الروحي، ولكن تتويجاً له».

ولندع أستاذ الفلسفة والسيكولوجيا بجامعات «هيدلبرج» وكولونيا» ولينبرج

ورئيس جمعية البحث الروحي بلندن سابقاً وهو الأستاذ «هانز دريش» 1867 - 1941 حيث يصرح: «إن بعض الظواهر ما وراء الروحية الاستثنائية يمكن تفسيره بسهولة - في الوضع الراهن لمعارفنا - بتداخل روح إنسان يواصل حياته بعد الموت أكثر مما يمكن تفسيره بكلمات غير عادية لبعض الأحياء».

وقد أكد الأستاذ «جـ. ب. راين» رئيس قسم الباراسيكولوجي بجامعة ديوك بأمريكا ومدير معاملها، أكد وأثبت استمرار الحياة بعد الموت والإتصال بالأرواح في أحسن معاهد أمريكا وانجلترا.

كما أن «تشارلس بروض» والمولود سنة 1887 - وهو أكبر فيلسوف بريطاني معاصر وأستاذ فلسفة الأخلاق بجامعة «كمبريدج» منذ سنة 1933 - عندما وضع كتابه «العقل ومكانه في الطبيعة» نادى فيه بصحة الظواهر الوساطية وإنبائها عن الحياة بعد الموت وسيطرة الأرواح على أجسام الوسطاء، لقد قال في أحد خطبه «إن هناك بعض الظواهر الروحية لا يمكن أن تفسرها الفلسفة، وكأمثلة من ذلك أننا حين نفحص حالات التواصل خلال وسطاء الغيبوبة نجد أشياء كثيرة جداً غير عادية، ومن هذه الأشياء تلك الحالات التي تشير إلى أنه قد يكون المتحدث بلسان الوسيط الواقع في الغيبوبة شخص ميت عاد بعد موته كي يتحدث» وقد شبه «بروض» هؤلاء الوسطاء إلى حد ما - بالحجر المغناطيسي - فوجود مجال المغناطيسية الأرضية لم ندركه حتى أثبت أثر المغناطيس وجوده، والوسطاء قد يدركون المجالات التي تحيط بنا ونحن لا ندركها.

أما العالم الفسيولوجي الشهير «شارل ريشيه» هذا العالم الذي رد إلى علم الغيب التجريبي اعتباره فقد أجرى تجاربه في الظواهرالوساطية تحت وصف «ما وراء الروح» حيث ظل يواصل تجاربه عشرات السنين فختمها بمؤلفه «ثلاثون عاماً من البحث الروحي» فذلل العقبات النظرية التي أثارها في ذهنه نتيجة معلوماته الواسعة في الفسيولوجيا - أي علم وظائف الأعضاء - وهو وثيق الصلة بالظواهر الوساطية خصوصاً بالنوع الذي يدعى بالظواهر الفيزيقية مثل انبعاث مادة

الالكتوبلازم في صور وأشكال أثناء الغيبوبة الوساطية وإحداثها شتى أنواع التحركات ثم عودتها إلى جسم الوسيط بوسائل لا زال العلم المادي يجهلها لحد الآن. ووجد أن التعليل الروحي هو التعليل الوحيد الذي يفسر هذه الظواهر مجتمعة بعد بحوثه الشاقة، و «ريشيه» لم يقتنع روحياً إلا بعد أن اقتنع «فيسيولوجياً وسيكولوجياً»، وقد تحمل مسؤولية العالم الشجاع عندما قدم مؤلفه «ما وراء الروح» في صورة تقرير لأكاديمية العلوم بباريس سنة 1922 والذي كان من أبرز أعضائها.

إن هؤلاء العلماء الذين حصلوا على يقين المعرفة العقلية، انتقلوا إلى مرحلة الوصول إلى الإرتباط بين الظواهر عن طريق التعليل الذي يرضي منطقهم المادي ويصمد في وجه النقد العلمي، وهذه المرحلة هي التي اقتضت منهم التأني في إعلان صحة الظواهر الروحية، فوصلت عند بعضهم أزيد من ثلاثين أو أربعين أو خمسين سنة قبل الإعلان عن رأيهم. وهذا يعني أنهم بدأوا أولاً بفكرة الإنكار، ثم بعد ذلك أدركوا خطورة الدلالة على صحتها، وبعد ذلك لم يبق لهم إلا أداء الواجب بالإعلان عن الحياة الروحية كحقيقة في عصر مادي صرف.

الفصل الثالث والثلاثون

الاعتقاد الروحي

كيف قام علم الروح بدور الإعتقاد؟ وفي أي نطاق وإلى أي مدى؟ سؤالان وجيهان كمدخل للموضوع، لكي نبين أن ما يصدق على موقف عدد من رجال العلم المادي عندما أمكنهم أن يربطوا بين نظرياتهم وحقائق الإعتقاد الروحي، هو بعينه من الناحية الفلسفية موقف بعض كبار رجال العقيدة عندما أمكنهم أن يربطوا أيضاً بين فهمهم لها مثل العلامة شيخ طنطاوي جوهري والعلامة فريد وجدي وعدد من الأساقفة الغربيين أمثال «استانتون موزس» و «شارل تويديل» وغيرهم ممن أقبلوا على بحث الحقائق الروحية والدفاع عنها، وقد كتب الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي وهو يقدم كتاب «حياة محمد» للدكتور محمد حسين هيكل قائلاً:

«وعلم استحضار الأرواح فسر للناس شيئاً كثيراً مما كانوا فيه يختلفون، وأعان على فهم تجرد الروح وإمكان إنفصالها، وفهم ما تستطيعه من السرعة في طي الأبعاد» فهذه شهادة اعتقاد من شيخ الأزهر سابقاً، بالإضافة إلى الشيوخ الأجلاء محمد حسنين مخلوف مفتي الديار المصرية، ومحمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر سابقاً، ومحمد بخيت مفتي الديار المصرية، ومحمد أبو زهرة أستاذ الشريعة، وما يقال عن هؤلاء يقال عن أولئك العباقرة الذين درسوا بأساليب عصرهم ووصلوا إلى نتائج معينة عن طريق التفاسير والفلسفة أمثال الرازي وابن القيم الجوزية والغزالي والفارابي وابن سيناء وابن رشد وابن طفيل وابن باجه، هؤلاء كلهم تحدثوا عن

الروح وأثبتوا خلودها والصلة القائمة بينها وبين من لا زالوا على هذا الكوكب الأرضي في جسدهم المادي، وما هو قائم من تزاور بينهم، فالعلم الروحي اليوم يسير بأسلوب معملي وفلسفي، فهو في جوهره دراسة للروح بمعنى الجسد الأثيري للإنسان فحسب. لا بمعنى الشعلة القدسية التي هي مصدر الحياة والتي لم يزعم أي عالم أنه عرف حقيقة كنهها أو أنه أخضعها لسلطان العلم المادي كما أسندناه فيما سبق. إنه لا شك على مايبدو أن رجال العقائد الدينية الذين بحثوا موضوع العلم الروحي واقتنعوا بصحته أدركوا أن هذه الحقيقة تقيم صلحاً حقيقياً بين العلم والإعتقاد، فالعلم إذا فقد قدرته على الانتقاد فقد علة وجوده، كما أن العقيدة إذا فقدت قدرتها على الإعتقاد فقدت علة هذا الوجود.

إن العقيدة غير مطالبة بالتعليل، بينما العلم هو في جوهره تعليل وتأهيل، وهذا التعليل لما يقتديه من نقد هو البوتقة التي تصهر شتى النظريات العلمية على نار الحقيقة للتميز بين الغث والسمين، فالعلم يكشف الحقائق كما يكشف المحامي نقاب الأباطيل أمام القاضي، وقد صدق المرحوم الدكتور أحمد زكي في قوله حينما قال: «فرق هائل بين أن يعبد الجاهل وأن يعبد العالم . . . فالجاهل الذي يعبد الله ولا يدري شيئاً عن الله وعن آثاره وعن محكم آثاره كما يكشف عنها العلم، كاد أن يعبد الله كما يعبد الصنم . . . أما عبادة العلماء ليست عبادة لفظفحسب. وإنما هي عبادة فكر وعبادة تأمل، واللفظ أفرغ ما يكون إذا لم يملأه معنى» إلى أن يقول: «والباحث العالم إذا استهدف بحثه الكشف، ولو بعض الكشف في بعض جوانب الله فهو أكبر من يد وأكرم قائم وراكع وساجد» إنه لا ينبغي التهوين من شأن المباديء الروحية التي ينبغي أن توجه شعور الإنسان نحو المحبة والتعقل والضمير، كفى من ترهات التوقف، وكفى من أغلال الشهوات، قد يحسن بالعاقل الحكيم أن يسيطر على تصرفاته وشهواته، فهذه هي الجنة بعينها التي يبحث عنها الضمير الإنساني بغير جدوى. إن الإنسان إذا أساء فهم مباديء الحياة أساء تطبيقها، إنه من خلال هذا تبرز خطورة رسالة علم الروح الذي هو علم تجسيد

سبل الوصول إلى حقائق الأمور ومحاولة استكشاف مباديء الحياة وتبرز رسالة علم الإعتقاد، برجل الدين في عصرنا هذا، لكي يكون قادراً على التفكير الموضوعي لا بد أن يكون على ثقافة في شتى مناحي المعرفة خاصة في الفلسفة والفيزياء والروح والنفس والإجتماع وغيرها لكي يكون أقدر على أداء رسالته الهامة بعيدة عن شوائب الغموض والركود، في عصر طابعه التطور السريع والتفكير الناقد والتعقل في الأمور التي يرضاها المنطق، بهذا «فولتير» يقول: «إن رجل الدين الغبي الجاهل يثير عدم تقديرنا، ورجل الدين الرديء الشرير يولد الجزع في نفوسنا، أما ذلك الناضج المتسامح البعيد عن الخرافات فهو الجدير بحبنا واحترامنا» إن علم الروح يلعب جانباً هاماً في توضيح الإعتقاد وتعبيره لا يضارعه فيه أي علم آخر، كما يلعب الدور ذاته في ربط الإعتقاد بحقائق العلوم الأخرى، وهو يتنافر تماماً مع سرعة التصديق أو سهولة الإقتناع بما قد يقال على ألسنة القائلين سواء من سكاننا أو سكان عالم الأثير كيفما كان شأنهم، فهو يخضع لأساليب النقد والنقاش العلمي المتحرر، وأخيراً نختم بقول العالم الفلكي «لويل» هل يتعرض أي شيء من صنع الله لخطر إذا قدم للفحص؟ وهل نظام الكون هو الذي ارتعد أمام منظار «جاليليو» أم نظام الكهنوت؟ وهل وقفت دورة الفلك لأن «نيوتن» وضع أصبعه الجريئة على نبضه؟» فما لم يجب العالم على هذه الأسئلة سلباً فقد خان رسالته العلمية وسلم عقله لطغيان التقليد في أية عقيدة، فلا أفاد المعرفة، ولا أفاد العقيدة.

الفصل الرابع والثلاثون

الاعتقاد الروحي على ضوء العلم

ما هي الجوانب التي ألقى عليها علم الروح أضواء جديدة؟ سؤال يتبادر إلى الذهن.

إن العلم الروحي أصبح يملك من الوسائل العلمية ما يمكنُه من الرد على المتشككين، ويشبع حاجيات الإنسان من المعرفة في بعض جوانب الإعتقاد التي لا زال يظهر عليها الغموض.

ففي شأن موقع الروح في عالمها تكفل علم الروح بالجواب على ذلك حيث أثبت أن الفضاء الكوني غير المحدود الذي تشغله كواكب ونجوم فيه، تستقر الروح حسب مرتبتها عن طريق الإهتزازات الكونية. وقد تمكن العلماء من ذلك على ضوء حقائق فيزيائية ورياضية، أما الجسم الأثيري فهو عبارة عن سائل كوني تتشكل منه الأكوان بما فيها الكواكب والنجوم، وهو يهتز ويتردد بسرعة الضوء. وبالطبع فإن لكل اهتزاز موجة، والفيزياء، استقرت اليوم على أن للجسم الصلب رتبة اهتزاز ثم طول موجة، ومثله اللون والرائحة والكهرباء والموسيقى، وكلما زاد اهتزاز الشيء اكتسب رقة وشفافية، فاهتزاز الغازات أسرع من اهتزاز السائل، واهتزاز السائل أسرع من اهتزاز المواد الصلبة، واهتزاز المادة الرخوة أسرع من اهتزاز المادة غير الرخوة... وهكذا. إن موقع أو مكان الروح، أضفينا عليه ما يكفي

موضوع الكتاب في الفصل السابق. أما عن ميعاد قيامة الأموات فقد أثبت علم الروح أن هذه القيامة تكون لحظة الوفاة، بل أثناء الإحتضار، إذ هي ميلاد ثان يتم بمجرد وداع الجسم الأرضي حاملاً شعلة العقل منه، والمولود الجديد هناك يحتاج إلى فترة لكي يعيد وعيه وذاكرته خاصة إذا كان هذا الميلاد عقب شيخوخة طويلة أو داء مؤثر في الذاكرة، وبالتدريج يعود شباب العقل والروح حسب السن أو الظروف المحيطة به.

أما الصلة بين الروح والجسد المطروح أثناء الإنتقال، أو بالضبط وقت الإحتضار، فإن العلم الروحي عالج هذه المشكلة حيث أثبت أن الإنسان الواعي يقطع صلته بالجسد فور تخليه عنه، وينظر إليه فقط أنه مجرد رداء بال أخذه من الأرض إلى أجل مسمى، ثم عاد إليها ليقوم من جديد في بناء حياة نباتية وحيوانية، إن الجسد الأثيري أصبح مركبته الوحيدة. إلى عالم الروح في المنطقة التي يحددها له قانون التوافق الروحي طبقاً لاهتزاز هذا الجسد الأثيري الذي تنبثق منه ألوان كطيف الشمس منها يحدد مدى رقيه العقلي والروحي وبالتالي مكانه هناك، وقد تبين أن الذين يعتقدون أن موضوع الروح هو القبر يظلون متعلقين بالجسد الأرضي نتيجة أفكارهم الخاطئة، فيقاسون من هذه الملازمة أهوالاً جسيمة نتيجة رؤية أجسادهم وهي تنحل وتتلاشى. فالإنسان المستنير يعرف كيف يقطع صلته بجسده المادي مقتنعاً بأنه انقطع عنه إلى الأبد.

أما أسلوب الحياة هناك فقد عالج علم الروح الأوصاف العامة لحياة ما وراء المادة، حيث أن هناك تذهب الروح إلى ما يسمى بالمستوى الثالث منه تنتقل إلى المكان الذي تترقى فيه، وهذا المستوى الثالث هو مقر عبورها بعد، حيث أن الحياة هناك متشعبة النواحي تشعباً لا نهاية له، فيها الحرية بدون عقبات لقوانا وأوصافاً من الأزهار والحيوانات والمساكن المريحة وعن متع إنسانية ومهن محبوبة، ومزروعات من جميع الأنواع، وأنهار وجبال ووديان. إن كل ما نشاهده على سطح أرضنا له مثيل على المستويات الأخرى، وإنما كلما ارتفعنا عن سطح

الأرض زاد الجمال، وهناك رجال ونساء وحيوانات تعيش كما نعيش، وإن التغذية هناك أيسر منالاً فلا خوف ولا خطر ولا موت، وكلما نمت المعرفة أكثر كلما ارتقى الإنسان. وهناك جو يحيط بكل مستوى ولكنه أكثراعتدالاً، غير أن هذا التغيير يوجد بالمستويات الثلاثة، أما المستوى الرابع فما فوق فقد تختفي التغييرات المناخية كما أن هناك على هذه المستويات الثلاثة شغف بسبب استضاءة الجو وألوان أجمل بكثير من عالمنا ولا أثر لليل هناك. أما لغة التخاطب فهي عن طريق الفكر وتصوير المعاني بغير الإستعانة بمترجم، ولعلنا نكتفي بهذا المعنى كإشارة من كثير.

أما عن الثواب والعقاب هناك، فقد قالوا بأن أسباب العذاب الرئيسية ثلاثة ـ العذاب الناشيء عن حرقة فراق مشتهيات الدنيا ـ والعذاب الناجم عن انكشاف فضائح الميت ـ والعذاب الناجم عن الحسرة على ما فاته من الدرجات العالية عند رؤيته لغيره الذي نال تلك الدرجات؛ وهذه الأنواع الثلاثة تصيب الميت بالتدريج على الترتيب، ففراق الشهوات وعذاب الخزي والفضيحة ربما يخففان عنه بمضي الزمن وبعد العهد عن الدنيا، فتبقى حسرة الفوت في الأخير أشبه ما يكون ذلك لا آخر له، وقد يكون الحساب مباشرة مجرد وداع الجسد الأرضي، يقول تعالى: ﴿إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم، وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾ وقال عز وجل: ﴿يوم يبعثهم إليه جميعاً فينبئهم بما عملوا، أحصاه الله ونسوه، والله على كل شيء شهيد﴾. فالروح تتحمل في حياتها الروحية نتائج كل ما لم تتخلص منه من رذائل أثناء حياة الجسد، فحالها من ناحية السعادة أو الشقاء يتوقف على درجة نقائها أو عدمه، فالسعادة المطلقة متصلة بكمال الروح وتقدمها المطلق، فكل رذيلة هي بذاتها مصدر العذاب والحرمان من النعيم، كما أن كل فضيلة اكتسبت هي بذاتها مصدر النعيم، ومثل ذلك مثل من لديه مجموعة أمراض جسمية، كلما زال واحد زال معه الألم بالتدريج فيتماثل إلى الشفاء، كما أن من لديه مجموعة فضائل يتمتع بها أكثر ممن له فضيلة واحدة، وبما أن الألم مرتبط

بالنقص فإن النعيم مرتبط بالرقي الخلقي والعقلي، أما الجحيم فيوجد في كل مكان توجد فيه أرواح متألمة مثلما أن الجنة توجد في كل مكان توجد فيه الروح السعيدة. فما نقدمه من حسنات أو سيئات ما هو إلا ثمار مَن صفات الحسنات أو السيئات، بعدالة الله غير المحدودة، إن كل خير أو شر هو موضع حساب دقيق.

وعن الزمان والمكان، فإن ذلك يختلف في طبيعته عن عالمنا، فهو ذو أبعاد أربعة، وهي الطول والعرض والإرتفاع، والزمان، بينما عالمنا له ثلاثة أبعاد فقط، هي الطول والعرض والإرتفاع، وإن «أنشتين» قد سلّم بإمكان ذلك حيثما قال: «إذا كانت نظريتي في النسبة عن الكون صحيحة فلا بد إذن من وجود قوى إدراك رباعية الأبعاد» . أي لا تعترف بفواصل المكان أو الزمان - إن الروح كلما ارتقت كلما نما فيها هذا الإحساس بالزمان والمكان، وكلما اقتربت من المستويات المادية للوجود كلما ضعف فيها الإحساس، حتى ليبدو لها إحساسها بالزمان والمكان غير مختلف كثيراً عن إحساس الأرضيين بهما، وقد يميل الإفتراض الروحي أن هناك عوالم أخرى مرتفعة قد تكون خماسية أو سداسية الأبعاد لا يندمج فيها فحسب المكان مع الزمان، وإنما يندمج فيها أيضاً الماضي مع الحاضر مع المستقبل. والروح تنمو مع مرور الزمان، أما الجسد صاحب الأبعاد الثلاثة فهو يضعف ويضمحل بتأثير الزمان، ومصدر هذا كله طبيعة الزمان بالنسبة للجسد المادي المتحلل غير طبيعة الزمان بالنسبة للجسد الأثيري الذي يحمل الروح ويستمد منها الشعور بهذا الزمان، وبالتالي الشعور بالحياة الأزلية متجددة غير قابلة للضعف ولا للفناء، بل حرة صاعدة على نقيض المادة الهابطة المتقيدة، إن المستقبل في عالم الروح مجهول، والتنبؤ بأحداثه ليس أكثر من توقع، لأن قياس الزمان والمكان له صعوبته الكبرى، إذ ليس لها وسائل القياس المادية التي لدينا، وهي في غير حاجة إلى قياسها كما نفعل نحن في عالمنا، غير أن طرازاً لا ينفي قدرة بعض الأرواح الراقية على التنبؤ أحياناً بتنبؤات صحيحة عن المستقبل، وقد تبدو لها أحياناً كما لو كانت أحداثاً ماضية أو حاضرة، لأن الزمان

كما قلنا غير موجود هناك، كما لا ننفي أن أرواحاً قد تعمد إلى اخبارنا عن هذه الأحداث قبل وقوعها بغير استبعاد احتمال الخطأ؛ ومما تجدر الإشارة إليه أن بعض الأرواح غير الراقية تعمد في أحوال كثيرة إلى إلقاء نبوءات مكذوبة من باب التخمين أو السخرية من بعض الحاضرين بعد أن تقرأ ما يجول في أفكارهم.

وعلى أي حال، فإن العلم الروحي يلقي أضواء على زوايا متعددة ضمن الاعتقاد الروحي، أخذنا منه قليلاً جداً من كثير مبينين فيه فهم بعض أصول الاعتقاد.

الباب الرابع

التنويم المغناطيسي واكتشافه

- الإيحاء ودرجاته
- ملاحظات واثباتات.

الفصل الخامس والثلاثون

التنويم المغناطيسي

المنوم المغناطيسي :

خبير وعالم بتطبيق التنويم المغناطيسي، قادر بواسطة المعرفة النفسانية أن يدير جهاز الظواهر التي تتجلى أثناء التنويم، وهناك منومون لهم معرفة أولية بحكم ما اكتسبوه من مران، كما أن هناك كائنات تؤثر تلقائياً في نفوس الغير، وبالتالي فإن هناك أناساً قابلون للتأثير سلفاً، فيكون التأثير عليهم سهلاً، وإن خوض غمار التجارب التنويمية والتمارين الخاصة تكسب الإنتباه واستحضار الذاكرة وقوة الإرادة.

وقد يشترط فيه سلامة البنية والشخصية المحترمة، عليه مسحة الوقار والمحبة، مؤثر في كلامه شريف في عمله متبصر حازم، يعرف كيف يتصرف في بعض الحالات التي تفاجئه أثناء التنويم، ملتزم بضبط النفس، مركز كل انتباهه على إنتماءاته، مسلط عليها قوة إرادته، وأن يكون التنويم في مكان هاديء يخيم عليه السكون يتوفر على تهوية ودفء من غير حرارة ولا برودة، يصوغ الإيحاء في رنة وثقة بالنفس، غير هياف ولا وجل ينبثق مع رنة الصوت دفء وعطف، غير مكثر من الأسئلة الغثة أو الصعبة أو التي لا يتقبلها المزاج أو تحمل الركاكة وسوء السلامة والإختيار، فإن لم يكن ما ذكر، فستعكس العواقب ظلها.

كلمة التنويم المغناطيسي:

استخدمها الطبيب الإنجليزي الدكتور «بريد» حيث اكتشف أن حالة نفسية عند بعض الناس تشبه الحركات الآلية التي ترى أثناء النوم الطبيعي، وقد استخرج من الكلمة اليونانية «هو بنوس» اللفظة التي تدل على مجموع أساليب التنويم الغناطيسي والظواهر المغناطيسية. أما التنويم المغناطيسي فهو ظاهرة فزيولوجية اصطناعية من علاماته تقبل الإيحاء مع الإستعداد. والآن أصبحت كلمة «تنويم مغناطيسي» واسعة المعنى، تدل على تطبيقات يكون من نتائجها تخفيف أو توقيف الخصائص الدماغية بصفة مؤقتة عند المنوَّم من أجل التأثير على وعيه النصفي بكلام المنِوّم.

ومن الملحوظ أن النوم المغناطيسي الجزئي هو أشبه إلى الذهول التلقائي أو الحلم أو ألغفلة، وفي التنويم المغناطيسي الكلي تبقى الأجهزة الفكرية اللاواعية هي التي تقوم بدورها، وفي حدود القابلية يلعب الإيحاء دوره، فيستطيع المنوِّم التأثير في المخيلة يجعل معها آلية التنفيذ تسرع في الوظائف العضوية، فتتجلى معها النتائج.

النوم المغناطيسي:

حالة تبدل في العقل الواعي تشبه إلى حد ما بالنوم الطبيعي، إلا أنه مصطنع بحكم أن الواعي يكون موصداً في كليهما مع بقاء فارق صلة المنوَّم بالمنوِّم، في حين أنه لا أثر لصلة النوم الطبيعي بالمنوِّم، كما يبدو الفرق بينهما في أن النوم المغناطيسي يمكن تأثيره على الإنفعالات. وهذا غير ممكن في النوم الطبيعي، وقد تكون عضلات الجسم في النوم الطبيعي مسترخية بينما تكون متوترة أو مسترخية في النوم المغناطيسي، وبالتالي قد يزيد النوم الطبيعي نشاطاً للجسم بعد اليقظة بينما التنويم المغناطيسي يزيد التعب والثقل في الجسم إذا استمر طويلاً أو قصيراً إن أهمل المنوِّم زوال التعب.

وللنوم مراحل ودرجات تبدأ بالشعور بالتعب مع الإحتفاظ بالذاكرة ثم إلى عمق تفقد فيه الذاكرة، وتقسم هذه المراحل إلى ثلاث.

- مرحلة الإعياء، حيث يشعر النائم بتعب جسمي يدفعه إلى النوم، لكنه يبقى مفتوح العينين، وقد يغمضهما بين الفينة والفينة شعوره بثقل في الأجفان.

- مرحلة العجز عن الحركة. وفيها يصعب فتح العينين فيفقد سلطته على الحركة ولربما يشعر النائم في هذه المرحلة بدوخة، وأما وعيه فهو بين بين حيث يشعر أنه على حافة سبات عميق.

- مرحلة السبات العميق، وفيها يصل النائم إلى أعمق درجات النوم يفقد معها الوعي والإرادة.

الفصل السادس والثلاثون

اكتشاف التنويم المغناطيسي

في سنة 1841 سنحت الفرصة للدكتور «جيمس برايد» من «منشستر» أن يحضر جلسة أحياها السويسري «لافونتين» من جنيف، وكان «برايد» إلى تلك اللحظة غير مقتنع بظاهرة التنويم، واعتبرها كعملية الخداع السري، لكن هدفه كان متابعة كشف هذا الخداع، لكنه بعد ذلك تأكد من هذه الظاهرة التي يبعد تصديقها لأول وهلة، من أجل هذا عزم على دراستها علمياً. وبعد أن تمكن قام بتجارب أمام أصدقائه ليبرهن لهم بأن النظر إلى شيء لامع يكفي لإحداث المغناطيسية حيث أخذ أحد أصدقائه وطلب منه التحديق إلى عنق زجاجة الخمر التي وضعت مرتفعة فوقه. فلم يلبث ثلاث دقائق حتى انطبقت جفونه واستغرق في نوم عميق، بعد ذلك أجرى التجربة على أحدى زوجات أصدقائه وذلك بأن تنظر إلى زخارف إناء للسكر، وبعد دقيقتين تغيرت ملامحها وانطبقت جفونها وسقطت على قفاها، وبعدها أجريت العملية على خادمة فكانت النتيجة نفسها، فكيف كانت يا ترى طريقة الدكتور «برايد»؟ يقول:

«خذ شيئاً لامعاً بين الإبهام والسبّابة والإصبع الوسطى لليد اليسرى واجعله فوق الجبهة على مسافة تتراوح بين 25 و 45 سنتيمتراً عن العينين وذلك لكي تبذل العينان والجفون أكبر جهد ممكن لتستطيع التحديق إلى الشيء، قل للشخص أن

يبقي عينيه متطلعتين إلى هذا الشيء وأن ترتبط نفسه به وحده، ويلاحظ أن الحدقتين تنقبضان أولاً، ثم تبدءان بالتمدد بعد قليل، وبعد أن تتمددا بشكل ملحوظ وتقوما بحركة تقلب وارتجاج وتكون إصبعا يدك اليمنى المشيرة والوسطى ممتدتين منفصلتين قليلاً متجهتين من الشيء الى العينين، فمن المؤكد أن الجفون سوف تنطبق بحركة اهتزازية، وإن لم يجر الأمر كذلك إذا الشخص قد حرك كرتيه العينيتين، فاطلب إليه أن يبدأ من جديد، قائلاً له إن عليه أن يترك جفونه تسقط حين ترفع اصبعيك نحو العينين، على أن تبقى الكرتان العينيتان في الوضعية ذاتها، وأن تتعلق روحه بالشيء وحده، وعلى العموم فسيحدث أن تنطبق العينان بحركة اهتزازية، أي بشكل تشنج» انتهى قول «برايد». وهذا تقرير للدكتور «بول جاغو» الذي قدمه إلى المؤتمر النفساني الدولي الرابع المنعقد سنة 1926 يقول فيه:

«لقد كان التنويم المغناطيسي. بتأثير النظريات التي أبداها الإختصاصيون الكبار بالتنويم المغناطيسي أمثال «شاركو» و «مييرو» و «لويس» إلخ... مفهوماً على الغالب كأنه حالة تتطلب سلسلة ثابتة من الأعراض المتماسكة تماسكاً وثيقاً، ويميزه اللاوعي الكلي وزوال الإحساس الذي يمثل ثلاث حالات متنوعة من السبات، والتخشب. والحالة الكابوسية ـ أي الحركة والكلام الآليان أثناء النوم ـ. وكل حالة من هذه الحالات تجمع عدداً من الميزات غير المنفصلة. وقد تطورت هذه المفاهيم تطوراً كبيراً بفضل أعمال مدرسة «نانسي» المعارضة، حيث بدأ «ليبول ـ وبرنتهايم ـ ويونيس» عملية التنويم المغناطيسي في حالة التهويم البسيطة المحدثة، وأنهوها بالحالة الكابوسية الكاملة يصاحبها لاوعي ونسيان بعد الإستيقاظ.

وللتوفيق بين المدرستين نقول أنه أصبح مقبولاً وجود ما يلي:

ـ تنويم مغناطيسي كبير ـ تنويم مدرسة «سلباتريار ـ على أشخاص يبلغون درجة المرض العصبي.

- تنويم مغناطيسي صغير - تنويم مدرسة «نانسي» - يمكن الحصول على ظاهراته عند جميع الناس تقريباً.

ولكن التطبيق العملي على أشخاص مختلفي الأعمار والشروط أوحى إليَّ مفهوماً تركيبياً يمكن أن يكون نموذجاً للحقيقة أكثر من المفاهيم السابقة، فقد لاحظت بالفعل:

1 - أن وسيلة منوّمة مهما كانت لا تحقق على شخصين ردود فعل مماثلة، بل يتنوع مفعولها على كل شخص، حتى ليمكن القول أن هناك أنواعاً من التنويم المغناطيسي بقدر وجود أنواع من الأشخاص المعرضين للتنويم.

2 - إن التأثيرات المحققة بطريقة واحدة على شخص واحد تختلف نوعاً وشدة باختلاف القائمين بالعملية.

3 - إن شرطاً نفسانياً مخالفاً للمعتاد يحدث عادة بتأثير منوِّم، دون لاوعي ولا نسيان في حالة اليقظة ولا زوال تلقائي للإحساس. أما ما يميز هذا الشرط النفساني فقابلية الإيحاء تكثر أو تقل.

4 - إن الظواهر الموصوفة بأنها مميزة في الحالات الثلاث «بسبات - تخشب - حالة كابوسية» لا تحدث تلقائياً بل توحي إيحاءً.

وهكذا فإني أضع تعريفاً للنوم المغناطيسي يقول، إنه حالة ثانية (تسمى حالة ثانية بمقابلتها بالحالة العادية التي هي حالة أولى) محدثة، وميزتها الوحيدة الثابتة هي نقصان يقل أو يكثر في حدة الوعي يزداد على حسابه جمود اللاوعي، وأثناء هذه الحالة فإن كل شخص يقع فيها يمثل بعض ظاهرات فسيولوجية ممكن وجودها مع ظاهراتها العضوية، وظواهر نفسانية تتحقق أثناء النوم المغناطيسي.

هكذا يجب أن يفهم التنويم المغناطيسي، وهكذا يجب أن يفهمه جميع الذين يعودون إلى الأساس الذي لا جدال فيه: التجربة». انتهى قول الدكتور بول جاغو».

إن من أعلام التنويم المغناطيسي «دوناتو» من مواليد 1845 بمدينة «لياج» أنهى دراسته في كليتها الملكية بعدها انخرط في الجيش، لقنه الدروس الأولى الكاهن «مولبن» سر المغناطيسية، والغريب أن المغناطيسية كانت عدواً لـ «دوناتو» لأنه كان مادياً متصلباً، وقد ألقى عدة محاضرات يسفه فيها أفكار الكاهن، فيرد عليه الكاهن بمحاضرات أخرى، غير أن هذا التعارض أودى بهما إلى اتفاق حيث أدرك «دوناتو» حقيقة الظواهر التي يقول بها الكاهن.

وفي سنة 1875 جاء إلى باريس وقام بإحياء حفلات هرعت إليها باريس، إن «دوناتو» لم يكتشف التنويم، ولكن لم يكن أحد قبله يستخدم هذا العلم بالوضوح والدقة التي كان يتميز بهما، فقد أصبح ذكره على كل شفاه حيث تحدثت عنه الصحف وامتلأت به النوادي وأزاح شكوك المتشككين بعد تلك النوادي والسهرات، فبعد أن أجرى ثلاثمئة حفلة في باريس انتقل إلى سويسرة والنمسا وألمانيا ورومانيا حيث حالفه النجاح في كل مكان إلى أن توفي بباريس سنة 1900 .

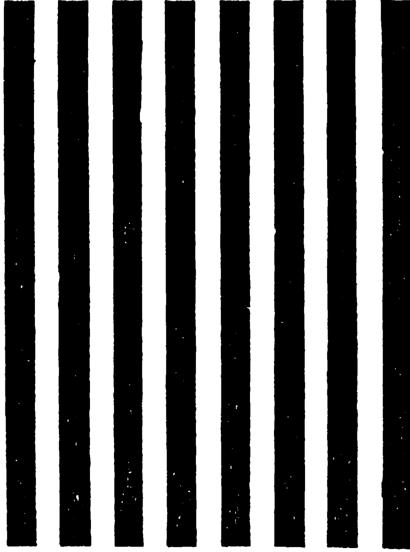
ومن وسائل التنويم الحسي استعمال صحيفة مربعة تضم خطوطاً أفقية تتناوب بين خطوط سوداء وخطوط بيضاء، أو تستعمل القرص التنويمية الذي على شكل لوحة المضرب فيه دوائر بيضاء وسوداء إلى أن يختم بنقطة سوداء، وهذه اللوحة منسوبة للدكتور «لاموت ساج» وقد يمسك القرص من ممسكته القائم بالعملية لينظر إليه الشخص المراد تنويمه على بعد 10 سنتيمترات من عينه، ثم يرسم بواسطة القرص حركة دائرية بطيئة ومنتظمة. كما أن هناك لوحة خاصة للمصابين بالأرق يمكنهم النظر إليها وذلك بمتابعة خطوطها بدقة وفقاً للرسم حيث تجلب النوم.

القرص التنويمي



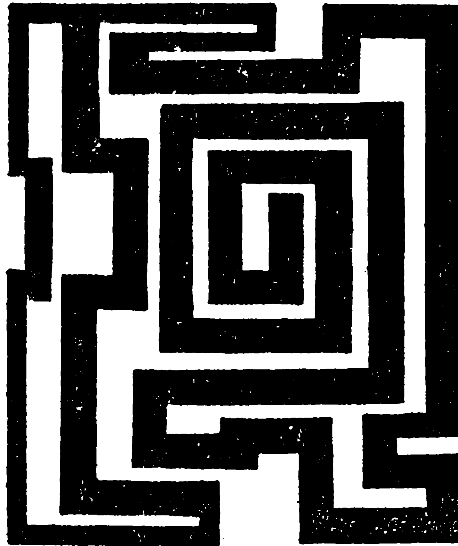
شكل (15)

الإطار التنويمي



شكل (14)

الإطار التنويمي للمصابين بالأرق



شكل (16)

الفصل السابع والثلاثون

التعريف الدقيق للتنويم

هو ظاهرة أشبه بالنوم يحدث نفسياً لشخص يفقد معه الوعي، غير أنه يبقى مستجيباً في حدود لإيحاء المنوِّم، هذا هو التعريف السائد تقريباً، غير أن الدكتور «وليم براين» مؤسس المعهد الأمريكي للتنويم المغناطيسي سنة 1955 والذي استطاع أن يقنع الإتحاد الطبي الأمريكي والعالمي للإعتراف بالتنويم المغناطيسي ومؤسس الكلية الأمريكية لأطباء التنويم المغناطيسي، نستقل تعريفه للتنويم نقلاً عن مجلة «الأعماق» التي كانت تصدر بالمغرب من العدد الثاني لسنة 1973 ، «ليس هناك أبعد من الحقيقة من هذا التعريف، فالخطأ الأول فيه هو أنه يشبه النوم بالرغم من أن أصل الكلمة «هيبنوس» يعني النوم باللغة الإغريقية، فإن الشخص الذي يحدث له التنوبم أبعد من أن يكون نائماً، بل في كثير من الحالات يكون أكثر يقظة من حالة الصحو، وكلمة «هيبنوسيس» التنويم المغناطيسي» - غير وصفية لهذه الظاهرة وغير صحيحة وأعطت معلومات خاطئة حتى أصبح تعريفها خاطئاً في القواميس، إن كثيراً من الناس لا زالوا يعتقدون أنه لمجرد إغماض الجفنين في حالة التنويم معناه أن الشخص نائم، إن الخلط بين النوم المادي «والنوم الهيبنوتيك» زاد اتساعاً، ويمكن بالقطع أن الشخص المنوِّم لم يفقد وعيه تحت تأثير التنويم المغناطيسي، إن الدكتور «برنارد غيندس» «أن قليلاً من ميادين العلوم عانت كثيراً من مشاكل التعريفات الرديئة مثل ما عانى التنويم المغناطيسي».

إن أحد أسباب ذلك راجع لعدم مقدرة الأفراد على التعبير عن مشاعرهم، والسبب أن الكلمات في حدها غير ذات معنى، وقد تجمع الكلمات فقط من المعاني ما نعطيها من معان، وقد يبدو من المستحيل أن نعبر عن المشاعر والعواطف من عقل إلى آخر بواسطة استعمال الكلمات تبعاً لذلك، حيث أن الكلمات نفسها لا تحمل نفس المعنى بين شخصين، كما لا يمكن أن تصف تماماً أي شعور أو عاطفة، ولربما لا نستطيع مع أنفسنا شرح عواطفنا ومشاعرنا بالأحرى إلى الآخرين، لذا فإن علماء النفس والأطباء وغيرهم يبدو عليهم لأول وهلة أنهم لا زالوا مختلفين في تعريفاتهم للتنويم المغناطيسي، لكن بالفحص والتمحيص نجد زمرة هامة ممن عرفوا التنويم المغناطيسي، وقد نلاحظ أن هؤلاء العلماء الذين اختلفوا في تعريفاتهم يرجع إلى عدم فهم الموضوع، بل بسبب اختلاف تجاربهم في استخدام هذه الظاهرة، أما الناحية الأخرى التي تؤدي إلى الخلط بالنسبة لاختلاف الآراء فقد تتجلى في الأزمان التي عاش فيها العلماء، فمثلاً نجد الأشخاص الذين عاشوا في القرن الثامن عشر يعرفون كل شيء تقريباً بطريقة تخالف الذين عاشوا في القرن التاسع عشر، كما لا يمكن أن نفكر في تعريفات القرن العشرين. وقد وصف «مسمر» هذه الظاهرة في القرن الثامن عشر بأنها نوع من المغناطيسية، أما الدكتور «ميلن برامويل» فقد كتب في عام 1903 يصف التنويم بأن له أصولاً «مسمرية» ـ نسبة إلى «مسمر». وقال الدكتور «جيمس أسديل» سنة 1850 بأنه نوع من التخدير، وحاول الدكتور «ميلتون كلاين» أن يعرفه بأنه حالة من الإستعداد العاطفي، واتفقا «البيرت موك» سنة 1889 ، مع «شاركو» أنه مرض وتحدث عن أعراض التنويم، لكنه اختلاف مع «شاركو» في أن التنويم نوع من «الهستيريا»، وعرف «أندرو سولتر» سنة 1944 متفقاً مع نظرية «بافلوف» بأنه نوع رد الفعل المكيف، أما «ليسلي لوكرو» فكتب يقول سنة 1947 «توحي كلمة «تنويم» لمعظم الناس بما وراء الطبيعة، أنها مصنوعة بالشعوذة»، وكلما قرأنا ما كتب مؤخراً نقترب أكثر من تعريف التنويم، فقد يقول الدكتور «أرون موسى» استناداً إلى تعريف «منس ويندل» أن التنويم يشمل الإستسلام الإختياري عن طريق

الإيحاءات المختارة لزيادة قابلية المستسلم لإيحاءات علاجية محددة، ويضيف أيضاً بأن حالة التنويم هي حالة طبيعية جداً مثلما أن النوم طبيعي أيضاً، وبمعنى آخر فإن إغفاءة التنويم مثل حالة النوم أو حالة الصحو» ولعل أحسن طريقة لفهم حالة التنويم هي أن تفكر فيها كحالة شبه الوعي، فعندما تنتابنا أحلام اليقظة أو نسرح في الخيال، في هذه الحالة الذهنية نحن لا هنا ولا هناك، ولكن في مكان ما بينهما، ويعرف «أيزنك» التنويم بأنه مقدرة الفرد على توجيه كل قوته العصبية في عدد أقل من قنواته العصبية، وبالتالي يخفف مقاومته ويسهل مرور طاقته العصبية، ويقول «هاينز هامر شلاغ» إن إيحاء اليقظة والتنويم لا يشخصان حالتين مختلفتين للوعي عند الإنسان، وإنما مجرد اختلاف في سلوكه الخارجي، ومن ناحية أخرى يجب علينا أن نشير إلى أن حالة التنويم تحدث عندما تتعرض حالة الوعي إلى تغير معين، ويأخذ هذا التحول شكلاً ضيقاً في الوعي، أهم نتائجه تركيز الإنتباه والإهتمام على المنوِّم وإيحاءاته. ـ إلى أن يقول ـ هناك شيء واحد مؤكد هو أن التنويم لا يمكن أن يعرف بحقيقة أن الشخص يعطي انطباعاً بأنه صاحٍ أو نائم. أما الدكتور «لويس بوسويل» فيعرّف التنويم بأنه حالة غير عادية يكون الذهن فيها مركزاً تماماً على الأفكار أو الأحداث المباشرة لدرجة تجاهل الحوافز المجاورة، وخلال هذه الإيحاءات المساعدة بطريقة تفوق بكثير مقدرته العادية، لذا فإنه من الممكن استعادة الذاكرة لكل الإنفعالات والأحداث الهامة بسرعة وفعالية، وأخيراً فإن الدكتور «توم وول» يرى أن المنوم يحس وكأن جسمه نائم لأنه مسترخ جداً ولكن ذهنه أكثر حدة من العادة، ويحس بكل شيء يجري حوله وكأنه لا يهتم به.

فما هو التنويم؟ التنويم هو حالة عادية عضوية متغيرة للوعي تشبه حالة اليقظة لكنها ليست الشيء ذاته، قد تشبه حالة النوم لكنها ليست الشيء ذاته، وتحدث بوجود شرطين هما، أولاً: مركز لتوجيه الإنتباه، وثانياً عزل المناطق المحيطة به. إن حالة التنويم تنتج بدورها عن ثلاثة أشياء ـ زيادة تركيز الذهن ـ زيادة استرخاء الجسم ـ زيادة القابلية للإيحاء. ومركز توجيه الإنتباه حسب هذا التعريف قد يكون

بصرياً أو سمعياً أو باللمس أو بالشم أو أي من الحواس الأخرى، وتكون حالة التنويم أكثر عمقاً كلما زاد عدد الحواس التي يستطيع المنوِّم إشراكها في التنويم، وقد يكون مركز توجيه الإنتباه حقيقياً أو خيالياً. وبوجه عام فإن حالة التنويم تكون أقوى وأعمق إذا كان مركز التوجيه خيالياً. ولا يمكن لمركز توجيه الإنتباه أن يحقق شيئاً إذا لم يتوفر الجانب الثاني في التنويم ألا وهو عزل المناطق المجاورة، فإذا كان الشخص المراد تنويمه يهز رأسه ويمسك أذنيه ويفكر فيما حدث له بالأمس فإنه يصعب تنويمه، والسبب في ذلك واضح، هو أنه لا بد من إيقاف نشاط خطوط الأعصاب الإختيارية تماماً لمنع الحركة والتفكير وإحداث استرخاء كامل وتوجيه كل نشاط الذهن في مركز توجيه واحد للإنتباه في الذهن».

هذا هو التعريف الذي قدمه الدكتور «وليم براين» مع شيء من التصرف في الموضوع.

الفصل الثامن والثلاثون

تطور التنويم المغناطيسي

لقد تغيرت أسماء التنويم بتغير آراء الباحثين على مر الأيام، ففي سنة 1842 وقف الدكتور «جيمس برايد» يقرأ بحثاً أمام الجمعية الطبية في مدينة «منشستر» عن التنويم فأسماه «النوم العصبي أو الهيينوتزم»، وقد كان الدكتور «بريد» شاهد تجارب المنوم الفرنسي الشهير «لافونتين» سنة 1841 . فحاول «برايد» بمعونة أحد أصدقائه العلماء أن يثبتا للحضور أن «لافونتين» مهرج دجال، لكن ما لبثا أن أثبتا صحة هذا العلم، وأسموه أيضاً «مسمرزم» نسبة إلى «مسمر» لكن العلماء الباحثين رفضوا هذا الإسم لأن «مسمر» كان في الواقع يمزج تجاربه الناجحة بكثير من التهريج في المسارح، وكان «مسمر» نفسه يطلق التنويم المغناطيسي على المغناطيسية الحيوانية، كما كان يسميه أيضاً بالسيال الخفي. ومن أشهر تلاميذ «مسمر» الدكتور «مول» الذي أدخل تعديلاً على طريقته، وهذا أيضاً ترك كثيراً من تلاميذه منهم «المركيز دي بوسجير» وكانت طريقته بالسحبات وحدها دون أي عامل آخر، وبذلك وصل إلى ما يسمى «بالتجوال النومي» وهذه الدرجة تصلح لشفاء الأمراض، حيث كان يصل بالنائم التجوالي إلى تشخيص أمراضه بنفسه فيرى باطن جسمه، وتجارب هذا العالم لفتت نظر عالم طبيعي باريسي هو «ديليوز» فكتب كتابه الشهير «المغناطيسية الحيوانية»، فانطلقت شرارة البحث من كل جانب حيث كثر الباحثون في أوروبا وأمريكا، وفي انجلترا رغم عدد الباحثين

فإنهم لم ينكروا فضل «برايد» الذي كان يلفت الإنتباه بأن هذا العلم ليس شعوذة وتهريجاً، وفي «كلكوتا» بالهند ظهر الدكتور «إسديل» الذي كان يعالج المرضى بالتنويم حيث لاقى نجاحاً كبيراً. وهكذا تمخضَ التنويم في هذه الفترة ولم يقع أي تطور عليه إلا ما حدث في علم النفس عن معرفة أسرار العقل الباطن والعقل الواعي، فانقطع الجدل في شأن التنويم وتحول نشاطه إلى التجارب العلمية إلى أن وصل إلى حالة قراءة الفكر.

ومما تجدر الإشارة إليه أن التنويم كان معروفاً بطريقة أو بأخرى لدى الأعصر القديمة، فقد كان يمارسه العبرانيون والإغريق وقدماء المصريين والهنود والصينيون، وقد ورد في الأسفار الدينية القديمة كاليهودية والمسيحية إشارات كثيرة إلى التنويم مثل الرؤيا والنوم المقدس والنظر البعيد والشفاء بوضع الأيدي، كما ذكر «تاسيتوس» نقلاً عن «هيبوقراط» استعمال السحبات في شفاء الأمراض وتلطف الأوجاع ونقل الصحة للعليل. وقد كان «اسكيولابيوس» يخفف آلام المرضى بإلقاء المريض في سبات فيربت ربتاً خفيفاً منعشاً بيده على جسده لدرجة أنه يخمد ثائرة بعض المجانين بالسحبات؛ والجدير بالذكر أن بعض القديسين والصالحين كانوا يستخدمون التنويم الذاتي لأنفسهم عن معرفة أو غير معرفة.

الفصل التاسع والثلاثون

النوم المغناطيسي

عرف في أسلوبه الحديث على يد العالم «فرانز أنطوان مسمر» 1734 م - 1815 م وقد كان طبيباً يولي عناية للبحث في المغناطيسية، حيث لفت أنظار الأوساط العلمية الأوروبية، وفي سنة 1775 م عرض «مسمر» نظريته على الأكاديميات العلمية مؤكداً أن الجاذبية العامة التي أكدها «نيوتن» تنطبق هي أيضاً على السيال العام الذي يحدث في جسم الإنسان، وهو مماثل لتأثير المغناطيس، ومن السيال الإنساني نسب «مسمر» مصدر ظواهر التنويم المغناطيسي مؤكداً أن الجسم الإنساني يقوم بدور الجاذب المغناطيسي بسبب سيال كهربائي مغناطيسي في الأعصاب، وإن التأثير على هذا السيال يجعل العلاج متمكّناً من بعض الأمراض العصبية أو العضوية، لكن هذا النداء الذي لوَّح به «مسمر» من «فينا» لم يجد الصدى المطلوب من لون الأوساط العلمية.

ولم تكن آراء «مسمر» هي الجديدة، فمنذ القرن الخامس عشر تعرض مجموعة من العلماء لمثل ما تعرض له «مسمر» منهم «فيشيني» من «فلورانسا» الذي أكّد أن أشخاصاً يمارسون تأثير السيال بالعين على أشخاص آخرين تحت تأثير الإرادة المركزية؛ كما أن العالم الإيطالي «بومبوناج» أكّد في القرن السادس عشر على قدرة الروح أنها تحدث تأثيراً روحياً عن طريق العين، وفي القرن السادس

عشر ظهر الطبيب السويسري «فون هو هنهايم» والذي كان صاحب نظريات ثورية في الطب، حيث أثبت المغناطيسية وعرَّفها بأنها اتصال بين شخصيات عن طريق سيار هو جزء من السيال العام، أما الطبيب «شارل الثاني» في أواخر القرن السادس عشر وضع كتاباً في التنويم المغناطيسي أيد فيه آراء من سبقه وصوَّر أساليبه. إن كل الإكتشافات والنظريات قبل «مسمر» لم تكن أكثر مما أبداه من آراء وأفكار تحليلية للبحوث المغناطيسية لما نشر مذكراته سنة 1779 م عن المغناطيسية الحيوية كان يقابلها رد فعل طرده من «فينا» حيث توجه إلى «باريس» واشتغل فيه بالعلاج المغناطيسي، فاستطاع أن يعالج أكبر عدد مما جعله يكسب شهرة واسعة، ومن «فرنسا» انتقل إلى «بلجيكا» حيث حالفه النجاح ذاته، وقد عرض على لجنة من العلماء الفرنسيين برئاسة الكيميائي «لافوازية» موضوع العلاج المغناطيسي، وذلك باقتراح من الملكة «ماري انطوانيت» قبل الثورة الفرنسية بقليل، وقد أحدث ذلك انقساماً بين العلماء، فريق آمن بالسيال المغناطيسي وفريق أنكره ومع مرور الأيام وفي ظل البحوث المغناطيسية تبخر رأي المنكرين، وقد شكلت أكاديمية الطب «بباريس» لجنة لدراسة هذه الآراء فكان التقرير مؤيداً لنظرية «مسمر» وازداد عدد العلماء الذين سلموا بالظواهر المغناطيسية ونجاحها في العلاج. فكان من أبرزهم «جان مارتان شاركو» 1825 م - 1893 م عضو أكاديمية العلوم ومديراً لمستشفى «السالبتر بباريس» وهو صاحب سمعة علمية في مرض الأعصاب والهستيريا، وصاحب مدرسة خاصة في العلاج المغناطيسي تتلمذ فيها «سيجموند فرويد» العالم النفساني النمساوي الشهير الذي محص أساليب «شاركو» وسار على دربه.

بالطبع كانت هذه الأبحاث والآثار من أكبر الأسس التي أبرزت فلسفة الفرنسي الكبير «هنري برجسون» والذي يعتبر أعظم فيلسوف منذ «ديكارت» عند السيال الحيوي، إن «برجسون» أنكر على الماديين ماديتهم وأبرز العطاء الروحي الذي يتضمنه الوجود، فقام باستقصاء روحي ينفذ منه إلى أعماق الواقع عن طريق

الحدس، وربط بين الحدس وبين فلسفته في السيال الحيوي العام، هذا السيال الذي كلما تطورت كان السيال الحيوي يتعاطف معه ويدركه في حيويته الخصبة، وأن هذا الحدث يحدث ذبذباته، فيجعل وظيفة الفلسفة هي إدراك الوجود الحي، وتصبح الصيرورة عنده هي خاصية السيال الحيوي والتطور الإبداعي، وأن الصيرورة حية خالصة تختلف اختلافاً بيّناً عن صيرورة المادة عند الماديين.

وهكذا نجد أن السيال الحيوي قد ارتبط بتجارب التنويم المغناطيسي كما ثبت، وأن هذا السيال مستقل عن الجسد المادي وقيود الزمان والمكان التي تربط الجسد من غير تقيد الذات، ولا يمكن تعليله بالإيحاء أو قراءة الفكر عند وقوع الوسيط في غيبوبة مغناطيسية إذا ما توفرت اعتبارات لإمكان حصول الطرح الروحي.

ومن هذه الإعتبارات تكرار التجربة وطلب الوسيط بتقديم معلومات محدودة واضحة، وأن يكون المنوِم والمنوَّم كفؤين، وأن لا يقدما على التراسل العقلي بينهما حتى لا يبقى مجالاً للإيحاء؛ وبالطبع كلما جاء الوسيط بجديد غريب عن المنوِم كلما كان أقرب للصدق.

وجاء الدكتور «جيمس بريد» لينفي الدجل والشعوذة التي ألصقت بالتنويم، حيث كتب رسالة عن النتائج التي حصل عليها في علاج أمراض مختلفة وخاصة تخدير المرضى وذلك سنة 1842 م. لكن جمعية الطب والجراحة الإنجليزية رفضتها تحت غيم من الشك، كما قابلت بمنتهى السخرية رسالة الدكتور «اسكويروارد» حينما أجرى عملية جراحية لأحد مرضاه خدّر منطقتها تحت تأثير التنويم المغناطيسي، لكن الدكتور «اليوتسن» وضع بحثاً في التخدير والتنويم وتحدى فيه شجاعة كلفته فقد مركزه كطبيب بمستشفى الجامعة، وقد علق الدكتور «بلوليس» أحد الأطباء المشتغلين بالعلاج النفسي على هذه الأحداث بأن العقلية العلمية الصحيحة هي شيء نادر بين العلماء؛ وهكذا فرضت عملية التنويم نفسها سنة 1890 م عندما بدأ القسم النفسي في الجامعة البريطانية يعنى به، ومع هذا فإلى

الآن لا زلنا نلاحظ عدداً عديداً من الأطباء لا يستعملونه، ولربما ينكرونه أو يجهلونه، وقد كان الإعتقاد سائداً في القديم أن تأثير المغناطيسية يرجع إلى السيال المغناطيسي الذي يخرج من الإنسان حيث يؤثر في إنسان آخر، لكن تطور علم النسف وظهور نظرية «فرويد» أسقطت نظرية السيال، وعرَّف أن التنويم المغناطيسي يرجع إلى الإيحاء، وفسر بأنه نوع من النوم لبعض ملكات العقل الظاهر يمكن إحداثه صناعياً عن طريق التأثير بفكرة النوم.

التنويم المغناطيسي للجميع:

إن مهارة الأسلوب وضبط الطرق والتطبيق والدربة والمران واستعمال السلطة كافية لأن تعطي نتائج مرضية، إلا أن الموهبة إذا أضيفت كان أفضل وأحسن.. ولكي يتحقق الإنسان من حقيقة التنويم ويعرف قيمته الإجتماعية والطبية فإن وسيلة الإختبار عن طريق التمارين النفسية هي أفضل دليل على ذلك، وستكون المفاجأة حينما يشعر باستيقاظ الذاكرة وقوة الإرادة ودقة النظر وطلاقة اللسان ووضوحه والحزم ورباطة الجأش ووضع حد لسلطة الخجل.

أما العلاجات بواسطة التنويم المغناطيسي فيمكن ذلك، وإن كان هذا من شأن الأطباء وحدهم، وعلى أي حال فإن المعرفة والفنية المكتسبة في تجارب التنويم تسدي لممارسها فوائد مدهشة.

وما دمنا نؤكد أن التنويم هو في متناول الجميع، فإننا نؤكد أنه لا يمكن تنويم الجميع، فقد ثبت أن عشرة بالمئة تقريباً هم الذين ينوَّمون تنويماً كلياً، وعند كل أربعين بالمئة ينوَّمون تنويماً جزئياً، أما الإيحاء فقد يؤثر بسرعة على جميع الناس تقريباً.

ومما تجدر الإشارة إليه فإن التنويم المغناطيسي لا خطر فيه، إن المنوَّم لا يقبل طاعة ما يراه مخالفاً لأخلاقه وسلوكه، إنه من المؤكد لا يخضع لكل ما يوجه له المنوِّم، اللهم إن كان عن طواعية، وتجدر الإشارة إلى أن استيقاظ النائم أمر سهل

لا صعوبة فيه فقد يخضع ذلك للإيحاء، ولو أننا تركناه على حاله فسيستيقظ بعد ساعة أو ساعتين. يقول «جان لرميت» أستاذ في كلية باريس الطبية ورئيس أطباء مستشفى «بول بروس» «إن النوم الطبيعي والنوم المغناطيسي لا يبدوان لنا كحالتين متعارضتين، بل كدرجتين ذواتي تقدم فيسيولوجي واحد، ليست قاعدته سوى النوم والإمتداد لموجة من ظاهرة عصبية على نصف الكرات الدماغية تلغي فعالية قسم من الجهاز العضوي، وتتحرر بواسطتها بعض الآليات، بينما تخف فتنمحي العبيرات الواعية والشواهد على الفعالية التي ندعوها إرادية، والتي تتميز بها حالة اليقظة».

الفصل الأربعون

تأثير النوم المغناطيسي في حالة السبات

قد يحدث في الحالات الشاذة من التنويم المغناطيسي العميق أن تتأثر حركات العضلات، وبالطبع قد يمكن إيقاف ذلك مثل بعض ا لإرتجافات أو التشنجات أو الإرتخاء، ولا يخفى أن المنوِّم في إمكانه أن يجعل المنوَّم في حالة صلبة تخشبية لمجموعة من العضلات أثناء النوم العميق، ومهما كانت الحال فإنه لا ينبغي للإيحاء أن يتعارض مع العمل الفيزيولوجي، على أن هذه العملية قد تترك بعد الإستيقاظ نوعاً من الآلام أو الإرتجاف أو التصلب إذا لم يتداركها المنوِّم بالإيحاء قبل الإستيقاظ، وضمن حركات العضلات أيضاً فقد يمكن تنويمها بين الرقص والغناء والضحك، كل ذلك عن طريق الإيحاء. كما يمكن تقوية أو إضعاف أو إزالة الإحساس عن الحواس الخمس مثل الاحساس بالحرارة والبرودة أو التأثير على الشم أو الذوق أو السمع أو البصر كإحداث الألوان، وقد نرى أن مضمون الإيحاء في الشم والذوق يتحقق بسهولة بينما تصعب بعض الظواهر في حاسة البصر مثل رؤية أشخاص وصور مجسمة، ومع هذا فإن بعض النائمين تخضع حواسهم كلها، وبقدر ما يمكن التأثير على العضلات والحواس يمكن التأثير أيضاً على الجهاز العصبي الحيوي، إنه يمكن التأثير على إبطاء نبضات القلب أو حركة التنفس أو سرعتها أو إحداث حرارة أو إفرازات عرق أو سعال أو عطس أو قيء أو تثاؤب أو طمث أو تبوّل أو إفراغ، وهذه كلها من أعمال

الجهاز العصبي المستقل عن الإرادة، والذي يعمل بصورة أوتوماتيكية بعيد عن سلطتها، إن الإيحاء يلعب دوراً هاماً في التسلط على هذه الأعضاء إذا عرف المنوِّم كيف يتصرف، وليس الأمر ينتهي عند هذا الحد، وإنما يمكن أيضاً أن تدخل إلى مزاج النائم وعواطفه، فقد يمكن عن طريق الإيحاء إدخال السرور عليه أو جعله حزيناً أو غضوباً أو حقيراً، كل هذه الإنطباعات تتجلى على وجهه وفقاً للإيحاء، فمثلاً إذا أخبرناه بأنّ أحد أقاربه أو أصدقائه قد مات فقد تبدو أسارير وجهه حزينة وتبدو الدموع في عينيه كما لو أوحينا إليه مشاهد تمثيلية هزلية ظريفة ظهر على وجهه الضحك، إن النائم في كل هذه الحالات بعد الإيقاظ لا يتذكر ما جرى أثناء النوم إلا بصعوبة وأشكال متقاطعة وناقصة، وبالإيحاء يمكن أن ينسى كل شيء، كما يمكنه أن يتذكر كل شيء إذا أكد له المنوّم ذلك عن طريق الإيحاء ومن هنا يخطر ببالي سؤال ـ هل يمكن تقوية الذاكرة؟ يبقى الجواب عند زمرة من العلماء يجيبون بالإيجاب، والبعض الآخر بالنفي، لكنني أؤكد أن تكرار العملية يأتي بالإيجاب إلا ما ندر؛ وقد يأتي سؤال آخر يحدوه ـ هل للنائم قوة الرأي؟ اختلف العلماء، بعضهم يقرر أن النائم يميل إلى الكذب أثناء نومه وإخفاء بعض الحقائق من ذاكرته والبعض الآخر لا يوافق على هذا الإدعاء، وإنني أرى حُسْنَ تدبير الإيحاء يأتي بالصواب. إنه بإمكان المنوِّم أن يحدد مواعيد مؤجلة من أجل التنفيذ يستمر مفعولها داخل اليقظة حين انتهاء النوم، فمثلاً يعطي المنوِّم إيحاءات شفائية تتحقق في اليقظة أو يعطي توقيتاً ببضع ساعات أو أيام أو أسابيع أو شهور يوحي فيها للنائم بالقيام بشيء فيقوم به، وقد أكدت التجارب على أن النائم يفقد الصلة مع محيطه ويبقى رهيناً بمنوِّمه وحده، وكل تدخل من طرف شخص أو أشخاص لا يؤثر فيه، وقد نؤكد للمنوِّم أن النائم تصدر منه بعض ردود الفعل العكسية ولا يستجيب للإيحاء، كما تظهر منه بعض الحالات غير المعهودة كالمهاجمة أو التعدي أو تغيير الوضع من جنب إلى جنب أو الوقوف أو المشي في الغرفة أو التحدث بصوت عال عن أشياء تشغل باله أو يخاطب أشخاصاً لا وجود لهم أو يرفض الإستيقاظ أو لا يستجيب للإيحاء، كل هذه الحالات تخلق تعباً جسمانياً ولربما

دواراً للنائم، كما أن بعض النائمين تظهر عليهم انتفاضات فيتحركون أثناء النوم باستمرار ويتخيلون أحداثاً تشغل بالهم مما يجعل صعوبة في إيقاظهم، ولربما يصاب بعضهم بأعراض الهيستيريا بدل النوم، فيزداد القلب خفقاناً وتبدو عليهم ارتجافات وخوف وبكاء، ومع هذا تبقى لديهم نسبة الإستجابة للإيحاء إلا في الحالات الشاذة التي ينتفضون فيها ويتشنجون، حيث تستمر هذه الحالة مدة قد تقصر أو تطول، لا يتذكرون منها شيئاً بعد الإستيقاظ، إلا ما يصابون به من انحطاط جسمي، وقد يتهيج فجأة بعض النائمين فيستمر تهيجهم مدة طويلة، وهذا راجع لإحساسهم بأحداث سابقة، قد يزول ذلك بالتدريج، فعلى المنوِّم المغناطيسي أن يكون حاذقاً يعرف كيف يصوغ الإيحاء، لديه من رباطة الجأش، مما يؤهله للتغلب على الصعاب.

تشابه النوم الطبيعي بالمغناطيسي:

النوم الطبيعي لا يزال موضع البحث، فالفسيولوجيا تقدم افتراضات، والنظريون غير متفقين، بعضهم يفسر بأنه انكماش في الخلايا العصبية، وآخرون أنه اختناق دماغي دوري بسبب تسمم ناتج عن تكدس النفايات، وأعلن «كلاباريد» بأنه وظيفة آلية للدماغ ضد التعب، شأن ذلك في الجهاز الآلي الصحيح للنوم المغناطيسي لا زال أيضاً زمامه غير مضبوط بين الفسيولوجيين، كل ما هناك فكرة تحطيطية متشابهة بين حالتي النوم الطبيعي والمغناطيسي بحكم أن الأفعال الدماغية تتوقف عند الأول والثاني، بينما الأخريات تستمر حتى أنها تكون أكثر من اليقظة، وهكذا نجد وقت النوم مشاهد تتوالى في المخيلة وتتلاشى كلياً، نرى أنفسنا في الحلم أحياناً نرتفع في الجو ونتحدث أحياناً في الحلم مع أناس غائبين عنا زماناً دون أن نندهش منهم، إن المنطق والعقل والإنتباه والعزم المفكر، كل هذه الخصائص للذكاء، والمشار إلى مجموعها باسم الوعي قد تنطفيء حال النوم، وقد يبقى الوعي النصفي والتفكير التلقائي المنفعل للتأثير يحتفظان بفعاليتهما، فالمخيلة وقابلية التأثير والميول والذكريات توهم النائم

وتترك له مجالاً للمرئيات التي يعترضها العقل. وبعبارة أوضح فإن ما كبحه العقل في اليقظة يفرض نفسه في الحلم، كما أكد هذا «فرويد».

إن النوم المغناطيسي يشبه النوم الطبيعي بإلغاء الفعالية النفسانية الـواعية، ولا يختلف عنه إلا في حالتين. الأولى أن النائم نوماً مغناطيسياً يسمـع ويسجـل الكلام الملقى عليه وكأنه في حلم حقيقي. ثانياً حساسية النائم وحركته تعملان آلياً عن طريق ما يوحى إليه.

الفصل الواحد والأربعون

الإيحاء

الإيحاء ودوره:

هو التأكد من تحريك اللاوعي وحدوث قابلية التأثير، فيستطيع المنوم المغناطيسي بواسطة الإيحاء أن يؤثر في المخيلة ليجعلها آلية تسرع في تنفيذ الحالات والميول.

ومن الأكيد عند علماء النفس أن التنويم عملية إيحائية تصدر عن المنوِّم للمنوَّم، من أجل ذلك كان لا بد من اختبار قابلية المنوَّم، وهذا الاختبار يجب القيام به قبل التجربة، انطلاقاً من هذا نجد أن الإيحاء في حد ذاته هو التوجيه للمنوَّم من طرف المنوِّم، هذا التوجيه الذي يجب أن يكون متركزاً على الخبرة في ضبط الحواس عند النائم الذي سينقطع عن العالم الخارجي، والذي يسترهف سمعه، أو تلغى أو تخدع حاسة من حواسه، أو تجري عليه عملية جراحية أو إيهامه برؤية أشياء أو شعور بجوع أو عطش أو تقمص شخصيته، ولربما أعاده المنوِّم إلى طفولته ومراحل حياته السابقة.

كما يمكن للمنوِّم تنفيذ شيء بعد أن يستيقظ بمدة تطول أو تقصر وذلك عن طريق التدريج، ومن أشياء بسيطة إلى أشياء أكثر منها مراعاة وملاءمة طبيعة الشيء مع مزاج النائم، وقد يحدث أن النائم يتعاون مع المنوِّم في شيء ويرفض له الشيء

الآخر، كمثال على ذلك نجد السيدة التي أوحى لها منومها بأن كلبها في ذراعها وسلمها عوضه محفظة، ثم سلمها قلماً أوهمها أنه مدية ثم طلب منها ذبح الكلب فرفضت، فالمرأة قبلت إيحاء الكلب والمدَية لكنها لم تقبل ذبح كلبها العزيز عليها، وقابلت الإيحاء بالبكاء ولم تعد إلى حالتها الطبيعية إلا بعد إيحاءات عكسية، فهذه الحالة برهان واضح على أن النائم لا يقبل إلا ما هو خاضع لمزاجه، اللهم إذا عرف المنوِّم كيف يتصرف في إقناعه عن طواعية واقتناع، ومثال ثان عن فتاة امتنعت عن كشف مفاتنها أمام طبيبها، لكنها بعد التنويم كشفت بكل سرور.

إن حالة النوم توقف معارضة النفس الشاعرة لقبول النفس غير الشاعرة إيحاءات المنوِّم وتنفيذها في الأحوال التي تتفق مع مباديء المنوَّم. إن التنويم المغناطيسي بدأ يغزو المخدر في العمليات الجراحية، فبناء على الإيحاءات التي يأتي بها الطبيب فإن المريض لا يشعر بأي ألم، وفي الولايات المتحدة شرعوا في استعماله لمنع آلام المخاض والإطمئنان النفسي وقت الوضع، وتثبت فائدة التنويم في شفاء الإضطرابات العصبية، وعظيم في القضاء على المخاوف والقلق والأرق وصعوبة تركيز الإنتباه وازدواج الشخصية، ولا بأس به في نتائج الأمراض البدنية، كل هذا في حدود إيحاءات مقبولة ومركزة.

أثر الإيحاء في التنويم: إن تعقيد عمليات تنويم الشخص راجع إلى تعقيداته في حياته، كما أن العوامل التي تؤثر في عملية التنويم كثيرة منها الإيحاء، فإذا كان النوم يمتنع عن الشخص إذا أقنع نفسه بالأرق فهذا الإعتقاد كاف ليبعد عنه النوم، كذلك يمكن للشخص أن يقنع ذاته بإيحاء النوم فينام فعلاً، كذلك في حالات التنويم، فالإيحاء يلعب فيها دوراً هاماً، قد يختلف الإيحاء من شخص لآخر حسب المستوى الفكري والثقافي، مستغلاً كل الظروف التي يراها مناسبة، فابتلاع الريق والتنفس العميق وارتخاء العضلات كلها تستغل بإيحاءات مناسبة تساعد على تعجيل النوم، كما يحسن بالمنوم أن يعيد بعض الجمل الإيحائية مع ترك مجال بين الجملة والجملة حتى يعيها النائم، والملحوظ أن استعداد المرأة أكثر من استعداد

الرجل كما أن تنويم الأطفال الصغار أصعب من الأطفال الذين يتقدمونهم سناً، وأن هؤلاء يخضعون للعوامل الحسية أكثر، كما أن تنويم الحيوانات الكبيرة أسهل من الحيوانات الصغيرة.

الفصل الثاني والأربعون

تجارب الإيحاء

بين اليقظة المتميزة بحدة الوعي وبين المغناطيسي المتميز بقلة حدة الوعي هناك مجالات متوسطة يأتي فيها التنويم على درجات، فمن بداية العملية نجد حدة الوعي عند الشخص تخف وتنحط، بينما قابلية الإيحاء تكبر، ومن هذا المنعرج الإيحائي تبدو ظواهر كل واحدة منها مرحلة لأخرى تفصل الوعي شيئاً فشيئاً دون أن تعقده تماماً، فهناك حالات في اليقظة تتميز بدرجة من التأثير التنويمي أو قابلية الإيحاء.

- اختلال التوازن والسقوط إلى الأمام أو الوراء.
- إيقاف حركات عضلية وتصلبها.
- إيقاف حركة عكسية أو وظيفة محلية أو مركزية.

إن هذه التجارب الإيحائية هي تهيئة للوصول إلى درجات عليا من التنويم، مع تجزئة الصعوبة التي تعترض، علماً بأن النائم ـ كما قال الدكتور «ساج» من الولايات المتحدة ـ يوجد لديه خوف فهم في أن يضع نفسه في حالة لا واعية، لذا كان من اللازم أن تنقل المنوَّم لا شعورياً من هذه المؤثرات إلى أعمق حال من التنويم.

إن المنوِّم مطالب بالإطمئنان، يتكلم من غير تردد، يتلفظ بإيحاءات واضحة

ثابت هاديء رابطالجأش، ملفت نظره إلى تكرار التجربة أكثر من مرة بل أكثر من مرات لترسيخ التجربة في الذاكرة.

فالسقطات الموحاة مثلاً، أطلب من الشخص أن يقف في اعتدال، مضموم الرجلين متدلي الذراعين، مطبق العينين، مرتخي العضلات، بأن يفكر فقط بألا يفتح عينيه. قف وراءه، ضع يديك على كتفيه موحياً إليه «في هذه اللحظة حينما أسحب يدي، فستشعر أنك تنجذب إلى الوراء، جسمك ينحني أكثر فأكثر، أنت منجذب إلى الوراء. أنت تسقط إلى الوراء» إن حركة اليدين يجب أن تكون بطيئة السحب حتى لا يشعر بها، أمسكه حينما يسقط.

بعد أن تعيده إلى الوقوف قف أمامه واطلبه أن ينظر إلى عينيك، ثبت نظرك بين عينيه وأطراف أصابعك على أعلى ترقوتية، أكد له «حين أسحب يدي ستشعر بانجذاب إلى الأمام - اسحب أصابعك ببطء ورأسك إلى الوراء بالتدريج دون أن تحول نظرك قائلاً - أنت تسقط إلى الأمام» وفي إيقاف الحركات العضلية وتصلبها، اجعل الشخص في حالة جلوس من غير أن تترك له وقتاً للانتقاد - وأمْره بجعل يديه إلى الأمام مع ضم راحتيه وامتداد ذراعيه، اضغط على يديه بانتظام وهو متطلع إلى عينيك من غير أن يحول نظره، وفي رباطة جأش خاطبه قائلاً: «لقد ربطت يديك، فاصبحتا مضمومتين بشدة، حينما أقول: «ثلاثة» فسوف تتداخلان حين تحاول فصلهما، لكن كلما حاولت زاد انطباقهما - واحد - ذراعاك متصلبان - إثنان - يداك ممسوكتان - ثلاثة - أنت غير قادر على فصل يديك. . . حاول جهدك، فلن تستطيع».

من الممكن أن لا ينجح المنوِّم، ولكن عليه أن يضاعف طاقة إيحاءاته ويقف أمام وجه الشخص محبطاً له كل محاولاته في سلسلة متقاطعة من الإيحاءات والتأكيدات إلى أن يقلع الشخص، وكلما كانت المحاولة عبثاً، قل له ببساطة «إنه الآن انتهى كل شيء».

وفي إيقاف الحركة مثل الإنقطاع عن الكلام، بعد التجربة السابقة، قل له

أن يتطلع إلى عينيك مع إعلان اسمه، ردد هذا مرتين في وجهه وأنت مركز عليه وبكثير من القوة، أوح إليه «إنك لن تستطيع أن تقول إسمك لأن حنجرتك تتقلص، لن تترك أي صوت يمر منها، انظر إليَّ ـ انها متقلصة، يستحيل أن تنطق باسمك».

حين تتأكد من هذا، انتقل به إلى الإختلال المركزي، ثم بادر إلى التطلع إليه قائلاً: «إن ذكر اسمك يهرب منك ـ إنه يختفي، فحينما أقول ثلاثة لن تستطيع ذكر اسمك ـ إنه يذهب ـ يبتعد ـ واحد، اثنان، ثلاثة ـ ليس لك إسم. إذا وصلت به إلى هذه الحالة فقد أصبح في مجال التنويم المغناطيسي الكلي، فإذا أردت رده قل بقوة: «حين أقول ثلاثة ستتذكر اسمك، ستقول له بدون صعوبة، واحد... إثنان... ثلاثة... تستطيع أن تقوله» وهكذا سيستعيد الشخص قدرته على الكلام، إن التجارب الآنفة الذكر يجب أن تكون متسلسلة الحلقات وبسرعة وثقة كاملة.

حدوث الإيحاء: إن ما سبق من تطبيقات يعكس لنا نتيجة التركيز من طرف المنوِّم، والإنتباه الإرادي من طرف المنوَّم، والجمود الرامي إلى إيقاف حركة الخصائص الواعية لدى المنوَّم، والإنعكاس الحركي للصور المحدثة في تفكيره عن طريق الإيحاءات. إن الخلايا العصبية تتحرك للصور المحدثة فيكون رد فعلها في العروق الناقلة للصور الموحاة إلى الأجهزة التي يستهدفها الإيحاء، وهكذا فإن توقيف حركات الخصائص الواعية الجزئي يسمح للإيحاءات أن تؤثر بشدة في اللاواعي فيعمل وفقاً للصور الموحاة.

وقد يأتي دور الأساليب الحسية التي يؤلف في حد ذاته عملاً تنويمياً، فالشخص المنوَّم إذا ركز نظره على عيني المنوِّم أو شيء لامع صغير الحجم، فإن الإيحاء يكون حليفه النجاح، حيث أن المهيجات الحسية تبدأ تلقائياً في التخدير حتى تقف فعالية الخصائص الدماغية الواعية، وهذا ما يشرح طريقة «بريد» وفي هذا الصدد يمكن الضغط على الكرات العينية أو الضغط على قمة الرأس أو على

جذور الأظافر أو المعصم، ولعل المرآة التي وضعها «لويس» وأتقنها الدكتور «ساج» في الولايات المتحدة هي أفضل طريقة حسية، وهي عبارة عن خطوط سوداء وبيضاء مشعة أو قرص يكوّن دوائر بعضها ضمن بعض، وقد تكون ثابتة فينظر فيها الشخص وهي بعيدة منه بعدة سنتمترات.

الفصل الثالث والأربعون

درجات قابلية الإيحاء

ليس من السهل جعل النائم آلة في يد المنوِّم، إن شخصيته تبقى، ووعيه يظل ساهراً، ووعيه النصفي الذي يؤلف طباعه ومزاجه يبقى بتمامه عاملاً، فالشاذ يبقى شاذاً في حالة النوم، لذا ينبغي أن يكون كل تأثير وإيحاء لا يتصادم مع مقاومة النائم، فقد يسمح ويدرك بكل وضوح إذا كان في سبات فيكون التأثير ضعيفاً على الجهاز السمعي، أما إذا كان في تخشب فإن حركته تتأثر بمشقة.

الأوهام: قد يحلم النائم فيرى ويسمع كائنات هي من ضرب الخيال، كذلك بواسطة الإيحاء نوقظ بعض الصور في نفس المنوَّم فتعطي مفعول الحقيقة في نفسه كما لو كنا نحلم، إننا نسمع عن بعض الناس أنهم يتكلمون أو يمشون وهم في أحلامهم، إن هؤلاء لا تتركهم أحلامهم في جمود كما يكون كل نائم، وهم الذين ينفذون أعمالاً لها علاقة بأوهامهم وتخيلاتهم في الحلم. أما في حالة التنويم المغناطيسي فإن الشخص يتحول إلى أعمال تأثيرية، فقد توحي له ببرد مشيراً إليه بأن يغطي نفسه فسيشعر حقيقة ببرد شديد، هذا نموذج من الوهم، فالإيحاء المقنع والتأكيد البالغ، هو أبلغ منفذ للشخص، كما أن الإيحاء الذي يسير على طريق التسلسل هو الأفيد، فإذا قلت مثلاً للنائم: «أنت الآن في زورق في نهر» فإن هذه الجملة أو هذا الإيحاء يبدو مقتضباً لا ينفذ إليه ولا يحركه كثيراً، لكن إذا

راعيت فيه التسلسل وحسن الإقناع ، فقد يبدو الحلم حقيقياً والـرؤيا جلية ، كأن تقول له مثلاً «إن الهواء يبدو عطراً والطقس جميلاً ، الحقول خضرة ، أمام ورود ، إنك تشم عطرها ، إقطف وردة منهـا ، لا شك أنـك مع جودة هذا النسيم تحـب الذهاب إلى النهر، إنك ذاهب إليه وهو قربك ، إنك تحب نزهة في زورق ، ها هو أمامك الزورق اركب الزورق الآن ، أنت في الزورق وسط النهر» .

إن خلق البيئة مع جودة الإيحاء هما الـكفيلان بإعطـاء مشاهـدات حقيقية تتحرك فيها الحواس الخمس .

التنفيذ : في الوقت الذي نخلق أوهاماً صحيحة عن طريق الإيحاء الايجابي أصبح في المقدور تنفيذ العمل ، لنفرض أن شخصاً أوحينا إليه أمراً بالغناء ، فإن كان في سبات عميق من التنويم المغناطيسي فمن الممكن أن يطيع دون الحـاح كثير، أما إن كان في سبات سطحي فإنه يحلم أنه يغني ولكن لا يسمع له الصوت ، وإما أن الإيحاء سيجد معارضة ناشئة عن خوف أو خجل ، وإما أن يستيقـظ بكل بساطة ، مع هذا كله ، فإن الإيحاء المركز قد يأتي بنتيجة حسنة ، لو أكدت للنائم أنه في حفل صغير يشارك فيه أصدقاءه بأغنية ، مؤكداً له أن الجميع سيندهش حينمـا تغني أمامهم برباطة جأش وصوت جميل وأنك الآن على استعـداد ، فأنـت الآن تبدأ . . .

هذا مثال من أمثلة كثيرة ، إننا إذا توصلنا إلى خلق محيط وجو يسير وفق عقلية المنوِّم ومستواه فقد يمكنه تنفيذ ما يوحي إليه ، فقد يمكن جعله واعظاً أو طياراً أو كوميدياً أو فارساً إلى غير ذلك في كل هذه الأحوال سيتقمص الشخصية التي توحى إليه ويقلدها حسب معرفته السابقة ، وبالطبع سيمثلها أحسن من لو كان مستيقظاً . وإذا أردت أن ينفذ النائم أوامر بعد الإستيقاظ فإنه يمكن ذلك على شرط أن يكون النائم في حالة عميقة من النوم المغناطيسي وأن تأخذ بمعصمه أو تضغط بلطف على قمة رأسه ثم تلفت انتباهه لقولك «انتبه واصغ إليَّ جيداً ـ سأقول لك شيئاً عظيم الأهمية ـ اصغ إليَّ بانتباه» بعدها تذكر له العمل المطلوب مع وقت تنفيذه ، مثال

ذلك «أنت الآن تنام نوماً عميقاً، والآن سأوقظك، لكن في اليوم الفلاني من تاريخ أو شهر كذا ستفعل كذا وكذا. اطلب منه أن يعيد كل ما كلفته به، أكد له عدم النسيان، واطلب منه أن يؤكد لك ما سيقوم به وعن طواعية، موحياً إليه أنك ستوقظه، وأنه بعد اليقظة لم يبق أثر التأثير الذي فرض عليه، لكنه سينفذ ما هو مأمور به في الوقت المطلوب.

لقد سبق القول بأن الإيحاء يكون إيجابياً يراعي فيه سلوك النائم، فقد يحدث مثلاً أن النائم يقاوم الإيحاء إذا اصطدم بخوف أو كراهية كأن تأمره بسباحة في الماء فيشعر بقشعريرة أو يخاف القيام برحلة في البحر، أو وجهت له أمراً بمجابهة خطر، أو طلبت منه بذل عطايا أو إعجاب أو بغض أو حب، مثل هذه الأشياء قد تلقى الرفض إذا لم تحسن التصرف أو كانت منافية لمبادئه، إلى خاتمة مطاف الإيحاء عند الإستيقاظ تكون بمحو كل الأوهام التي استخلصت منه، يجب أن تزيلها بإيحاءات قائلاً: «انتهى كل شيء ـ أنت في حالة عادية ـ أنت الآن في نوم عميق ـ كل شيء زال ـ سأوقظك ـ لن تشعر بأي تعب، أفكارك الآن واضحة ـ أنت مسرور ـ إنك في حالة حسنة، ثم أسأله هل هو في حالة حسنة، بعد الجواب أيقظه. إن النسيان في اليقظة كما جرى أثناء التنويم المغناطيسي ولو كان موحى به بالحاح لا يكون مؤكداً أبداً. ولو حدث أن منوِّماً مغناطيسياً آخر أوحى بفعل شيء فإن المنوِّم الجديد يمكنه أن يوحي بإيحاءات مؤكدة أو عكسية أثناء الإستيقاظ من النوم، وهكذا فإن التنويم لا يشكل أي خطر على الشخص كما يدعي البعض.

الإيحاء العلاجي: النوم في حد ذاته منشط إذا تركناه من غير إيحاءات تعكس على الدماغ ردوداً، بالأحرى إذا أوحينا إليه بإيحاءات علاجية ستكون أجدى وأنفع للوظائف المختلفة، إن المنوم الذي يقوم بالعملية يشترط فيه أن يكون قادراً على تشخيص العلل، باستطاعته تقدير إمكان العلاج الإيحائي لكل حالة عضوية، وفي الإضطرابات النفسية العصبية غير الناتجة عن علة، فإن التنويم المغناطيسي يفيد فيها أكثر من غيرها، وكذا الإختلالات النفسية كالعادات السيئة

والخوف واليأس والجنون إلى غير ذلك كلها قابلة للعلاج تحت تأثير الإيحاء الشافي، إن المنوِّم عليه أن يسجل حالة المريض النفسية ثم يضع لها تقديراً، على ضوئها يرتجل الإيحاءات المناسبة، ويرتبها في نظام محكم، تكون هي شعاع الجلسات العلاجية منبثقة من أخلاق وطباع وآلام المنوِّم فيها التنوع لا الرتابة الحافزة إلى النقص في التأثير، وشخصية المنوِّم هي نفسها تربط التعاطف مع المريض إذا كانت مشوبة بالتبصر والسلطة والفطنة. إن المريض الذي أمامك هو في حالة نفسية تبعث على الشك والمعاكسة، فمن الأكيد أن تلح على حصول النتيجة الشفائية نحوه، وعودة القوة كما كانت، ورجوع الحياة العادية إلى محلها، وإذا كنت في جلسة مسائية وكان النوم فيها خفيفاً فلا داعي بأن توقظه، أما إذا كان النوم عميقاً فأزله عنه.

الفصل الرابع والأربعون

درجة الكشف

من الحرص أن نلقي أشد الانتباه على حالة درجة الكشف ـ أو التجوال النومي ـ لأهمية ذلك، فعند تنويم الشخص قد يدخل إلى التجوال النومي بتأثير عمليات المنوِّم، وقد يحدث أن المنوِّم يحوِّل السبات إلى التجوال بدون وعي منه، وظواهر التجوال معقدة، وقد نأتي برأي المنوِّم الشهير «شاركوا» حيث يقول: «عندما يصل الوسيط إلى درجة التجوال تكون عيناه مغمضتين أو نصف مغمضتين، وأهدافه غالباً مضطربة ومرتعشة، فإذا تركته لنفسه يبدو كأنه نائم أو به خدر وتنميل، ولكن حاله غير حالة التفكك الجسدي العادي، وأحياناً تكون عيناه مفتوحتين وهو في درجة التجول، ويكون نظره ثابتاً جامداً ولكن بشكل غير واضح، وأحياناً يصبح بصره طبيعياً فيبدو كأنه مستيقظ وهو في الواقع في حالة نوم تجوالي عميق. قد تبدو على النائم علامات أو تصرفات تلقائية من عنده مثل تحريك أعضائه. وليس ذلك تحت حكم المنوِّم إلا إذا صدر له إيحاء خاص، ويمكن نقله من هذه الحالة إلى حالة التخشب عن طريق الإيحاء واللمس الخفيف لجلد الأطراف».

إن أوضح ظاهرة في التجوال النومي هي قابلية الإيحاء والإستعداد لتلقي أي تأثير أو إيحاء، فيشرع العقل الباطن في تنفيذه في الحال، وحالة التجوال هذه أو

الكشف، تظهر بدرجات متفاوتة من الحالات السطحية إلى الدرجات العليا، أما القابلية للإيحاء فهي توجد في كل الدرجات، وقد تزاد شدة مع ارتفاع الدرجة الكشفية، كما أن الشخصية والوعي والذاكرة تضعف عند النائم الوسيط، أما احوال التجوال أو الكشف فهي ثلاث درجات. فالدرجة الأولى هي حالة مغناطيسية خفيفة لا يلاحظ فيها تغير واضح في حالة الوسيط النائم، أما إرادته فهي طيّعة مستسلمة، وهو يتوقع الحصول على نتيجة، أما وعيه فهو كامل حيث يعلم ما يطلب منه ويدرك ما يفعله ولكنه يترك نفسه من غير مقاومة للتأثيرات، وحالة الذاكرة طبيعية أثناء التجارب وبعدها إذ سيتذكر تفاصيل التجارب التي تهمه أو تلفت انتباهه. فهو يقبل الإيحاء وينفذه ما دام لا يتعارض مع شخصيته وضميره، وهذه المرحلة أسموها بيقظة الكشف». أما الدرجة الثانية، فهي درجة مغناطيسية أعمق، تظهر فيها ظواهر الكشف العادية، وهي تحذير خفيف، تزداد بالتدريج حتى تختفي شخصية الوسيط النائم، وتترك مكانها لشخصية ثانية، وقد يختفي فيها الذوق والعادات المكتسبة والحركات الآلية نتيجة تأثيرات جديدة، أما الوعي فيصبح مقيداً نسبياً لكنه غير مشلول ولا يتفاعل مع المؤثرات البسيطة أو يستجيب لها، والوسيط في هذه الدرجة الثانية إذا حدث له ما يخالف أخلاقه فقد يتنبه الوعي، بينما الذاكرة تبقى تتذكر على الأقل ما قام به في الحالة السابقة من النوم وغالباً ينسى السبب الذي دفعه للتصرف، بمعنى أنه ينسى الشخص الذي أعطاه الإيحاء. بل ينسى أنه قد أوحي إليه، كما يعتقد أنه تصرف بمحض إرادته، فيجد أسباباً معقولة لتفسير أعماله الإيحائية، إن مناطق الذاكرة التي تكون مظلمة يمكن إنارتها بأسئلة تجعل النائم يتذكر كل شيء، وذلك بربط الظروف أو الحوادث أو الأفكار بعضها ببعض، إن الوسيط النائم يتلقى الإيحاءات فينفذها بدقة وبشكل آلي. أما الدرجة الثالثة من الكشف فهي الدرجة العميقة التي يلاحظ فيها جميع درجات الكشف، ففيها تخدير تام حيث تكون العضلات في جمود تام وتختفي شخصية النائم تماماً، فإحساسه العادي لا يوجد، وأفكاره الخاصة لا تأثير لها عليه، بل مرهفة إلى درجة أعظم غير أنه لا يتحكم فيها ولا يستطيع استعمالها أو التحكم فيها، فيتحوّل جسمه

إلى آلة يسيطر عليها المنوِّم، ومن المؤكد أن وعيه أصبح مماثلاً للتغير، فهو يرى ولا يفهم ولا يفكر ولا يستطيع تقدير الأشياء الخارجية ولا أعماله ولا نتائجها، وليس هذا إلا اختفاء العقل الواعي، ومن البديهي أن الشعور بالمسؤولية غير موجود، فقد تتأثر الذاكرة الواعية تأثراً مماثلاً كالوعي، فبعد تلقي الإيحاء يختفي هذا الإيحاء من ذاكرته ولا يستطيع أن يتذكر الإيحاء الذي أوحي به إليه إن كان الإيحاء مؤجل التنفيذ.

الفصل الخامس والأربعون

ملاحظة عامة على طرق التنويم

هناك بعض المنوَّمين في البدء يظهر عليهم عدم التأثير بالعوامل المغناطيسية وطرق التنويم العادية مثل تشبيك الأصابع والجذب إلى الأمام والدفع إلى الوراء إلى غير ذلك، فهؤلاء لا يتأثرون تأثراً شديداً للمقدمات، ولكنهم يتأثرون بنظرة المنوِّم، وتحدث لهم اختلاباً، خاصة منهم الإناث، وقد يمكن إحداثها في الذكور ما بين سن 15 و 25 ، كما يمكن إحداثها في الوسطاء الحساسين بغير أي إيحاء سابق وبغير علم الوسيط، فقد يمكنك أن تنظر فجأة إلى المنوَّم عن قرب، وأطلبه أن يحدق فيك ـ وهذا ما يسمى بالتقاط النظر ـ حيث أن نظرك يعمل كمغناطيس يجتذبه إليك فلا يستطيع تحويله، فحينما تتمكن منه مل به إلى الخلف تراه يبتعد أو مل به إلى الأمام تـرَهُ أيضاً مال معك أو استعمل بعض الحركات تـرَهُ فعلها معـك فهـو حينذاك يطيع جميع إيحاءاتك، وهو قد ينسى جميع ما حدث كما لو كان نائماً نوماً عميقاً، وبتكرار التجارب تشتد قابليته للخلف والإيحاء، ولكي تزيل عنـه التـأثير انفخ في عينيه. وقد يمكن ربط عيني المخلوب بشخص آخر وذلك بوضع يديك أمام عيني المخلوب ثم توجههما نحو عيني الشخص الثاني وتزيل يديك عن وجهه فيرتبط نظره المركز بالآخر.

التنويم بالطرق الطبيعية عند الهستيريين:

يمكن إدخال مريض الهستريا في حالة تخشب بدون أي إيحاء وذلك بتأثير

ضوء قوي مفاجيء أو صوت شديد أو تحديق طويل في شيء براق فيصبح كالجماد، نظرته ثابتة لا تتحرك، وتحتفظ أعضاؤه بالوضع الذي هو فيه، فلو رفعت يده تبقى مرفوعة وإن حركتها دائرية تستمر في ذلك بشكل آلي، فهو طبعاً في هذه الحالة في تخدير تام، وقد يمكن إكساب ملامح وجهه تعبيراً معيناً له علاقة بوضعه، فمثلاً إذا وضعت راحتيه على صدره كأنه يصلي، ظهر على وجهه ابتهال وخشوع، وإذا رفعت رأسه لاح عليه الشموخ والكبرياء، وهكذا، فإذا أردت أن تزيل عنه التأثير يكفي أن تنفخ في عينيه، وإذا أغمضت عينيه وهو في حالة تخشب فإنه يمر إلى حالة السبات والتراخي، أما إذا دلكت رأسه وهو في حالة تخشب انتقل إلى حالة تجوال نومي.

السبات عند الهستيريين:

إذا طلبت من المصاب بالهستريا أن ينظر إلى شيء براق على مسافة بضع سنتيمترات من جدر أنفه فإن تنفسه يهدأ ونظراته تصبح هامدة جامدة وتعتليه حمرة في العينين ورجفة في شفته العليا، وبعد بضع دقائق تنقلب العين إلى أعلى ثم تغمض ويقع في نوم عميق، فإذا فتحت له عينيه يقع في تخشب، وإذا دلكت رأسه وجبينه دخل إلى مجال النوم التجوالي؛ ولإزالة ذلك انفخ في عينيه، وتجدر الإشارة إلى أن التجوال النومي يصعب الحصول عليه بالطرق الطبيعية، لكن بالإيحاء والسبات وكذلك المناطق المغناطيسية والسحبات عليها قد يمكن ذلك، وقد يقع فيه بعض النائمين بالضغط على الرأس أو بتأثيرات متتالية على حاسة النظر أو السمع أو الشم.

حالات السبات المغناطيسي:

حالات السبات المغناطيسي أو التخاذلي أو الإسترخائي تبدأ عند النائم بتنفس عميق قوي وأحياناً بشهيق أو حشرجة أو غطيط وحركات بلع قوي، وهي علامة دخول النائم في السبات العميق، حيث تغمض العين بدون أن تسقط الأهداب كما في النوم الطبيعي وتبقى مرتجفة بشكل سريع ويسقط الرأس إلى

الخلف في ارتخاء، فيكون الجسم في حالة تفكك والأعضاء متخاذلة، ولربما حدث تقلص أحد الأعضاء تحت تأثيرات خارجية، وقد يبقى هذا التقلص أياماً بعد الإستيقاظ، كما يمكن إزالته أثناء النوم بالطريقة العادية، إن النائم في حالة السبات التخاذلي غير قابل للإيحاء ولا يستطيع تنفيذه. لكن إذا وقع في حالة مركبة من التراخي والتجوال النومي يكون قابلاً للإيحاء.

وقد يمكن عن طريق الإختلاب إيقاع النائم في سبات بتحديقه في البلورة أو المرآة الدائرة، وكمثال على ذلك يجلس المنوِّم المنوَّم جلسة مريحة، ويقف أمامه المنوِّم أو يجلس على مقعد أعلى منه وعن بعد15 سنتيمتراً، فيثبت نظره فيه مع قلة الكلام. أما إذا استخدم المنوِّم البلورة أو المرآة فيكفي أن يضعها بين عيني النائم على بعد15 سنتيمتراً ولا لزوم لمواجهة النائم في هذه الحالة.

التخشب المغناطيسي:

التخشب هو عدم الحركة مصحوبة بجمود عام في العضو أو الأعضاء، وقد يكون أشبه بالتمثال حتى حركات تنفسه خافتة خفيفة بطيئة تقف مع جموده من غير أن يظهر عليه أي تعب. فقد يمكن أن تتخذ من جسمه شكلاً من الأشكال، فمثلاً يمكن أن تضع رأسه على كرسي ورجليه على آخر وجسمه كالقنطرة يقف عليها أي شخص أو أكثر من شخص، إنه في حالة التخشب يكون التخدير تاماً، حيث يمكن وخزه بإبرة أو جرحه أو حرقه من غير أن يتألم، بل قد تمكن بعض الأطباء من عمليات جراحية بغير ألم للنائم في حالة التخشب، فالمتخشبُ فقد اتصالاته بالعالم الخارجي إلا مع المنوِّم، والمراكز العصبية تسجل بشكل غير واع كل الإحساسات التي تأتيها عن طريق الحواس، والإحساسات تبقى كطاقة كامنة في العقل الباطن إلا إذا كانت إثارتها بالإيحاء من طرف المنوِّم المغناطيسي.

والتخشب في أبسط حالاته قد يحدث عن صوت عال فجائي كانفجار مثلاً أو قرع طبل أو ضوء فجائي قوي أو النظر الطويل في انعكاس ضوء على مرآة.

الفصل السادس والأربعون

إثباتات عامة وخاصة

كان القيام بعمليات التنويم على المسارح أمام الجمهور زماناً، خاصة أيام «دوناتو» سنة 1875 التي أسرعت له كل باريس وأصبح اسمه على كل شفة. ولم تكن عملية التنويم متاحة لأحد سوى بعض الأطباء القلائل أمثال «لاموت ـ و ـ ساج ـ و ـ فلانت ـ في الولايات المتحدة الأمريكية، وأنوفروت ـ في أمريكا اللاتينية، وبيكمان ـ و ـ لابوتر ـ في أوروبا. كل هؤلاء ظلوا لربع قرن وهم يمارسون عملية التنويم أمام المشاهدين، إلا أن هذه العمليات خفت حدتها في الآونة الأخيرة.

شروط الإختبارات: إن القائم بعملية التنويم عليه قبل الشروع أن يقوم باختبارات خاصة تؤهله لذلك حيث يكون قد اكتسب آلية تامة في استعمال الأساليب والمقدرة الكافية، وذلك بإيضاح فكرته أمام الجمهور مع رباطة الجأش تحفظ هدوءه وحضور بديهته وذهنه أمام أية صعوبة، فعليه أن يكون خبيراً واثقاً من نفسه، وهذا كله طبعاً يحتاج إلى تمارين تنويمية على مجموعة من مئات الأشخاص. أما النقطة الرئيسية فهي عدم الإغتام أمام الجمهور حينما يكون هناك إخفاق، لنفرض أنك قمت بتجاربك على ثلاثة أشخاص كانوا متمردين على إيحاءاتك، فإن ظهرت عليك خيبة الأمل والإنزعاج فإن موقف الناظرين لم يكن في صالحك، أما إذا احتفظت باللامبالاة ولو ظاهرياً وأظهرت للناظرين أن وجود

أناس متمردين أمر طبيعي فليس هناك ما يحرجك، وعليك أن تواصل اختباراتك على أشخاص آخرين فستجدهم خاضعين، لذا وجب عليك أن تجري تجاربك على عشرين شخصاً على الأقل فستتوصل بفضل فطنتك المكتسبة إلى تشخيص قابلية الإيحاء عند الناس تشخيصاً صحيحاً، فحينذاك يصبح من السهل عليك إحياء حفلة تضم بضعة أشخاص، وهناك نقطة أخرى لها أهميتها، وذلك أن حق القيام بتنظيم حفلة هو من حقك وحدك، فلا تقم بتجربة ما تنفيذاً لطلب فلان أو فلان في حفل من الأصدقاء أو مجمع عام فيه جو غير مناسب يحدوه اللهو وشتات الفكر، لكن إذا كنت بارع الإقناع فستعرف كيف تحول الفرص لصالحك وتثير في هؤلاء الرغبة في التجارب فتسوق المجمع إلى حفلة تستطيع أن ترتجل فيها سهرة مشوقة، مستغلاً تجاربك على أشخاص مهيئين سلفاً.

اختيار الأشخاص: حاول إقناع مستمعيك بأن العدد القابل للتنويم قليل وأنك ستقوم بتجاربك على الحاضرين، وهذه التجارب لا تؤذي أحداً أبداً.

جرّب عملية السقوط إلى الوراء مديراً ظهر كل شخص جهة الجمهور والنور أيضاً، واطلب إليهم النظر إلى الصفيحة المؤطرة ذات اللون الأسود والأبيض مدة 15 إلى 30 ثانية قبل دعوتهم إلى إغماض العينين.

لاحظ أيضاً وجوه الحاضرين وأيديهم وابحث عن العلامات التالية:

إبهامات قصيرة - أصابع ملساء - آذان دون شحمة - تغلّب الخطوط الإهليليجية غير الواضحة على الخطوط المستقيمة - نظر غير حاد - أنف ذو ظهر رقيق - منخران دقيقان - احمرار - عرق اليدين الفجائي - تردد في المشية، كل هذه الدلائل تدل على قابلية التأثير. وقد ابتدع «أوكوروفيكز» طريقة للإختيار تقضي بوضع خاتم فولاذي ممغنط في الإصبع الصغيرة لكل شخص حيث يتكشف الإحساس عن تنميل أو إحساس بمجرى كهربائي خفيف يمتد من اليد إلى الذراع.

أما «ديران دي غروس» فكان يعطي كل شخص قرصاً من الزنك في نصفه

دائرة نحاسية صغيرة لامعة ثم يمسك يده اليمنى المستندة إلى الركبة وينظر إليه بانتباه وبعد 5 إلى 20 ثانية يشعر من يملك قابلية التنويم باسترخاء يكثر أو يقل، ويجد البعض أنفسهم في حالة من الخضوع. ومع هذا كله فإن تجربة السقوط إلى الوراء لها أفضلية السرعة إلى هاتين الوسيلتين، لأنه يمكن تطبيقها على مجموعة من الأشخاص.

سير التجارب: قد يوجد بين الأشخاص الذين أجريت عليهم تجربة السقوط إلى الوراء أناس يفقدون توازنهم ويسقطون، فعلى سبيل الإفتراض أن ثلاثة أشخاص أجريت عليهم التجربة أما الأول فتجرى عليه عملية السقوط إلى الأمام والثاني فتجرى عليه عملية تشنج الجفون والثالث تجرى عليه عملية الإمتناع عن الكلام، بهذه العمليات الثلاث المختلفة تجعل مفعول المفاجأة ممكناً، فبعد هذه الظاهرات الايجابية نوِّم أحد الثلاثة الذي تلاحظ أنّه أكثر طواعية، وإن كانوا جميعاً يقبلون التأثير فنوّمهم جملة.

إن عملية السقوط ليس لها أي تأثير كامل، فقد يحتفظ أصحابها بتوازنهم أو يستعيدونه، وذلك بسبب عدم كفاية قابلية الإيحاء أو بسبب المقاومة الواعية أو اللاواعية، والمهم هو السعي إلى خلق استعداد ملائم للتأثير التنويمي، ولأجل ذلك أجلس الأشخاص الذين لاحظت فيهم الإستعداد عن طريق السقوط، وادر ظهورهم إلى الجمهور، ثم قم بتجربة انتقال الصورة إلى الأيدي، وذلك بانطباق الأيدي وتشنجها عن طريق الإيحاء تدريجياً، ثم انتقل إلى الجفون من أجل تشنجهما حتى لا يستطيع فتحهما، أما الحصول على الإطباق التام فقد يسمح به بمتابعة تقدم التجربة.

المتظاهرون بالنوم: هي عثرات تصادف المبتديء، أو على الأقل عثرتان، أولاهما، وجود شخص مهيأ سلفاً وبشكل زائد يسقط في سبات عميق بعد ثوان من لمسه أو النظر إليه. وثانيهما وجود شخص متظاهر بالنوم والإغفاء أراد العبث والمزاح. إن المنوِّم المقتدى لا يكون شعوره نحوه ضد الإيحاء وكفى. بل يجعل

المنوِّم يلعب دور الأبله، بينما الذي نام بمجرد لمس أو نظرة فقد لا تصلح معه عملية السقوط، وفي الحالتين، فإن الذي ينام بسرعة وسهولة أوحِ إليه بعد جلوسه قائلاً: «نم ـ أنت تشعر أنك في حالة جيدة ـ تنام مرتاحاً إلى أن أوقظك».

ثم خاطب الحاضرين بأن أول شخص قد نام. أما المتظاهر بالنوم فأجر عليه ثلاث عمليات للتثبت، الأولى: تشنج الذراع، ومحاولة طي المفاصل بالقوة بشكل تدريجي، والثانية شم شيء، والثالثة إيحاء فقدان الحس.

ومما تجدر ملاحظته أن الشخص النائم حقاً يمكن إيقاظه إذا كان النوم المغناطيسي خفيفاً، فحين يستيقظ لا شيء يثبت أنه كان متظاهراً بالنوم، أمَّا إذا كان غير متأثر بالعمليات الثلاث فإن النوم المغناطيسي حقيقي.

حوادث تنويمية: قد تنصح المنوِّم بأن لا يجعل المنوَّم يقوم بأعمال لا ترضاها نفسه هو، هذا مبدأ يجب أن يلتزم به، وأن لا يحمّل النائم فوق طاقته، حقاً إن النائم قد نوم حواسه بأشياء، فقد نجعله ينظر أو يسمع أو يشم أو يلمس أو يتذوق أشياء وهمية، كما قد نوحي إليه باستعدادات أخلاقية أو تنفيذ أعمال أو تقليد شخصية، إلا أنه ينبغي أن لا نجعل المنوَّم يتجاوز إمكاناته وأهليته العادية التي يملكها في حالة اليقظة، فعلى المنوِّم المغناطيسي أن يضبط منهجه مستوحياً منه الوسط والظروف.

الحالات العامة: بالطبع قد نستطيع التأكد من وجود اثنين أو ثلاثة بالمائة من الأشخاص الذين تعرضوا للتنويم في وقت ما حينما يريد المنوِّم القيام بعمله في قاعة المسرح، ومن الممكن لا يجد أحداً، كما قد يجد أناساً مهيئين سلفاً وأناساً معاكسين قد أتوا ليبرهنوا عن إنكارهم، فالمنوِّم المتمرن بسهولة يكشف عن كل فئة، وعليه أن لا يضيع وقته في محاولات لا طائل تحتها، لأن المسرح يتطلب السرعة والفنية، وكل تطويل يتعب الجمهور ويجعله يقلع عن الإنتباه وينصرف إلى الحديث مما يسبب له التشويش والفوضى داخل القاعة، فالتجربة يجب أن لا

تتجاوز20 ثانية ، وحين يصل المنوِّم إلى النوم الكامل عليه أن لا يتجاوز مدة العمل دقيقة أو دقيقتين خوفاً من المحاذير، ولا بأس أن يكون قد شاهـد عدداً كبيراً من الحفلات من طرف زملائه من أجل أن يتزود ويتغلب على الصعوبات .

الباب الخامس

- أشكال التنويم المغناطيسي
- تجارب وطرق
- إيقاظ وحوادث
- التنويم المغناطيسي والقانون

الفصل السابع والأربعون

تجارب المران

هذا الموضوع سيضيء المبتديء ويكسبه نتائج حسنة إذا ضاعف محاولاته، إنه جهد لا بد من بذله ليتمكن المبتديء من القيام بعمله وبالتالي ليتمكن من رباطة جأشه ويأخذ المناعة والصلابة في التكلم والعمل أمام الغير وبالتالي حضور البديهة السريعة والحصانة الثابتة، لا يتأثر بأية شخصية كبيرة أو صغيرة يراها، أما الإتقان فيكتسب بمضاعفة المحاولات بعد إجراء العملية على العشرات من جميع أنواع الأعمال، وإن أكثر الأشخاص تمرداً أفيد للمبتديء تمرناً بحكم أنهم يتيحون له التذكار والتمرن، وعليه فإن القضية الأساسية هي بذل الجهد لتطبيق أساليب الفهم والإدراك السريع من أجل اكتساب كثير من الآلية والوضوح في أعماله، فحين نملك هذه الآلية وهذا الوضوح في العمل سنجد التركيز الذهني الذي يلعب أكبر دور صار يؤمن للمنوِّم درجة عالية من الحدة، بحيث أصبح لا يراقب ألفاظه أو نظره أو حركته، وإنما أصبح يتخلص من هذه المشاغل إلى تركيز الفكر على النتيجة التي يريد الحصول عليها.

لقد تخيل للبعض أنه من اللازم إكتساب معرفة نظرية أعمق وأوسع قبل إجراء التجارب، فيدفعهم هذا الحافز إلى البحث عن جملة كتب ما أن ينهي الأول حتى ينتقل إلى الثاني، لهؤلاء أقول، أن كتابي هذا كافٍ ليجعل منك منوماً ممتازاً إذا

تتبعته بدقة، وستصبح بعد خمسين تجربة منوِّماً واعياً على دراية بما يعترضك، ولعمري إن هذا أفضل من مطالعة ألف كتاب في هذا الفن. إن أول ما يجب على المبتديء فعله هو حفظ مجموع الأساليب عن ظهر قلب للأساليب التي يستعملها لتحقيق إحدى الظاهرات، ومن ا لأفضل بعد قراءة النص أن يردده منفرداً في غرفة متخيلاً أمامه الشخص الذي يجري عليه التجارب من نظرات وحركات وكلمات إيحائية، سيشير الضحك هذا التمرين، فلا عليك، أعد الكرة مرات بجد وبدون تردد وتعب، وبكثير من التكرار والإعادة ليصبح أسلوب التنفيذ مألوفاً وآلياً دون تمهل أو عجلة أو انقطاع، فهذا التمرين كاف ليجعلك تستقبل أول زبون تريد التأثير عليه، وهذا أيضاً حافز ليولد فيك النشاط النفساني المركز بشدة، وهذا العامل غير المنظور هو الأساس في السلطة.

الفصل الثامن والأربعون

التهيؤ

هناك شروط ثلاثة لا بد منها لكل مبتديء

أولاً: فهم ماهية التنويم واستيعاب قوانينه.

ثانياً: تحقيق الشروط الضرورية للتنويم، وذلك بتطور خصائص العمل ذي الفعالية القوية والتي لا غنى عنها من أجل تنفيذ طرق التنويم.

ثالثاً: معرفة أساليب التنويم والتمرن على التطبيق.

هذه شروط ضرورية واضحة، كلها عرضناها جملة وتفصيلاً في هذا الكتاب، إنما هي شتات هنا وهناك بين أطرافه، قد يروقك أو لا يروقك ترتيبها، ولكنها لا تخرج عن ثنايا الكتاب، والموضوع عندنا هو الوصول إلى ما هو ضروري وتطبيقي وعملي تاركين ضروب المعرفة في هذا الفن لمن وصل إلى النتائج أولاً.

إن تطبيق التنويم يحوّل الطباع إلى أحسن، وذلك بتوفر المنوِّم على الشخصية والحزم والطاقة، من أجل هذا سنعرف ماهية التنويم من جديد وفي سطور بصورة سريعة، وكأن المبتديء لم يقرأ في هذا الكتاب إلا هذا الفصل.

التنويم المغناطيسي علم يدرس حالة خاصة في الإنسان تدعى النوم

المغناطيسي بسبب تشابهها مع النوم الطبيعي، وقد يدرس طريقة إحداث النوم وإبطال مفعوله والإستفادة من الظاهرات الملحوظة، وبإمكان النوم المغناطيسي أن يحدث لدى جميع الأفراد بشكل أكثر أو أقل سرعة، أو أكثر أو أقل اكتمالاً، كما يلاحظ حدوثه عند بعض الحيوانات أيضاً.

إن النوم المغناطيسي يمتاز بانقاص فعالية بعض خصائص الدماغ من قوة الحكم والإرادة ووعي الذات، وعن طريق هذا الإنقاص قد نصل إلى فقدان الوعي بصورة تامة، وهذا يعني بلوغ حالة النوم المغناطيسي الكامل. وحين لا يفقد الشخص المنوَّم إلا جزءاً من الوعي فإن قوة الحكم والإرادة تتخاذلان ولا تتلاشيان، وحينذاك يكون النوم جزئياً، وفي هذه الحالة يكون النائم على شكل كائن مستيقظ. أما حينما تتناقص في النوم المغناطيسي الكلي أو الجزئي فعالية قوة الحكم والإرادة ووعي الذات فإن خصائص أخرى كالمخيلة والآلية النفسانية إلى غير ذلك تصبح ذات فعالية أكثر يمكن أن تؤثر في جهاز الشخص النائم.

إنه في النوم المغناطيسي الجزئي يمكن وضع النائم في حالة عدم القدرة على تنفيذ بعض الأعمال لأن كلام المنوِّم وإيحاءه هو الذي يؤثر في آلية النائم النفسية، وهذه بدورها تؤثر في الجهاز العضوي فتحقق الظاهرات المطلوبة. أما في النوم المغناطيسي الكامل فإن النائم يفقد وعيه، ففي النوم الطبيعي يكون لا علاقة له بأحد، أما في النوم المغناطيسي فيبقى على علاقة بديهية بالمنوّم ولا يستطيع التفكير إلا بتحريض من القائم بالعملية.

والنائم سواء كان في نوم مغناطيسي كلي أو جزئي فإن الانفعالات التي أعطيت له يمكن أن تستمر بعد استيقاظه وتؤثر في حالته النفسانية وتغير بعض ميوله بميول جديدة، والأوامر التي تُعطَى للنائم يمكن بحسب قواعد الفن أن تفسح مجالاً لتنفيذ أعمال في وقت ما.

وقد يحدث النوم المغناطيسي بواسطة أعمال آلية أو بإيحاء، والإيحاء هو فن التأثير النفسي على الإنسان، ويكون بواسطة النظر أو الكلام أو الحركة، ولكي

يكون الإيحاء فعالاً يجب أن يكون مركزاً ومحدداً. وتكون فعاليته أكثر قوة إذا استقبله النائم سلبياً وذلك بالإلحاح والتكرار في نبرة مقبولة. ومن الواضح لنصل إلى فرض فكرة أو تأثير أو تنفيذ عن طريق الإقناع لا بد من فرض الكلام أو النظر أو الحركات مع التحلي بصفات الحزم والصلابة والكلام الإيجابي والنظر النافذ، وهذا ما يدفع المبتدىء إلى اكتساب استعدادات تجعل استعمال الإيحاء إيجابياً ممكناً، قد نلاحظ أشخاصاً مهيئين للتأثير على الناس لأن مزاجهم كذلك، وآخرون ضعفاء يتسمون بالخجل يعوزهم الدافع، أولئك الذين يخافون الإخفاق، لكن في كلتا الحالتين يجب أن نتأكد من النجاح إذا سعينا إلى التمارين الموصلة التي سنشرحها، والجدير بالذكر أن الإنسان كلما شعر أنه أقل تهيئة لممارسة التنويم تكثر وتزداد حاجته إلى الإيحاء العلمي، والتمارين التي نوردها تجعل المبتديء يتغلب على الخوف والتردد كما تحفظ الطمأنينة للنفس حين مجابهة الشخص الذي تريد تنويمه، فتبعث الثقة في التلفظ بالإيحاءات بشكل حازم وفي نبرة هادفة تجعل شعور النائم أنه أمام منوِّم حاذق، بالإضافة إلى فرض الإحترام على الناظرين وإزاحة شبح الخوف أو من يعترض السبيل من المشاغبين.

التمارين: من أجل أن تكتسب طمأنينة وثقة نفسية وتضع حداً للخجل والخوف وتأثير الغير عليك فإن التمارين التالية تفيدك جيداً بعد تكرارها عدة مرات كل يوم، ويكون بين التمرين والتمرين فترة خمس ساعات إلى ست.

- تمدد على ظهرك وارخ عضلاتك، وتنشق الهواء من أنفك تدريجياً وببطء ممدداً بطنك احتفظ بعدة ثوان بالهواء الذي تنشقته ثم اقذفه ببطء أيضاً.

هذا التمرين يجب أن يكون على مهل حتى لا تؤثر في الأنسجة، وبعد الإنتهاء من عمليتي الشهيق والإحتفاظ والزفير تعود لتتنفس حسب الإيقاع العادي للتنفس، ثم تعود إلى التمرين من غير أن تتجاوز ذلك أربع مرات في البداية.

إن قيمة هذا التمرين هو التخلص من احتقان الدم في قفص الغدد الذي هو مركز التأثيرات والمحرضات، ولا داعي للتفصيل بعد هذا، فإنه كاف لدرء

الخجل والخور، وحين تمارس التمرين عمليا ستتأكد من القول وأهمية التمرين.

2 ـ بعد التمرين الأول الذي يكسبك الإطمئنان النفسي، يجب أن تتمرن على التحريض النفسي وتنظيم حركة القوى العقلية تجاه العوارض التي تعترض أعمالك، وهذا التحريض ستحصل عليه بالتأمل اليومي الذي تقوم به منفرداً في مكان مظلم وحدك جالساً أو ممتداً.

ارخ عضلاتك، وفكر بالتنويم مخضعاً تفكيرك للنقد الجدي باحثاً عن جميع الأفكار التي من شأنها أن تجعل إرادتك تبلغ النجاح والتسلط والتأثير على الناس.

3 ـ وقت النوم من كل ليلة لا تتأخر عن ممارسة الإيحاء الذاتي في سبيل الإستفادة من دراستك التنويمية، اختر مثلاً هذه العبارة «لي جرأة مطلقة في التسلط والسيطرة على الغير» فهذه العبارة يجب أن تكون حاضرة في ذهنك طوال الدقائق الأخيرة من نومك وأنت عاقد العزم على تنفيذ ذلك. فطوال مدة نومك يستعمل التفكير نصف اللاوعي وعمل المخيلة على إحداث تغيير راهن في موقفك النفساني، وستجد المفاجأة حينما تجد استعداداتك أصبحت قوية أكثر من السابق.

4 ـ لكي يكون كيانك الغريزي ومخيلتك ومراكز التأثر عندك أكثر إمكانية لدى نقد إرادتك المتفلتة، حاول أن تحذف كل حركة لا واعية مثل النقر باصبعك على الطاولة أثناء القراءة أو هز الرجلين والصفير أو الإشارات أثناء الحديث إلى غير ذلك من العادات الناتجة عن لاوعي، وعوّد نفسك أن لا ترتجف إذا فوجئت بشيء كرنة جرس أو صوت مزعج إلى غير ذلك.

إن لهذا التمرين فائدة أخرى هي تنظيم انتشار السائل العصبي وتوفيرك من التعب الناتج عن تبذير القوى، فواظب على هذا التمرين بشكل منظم، فستجد نفسك كسبت ربحاً سريعاً.

5 ـ لكي تستطيع جمع طاقتك النفسانية على مقصد واحد لا بد أن تخصص كل يوم خمسة عشر دقيقة لتفكر في أمر واحد وتحفظ فكرة واحدة وتبعد ما عداها.

إن هذه التمارين الخمسة كفيلة بأن تؤلف تعاوناً بين كافة الأعضاء، ونتائجها ستلمسها حقيقة في ظرف شهر أو أَقَلّ أو أكثر حسب الإستعداد وسوف تتطور وتنمو، والتنويم كغيره لا يمكن الحصول عليه بدون عمل، فكل مجهود مبذول هو مكافأة، إن هذه التمارين بصرف النظر عن كونها ذات فائدة تنويمية فإنها أيضاً توقف العصبية وتشفي الأرق وتجعل المرء لا يتأثر بالبرد وتنظيم الدورة الدموية.

6 ـ بعد التهيؤ الداخلي نريد أن ندرب المبتديء على النظرة.

ضع نفسك في غرفة مظلمة، يمكن إنارتها بالتدريج عن طريق ستار في النوافذ أو الباب، فوجه نظرك إلى نقطة ما على مستوى عينيك، انظر إلى النقطة دون رمش طرفك، وذلك بالتدريج إلى أن تصل مدة 20 دقيقة دون خفض جفنك، فهذا التمرين يجب أن يكون كل يوم مع زيادة مدة التمرين وأنت تزيح الستار بالتدريج أيضاً حتى تستطيع أن تجد نفسك تحدق مدة 20 دقيقة من غير رمش في واضحة النهار، وستصل إلى النتيجة إذا ساعدت هذا التمرين بمحاولتك الإحتفاظ بنظرك الجامد حينما تقرأ أو تكتب.

7 ـ ولتثقيف الإيحاء والصوت يجب أن تقرأ صفحة أو صفحتين يومياً في وقت معين، فتلفظ الكلمات ببطء وبأفضل لفظ ممكن ووضوح المقاطع في لهجة رزينة حازمة دون جهد، وبعد التمرين اختر إحدى عبارات الإيحاء المعطاة في الكتاب وألقها بقوة وتعبير صالح كأنك أمام شخص تريد تنويمه، فهذا التمرين ستتذوق ثمرته بعد ثمانية أيام على الأقل.

8 ـ حركات اليد التي هي ضرورية في التنويم، فهي ترسل السحبات التي تنقل السائل المغناطيسي من المنوِّم إلى المنوَّم من جهة، ومفعول إيحائي من جهة أخرى.

لذا فهي مرتبطة بالتمرين السابع، فتقف أمام مرآة واختر إحدى العبارات الإيحائية، وكأنك أمام الشخص الذي نريد تنويمه، فاختر إشارات صالحة تعين الإيحاء، جرب ذلك على عدة طرق، واختر الأفضل ثم رددها، ففي عدة مرات ستشعر بمفعول إشاراتك.

إن هذه التمارين التي هي أمامك قمينة بأن تكسبك النجاح في وقت وجيز.

الفصل التاسع والأربعون

تجارب مغناطيسية في اليقظة

على المبتديء دائماً أن يبدأ بتجارب أولية في حالة اليقظة بالنسبة للنائم أو النائمين جملة، وهذه التجارب الأولية هي مدعاة للثقة بينك وبين الحاضرين، فهذه الإرشادات ستزودك جيداً، فإذا كنت أمام مجموعة أو جمهور تبدأ أولاً بالقول «أريد أن أقوم ببعض التجارب دون أن أعرِّض أحداً للنوم، وأرجو من أولئك الذين يريدون التأكد بأنفسهم من التأثير الناتج ألا يظهروا أية مقاومة لعلمي، لأن عدم المقاومة يساعد على إحداث الظاهرات بسرعة أكثر مما لو قاوموا» فمن هذا المدخل تنتقل حيناً دون فاصل إلى التجربة، إذن أنت الآن مثلاً أمام أشخاص عددهم أربعة أو عشرة يريدون أن يلمسوا بأنفسهم مفعول التنويم المغناطيسي. أطلب منهم أن يقفوا صفاً واحداً ما بين الشخص والشخص 20 سنتيمتراً، ثم أطلب اليهم الانتباه إلى العمل مع لزوم الصمت التام، واطلب إليهم جمع أرجلهم وإرخاء أذرعهم وأعصابهم في استرخاء تام، قف على مسافة قليلة منهم بحيث ترى الجميع، قل بلهجة جريئة «تطلعوا إلى عينيّ» ثم تحدّق اليهم الواحد تلو الآخر مدة تتراوح 15 ثانية أو 20 قائلاً في نفسك «أؤثر عليكم بقوة، لن تستطيعوا المقاومة» بعد هذا القول عد إلى الاهتمام بحالة الأشخاص الروحية التي تتغير وفقاً للأمزجة، ولا شك أن البعض منهم سيضحك وآخرون ستظهر عليهم اللامبالاة وآخرون يحمرون ويصفرون أو تبدو عليهم اضطرابات، فقل حينئذاك حسناً. . . أغمضوا أعينكم وأرجو أن تبقى مغمضة إلى أن

آمركم بفتحها، سأحاول إجراء تجربة على كل منكم بمفرده» بعد هذا القول تقدَّم إلى الشخص الذي يبدو لك أكثر حساسية من غيره وضع يدك اليمنى مفتوحة على جبهته وقل بصوت هادىء «لا تفتح عينيك وارخ نفسك جيداً».

تجربة السقوط إلى الوراء: قف وراء الشخص وضع يديك على رفشيه وتطلع إلى نقرته وقل بصوت حازم: «حين أسحب يديّ فستشعر بقوة تجذبك إلى الوراء، فستسقط إلى الوراء. لا تخف، فأنا سأمسكك» ثم اسحب يديك بكثير من البطء وأنت تقول: «أنت تسقط إلى الوراء، أنت تسـ. . . قط إلى الوراء» فامسكه حينما يتداعى إلى السقوط. هكذا تجري العملية بالنسبة لكل واحد.

الجاذبية إلى الأمام: ضع يديك على ترقوتيْ الشخص، وانظر جيداً إلى جذر أنفه بين عينيه، واطلب إليه أن يحدّق إلى عينيك في انتباه مع إرخاء عضلاته، قل في نبرة قوية وإيجابية هادئة: «حين أسحب يديَّ فستسقط إلى الأمام لاشعورياً، ستميل إلى الأمام، أنت تمـ. . .ـيل، أنت تسقط إلى الأمام، أنت تسقط» امسكه حين يتداعى إلى السقوط.

اليدان الموثوقتان: هذه التجربة تكون على الذين أجريت عليهم عملية السقوط إلى الوراء وإلى الأمام، أطلب من الشخص مد ذراعيه إلى الأمام وأن يضم يديه بنوع أن تتلامس الراحتان، ثم خلِّق بنظرك إليه كما في عملية السقوط إلى الأمام، ضع يدك حول يديه وشدَّ عليهما شداً خفيفاً قائلاً بلهجة إيجابية: «أنا أبدأ بربط يديك ربطاً متيناً، والآن حين أقول «ثلاثة» فسوف تصبحان ملتحمتين تماماً مربوطتين بشدة، مضمومتين بقوة، حتى أنك تصبح غير قادر على فصلهما، وكلما حاولت فصلهما تنقص استطاعتك» يجب أن لا يتحوَّل نظرك عن نظره حتى تستولي على انتباهه. أما الإيحاءات فتُعطى بلهجة مقنعة مستميلة بشكل تؤثر في المخيلة. فبعد 15 ثانية من التحديق تقهقر قليلاً إلى الوراء وقل «يداك ترتبطان، يداك ممسوكتان، تصبحان مضمومتين أكثر فأكثر، واحد، إثنان، ثلاثة،

أنت الآن غير قادر على فسخهما، لا تستطيع أبداً، كلما أكثرت المحاولات تنقص استطاعتك، ترتبطان بشدة أيضاً، تتداخل إحداهما في الأخرى إلى آخره» إن الإرادة وقوة الحكم عند الشخص تصبحان عاجزتين عن القيام بوظيفتيهما. وهكذا أيضاً تفعل بالنسبة للجماعة، تنفذ العملية تلو الأخرى على كل واحد. ولإزالة التصلب قل «الآن حين أصفق فإن يديك ينحل رباطهما» وهذا بعد التحدّيق إليه هنيهة، صفق بشدة وقل: «يداك ترتخيان، إنهما مطلقتا السراح».

هذه التجارب كلها تستند إلى طريقة واحدة وبشكل متشابه، وسنذكر اختبارات أخرى تكون نموذجاً متنوعاً وفقاً لما يراه المنوِّم.

إغماض العينين: يكون الشخص واقفاً أو جالساً، يطبق عينيه بشدة كما لو كان غباراً أثارته عاصفة، أمسك بإبهامك وسبابتك جلدة جذر أنفه وارفعها رفعاً خفيفاً، وتضع يدك الأخرى وأصابعها متلاصقة فوق عيني الشخص بقليل لتحجب عنهما النور، قل بنبرة هادئة إيجابية، : «سأربط عينيك بقوة، الآن ستصبح الجفون ممسوكة، مضمومة، إنك لا تستطيع فتحها قبل أن آمرك بذلك، إنها ترتبط بشدة، حين أقول ثلاثة ستصبح غير قادر على فتحهما، وكلما حاولت ذلك تتماسك بقوة. واحد، إثنان، ثلاثة، تدخل الآن عيناك إلى الداخل، أنت غير قادر على فتحهما، جرب. . . فلن تستطيع. . . وكلما زدت من محاولتك يزداد ارتباطهما». ولإزالة التأثير انفخ على عيني الشخص موحياً إليه: «لقد انتهى الأمر، عيناك مفتوحتان. أنت في حالة جيدة».

تصلب الساقين: يقف الشخص مجتمع القدمين، وساقاه متوترتان، ضع ركبتك على الأرض، ويديك مفتوحتين على فخذيه، اطلب منه التحديق إلى عينيك كما في حالة وثاق اليدين، قل: «ساقاك تصبحان في حالة توتر، متوترتين، متصلبتين مثل عمود حديد، والآن ستصبحان متوترتين حتى أنك لا تستطيع أن تطويهما قبل أن آمرك، ثابر على التطلع إلى. . . حين أقول ثلاثة يصبح من

المستحيل أن تطوي ساقيك، فهما الآن أصبحتا أكثر توتراً ـ واحد، إثنان، ثلاثة، جرب، مستحيل، ساقاك كأنهما من خشب، تقل استطاعتك شيئاً فشيئاً، لن تستطيع». ولإزالة التأثير قل له: «تستطيع الآن أن تطوي ساقيك أفضل من السابق، أنت بحالة جيدة...».

فقدان الصوت: هذه التجربة تتطلب كثيراً من الطاقة الإيحائية، لكن يمكن الحصول عليها بسهولة إذا نجحت التجارب السابقة، ومع التمرين على التطبيق العملي فستتوصل إلى الحصول عليها بسهولة، إنها مرحلة انتقالية بين سلسلتي التجارب الأولى والثانية. إسأل الشخص قائلاً: «ما اسمك؟» فحينما يجيبك، اغرس نظرك في نظره وأنت تقول: «حسناً... حين أقول «سبعة» ستصبح غير قادر على لفظ اسمك، لأن حنجرتك ستصبح ممسوكة، واحد، إثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستة، سبعة...» اشر بسبابتك في اتجاه حنجرته وقل له: «الآن، يستحيل عليك أن تلفظ اسمك» كرر هذا الإيحاء مرتين أو ثلاثاً. وحين تريد إعادة النطق إليه ابتسم وصفق بيديك قائلاً: «هذا حسن جداً، تستطيع الآن أن تلفظه».

جاذبية غير منظورة: يقف الشخص في مواجهتك، ويكون بعيداً عنك بعشرة أمتار تقريباً، قل له: «تطلّع جيداً إلى عيني، بعد بضعة ثوان ستشعر أنني أجذبك إليَّ بقوة، أنظر إليَّ جيداً، أنظر، يميل جسدك إلى الأمام لاشعورياً، أنت تميل أكثر فأكثر، قدم رجلك لئلا تسقط، ثابر على التحديق إليَّ، اجذبك جذباً يزداد قوة، أنظر، أنت لا تستطيع المقاومة، أنت منجذب نحوي...» وبانتهاء الإيحاءات ستراه ينجذب نحوك ويخطو، فحين تراه ينجذب قل بسرعة: «الآن عيناك تحدقان إلى عينيّ، لا تستطيع أن تنظر إلى جهة أخرى غير عينيّ، أنا أجذبك بقوة، تتبعني إلى كل مكان» فسر إلى الوراء تجده يتبعك حيثما سرت، وأنت تكرر عليه الإيماءات السابقة.

حركات الذراع: اطلب للشخص إطباق قبضتيه، وأن يضعهما الواحدة فوق الأخرى والذراعان منطويتان إلى الداخل قل له: «أدر ذراعيك الواحدة فوق

الأخرى، أدرهما بسرعة، ستسير الآن بسرعة ولن تستطيع التوقف، إنتبه. . . واحد، إثنان، ثلاثة، انظر، إن ذراعيك تدوران رغماً عنك، ودائماً بسرعة، كلما حاولت التوقف تزداد سرعة دورانهما» كرر الإيحاء، فسترى ذراعيه وقبضة يديه يدوران بسرعة، ولتوقيف ذلك، قل له: «حينما أقول ثلاثة فسيتوقفان بسرعة، واحد، إثنان، ثلاثة، هما الآن توقفتا، أنت الآن في راحة.

الركوع: قل للشخص أن يتطلع إلى عينيك، أوح إليه قائلاً: «ساقاك تصبحان مرتخيتين، ونصفك الأعلى يزداد ثقلاً، الآن ستهوي على ركبتيك، لن تستطيع النهوض قبل أن آمرك بذلك، انظر، بدأت تهوي، تنطوي ركبتاك، مستحيل أن تقاوم، إن ذلك أشد قوة منك أنت تسقط. . . » إذا أردت بطلان ذلك، فقل: «حينما أقول ثلاثة سيزول كل شيء، واحد، إثنان، ثلاثة، ركبتاك تنطلقان، هما منطلقتان، أنت الآن في حالة طبيعية». إن جميع التجارب السابقة يجب أن يستمر فيها الإيحاء حتى تحدث الظاهرة المطلوبة، ويكون الكلام دائماً بلهجة إيجابية، ومن المعلوم أن هذه التجارب يمكن تنويعها، ويمكن للمنوّم أن يكشف تجارب أخرى لا نهاية لها بإيحاءاتها التي تناسبها بعدما يتمكن من عمله.

الفصل الخمسون

تجارب النوم

إن تمرين النائم وتكرار العملية عليه يعطي نتائج موفقة في جلسات أخرى، فمثلاً إذا نومت الوسيط، وأمرته برفع ذراعه إلى كتفه، ثم قلت بصوت الواثـق: «عندما أقوم بست سحبات على ذراعك فستتخشب ولا تستطيع تحريكها ولا تشعر بأي ألم من وخز أو نار أو شيء آخر» فإن التجربة ستكون ناجحة، فإذا أردت رده فقل: «عندما ألمس كفك وأقول لك أنزل ذراعك فإن التأثير يزول» ويمكن القيام بأعمال على هذا المنوال كتشبيك الأيدي أو فتح الأصابع، وهكذا تستطيع تزويد النائم بالتدريج إلى النوم العميق.

ومعظم النائمين يجيبون على الأسئلة بعـد تدريبهـم، إلا أن البعض يجيب بصعوبة بعد إلحاح، وبعضهم لا يلفظ مطلقاً، وغيرهم لا يظهر عليه أنه سمع شيئاً، وفي هذه الحالة إلمس أذنيه بخفة وقل له: «إنك الآن تستطيع أن تسمـع كل ما أقوله لك، وتستطيع أن تجيب» فإن أجابك فذاك، وإن لم يجبـك إلا بتحـريك شفتيه أو بنبس عاجز عن النطق فقم بسحبات من الرأس إلى البطن مع لمس العنق لمساً خفيفاً مع تكرار الإيحاء.

والنائم يمكن أن ينفذ شيئاً مؤجلاً، كأن يقوم بعمل معين أو يشعر بشيء معين أو يفكر تفكيراً معيناً في ساعة محددة بالذات، كأن تقول له في ساعة كذا من يوم

كذا ستشعر برغبة ملحة إلى الذهاب عند الفاكهاني لتشتري منه تفاحاً وتأكله في تلك اللحظة، فإنه يفعل ذلك بالضبط، أو تأمره بأن يتصل هاتفياً بك في الساعة كذا من يوم كذا، وعلى أي حال فإن الإيحاء المؤجل يتوقف على ذكاء المنوِّم وقوة سبك الإيحاء، ولا يخفى ما للعمل المؤجل من قوة الشفاء من العيوب الخلقية والعادات السيئة والأمراض النفسية والأعراض. وأما عملية تخدير النائم فهي تتـوقف علـى قطع مرحلة التصلب المذكورة ودخوله في السبات العميق، ويمكن إحداثها أيضاً في حالة نوم سطحي بل في اليقظة نفسها عن طريق الإيحاء والسحبات باللمس، وللتأكيد من ذلك يمكن وخز الوسيط بدبوس فلا يشعر بألم.

الفصل الواحد والخمسون

التنويم المغناطيسي الكامل

والآن وصلنا إلى تجربة النوم المغناطيسي الكامل، وقد عرفناه بأنه حالة عصبية خاصة لا يستطيع النائم فيها أن يناقش أو يعرض على محك العقل الأفكار والمحرضات التي يلقيها المنوِّم. إن الفكرة الموحدة تشغل في التنويم المغناطيسي الكامل حقل تفكير الموحى إليه بكامله، فتؤثر في جسمه وتستطيع أن تحدث فيه تبدلات، ويمكن إحداث هذه الحالة على معظم الأشخاص، من أجل هذا حينما تبدأ لا بد أن تُحدِث عليهم بعض التجارب في النوم الجزئي حتى توحي لهم الثقة بك وتسجل عليهم تأثيراً تدريجياً يسهل مهمتك، علماً بأن مفعول طرق التنويم المغناطيسي المختلفة تتبع مزاج كل شخص، قد يكون خفيفاً عن البعض وعميقاً عند البعض الآخر، فإليك طرقاً مختلفة تناسب حسب الحاجة.

طريقة المنوِّمين في حالة اليقظة:

لقد استطعتَ الحصول على السقوط إلى الوراء والأمام إلى غير ذلك من التجارب السابقة، أما الآن فأنت على أهبة النوم المغناطيسي الكامل، أجلس الشخص وأطلب إليه التطلع إلى عينيك وقل له في نبرة صوتية مقبولة «حين أقول سبعة ستنام، سترى كأن قناعاً، كان ضباباً أمام عينيك، جفونك سوف تثقل، عيناك سوف تنطبقان وستسقط في نوم عميق، هأنا أبدأ. واحد... النعاس يستولي

عليك. إثنان... تشعر بحكة في عينيك. ثلاثة... عيناك تنطبقان، ستنام، أربعة... أطبق عينيك، نم، خمسة... نوم، نوم، نوم عميق. ستة... لا تسمع سوى صوتي. سبعة... نم، نم نوماً عميقاً» ففي هذه اللحظة تنطبق عينا الشخص ويستغرق في نوم مغناطيسي نصفي أو تهويمي يجب أن تجعله عميقاً. ولأجل ذلك ضع يديك مفتوحتين على رأسه وارسم بإبهاميك قوسين ذاهبين من قمة رأسه مارين بالحاجبين منتهيين إلى جانب الرأس، كرر هذه الحركة ببطء موحياً له بلهجة إيجابية بطيئة: «نوم، نوم، نوم عميق، في كل ثانية يزداد نومك عميقاً، رأسك يصبح ثقيلاً، أعضاؤك يزداد ثقلهما، عيناك مطبقتان، مضمومتان، لا تستطيع فتحهما، كل شيء أسود أمامك لا تسمع سوى صوتي، أنت نائم جيداً، نائم حتى أنك لا تستيقظ قبل أن آمرك» ولكي تتأكد من نومه أوح إليه «الآن يجب أن تطيع، أطبق قبضتك اليمنى، من الذراع اليمنى، ذراعك تصبح متوترة، صلبة، متوترة، أكثر توتراً، كأنها قضيب حديدي، لا شيء يمكن أن يطويها ما عداي..» فإذا تصلبت ذراعه يمكن التأكد من نومه.

طريقة المنوِّمين الذين لم يتعرضوا لأية تجربة:

إن الصمت التام مفيد جداً في جميع الحالات، فعليك أولاً أن تلقي في روع الشخص أن لا يخاف، وأن يجعل ثقته بك، وأن تقنعه بأن النوم في صالحه فسيزيده قوة ونشاطاً، ولا خطر هناك، وأنه في الحين سيستيقظ، وسيكون أفضل مما هو عليه.

إطلب إليه أن يفكر في النوم، وأن يرخي كل عضلاته وينظر إليك، خذ معصمه في يديك واضغط عليهما ضغطاً خفيفاً، أنظر بين عينيه بشكل مستمر لمدة تتراوح بين أربع إلى خمس دقائق. فستلاحظ أن نظره أصبح ثابتاً واتخذ وجهه تعبيراً جدياً، وفي بعض الأحوال تتحول كرتا العينين وتنخفض جفونه، ومن الممكن أن تنطبق عيناه وتنفتحا عدة مرات، وفي جميع الحالات حينما تلاحظ أنه

منفعل ابدأ إيحاءاتك قائلاً: «لا تفكر إلا في النوم، ستشعر بخدر عام، وثقل في الرأس، وفتور لا يمكن التغلب عليه، وستنام نوماً عميقاً، جفونك تبدو ثقيلة، لا تستطيع أن ترى وتميز، جفونك تبدو ثقيلة، عيناك تنطبقان». استمر في الإيحاء من عشر إلى خمس عشرة دقيقة. فإذا لم ينم الشخص فانقطع عن العمل إلى جلسة ثانية، أما حين يغمض عينيه فأوح إليه إيحاءات تجعل النوم عميقاً.

طريقة تنويم الأشخاص المستعصين:

بقدر ما هناك جماعة مهيأة سلفاً بقدر ما هناك جماعة مستعصية تجد لديهم صعوبة حقيقية في النوم دون وجود إرادة خبيثة تدفعهم، وقد اخترعت الكرات التنويمية لأمثال هؤلاء، ومهما كان تنويم هذه الآلات فإن أفضلها تطبيقاً «الكرة التنويمية» وهي كرة زجاجية مجوفة، تتألف نقطة المركز فيها من كرة صغيرة جداً، وهناك مركب معدني يملأ نصف الكرة ويجعله كثيفاً غير شفاف، ويتجاوز نقطة المركز، ولهذه الكرة قبضة تسمح بتحريكها في الهواء. إن هذه الكرة المعدنية لها ثلاث ميزات، أولاً، منظرها فيه إيحاء يؤثر على الشخص الذي يراد تنويمه، ثانياً، تحقق التركيز الذهني عند الأشخاص المنومين. ثالثاً، تؤمن بشكل غريب تركيز نظر الشخص المراد تنويمه. فالصمت والإسترخاء العضلي والإنتباه محققة عند الشخص. أعرض الكرة عليه بحيث تكون بعيدة مسافة 10 سنتيمترات من عينيه، واطلب إليه التحديق فيها إلى نقطة المركز، وأن يتبع حركاتها بنظره، ارسم بواسطة الكرة قوس دائرة صغير من حاجب إلى آخر بمدة ثانية واحدة، موحياً بقوة وبشكل متقطع قائلاً: «نـ. . . م، نوم، نوم عميق جداً، أنت تنام، نوم عميق، رأسك يثقل، عيناك تتعكران، الرؤية تشوش، تنطبقان، نم، نم، نم، إني أريد ذلك، نم. . .». إن الشخص المتمرد على النوم غالباً ما يستغرق بسرعة في نوم عميق جداً، وعند تنويم الأشخاص الذين لا يتأثرون بسرعة زد على إيحاءاتك «ساعة كبيرة بالقرب من أذنه يسمع دقاتها، فغالباً ما يحدث النوم من أول جلسة، وقليل ما هم من ينامون بعد جلستين أو ثلاث يفصل بين الواحدة والأخرى يوم واحد.

طريقة تنويم مريض عصبي أو عقلي:

يجب أن يكون العمل تجاه هؤلاء بلطف، وأن يكون العمل مركزاً على الإقناع، أغمض أولاً عيني الشخص وهو جالس أو ممتد في وضعية مريحة، قم بلمسات تنويمية على جبهته بواسطة إبهاميك، وفي نفس الوقت ألق إيحاءاتك بلهجة منخفضة حازمة بطيئة رتيبة قائلاً: «النعاس يحتاجك، النعاس يستولي عليك، ستنام حالاً نوماً عميقاً، لن تفكر إلا في النوم، أنت نعسان، أنت نعـ. . . سان، النعاس يزداد عمقاً، يستولي عليك هدوء غريب، لم تكن مرتاحاً هادئاً كما أنت الآن، أنظر يحتاجك نعاس أكثر فأكثر، نوم، نوم، نوم عميق، نم بسلام، نم. . . ومرضى كهؤلاء ينامون على العموم بواسطة الإيحاء، أما العلاج الإيحائي فيأتي بالعجائب حتى لو لم ينم المريض إلا نوماً سطحياً، وفي جلسة أو جلستين ستحصل على نوم كامل، غير أنه يجب منذ الجلسة الأولى تلقي إيحاءاتك مستهدفاً شفاء المريض، وكن واثقاً فلأنك ستحصل على نتائج سريعة بواسطة الإيحاء عند حدوث الحالات العصبية والعقلة.

طريقة تنويم مرضى الإضطرابات الوظيفية:

يوجد غالباً في مثل هذه الحالة منطقة مؤلمة يجب أن تضع يدك مبسوطة عليها لتعالجها بالمغناطيسية التي سنتحدث عنها فيما بعد.

ضع أمام المريض ثوباً مخططاً بالأبيض والأسود أو بالأبيض والأزرق، وعلى المريض أن يريح نظره على هذا الثوب، وقد يمكنه ذلك من هدوء مطلق ويساعد إيحاءاتك مساعدة فعالة، وهذه الإيحاءات تكون كسابقتها التي قيلت للمرضى بالعصب، إلا أن النبرة الصوتية تكون ميالة للأمر. ولا شك أن التنويم ذو تأثير جيد على هؤلاء المرضى المصابين بالإضطرابات الوظيفية.

طريقة تنويم أشخاص دفعة واحدة:

أجمع الأشخاص في نصف دائرة، وأعرض يدك اليمنى عليهم مبرزاً

راحتها، أطلب منهم أن يركزوا على أعلى أصبعك الوسطى، قل لهم بلهجة إيجابية «سأعد واحد، إثنان، ثلاثة، أربعة... فحين أقول: واحد، فإنكم تطبقون عيونكم بقوة. وحين أقول إثنان، تفتحونها تماماً، ثلاثة، تعيدون إغماضها، وهكذا، فبعد ذلك تربط جفونكم وتبقى مغلقة، وتستغرقون في سبات عميق، انتبهوا، سأبدأ، أنتم الآن مستعدون «أبدأ بالعد» واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة. إلى نهاية العدد الذي حدَّدتَه، جاعلاً بين الرقم والرقم فترة ثانية، وهكذا، إلى أن يطبق جميع الأشخاص عيونهم، أما الذين لا ينتبهون أو الذين لا يحتملون لسبب من الأسباب فأصرفهم إلى مكانهم. وواصل بسرعة إيحاءاتك «أنتم تنا.. مون، أنتم تنا... مون، نوم، عميق، لا شيء يو... قظكم قبل أن آ... مركم بذلك، نوم، نوم، اسـ... تمـ... روا في النوم، نا... موا» وتأكد من عملك بتصلب الذراع.

طريقة التنويم الوقتي:

1 - إذا أجريت على الشخص تجربة اليقظة أو نومته نوماً كاملاً، أجر عليه تجربة منع التلفظ باسمه عن طريق الإيحاء، وحين يفقد صوته ويعجز عن التلفظ باسمه قل له: «حين أقول أ - ب - ت - ث - ج - ح تستطيع أن تتلفظ اسمك، ولكن حينما تنطق ستشعر بانطباق عينيك بشدة، لأنك ستنام نوماً عميقاً» وحين تنطق بالحرف الأخير «ب» اضرب بسبابتك ضرباً خفيفاً على جبهته، واغمس نظرك في نظره موحياً بصورة الأمر «نم، أنا أريد أن تنام».

وإذا كان الشخص لم ينم سابقاً، اقترب منه وامسك معصمه واجذبه إليك دون عنف وقل له بسرعة «اطبق عينيك، حسناً، انتبه، سترتبط عيناك وتنطبقان» اضغط على عينيه بإبْهاميك ضغطاً خفيفاً على كرتيه العينية موحياً إليه: «الآن أنت لا تستطيع أبداً أن تفتح عينيك إنهما ممسوكتان تماماً، تدخلان إلى الداخل، أنت غير قادر على فتحهما». ضع يديك على عينيه وقل له: «كل شيء يصبح أسود، انت تنام، أنت تنام، نم نوماً عميقاً». وحين ترى شخصاً يقاوم عن وعي أو غير وعي من

النوع الذي يصعب تنويمه، فاجعله يقف جانبك، ونوِّم أمامه شخصاً أو أشخاصاً، ثم فاجئه بالتأكيد أنه سينام قائلاً: «وأنت أيضاً صالح للتنويم وضع يدك اليسرى بسرعة على نقرته واصدم ذقنه براحة يدك اليمنى، فسيسبب له هذا الهز الخفيف هزة خفيفة في الدماغ، ضع يديك على رأسه مؤكداً «أنظر، رأسك يثقل، عيناك تقرصانك، تشعر بدوار لا يقاوم في رأسك، النوم ينفذ إليك، أنت تنام، نم، نم».

إسقاط النائمين:

إن الشخص النائم إذا ترك على حاله فسيستيقظ بعد ساعة تقريباً، وقل أن يزيد الأمر عن ساعة إلا في النادر، ولإزالة النوم عملية بسيطة، وفن هذه المهنة يفرض عليك أن تحث الشخص المنوَّم على الإستيقاظ في حالة حسنة، ويتخلص تخلصاً كاملاً من مفعول الإيحاء الذي يمكن أن يخفيه ويحتفظ به، فإذا أمرته بتنفيذ شيء متعب أثناء النوم فعليك أن تجعله يخفي كل أثر للتعب قبل الإستيقاظ، وإذا ألقيت عليه إيحاء علاجياً، فيجب أن يستمر هذا الإيحاء في اليقظة.

فمثلاً أردت أن تزيل عنه التعب أوح إليه بصوت مطمئن «أنت هاديء، لا شيء يزعجك أعصابك مسترخية جيداً، لم تشعر قط بمثل هذه الراحة، أنت تنام براحة، أنت في حالة جيدة، نومك يصبح خفيفاً، في كل دقيقة يصبح أكثر خفة، نومك أكثر خفة، حَتى أنك تستيقظ. الآن استيقاظاً كاملاً» انفخ نفخة خفيفة على جبهته، أو روّح عليه بهدوء، فسيستيقظ، ولربما استيقظ من تلقاء نفسه قبل نهاية الإيحاء. وستواصل استيقاظك إليه قائلاً: «حينما أقول سبعة، ستكون مستيقظاً، واحد، إثنان، ثلاثة، أربعة، أنت تستيقظ، خمسة، ستة، استيقظ»، انفخ على جبهته بقوة: «سبعة، حسناً، انتهيت من النوم، استيقظ، صفّق ثلاثاً ودع الشخص يمشي خطوات. إن بهذا الإيحاء يمكنك أن توقظ جماعة أيضاً

الفصل الثاني والخمسون

طريقة الدكتور «جاغو»

إنه في حالة واعية تقرب من النوم المغناطيسي يمكن الحصول على ذهول وخدْر يكفي لتحقيق الجمود النفساني الذي لا يمكن الإستغناء عنه في عمل الإيحاء التربوي أو العلاجي دون أن يفقد الشخص وعيه.

أ - يُمدّد الشخص في غرفة قليلة النور، ويكون مغمض العينين، مرتخي العضلات، في جمود تام طوال ربع ساعة على الأقل، كل ذلك تحت مراقبة النائم.

ب - بعد هذا تضع على مسافة متر أو مترين آلة تسجيل لموسيقى صامتة رتيبة يتخللها إيحاء رتيب ونبرة واضحة، كل ذلك في انتباه تام من طرف الشخص.

ج - يطفأ النور الخافت بعد الإيحاء فيبقى الشخص في الظلام فتدعه يغفو طوال 15 دقيقة إلى 30 دقيقة. بعد ذلك أيقظه بلطف.

طريقة إحداث النوم المغناطيسي الكامل:

1 - أجلس الشخص وأدر ظهره إلى الضوء بشكل يتيح له إرخاء عضلاته وأمل رأسه قليلاً إلى الوراء، وذلك على أريكة مريحة أفضل، واطلب إليه أن

يتطلع إلى شيء صغير لامع تمسكه بإبهامك وسبابتك، اصنع منه حركة دائرية بسيطة وبحركة بطيئة يتراوح قطرها النصف الدائري بخمس أو ست سنتيمترات، ومن الأفضل أن يكون القوس نازلاً إلى أسفل، وهذه الحركة النصف دائرية يكاد لا يشعر الشخص بدورانها إلى دائرة سفلية ثم إعادتها، وبهذه الطريقة يستطيع الشخص متابعتها، وبالإمكان الإستغناء عن ذلك وتعويضه بشيء لامع جامد، أو أن يتطلع إلى عيني المنوّم، لكن الطريقة المتحركة أفضل. وأثناء النظر يجب أن يركز على سير الإيحاء في نبرة وسلامة كما يلي: «قد تصبح جفونك ثقيلة، هي تبدو ثقيلة، إنك تشعر بحكة خفيفة في عينيك، يتشكل ضباب أمام عينيك جفونك يزداد ثقلها، إنها تكاد تنطبق، لا تستطيع الآن إمساك جفونك مفتوحة، إنها تتحفظ لاشعورياً، إنك ترى كأن هناك قناعاً، عيناك تنطبق بشكل تام لا يقاوم، عيناك أطبقتا، أطبقتا أكثر فأكثر، أنت لا تستطيع فتحهما، إنهما مطبقتان» لا تتلفظ بكلمة إغفاء أو نوم أثناء هذه المرحلة، فقد يشعر النائم بخوف مبهم قد يحدث معها رد فعل بنسبة 95 بالمئة. فهو في هذه المرحلة يكون قد أغلق عينيه خاصة إذا أصبح رأسه ثقيلاً مائلاً، عند هذه النتيجة تزداد قابلية الإيحاء عند النائم زيادة ملحوظة، إنه لم ينم بعد، لكنه مستيقظ تماماً، فخصائصه الواعية لا تملك حدتها الكاملة ومقاومته متخدرة، هنا انتقل إلى وراء النائم وضع يديك أمام عينيه، وشد باصبعك الوسطى شداً خفيفاً على كرات عينيه ثم أوح له ما يثقل الرأس قائلاً: «رأسك يثقل، يصبح ثقيلاً، يزن ثقيلاً، إنه ثقيل، ثقيل أكثر، ثقيل أكثر فأكثر، في كل لحظة يزداد ثقله، ثقيل، إنه يميل، إنه ثقيل يميل أكثر فأكثر». لا تنقطع عن هذه الإيحاءات إلى أن تشعر برأس النائم بدأ يميل إلى الأمام، إمسك الرأس وأعده إلى الوراء على المتكأ ثم عد إلى أمامه. افتح يديك على رأسه وإبهامك على جبهته، دع إبهاميك يقومان بدعكات خفيفة بشكل قوس دائرة مماس للحاجبين دون توقف وبحركة منتظم وفي الوقت نفسه أوح له بما يلي: «أنت تشعر بحاجة إلى النوم، أنت تنام، بحاجة إلى نوم لا يقاوم، تنام نوماً عميقاً، عيناك مغمضتان، مضمومتان، رأسك ثقيل، أعضاؤك ثقيلة، كل كلمة من كلماتي تزيد في عمق نومك، أنت

تنا. . . م، أنت تنا. . . م، أنت نـ. . . ائم، في كل لحظة يزداد استغرا. . . قك في النوم، أنت نـ. . . ائم، نم، نـ. . . م، أنت الآن نـائم. يمكن أن تتصرف في هذه الإيحاءات لكن المهم أن تتلفظ بدون تردد ونبرة هادئة ومؤكدة وبسلطة ليست ذات لهجة متعجرفة، إن الصلابة والحزم في الكلام الإيحائي يعطي الطابع الخاص المعبر، كما أن الإرادة تلعب دورها. بعد ذلك قف على يمين النائم واضغط على جذر أنفه بإبهامك الأيسر بينما أصابعك الأخرى تستند إلى قمة رأسه، ويتم هذا الضغط بشدة وسطى ودائمة، أوح إليه بلهجة رتيبة مقبولة متقطعة وبانتظام: «نـ. . . م، لا تـ. . . سمع إلاّ صـ. . . و. . . تي، في كل ثا. . . نية يزداد. . . نـو. . . . مك عميـ. . . قاً، لا يمكن لشيء أن يو. . . قـ. . . ظك، قبل أن أصدر إليك الأمر، نم نـ. . . وماً عمـ. . . يقاً». يمكن ترديد هذا الإيحاء عدة مرات.

ارفع أحد جفونه بلطف قائلاً: «أنت تسقط في أعمق إغفاء. . . فإن كانت العين منحرفة فهو نائم. هنا مدد أحد ذراعيه وأنت توحي له بتصلب الذراع، وهذا يزيد من شدة نومه، وكلما ازداد تصلباً كلما كان التنويم عميقاً. امسك معصمه واضغط قليلاً عليه وقل: «الآن أنت تنام جيداً ـ وهذا بالطبع بعد إرجاع الذراع إلى حاله ـ لا شيء يوقظك إلا أنا، حينما أقول سبعة ستشعر أنك تطيع، واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستة، سبعة، أنت الآن تنهض، وعلى ضوء الإيقاظ تستطيع أن تحكم على حسن طاعة الشخص حسب امتثاله للنهوض.

نماذج من النوم: إن استعمال الطريقة السابقة يسمح بملاحظة ثلاثة نماذج من النوم المغناطيسي:

1 ـ استلقاء النائم على أريكة وهو في كامل الإسترخاء العضلي، ورأسه مائل نحو اليمين أو الشمال، منجذب بثقله فاقد لحركته، فيجب أن تردد عليه الإيحاءات ليستطيع أن يرسم التنفيذ، إنه في الواقع يسمع كانه بعيد، أما جهازه العضلي

ومنطقة حركته فهما في حالة خدر، وهذه الحالة تستدعي «نوماً مغناطيسياً سباتياً».

2 ـ يبدو النائم متوتراً ومتصلباً، فهو كشمعة ثابتة، ينفذ ببطء وبحركة آلة أوامر المنوِّم التي يتلقاها، إنه النوم المغناطيسي التخشبي.

3 ـ قد يبدو النائم كأنه مستيقظ، إنه يتحرك لاشعورياً، فيسعل، ويحرك الرأس، وينقل الأعضاء، وهو ينفذ الإيحاءات بدقة دون تردد، إنه النوم المغناطيسي الشبيه بالحالة الكابوسية.

حالة النوم الممتازة:

إذا نحن أوحينا إلى شخص من النموذج الثالث، يعني الحركة الآلية أو الكابوسية، أثناء النوم، ففي سلسلة من الإيحاءات التي ترمي إلى النوم العميق يكفي بعد 10 أو 15 عملية كسب قوتها العليا، بحيث تكون انعكاساتها النفسية عميقة جداً فتوصل إلى درجات الكمال المختلفة في ظاهرات التنويم المغناطيسي من أوهام وتخيلات وآلية منفعلة إلى غير ذلك من تنفيذ أعمال مطلوبة بعد اليقظة، ومع هذا فإن النائم حينما يستيقظ ينسى كل شيء ما كان فيه من تجوال أو ما أمر بتنفيذه إلا في وقته. وإذا أعيد تنويمه فمن الممكن أن تعود له ذكريات النوم المغناطيسي السابق، فعلى المنوِّم أن يعلم ذلك.

الاسقاط:

حينما تريد إيقاظ الشخص أنذره بذلك، فإن لم تنذره دون تهيئة فقد يمكن أن يستيقظ حيناً، وهذا طبعاً يبعث اليأس عند المبتدئين حين يرون الشخص ظل مستغرقاً في نومه رغم أنه تلقى أوامر الإستيقاظ فيفقدون السلطة، لهؤلاء نقول. يكفي أن يوضع النائم في مجرى الهواء أو أن تشد على بطنه أو تسلط هواء بارداً على جبهته بواسطة منفاخ المطبخ البسيط لتنشله من جموده، وفي نفس الوقت أوح له: «الآن سأوقظك، أنت تستيقظ بسهولة، سيصبح ذهنك جلياً، وتشعر أنك في

خير حال، ستكون مسروراً لانتهائك من النوم» ثم تابع ذلك «حينما أقول «سبعة» فإنك ستفتح عينيك، وحينما أعد ستشعر أن النوم يزول، وحينما أصل إلى «سبعة» تنتهي من النوم» فابدأ بعد العدد . . . واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستة، سبعة» صفق بيديك قائلاً «انتهيت من النوم».

ويمكن أن تقول للنائم حينما أعد إلى خمسين ستكون مستيقظاً. . . ثم تبدأ في العد متمهلاً معه إلى الخمسين.

ويمكن أيضاً أن ترفع جفونه وهو في مواجهة النور قائلاً له: «انتهى كل شيء، أنت مستيقظ» وهذا طبعاً إذا كان في نوم خفيف.

الفصل الثالث والخمسون

طرق كبار المنومين

هناك طرق عديدة للوصول بالنائم إلى نوم مغناطيسي كامل ولتسهيل الإيضاح من الوجهة العملية، فإن العمل يتعلق بثلاث نقط أساسية، نظرة المنوِّم الحادة إلى النائم أو استعمال الكرة البلورية، أو كرة لامعة من النيكل، ثم الإيحاء الإيجابي، ثم السحبات.

ومما تجدر الإشارة إليه أن كل هذه مدعاة للملل فيها يتصيد النائم، فالنظر إلى العين أو الكرة فيه ما فيه من الملل للعين، وتكرار الإيحاء هو أيضاً ما فيه من ملل للأذن، والسحابات لها دورها في إرسال السيال المغناطيسي، تبقى أخيراً فنية المنوِّم في العرض، ولكي نزودك أكثر فسنعرض عليك طرق بعض المنومين الكبار بطريقة وجيزة تاركين لك فنية الإيحاء.

طريقة الدكتور شارل ريشيه:

اجلس النائم، وخذ إبهاميْه في يدك واضغط عليهما ضغطاً ثابتاً بضع دقائق وأنت مثبت النظر إلى عينيه، فبعد أن يغمض عينيه قم بإرسال السحبات من الرأس إلى البطن ماراً على وجهه وصدره.

طريقة الدكتور برنهيم:

مُرِ الشخص أن يفكر في النوم، بينما أنت تثبت نظرك في جذر أنفه بين عينيه،

وهو أيضاً يثبت نظره في عينيك، كرد على الإيحاءات، فبعد أن يغمض عينيه قم بالسحبات وأمره بشكل قاطع أن ينام.

طريقة الدكتور جسمان:

اجلس أمام الشخص ومره أن يغمض عينيه، ثم خذ يديك من يديه لتلمس بطن إبهاميك، وقل له إن شعر بالنوم عليه أن ينام، عندئذٍ ابدأ في الإيحاءات بعد نحو عشر دقائق، ثم اعمل له سحبات من الرأس إلى الوجه إلى الصدر إلى البطن، ولكي يمكنه الكلام ضع يدك على رأسه والأخرى على إحدى يديه، وكلمه مقرباً فمك من بطنه، وكرر ذلك حتى يجيبك، وبعد التدريب تصبح إجاباته عادية.

طريقة الدكتور بكمان:

يقف على يسار الشخص ويطلب منه النظر في فص الخاتم الموجود في اصبع يده التي هي أعلا بقليل من عينيه، ويضع يده اليمنى على عظمة اللوح أو يجعلها تقوم بسحبات خلف الرأس معها الإيحاءات، فيبدأه النوم فيسقط رأسه إلى الخلف.

طريقة الدكتور ريناتو:

يقف الشخص أمامه ويحدّق في فص خاتم لامع موضوع في الراحة اليسرى على مسافة 30 سنتيمتراً من عينيه، واليد اليمنى على عظمة لوح الكتف، يبقى الشخص فترة على هذا الوضع والإيحاء يتكرر بضع مرات، والعين مغروزة في جذر أنفه، وببطء شديد تسحب اليد اليمنى إلى الخلف لجذبه معها، وتنتهي الطريقة بإغماض العينين وعمال السحبات على الظهر.

طريقة هانزن:

بعد الإيحاء، يميل برأس الشخص إلى الخلف فجأة ويختلبه بالتحديق عن قرب ويأمره بالنوم، فإن كان حساساً نام في الحال.

طريقة جرلنج:

يجلس الشخص وظهره للنور، فيفكر في النوم بضع لحظات، ثم يثبت نظره في جذر أنفه، ويداه على يدي الوسيط مكرراً أمامه الإيحاءات، فسيشعر بحرارة راحته وجسمه ويشعر معها بتراخ وثقل وخدر وتنميل في ذراعيه، فعلى المنوِّم أن يقوم بسحبات من الرأس إلى البطن ونظره مغروس فيه فيوحي بثقل الجفون والرأس ثم بالنوم، وحينما يلاحظ كثرة رمش العينين يضغط ضغطاً خفيفاً على رأسه ويخفض يده ببطء حتى تمسح وجهه وتغمض عينيه، فعندها يضغط على عينيه وهما مغمضتان موحياً له بالنوم قائلاً: «أنت الآن نائم نوماً مغناطيسياً رغم أنك تسمع صوتي وتفهم كلامي، فبالرغم أنه يخيل إليك أنك غير نائم، لكن الحقيقة أن جسمك كله متخدر وثقيل ومشبع بالمغناطيسية، لا تستطيع عمل أية حركة إلا بأمري، وسأثبت ذلك ببعض التجارب» ثم يشبك يد الوسيط في يده الأخرى ثم يقول له بثقة: «عندما أضغط قليلاً على كفك لن تستطيع أن تفصل إحداهما عن الأخرى مهما بذلت من جهد، كرر معه بعض التجارب.

طريقة الأب فاريا:

اجلس الشخص الوسيط جلسة مريحة، وامره أن يفكر في النوم وأنت محدّق فيه عن بعد، وهو أيضاً ينظر إليك، رافعاً يمناك في وجهه بحيث يرى حد الكف، وبعد قليل اقترب منه ثم اخفض ذراعك فجأة وأمره بلهجة قوية أن ينام، فإن لم يحدث في الحال تقدم إليه وضع أصبعك على جبهته وركز فكرك فيه تركيزاً شديداً لإرسال سيال قوي، كرر عليه الأمر بالنوم، ثم اغمره بالسيال حتى يخر كالمصعوق.

طريقة ليبو:

ضع يدك على جبهة الشخص ثم اخفضها ببطء وبشكل تغمض به جفونه بالتدريج، كل هذا مع إيحاءات بصوت إيجابي هادىء قائلاً: «فكر في النوم،

جفونك ثقيلة، أنت الآن تنام، نم، نم». كرر عليه الإيحاء حتى ينام.

طريقة دولوز:

اجلس الشخص مرتاحاً، واجلس أمامه بشكل تكون فيه ركبتك ملامسة لركبته وأصابع رجليك تلامس أصابع رجليه، خذ إبهاميه في يديك وانظر إليه نظرة مركزية في عينيه وامكث في هذا الوضع مدة 5 إلى 10 دقائق ثم اسحب يديك بالتدريج من اليمين إلى اليسار، وارفعهما على رأسه ثم إنزل بهما ببطء على كتفيه دقيقة أو دقيقتين ثم اخفضهما ملامساً ذراعيه فأطرافه وأصابعه، كرر هذه السحبات 10 مرات أو أكثر، ثم ضع كفيك فوق رأسه واخفضهما إلى المعدة من أمام وجهه، ثم ضع الإبهامين فوق الضلوع وباقي الأصابع تحت الضلوع، وامكث كذلك دقيقتين ثم انزل بيديك إلى الركبتين، فهذه السحبات كلها إذا تكررت كافية للنوم.

طريقة موشان:

اجلس الشخص مرتاحاً، خذ يديه في يديك بحيث يلمس باطن إبهاميك باطن إبهاميه، اطلب إليه أن ينظر إليك مسلطاً عليه نظرك مدة 10 دقائق أو أكثر، فإن كان حساساً أغمض عينيه ونام، فاترك يديه وقف أمامه ثم أجر عليه سحبات نحو دقيقة ثم اخفضهما إلى مستوى الأذنين مدة دقيقة، ثم وجه أطراف أصابعك إلى المخيخ ثم اخفضهما ببطء إلى الكتفين بغير لمس ثم على الذراعين إلى أطراف الأصابع، كرر العملية مدة خمس إلى عشر دقائق، ثم اجلس أمامه وارفع يدك مشيراً بأصابعك إلى أصل أنفه بضع لحظات ثم اخفضهما إلى البطن ببطء، كرر ذلك حتى يفقد الحركة وينام نوماً عميقاً.

طريقة برايد:

إذا كان الشخص متدرباً وسبق له أن نُوِّم فإن هذه الطريقة بسيطة تنجح مع كثير من المبتدئين، يجلس الشخص في وضع مريح ثم ينظر إلى شيء براق وضع قبالة جذر الأنف أو أعلاه قليلاً بـ 10 إلى 20 سنتيمتراً، واطلب منه أن يحدّق فيه

باستمرار ويفكر في النوم، فإن انجحت فذاك وإن لم تنجح اختر طريقة أخرى أو وسيطاً آخر.

طريقة الدكتور شاركو:

تستخدم هذه الطريقة لمرضى الهستيريا للتأثير على المريض فيرسل عليه ضوء قوي فجائي، أو يشم رائحة قوية فجأة، أو يسمع قرع طبل قوي فجأة، أو ناقوس من نحاس، وقد يسبق هذا التأثير إيحاء بالنوم وقد لا يسبقها، فيسقط المريض عادة في تخشب.

طريقة الدكتور لازيج:

قم بتجربة في حالة اليقظة مثل التجارب السابقة، ثم أغمض عينيه، وضع يديك على جانبي رأسه بضع دقائق، ثم اضغط على جفنيه بالإبهامين ضغطاً خفيفاً مستمراً مع إيحاء بالنوم في الحال، ثم اتركه 20 دقيقة، عد إليه وأعطه إيحاء بالإستمرار في النوم العميق بعد عمل السحبات القوية بحيث لا يستطيع التحرك إلا بأمرك ويصبح جسمه مشبعاً بالمغناطيسية، قم بعمل السحبات من قمة الرأس إلى أطراف الأصابع ماراً على الكتفين، ثم سحبات من قمة الرأس إلى البطن ماراً على الوجه، واترك له 10 دقائق ثم قم بعدها بتجربة تشبيك اليدين وعجزه عن فكهما إلا بعد أمرك، وتخشب الذراع ووخزه إلى غير ذلك، ثم أعطه إيحاءات بأنه بعد عمل سحبات قوية باللمس على الجبين سيتصل بعقلك ويقرأ أفكارك، وبعد السحبات اتركه قليلاً، ثم عد إلى تدريبه على قراءة فكرك، وتدرج بعد ذلك به إلى ما شئت.

طريقة الدكتور بونيه:

طريقة تنمي قابلية التأثير بالإيحاء عند الوسيط، وتصلح لتنويم الذين ليست لهم قابلية الإستعداد إلى النوم، وهي مفيدة لعلاج الأمراض وتسكين الآلام، يمكن استخدامها في كل الأحوال الأخرى، وهي تعتمد على الإيحاء بحيث يقف

الشخص على أطراف أصابعه ووجهه إلى الحائط، يكرر عليه المنوّم إيحاء السقوط إلى الخلف، بعد ذلك يوحي له بتسكين الآلام.

طريقة دورفيل:

ينصح أولاً بلمس يدي الشخص الوسيط، ثم يجلس المنوِّم أمامه وتتلامس ركبهما وأيديهما ثم يثبت المنوِّم نظره في منطقة البطن، فإن كان الوسيط حساساً ثقل رأسه ونام حيناً، فيقوم المنوِّم بسحبات عن بعد من الرأس إلى البطن مع تكرار الإيحاء بتعميق النوم، ثم يقف المنوم على يمينه ويضع يمناه على جبهته ويسراه خلف رأسه بضع دقائق ثم يقف وراءه ويضع كفيه على أذنيه وأصابعه على عينيه مدة دقائق أخرى، ثم يعود فيقف أمامه ويضغط بإبهاميه ضغطاً خفيفاً على عينيه، بعد ذلك يكرر السحبات من الرأس إلى المعدة بغير لمس، ويتبعها بلمسات خفيفة، ويمكن إرفاق ذلك بإيحاءات تحث على تعميق النوم والإتصال بفكر المنوِّم.

طريقة الدكتور فلور:

يكون الشخص في وضع مريح، يوحي إليه بأنه حينما يصل إلى 20 ستثقل عيناه وتلتصق جفونه ولا يستطيع فتحهما، فحينما يقول «واحد» ينظر النائم إلى عيني المنوِّم ثم يغمضها ثانية، وعندما يتلفظ المنوِّم رقم «اثنين» يفتح الوسيط عينيه كالمرة السابقة ثم يغمضهما، وهكذا حتى يتم العدد، وعلى المنوِّم أن يعد الأرقام بهدوء، ويخفض صوته تدريجياً حتى يصل إلى الهمس، وبعد أن يغمض الوسيط عينيه يترك بضع دقائق ثم يعمل له سحبات من أعلا الرأس إلى البطن، ومن أعلى الرأس إلى الكتفين فالذراعين حتى الأنامل، إلى أن ينام نوماً عميقاً.

طريقة الدكتور أزديل:

هذه الطريقة لتخدير المرضى أثناء العمليات الجراحية:

كأن يجلس الشخص، ويمغطسه بالسحبات من قمة رأسه إلى قدميه نحو

ربع ساعة، ثم ينحني لآخر فيمغطسه نفس الزمن، ثم يعود للأول فيمغطسه حتى يصل إلى حالة نوم عميق ويفقد كل شعوره وإحساسه، فتجري له العملية الجراحية.

طرق الإختلاب:

عدد كبير من كبار المنوّمين كانوا يستعملون طريقة الإختلاب، وهي إجلاس الشخص والنظر بين عينيه في جذر أنفه مع تثبيت نظره إلى أن تتثاقل أجفانه وتدمع عيناه ويغمض، وقد تستعمل هذه الطريقة في الجلسات العامة وهي ذات فعالية.

طريقة التنويم بواسطة السمع:

اجلس الوسيط، وضع ساعة على جبهته، واطلب منه إغماض عينيه، والإصغاء إلي دقاتها وتركيز ذهنه على المنوم، فقد ينام الكثيرون في بضع دقائق، وبعدها تعمل السحبات والإيماءات لرفعه إلى الدرجة العليا، وهذه الطريقة تستخدم في الهند منذ زمان بعيد.

التنويم بالتأثير على المناطق المغناطيسية:

المناطق المغناطيسية التي يستعين بها المنوِّم تختلف من شخص لآخر، وهي على العموم السلامية الأولى من سلاميات الأصابع ـ أي القريبة من الأظافر، واليافوخ والمعصم ومفصل الساعد، والمناطق العامة التي تتأثر بالسيال كالنقطة بين زاوية العين وصوان الأذن، ومنطقة الظفيرة الشمسية ـ أي عند البطن ـ وعظمتي اللوح وجذر الأنف وخلف الرأس. فهذه المناطق يكفي الضغط عليها لينام الوسيط بعد بضع دقائق.

طريقة التهليل الليلي:

قد يمكن تنويم أي شخص من أي سن، خاصة صغير السن، والتحكم فيه عن طريق التهليل الليلي، وذلك بإلقاء إيحاءات محبوكة محكمة، وهذا طبعاً مع

توفر التجربة . حيث تقترب من الشخص ليلاً وهو في سباتـه ، فتبـدأ في همسـات إيحائية تكررها بصيغة هادفة ومحكمة حتى يمكنك أن تحوله إلى نوم مغناطيسـي يقوم بحركات حسب ما ترى ، فحينما تلاحظ ذلك نفّذ فيه ما تريد .

الفصل الرابع والخمسون

التنويم المغناطيسي الجماعي

إن الجماعة المكونة من أشخاص والذين تربطهم وحدة التصور والمشاعر والأهداف هم بحق ظواهر جديدة تختلف كلياً عما عند الفرد، ومن هذه الظواهر تزايد الإندفاع والإنفعال والتأثر بالإيحاء، فتسري العدوى النفسية بين الأفراد وتوحد الإتجاه بينهم، وقد يمكن أن يصل عددهم إلى أربعين.

إن أول من ابتكر هذا النوم المغناطيسي هو الطبيب السويدي «فيتّر شتراند»، كان طبيباً عمومياً مارس التنويم المغناطيسي والمعالجة به، وقد أجرى طيلة حياته مئة ألف عملية علاجية بالتنويم المغناطيسي، كما عالج مختلف الأمراض الجثمانية والنفسية والعقلية ودحض بذلك المزاعم القائلة بأن التنويم المغناطيسي لا يفيد إلا في الأمراض النفسية، والذي حمل «فيتّر شتراند» على فكرة التنويم الجماعي هو ظاهرة العدوى النفسية، فقد لاحظ ذات يوم طفلاً في المدرسة مصاباً بمرض «الرقص الزنجي» وهي حركات انتفاضية إجبارية لا هدف لها ولا تناسق بينها، وقد لاحظ أن رفاقه يقلدونه تماماً في مرضه، وهذا التقليد السطحي لا يميز بين المصاب وبين أصحابه المقلدين، فالواقع أنهم اكتسبوا أعراضه بالعدوى النفسية مع بقائهم أصحاء غير مصابين بالمرض، وهذا ما دعا «فيتّر شتراند» إلى التفكير بالإستفادة من «العدوى النفسية» في مجال المعالجة بالتنويم المغناطيسي الجماعي، فابتكر هذه الطريقة.

يجري التنويم المغناطيسي الجماعي في وضعية الوقوف أو الجلوس كما هو في التنويم الفردي، فقد يجلس المرضى مثلاً فوق مقاعد رتبت في صفوف متراصة وراء بعضهم بعضاً، وهذه الكراسي بالطبع تكون مريحة للمرض، كل يسند يديه فوق مسند الكرسي بوضعية مريحة، فيوضع لهذا الغرض مصباح أزرق فوق منضدة أمام الصفوف حجب جانبه الخلفي بحاجز غير شفاف كي يظل الضوء المنبعث منه متوجهاً إلى الأمام، ثم ينظروا جميعاً إلى المصباح ويركزوا عليه، ثم تتم عملية التنويم بالطرق السابقة، والملحوظة أن يكون تجانس في الأمراض التي هي موضوع العلاج، ويبعد كل شخص يمكن أن تصدر منه حركات أو ضوضاء يعيق عملية التنويم.

إن التنويم الجماعي له فعالية المعالجة والنجاح المحقق، كما يوفر الوقت والجهد، غير أن العيب الوحيد الذي يمكن أن يقال عنه هو عدم التمكن من اكتشاف الإنفعالات المكبوتة أو المركبات المختبئة عند الفرد.

الفصل الخامس والخمسون

التنويم الحسي

قد يمكن أن تحدث حالة النوم المغناطيسي من غير إيحاء وذلك بعمليات فيزيائية ترمي إلى جمع القوة العصبية عند الشخص في حزمة واحدة بنوع أن الوظائف الحركية تكسب فعالية كبيرة على حساب الوظائف الحسية، ومن هذه الأساليب. التحديق إلى شيء لامع، أو سماع قرع طبل أو صفيحة نحاسية يحدث على حسن غرة وراء الشخص، أو توجيه ضوء قوي إلى الشخص في غرفة مظلمة والضغط على قمة الرأس

إن هذه الأساليب الثلاثة تخضع لها نسبة 25 ٪ من الأشخاص، بحيث تحدس سباتاً أو تخشباً أو حالة حركة وكلام آليين أو ما سمى بالحالة الكابوسية.

إن التحديق في شيء لامع يحدث حالة سبات، وهذه الحالة تتميز بتوقيف عمل جميع الحواس وبالجمود المطلق، ولربما بنقصان في دقات القلب أحياناً.

والضرب على صفيحة نحاسية على غفلة وراء الشخص تضعه في حالة تخشب، وهذه الحالة تتميز بإلغاء مفعول الإرادة المطلق وبأهلية تجعل العضلات محتفظة بكل وضع توضع فيه، إن أقل تهيج يوتر العضل، وتكسب الحواس حدة خاصة، إنها حالة الإحساس المفرط.

أما الإنجذاب الروحي فيمكن الحصول عليه بتأثير الإيحاء وبالموسيقى أحياناً، والضغط على قمة الرأس يحث على حالة الحركة والكلام الآليين أثناء النوم، وهذه الحالة تشبه تلك الحالة التي نحصل عليها بالإيحاء البسيط، مثل العين مغمضة، والجفون منكمشة ومتصلبة إلى آخره. إن الشخص في هذه الحالة لا يطيع الإيحاءات إلا بعد أن تؤكد عليه ثلاث مرات تقريباً، ويمكن إلقاء إيحاءات لما بعد النوم، وسينفذها من غير أن يعرف من أين أتاه التحريض على التنفيذ.

تنويم الحيوانات:

ليس هناك وسيلة لتنويم الحيوانات إلا الأساليب الميكانيكية والنظر، فالكلاب والقطط قد تنام بفعل تركيز نظر الإنسان، فإذا حدقت إلى كلب بلطف فإنه يأتي نحوك وينظر إليك بانتباه كبير ثم بعد ذلك يغمض عيناً يتبعها الأخرى ويهدأ، ولربما يظل في مكانه ساعات. والدجاج أيضاً قابل للتنويم، أوثق رجليه وألقه أرضاً ثم ارسم خطاً أبيض على التراب على بعد مترين من منقاره، بعد ذلك حل وثاقه فإنه سيبقى دون حركة مدة ساعة تقريباً. وقد نعلم أن بعض الحيوانات تنوِّم بعضها، فالذئب يسحر الحمل، والأفعى تسحر العصفور، وهران مستعدان للقتال يحدقان طويلاً في بعضهما إلى بعض.

أما إذا أردنا الحصول على الإنجذاب الروحي وانتقال الأفكار إلى غير ذلك فيجب الرجوع إلى المغناطيسية التي سنوضحها فيما بعد، فإن مفعولها على الحيوانات محقق.

الفصل السادس والخمسون

حوادث الإيقاظ

قد يجد المنوم صعوبة في الإيقاظ إذا استعمل في تنويمه طرقاً عنيفة كطول الزمن أو تكرار السحبات مع وجود حساسية، أو عند ارتكاب أخطاء فنية كإعطاء إيحاءات معينة ثم تركه بغير إزالتها مثل التخشب أو إحداث الشلل في الذراع أو الساق أو تخدير جزء من الجسم حتى لا يشعر بالوخز، أو قطع اتصال بينه وبين شخص طلب منه قراءة أفكاره، أو بين أشخاص عديدين اتصل بهم تباعاً لقراءة أفكارهم أو تشخيص أمراضهم أو البحث عن عقد عصبية قديمة في عقلهم الباطن، وكذلك إذا قام المنوّم باستعراضات مسرحية لتسلية المشاهدين ثم نسي إعادة الوسيط إلى حالته الطبيعية خاصة في إحداث التخشب، أو وضع النائم بين مقعدين للوقوف فوقه فنسي إزالة التخشب عنه كما أن جهل المنوِّم أو حدوث إضطراب أو هلع أو خوف أوشك أو مرض مفاجيء أو تشنج أو دوار أو غضب شديد بسبب مفاجيء أو ترك الوسيط النائم للمشاهدين يسألونه فرادى أو جماعات أو إرساله لمكان بعيد ثم لا يطلب منه قطع هذه الإتصالات. كما يجد المنوِّم صعوبة الإيقاظ عند مرضى الهستيريا الذين ينوّمون للعلاج، والذين ينبغي دائماً تركهم في درجة «الهلوسة» حتى يخامرهم التعب والإسترخاءوينقطعوا عن الضجيج والمحادثة الوهمية، فبعد الهدوء يسهل إيقاظهم أو تركهم في نوم طبيعي، هو أجدى لهم، مما يصعب إيقاظ المرضى بالضعف الجنسي، وهؤلاء نومهم الطبيعي يستغرق خمس

عشرة ساعة، فيحسن في مثل هذه الحالة إعطاء إيحاء الإستيقاظ مع إيحاءات النوم الأولية، مثلاً: عندما أقوم بعمل سحبات على جسمك ثلاث دفعات كل دفعة عشر سحبات، يتشبّع جسمك كله بالمغناطيسية ويتعمق نومك ويصبح فكرك حراً في الإنتقال إلى أي مكان أطلب منك الذهاب إليه، وعندما أعمل لك خمس سحبات عكسية في نهاية الجلسة، أقول لك تنبه، فإنك تتنبه في الحال وتعود إلى حالتك الطبيعية نشيطاً جداً، وقد يحدث أيضاً أن المنوِّم يقوم بتنويم شخص بين جماعة إذ الشخص شديد الحساسية أثرت فيه إيحاءات المنوِّم، فلم يعرفه أحد إلا بعد شخيره، فهذا الشخص له حساسية وشدة تركيز، فإن بادر المنوِّم إلى إيقاظه استيقظ لكنه يبقى مصاباً بدوار وصداع ربما أياماً.

وعلى أي حال فإن المنوِّم إذا وقع في حالة عليه أن يرفع درجة الوسيط إلى أعمق نومه بالسحبات القوية لينقله من درجته الحالية إلى أية درجة أخرى سواء كانت أقل منه أو أعلى، وبعدها يعطيه إيحاءات الإستيقاظ، فيطيع بسهولة. إن مثل هذه الحوادث يندر حدوثها، وأفضل ما تتبعه عند حدوث تشنج أو مغص أو قيء أو اضطراب عقلي أو خلط ظاهر أو خوف جنوني مفاجيء من شيء وهمي إلى غير ذلك، أفعل ما يأتي بالحرف وإلا ساءت العاقبة.

- اطلب الصمت من الحاضرين بحيث لا يتحرك أحد، وذلك بالإشارة دون الكلام.
- ضع يدك على جبينه والأخرى خلف رأسه وتكلم بصوت هاديء على أن يكون الكلام موجهاً للحضور وليس له، لأن هذا أقوى أنواع الإيحاء، ويسمى «الإيحاء الغيري» وبيّن للحضور أن ما حدث هو أمر بسيط عارض، وسينتهي في الحال عندما يسري فيه السيال القوي، ويهدأ جسمه ويتعمق نومه ويرتاح راحة عظيمة. فبعد عشر دقائق يستيقظ في حالة طبيعية.
- لا تذكر في كلامك مطلقاً اسم أي مرض أو تعب هو فيه.

الفصل السابع والخمسون

الأشخاص الصالحون للتنويم

أشرنا فيما سبق أن النوم المغناطيسي يمكن أن يحدث بشكل أو بآخر أكثر أو أقل سرعة، وأكثر أو أقل كمالاً على الأفراد، وأن المنوِّم هو أيضاً يكون أكثر أو أقل تأثيراً على قوة كل شخص.

إنه من المعلوم أن أناساً مهيأون سلفاً لقبولهم التنويم، فعلى المبتدئين خاصة أن يبحثوا عنهم، والقابلون للتنويم تقريباً هم الأشخاص الذين يشعرون بعمل السائل الإنساني، وهم معروفون ببعض الميول والكراهيات الخاصة التي يظهرونها، وقد يمكن معرفتهم من حديثهم، فهم ميالون إلى اللون الأزرق، ويكرهون الأصفر، إذا تطلعوا إلى مرآة شعروا باضطراب نفسي، لا يحبون ركوب الخيل، ولا يستطيعون الإقامة قرب شلال، يشعرون بتأثير مزعج حين تعرضهم لضوء القمر، يحبون السكّر كثيراً، وهم في الغالب يشعرون بصداع خفيف قد يختفي حيناً، كما يشعرون بضيق حينما يجلسون نحو المشرق أو يمدّون رؤوسهم نحو الجنوب، يكرهون الحضور في المجتمعات، ينزعجون من رؤية حريق حتى ولو كان قريباً وهم يجهلونه. كما أن أصحاب الإبهام القصير الدقيق، والإذن دون شحمة هم أيضاً قابلون للإيحاء أن أشخاصاً يتميزون بإحدى هذه الصفات يسهل التأثير عليهم بطريقة ممتازة، علماً بأن جميع الناس يشعرون بتأثير الإيحاء بشكل

أكثر أو أقل، وأن كل فرد عن طريق المران يستطيع أن يصبح ممتازاً. إنه في كل مكان أناس قابلون للتنويم، فعلى المبتديء أن يبحث عنهم بين النوادي والمجامع من غير أن يذكر شيئاً عن دراسته، وسيرى إلى أية درجة يستطيع التأثير عليهم بواسطة الكلام. وحين تنوي البدء بالتنويم في مجلس عليك أن تختار مناسبة لتجعلها مدخلاً كأن تقول بأنك تهتم بالتنويم منذ أمد طويل، فحينذاك يطلب منك القيام بتجارب، فخاطبهم حينذاك بأنك سترضي فضولهم، لا تخشى الكم من الناس، فكلما زاد عدد الناس زاد عدد التابعين الصالحين للتنويم، وسيأتي هؤلاء من تلقاء أنفسهم، وإن سألوك لماذا لم تقل لنا بأنك تمارس التنويم مدة؟ أجبهم بأنه لا يمكن التأثير على الناس من غير أن يكونوا واعين، وقد قمت بعمليات كثيرة من قبل واحتفظ بها من غير ذكرها إلا في مناسبة معينة، وستسأل ما الفائدة من التنويم، وما الهدف؟. فقل بأن التنويم يساعد على دراسة النفس ومعرفة وسيلة العلاج لكثير من الأمراض. إن أجوبتك يجب أن تكون بهدوء تام ورزانة واطمئنان وحزم مع شيء من الغموض، إن الأسئلة المطروحة وأجوبتك عليها برزانة وغموضك النفسي يضفي عليك حلة من الإحترام والتأثير على الجماعة.

وبما أن الحذر يستيقظ دائماً عند معظم الناس وقت التنويم، فيجب قبل كل شيء أن توحي بالثقة قبل القيام بتجارب جزئية، كأن تقول: «إنه من الخير أن ينوِّم الإنسان نوماً مغناطيسياً، لأنه مفيد يقوي الذاكرة والتركيز والتفكير، ويزيل كثيراً من الإضطرابات والأمراض بسرعة، إن الناس جميعاً قابلون للتنويم بسرعة تقل أو تكثر، في جلسة أو جلستين أو ثلاث. وإني لأرى أناساً هنا صالحين للتنويم بسرعة ـ وهنا ألقِ نظرة فاحصة عابرة ـ ولكي تنجح التجارب فعلى الذين يتقدمون الآن أن لا يقاوموا، بل عليهم أن يتبعوا تعليماتي بدقة، وستكون لهم أفضلية التأكد من الحصول على ظاهرات مفيدة» بعد هذه المقدمة أطلب الأشخاص الراغبين. وهنا يجب عليك أن تستعمل الدقة والحزم والفطنة لأنك ستكون معرضاً للنقد، رغم أنك ستجد تابعين.

إنه حينما ينتشر خبرك سيتدفق عليك الناس من كل جانب، فمن الأوفق أن تفرد لك مكاناً، وأن تسير بعملك من غير تردد، وأن تعرف كيف تتدبر أمـرك في اكتشاف الصالحين للتنويم بعدما بينا لك القاعدة، لا تخشى الإخفاق، فهذا لا بد منه، وكن متأهباً لتظل هادئاً عند الإخفاق، وابحث عن سبب عدم النجاح وأزله، ولا تجعل للخوف مكاناً، واجعل النجاح هدفك الأسمى أينما حللت وارتحلت.

الفصل الثامن والخمسون

غرفة التنويم العلاجي

هي غرفة كبيرة شيئاً ما لونها أزرق فاتح، عليها أرائك مريحة تكوّن نصف دائرة من ثلاثة صفوف أو أكثر لونها أيضاً كلون الغرفة، وإذا كانت هناك ستائر للنوافذ فإنها تأخذ أيضاً لونها الأزرق، وقبالة الأرائك منصة هي أيضاً في لون أزرق، من فوقها وبالضبط في المكان الذي يجلس فيه المنوم يكون مصباح أزرق يغطي جانبه الخلفي ويبقى الجانب الآخر مشعّاً على الجالسين، وقد تغلق النوافذ ولم يبق إلا النزر القليل من الهواء. أما بجانب المنصة فيكون جهاز تسجيل تطلق منه موسيقى هادئة خافتة تردد نغمة واحدة على دائرة واحدة كقرع طبل مثلاً. وقبل دخول الأشخاص يطلق بخور طيب كالعود أو المسك يكون قليلاً لا عبقاً، أما المنوِّم فلا بأس أن يلبس الأبيض من الثياب. إن المنوِّم قبل الشروع في العمل يبدأ مقدمة يقنع فيها الحاضرين بمعالجتهم، وأنه يستمد قوته من هبة الرحيم الرحمن الذي هو يطعمني ويسقين، وإذا مرضت فهو يشفين. وبعد انتهاء العملية يفتح النوافذ لتجديد الهواء، ثم تغلق الغرفة بعد إطلاق الطيب فيها من جديد.

الفصل التاسع والخمسون

التأثير والنظرة

يمكن بغير تدريب سابق إحداث بعض الظواهر المغناطيسية، فلو عثرت على وسيط ممتاز شديد الحساسية وله مواهب خاصة لأمكن اختلابه وتنويمه بسهولة، لكن الذي يمارس التنويم من أجل الشفاء لا مندوحة له من تكوين نفسه تكويناً يؤهله للمهنة، أما الذي يمارس التنويم من أجل العرض فقد يكتفي بوسيط واحد أو وسيطين، وإن أحسن الوسطاء دون المراهقة، والبنت أفضل من الولد. أما عوامل التأثير فهي أربعة، النظرة، اللفظ، الحركة، التفكير.

فالنظرة، إذا أرسلتها «للحساس» تشل إرادته وتحدث فيه اختلاباً، وفي هذه الحالة يعتقد بكل ما يقال له ويعمل ما يؤمر به، والإختلاب الناجح يكون بالنظر الثابت في جذر الأنف بين عينيه بغير رمش أو طرف من طرف المنوم، وهنا أذكر بأن تثبيت النظر في أصل الأنف يجب أن تصبح عادة عند المنوِّم ليتمكن من اختلاب كل من تحدث معه حتى يقهر نظراته ويؤثر على من شاء حتى ذلك الذي لا يكلمه ولا يعرفه.

أما الكلام فإن تأثيره على الوسيط أقوى، وهو أعلى الإيحاءات، وتكراره على الشخص يضطره لقبول الفكرة والخضوع لها، فالإيحاء الصوتي في التنويم له قوة حقيقية عظيمة، فعلى المنوِّم أن يدرب نفسه على طريقة تبليغ الكلام الإيحائي،

وعليه أن يكون فطناً بما يجول في خاطر الوسيط حتى يكون أحذق منه، وأن ينتخب الألفاظ الرنانة النفاذة إلى الذهن في معنى محدود بثقة وهدوء ويقين، وأن يكون وراء كل كلمة مدلول وقوة إقناع. لكي تكون هكذا، درب نفسك في خلوة على الكلام والصوت، واجتنب السعال والتردد وانتخب العبارات، وثبت نظرك في النقطة المعينة واثقاً من النتيجة الحتمية التي يجب أن تكون.

أما الحركة التي تتجلى في السحبات وتصدر عن الأيدي، فإن دورها لا تخفى أهميته، فهي ترسل السيال المغناطيسي المنبعث من الجسم فتحدث التجاذب، فإذا قمت بتجارب على الوسطاء الحساسين فستلاحظ هذا واضحاً من طريق حركات السحبات، فتمرين المنوم على السحبات ضروري بل مفروض، فقد ثبت بشكل ملموس أن النتائج تكون أسرع وأوضح.

تأثير الطاقة المغناطيسية:

إنك إذا وضعت يديك على لوحتي الظهر دقيقتين أو ثلاثاً فإن الوسيط يشعر بحرارة تنتشر فيه فتثقل رأسه، وإذا كان شديد الحساسية أخذ يرمش بكثرة ويشعر بصعوبة التنفس وارتجاف الحركة وتقلص العضلات، وقد يشعر ببرود ورعشة عصبية وعضلية. وكأن تياراً كهربائياً خفيفاً يسري فيه، فإذا سحبت يديك إلى الوراء انجذب إليك، ولربما مشى خطوات يتبعك، والشديد الحساسية قد يشعر بالمغناطيسية المنبعثة من الأيدي حتى ولو كانت بينك وبينه مسافة قريبة أو بعيدة، فقد لا يفصلها جدار ولا ستار. ولكي تشتد ثقة المنوم بنفسه عليه أن يجربها في الأطفال أو النبات لشدة حساسية هؤلاء، والواقع أن قوتك المغناطيسية سوف لا تقاوم من أي شخص إذا استرسلت في تجاربك الكثيرة، وسوف تكون واضحة للعيان.

أما عن التفكير، فإنه ذو مكانة عظيمة، فالأمر العقلي الصامت له تأثير بجانب الطرق الآنفة، وهو يتكون من عناصر ثلاثة، أولها الرغبة القوية في التركيز على ما

تريد، فإذا لم تكن لديك رغبة في تنويم شخص لا تفعل، لأن الإقبال والرغبة الحقيقية هي المولدة لطاقة التفكير، ثانياً، التركيز على العمل حتى تراه واضحاً أمامك واثقاً من النجاح فيه. ثالثاً، تخيل الأمر الموجه إلى الوسيط، فإذا قمت مثلاً بتجربة السقوط إلى الوراء، تخيل أن يديك موضوعتان على لوحتي ظهره وهو ينجذب إليك لا محالة، وإذا أمرت أن يرفع يده اليمنى تخيل أنك تمسكها بيدك وترفعها، وهكذا في كل الحالات. وإن هذا في حد ذاته تمرين مستمر يكسبك نفوذاً عند الناس.

الفصل الستون

التنويم المغناطيسي والقانون

اختلفت محاكم فرنسا بشأن اعتبار العلاج بالتنويم المغناطيسي مزاولة لمهنة الطب بغير ترخيص، ومن الأحكام الهامة التي يجب الإشارة إليها في هذا الصدد ما حكمت به محكمة الإستئناف بباريس سنة 1937 في قضية معالج كان يعلن عن نفسه بأنه استاذ علم النفس التجريبي ورئيس جمعية العلوم النفسية التجريبية ومدير المدرسة العلمية للإيحاء، وقد استند في دفاعه بوسيلتين، الأولى أنه لا يوقع كشفاً طبياً في الحالات المرضية، وأنه لا ينصح باستعمال أي دواء أو عقار، والثانية أن الإضطرابات التي يشكو منها المرضى الذين يلجأون إليه هي الأحوال التي تعرف تحت اسم «النوراستينيا» كالخجل والتلعثم والإنتحار مما لا يدخل في باب الأمراض، وإنما هي حالات نفسية لا تستجيب للعلاجات الطبية، بل تتأثر إلى حد ما بالعلاج المغناطيسي، وقد ردت المحكمة على الوجه الأول بأن النص الملزم الصريح للمادة 16 من قانون سنة 1892 لا يخرج عن نطاق الوصف القانوني لجريمة المزاولة غير المشروعة لمهنة الطب أي طريقة من طرق العلاج، وقد استقر القضاء على أنه يجب أن يعتبر معالجة غير مشروعة كل فعل يقصد إلى شفاء أو تخفيف حالة مرض أو توعك، ولو أنه لم يحصل وصف دواء أو لجوء إلى عمل جراحي، حتى أنه قد حكم بأن مجرد وضع اليد يعتبر معالجة حقيقية مكونة لجريمة مزاولة مهنة الطب بغير ترخيص، وقالت بأن الحالات التي حكم فيها بالبراءة كانت

الأفعال التي أسندت للمتهمين فيها ذات صفة روحية أو دينية خارجة تماماً عن المحيط العلمي ومستندة إلى القوى الروحية وليس إلى علم الطب، أما استعمال التنويم المغناطيسي لغرض علاجي فهو علاج طبي، كما أن استعمال الإيحاء الغرض ذاته يكون أيضاً وسيلة علاجية مما احتفظ به القانون للأطباء المؤهلين دون غيرهم، وقد أعلن المتهم في إعلاناته وكتابه الإيضاحي ونشراته ومقالاته الإعلانية وأحاديثه في الصحف أنه يعالج الأمراض العقلية أو العصبية والإصابات المرضية، ويؤكد أن مقدرته على الإيحاء في الأمراض العصبية وفي الأمراض القليلة لا تباري، كما أنه في كتيب صغير أصدره تحت عنوان «الطريقة العلمية للتنويم المغناطيسي» عدد من بين الأمراض التي تعالجها طريقته كما زعم التهاب الأعصاب والإمساك والإسهال والشلل وأمراض القلب وأمراض المعدة، وشهد شاهد أنه عالج زوجته من حالة تمدد في المعدة، وأنه قد استعمل في علاجها التدليك فضلاً عما ثبت من أنه ادرج اسمه في الدليل بين طائفة «الأطباء الإختصاصيين»، وإذا كان المتهم قد أوحى أنه كان يساعده طبيب، فإن دور الطبيب في العلاج كان غير واضح، فهو لا يشترك في المعالجات التي أجراها المتهم لمرضاه، والتي تنحصر في جلسات التنويم المغناطيسي والإيحاء، وهو ما لا يمكن عمله إلا بواسطة المتهم نفسه شخصياً، مما يدل على أنه لم يضم إليه طبيباً إلا بقصد الهرب من أحكام القانون، ثم أجابت المحكمة على الوجه الثاني من أوجه دفاع المتهم، بأن الحالات المختلفة التي عالجها ليست حالات نفسية كما يدعي، وإنما هي مظاهر مرضية حقيقية ناتجة من تأثير الجهاز العصبي، فضلاً عن أن العلاج بالتنويم الذي هو إجراء من إجراءات المعالجة الطبية المعتادة يعتبر أيضاً علاجاً طبياً، ولا يمكن إجراؤه إلا بواسطة طبيب أو بناء على أمره المحدد وتحت مسؤوليته، لأن كل معالجة مهما بدا من حقيقتها قد تؤدي إذا أسيء استعمالها إلى أضرار خطيرة.

إن بعض القواميس في الطب الشرعي عرفت التنويم المغناطيسي بتعريباتها

الخاصة، فقاموس «بواتيه للقانون» طبعة بيرول، تحت عنوان «التنويم المغناطيسي» إنه من نوع التنويم الإصطناعي. وفي دائرة المعارف القانونية «قسم أ - جزء 15 ص 90 ، عرفته أنه حالة غير طبيعية يكون من ورائها فقدان الشعور التام وتجاهل كل الإحساسات وتركيز الشعور والإحساس في أمر واحد تجاه غرض معين بمساعدة الذي يقوم بعملية التنويم، وبذلك تصبح إرادة الشخص النائم تنويماً مغناطيسياً وحواسه ومشاعره تحت سلطان المنوم وسيطرته لدرجة كبيرة. وينص قاموس «بلاك للاصطلاحات القانونية» على أن التنويم المغناطيسي حالة غير طبيعية لعقل الواسطة وشعوره، وهي حالة صناعية للحركة واليقظة في النوم يكسبها شخص لآخر بواسطة تركيز الإنتباه وبذل مجهود قوي أو بتأثير قوة الإيحاء التي لم يعرف كنهها تماماً حتى الآن، فهو تأثير عقلي يكون فيه النائم خاضعاً بقواه العقلية والإرادية للمنوم، أو هو كما جاء في مراجع الطب الشرعي حالة نفسية عقلية تفقد الشخص المريض سلطانه على نفسه وتجعله خاضعاً لإرادة شخص آخر سواه. وجملة القول، يمكن بأن ننبه أن الخبراء الفرنسيين في علم الطب الشرعي يعترفون بالتنويم المغناطيسي وثبوته كعلم حديث له أصوله وقواعده، وقد جاء في كتاب «الطب الشرعي» «لدينامس - و - بيكر» أن القوانين الفرنسية والنمساوية والمجرية قد اعترفت به.

الباب السادس

- العلاج بالتنويم المغناطيسي
- المغناطيسية
- المغناطيسية المادية والنفسية
- العلاج بالمغناطيسية

الفصل الواحد والستون

التنويم المغناطيسي والعلاج

قال الطبيب النمساوي «مسمر» سنة 1766 ، أنه يستطيع شفاء بعض الأمراض البدنية والنفسية بواسطة التنويم المغناطيسي والمغناطيسية الجسمية، ومنذ مئة عام اهتم بعض علماء الإنجليز بالتنويم المغناطيسي، ومنهم «بريد» الذي أسماه النوم العصبي وأوعز سبب النوم إلى تعب الدماغ، كما قبل الأطباء التنويم واستعملوه للتخدير أثناء إجراء العمليات الجراحية، كما أن الهنود أيضاً جعلوه وسيلة الغاية ذاتها.

وكنتيجة حتمية توصل العلماء إلى الإهتمام بالأشخاص المصابين وإجراء دراسات عليهم أدى إلى إيجاد طريقة التحليل النفسي، ومما لا شك فيه أن التنويم المغناطيسي وما يتبعه من إيحاءات استطاع إزالة الإضطرابات من العناصر النفسية وشفائها شفاء تاماً، كما أعاد الثقة إلى النفوس المريضة وقوى الإدراك والإرادة واستغلهما من أجل المعالجة والشفاء، كما تبين أن الإيحاءات التي تعطى عن طريق الشرح والإقناع أفضل من تلك التي تعطى بصيغة الأمر، فعلى المعالج أن ينتقي الإيحاءات المناسبة وينوع أسلوبها بتنوع الخصائص المرضية حتى لا يهيم بعيداً عن الهدف. وذلك بالتأكد من أن النائم وما يشكوه من أمراض ستزول بعد الإستيقاظ حينما يشرح سبب حدوثها، مكرراً عليه حدوث الشفاء بين الحين

والحين، فمثلاً إذا كان المريض يشكو من تشنج عصبي في ساقه وما يرافق ذلك من آلام في الرجلين، فالإيحاء بزوال الألم بعد الإستيقاظ من النوم المغناطيسي لا يحقق النجاح، بقدر ما يجب أن تكون الإيحاءات تستهدف إلى استرخاء العضلات المصابة بالتشنج، وشرح ذلك للنائم بأن الإسترخاء في العضل ينشط الدورة الدموية فيه، وأن نشاط الدورة الدموية في الرجلين يؤدي حسب ما هو معلوم وثابت إلى إزالة التشنجات، وبالتالي إلى زوال الألم فيتحقق بذلك الشفاء، وهكذا فإن نشاط الدورة الدموية سيجعلك تشعر بدفء يزداد تدريجياً، وهذا هو الدليل المؤكد لزوال التشنج وتبديد العلة وزوالها من غير رجعة.

إن المعالج لا يكتفي بالإيحاءات وحدها، بل يجب أن تكون من مصدر الواثق من نفسه في سريان مفعولها من طرف المنوِّم حيث ترافقها إجراءات جسمانية كالتدليك الخفيف أثناء النوم مع تأكيد الإيحاء بأن هذا التدليك من العوامل الفعالة جداً في تحقيق الشفاء، وأما في حالات الشلل الوظيفي، فمن المفضل استعمال التيار الكهربائي الخفيف، ومثل هذا المزج بين الإيحاء والإجراءات الجسمانية المناسبة يقوي فعالية الإيحاء ويزيد في عمقها واستمرار تأثيرها بعد الإيقاظ، ولا ننسى أن قوة التركيز على الشفاء ومسايرته مع الإيحاء يزيد من فعالية الشفاء وتحقيقه.

إن التنويم المغناطيسي اليوم يستعمل كعلاج ناجح في عدد عديد من الأمراض الجسمية والنفسية على السواء، وتأثيره في الحالات النفسية أفيد.

لقد استعمل في شفاء الأمراض القلبية الوظيفية باعتبارها أمراضاً نفسية تحدث بسبب وجود اختلال في عضو آخر في الجسم كالغدة الدرقية المرتبطة بالجهاز العصبي الحيوي الذي يعصب جميع أحشاء الجسم، فأي خلل يصيب إفرازات الغدد الصماء يسبب خللاً في عمل الجهاز العصبي الحيوي، لذلك يصاب القلب بالخفقان عندما تتأثر النفس بانفعالات إيجابية أو سلبية، وهذه الإنفعالات تعالج بالتنويم.

كما أن أمراض المعدة والأمعاء التي لها في الغالب منشأ نفسي، وكثيراً ما ينشأ ذلك عن قلق زائد وتوتر نفسي مستمر، فتضطرب إفرازات المعدة ويضعف الغشاء المخاطي المبطن مما يؤدي إلى حدوث قرحة.

كما أن أمراض النساء كاضطراب الحيض مثلاً فتطول فترته مصحوبة بآلام عنيفة، وهذه الحالة غالباً ما تنطوي على حالة نفسية كعدم رغبة المرأة في ممارسة الإتصال الجنسي بزوجها فتنعكس هذه الرغبة على حدوث غرض جسماني يتمثل في ازدياد النزف والألم وطول الفترة في الحيض؛ وقد تصاب المرأة بتوقف كلي عن الحيض بسبب رغبتها في التشبه بالرجال، فمثل هذه الحالات وغيرها يمكن معالجتها عن طريق التنويم.

كما أن الأمراض الجنسية مهما تعددت وكثرت فإن التنويم يفيد فيها ويساعد على الشفاء، خاصة منها تلك الأمراض المرتبطة بالحالات النفسية كالعنة النفسية والبرود الجنسي والإنحرافات والشذوذ والمعاشرة المخالفة للطبيعة.

بالإضافة إلى ذلك يمكن استعمال التنويم في معالجة الشلل والإنكماش في العضل والإرتعاشات والهوس واضطرابات النطق والتبول ليلاً والأحلام المزعجة والكابوس والربو والأمراض الجلدية والحساسية وجميع الأوجاع والتهيجات العصبية إلى غير ذلك من الأمراض.

فالتنويم المغناطيسي أصبح يعالج العديد من الأمراض، بل أصبح يعالج بصورة جماعية متجانسة. وسنورد كمثال على ذلك بعض العلاجات المرضية كمثال لا على سبيل الحصر، تبقى الطريقة المجدية للمنوم البارع الذي يعرف كيف يأخذ جناح الداء من المريض ويسير به نحو الشفاء.

الفصل الثاني والستون

علاج الأمراض بالتنويم

الأرق المستعصي:

رأس السرير يكون في الجهة الشمالية، ولا يكون المريض ممتليء البطن بالطعام أثناء العلاج، كما يمنع من الغرفة دخول حيوان أو زهرة أو رائحة، يجلس المريض مرتاحاً وقدماه على الأرض وهو في حالة ارتخاء، امسك معصمه وثبت نظرك فيه وكرر عليه الإيحاءات حتى ينام، ولك الإختيار في استعمال طريقتك التنويمية. ثم أعطه إيحاء الشفاء بصوت هاديء واضح منتظم، وتخيل في نفس الوقت حالته فإنها في شفاء تام، بعد ذلك قم بالسحبات البطيئة من الرأس إلى المعدة لمدة ربع ساعة، بعد ذلك اتركه نصف ساعة ثم أيقظه بإيحاء قائلاً مثلاً: «إنك نائم الآن نوماً عميقاً، وفي الوقت ذاته مريحاً، وهذا ما سيحدث لك وستشعر به كلما ذهبت إلى فراشك».

وفي علاج الأرق لا ضرورة للوصول بالنائم إلى درجات أعمق، إلا أن الإيحاءات يجب أن تكون واضحة.

العصبيون:

لعلاج العصبيين ومن يصابون بدوار أو اضطرابات غير مزمنة يتمدد المريض فتمسكه بمعصمه مدة ربع ساعة مع التركيز الفكري المستمر لشفائه ومنعه من أية

حركة، ثم ينام على بطنه وتعمل له السحبات باليدين معاً وعلى العمود الفقري من أول الرأس إلى آخره لمدة نصف ساعة، بعد ذلك يجلس في وضع مريح وتطلب منه أن يفكر في النوم الطبيعي ثم ضع يسراك على جبينه ويمناك على بطنه وثبت نظرك فيه حتى يغمض عينيه ووجه إليه الإيحاء بصوت رقيق خافت: «إنك الآن هاديء الجسم، مرتاح الأعصاب، وعندك ميل للنوم، ستكون هادئاً مرتاح الأعصاب من الآن، وستشعر بطمأنينة داخلية وهدوء، كل حركاتك هادئة، كل إشاراتك هادئة».

في أثناء العلاج يجب التركيز على الشفاء والهدوء وراحة الأعصاب.

التشنج:

يعالج التشنج بطريقة علاج الأرق، مع التزام الراحة والعناية الصحية العامة، وقد يظهر تأثير السيال واضحاً في هذه الحالة مما يسبب من ارتجاف وتقلصات وتشنج عن طريق السحبات التي تكون باللمس والتدليك الخفيف من أعلى إلى أسفل، ثم وضع اليمنى على الصدغ الأيسر واليسرى على الصدغ الأيمن لمدة ربع ساعة، بعد ذلك سحبات سريعة على سلسلة العمود الفقري لمدة ربع ساعة ثم سحبات من الرأس إلى القدمين نحو ربع ساعة بدون لمس، بعد ذلك سحبات على العضو المريض مع اللمس.

التهاب الشعب:

جميع أمراض الجهاز التنفسي كالبرد والإلتهاب الرئوي يمكن علاجها، فبعد النوم يستعمل إيحاء مناسب هاديء مليء بالثقة وقوة الروح المعنوية والإطمئنان النفسي وإبعاد شبح الوسواس عن المريض.

الإلتهاب المزمن:

بعد التنويم، يكفي وضع الأيدي مدة طويلة على الرئتين وعمل سحبات باللمس من الكتفين إلى الركبتين.

أمراض القلب:

كالخفقان والذبحة واللغط والتمدد. فبعد التنويم ضع يسراك على القلب واليمنى على الجهة اليسرى للنافوخ، والإبهام بين العينين ثم أعطه إيحاءات هادئة للعمق في النوم، ثم قم بسحبات أبطأ من المعتاد بدءاً بالرأس إلى المعدة فالركبتين، ثم انفخ على موضع القلب من خلال اسطوانة أو أنبوبة من الورق أنفاساً دافئة من 20 إلى 40 مرة، ثم ضع يديك مرة أخرى في الوضع الأول وكرر عليه إيحاءات هادئة خافتة إلى درجة الهمس مع مراعاة وضوح اللفظ مثلاً: «أنت هادىء، تشعر بميل إلى النوم، قلبك يدق بنظام تام، لا تشعر بأي تعب. قلبك يتحسن يوماً بعد يوم، إنك تشعر بتغيير واضح، من الآن ستشعر بهدوء تام، لا تضطرب للأصوات الفجائية، إنك لن تشعر بها، إنك تحس براحة تامة، كل ليلة ستنام نوماً عميقاً».

إن الحالات القلبية تحتاج إلى علاج طويل في هدوء مطلق، وجلساته نحو ساعتين.

الإغماء الشديد:

يجعل المريض في الفراش ورأسه في مستوى منخفض عن جسمه، وتحل عنه جميع الملابس الضيقة. امسك معصمه، وانظر إلى جذر أنفه وركز عليه رغبة الشفاء متخيلاً أنه يفتح عينيه بسرعة كل ذلك مدة دقيقة، ثم ضع يمناك على جبينه، وفمك على منطقة القلب ملامساً بقماش خفيف جداً على جسده، ثم انفخ أنفاساً دافئة مستطيلة بطيئة مع استمرار التركيز على الشفاء مدة دقيقتين، فلا بد أن يفتح عينيه، بعد ذلك انقل السيال إلى الضفيرة الشمسية ومغنطتها، فإن بدأ في الكلام والحركة، فقم بسحبات سريعة من الرأس إلى الركبتين مع التحديق في جذر أنفه، ثم أيقظه بإيحاءات تبعث على التحسن والشفاء، لأنه في هذه الحالة يكون أشبه بالوسيط.

الأوهام والخوف الجنوني:

نوّم المريض، ضع يديك مفتوحتين على رأسه، والإبهامين على عينيه، لنفرض أنك تعالج مريضاً يتخيل لصوصاً. قل له: «لقد رأيت البارحة لصوصاً آتين نحوك, حسناً إنهم سيأتون أيضاً، لا تخف فأنا معك ـ لن تتعرض لأي خطر، ستراهم حين أقول ثلاثة ـ واحد. إثنان. ثلاثة. أتراهم؟ فيجيبك نعم ـ تابع قولك، إنهم هنا، حسناً، أنظر إليهم جيداً، سيطيرون في الهواء، سيرتفعون في الجو، سيبعدون عن نظرك، سوف يذهبون من غير رجعة، لا يستطيعون الآن أن يعودوا، لن يرجعوا أبداً، لقد تخلصت منهم، فأنت مسرور جداً» كما يجب أن تبعث فيه السرور والشجاعة ليتجنب عودة أي وهم آخر.

الخمر والمخدرات:

نوّم المريض وأوح له «من الآن فصاعداً سيكون الخمر أقل لزوماً لك، ستتناول منه أقل من السابق، وسيقل ميلك إليه من يوم لآخر حتى تصل إلى الإقلاع، تكرر الإيحاءات، كما تكرر الجلسات إلى أن يقلع عن الخمر.

انحراف المزاج والأمراض الجسمية:

نوّم المريض المصاب بانحراف كصداع أو ألم الأسنان أو الأذن، دعه يجلس مرتاحاً على مقعد. ضع يديك على مكان الألم وقل: «أريد أن يزول ألمك حين أقول سبعة، انتبه، سيتناقص ألمك تدريجياً حين أقول سبعة، ستكون قد شفيت تماماً، واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة. خمسة، ستة، سبعة «صفق بيديك» افتح عينيك، لقد زال كل ألم، أنت أفضل بكثير مما كنت عليه.

فقدان الحس:

في العلل المؤلمة والعمليات الجراحية والولادة. نوم المريض نوماً عميقاً وأوح إليه وأنت تمر بيديك على جميع أجزائه التي يريد فقدان الحس فيها: «ستصبح فاقد الحس بالألم، فاقد الحس بكل شيء، أنت تسمع صوتي جيداً

ولكنك لن تستطيعَ أن تشعر بأي شيء، لا تشعر بشيء أبداً، مستحيل أن تشعر، أنت لا تشعر بشيء» ردد عليه الإيحاءات ـ وأوخزه بإبرة لتتأكد من الحالة ـ أما إذا أردت زوال الحس فقل: «أنت لا تشعر بأي شيء من الألم، أنت الآن في حالة جيدة، كل أعضائك في حالة جيدة».

الأمراض والإيحاء:

إن كثيراً من الأمراض سببها الإيحاءات التي يوحيها المريض لنفسه بسبب تفسير عدم الإنتظام الوظيفي الذي يطرأ عليه، فهو يمثل نفسه فريسة لسوء حاله، والإيحاء المغناطيسي يزيل كل هذه الآلام ويعيد الحالة الطبيعية بردود أفعال شفائية، فأول ما يجب عمله هو سؤال المريض عن مرضه، وذلك من أجل تمييز الناحية الحقيقية الوهمية، ثم بعد ذلك ينوِّم وفق الطريقة المتبعة في التنويم، وبعد التنويم تلقى الإيحاءات الملائمة للمرضى، وعملك هذا من الأفضل أن يكون في مكان نصف مظلم ويكون انتباه المريض انتباهاً تاماً، وتنويمه تنويماً كاملاً مع تكرار الجلسات.

أما إيحاءات ما بعد التنويم، فيجب أن تكون مؤثرة في المريض، وفائدتها عملية ومشوقة جداً في مهارة لتحصل على تنفيذ كامل بعد التنويم. ولتنفيذ ذلك خذ معصمه بيديك واضغط عليهما ضغطاً مقبولاً قائلاً: اصغ إلي، أتسمعني؟ ـ فيجيب بنعم ـ حينذاك ألق عليه الإيحاءات بوضوح، فإذا نوّمت المريض أوح له أولاً مواصلة الجلسات كأن تقول له مثلاً: «في الساعة الثامنة من مساء يوم الإثنين والثلاثاء والأربعاء ستشعر بدافع الرغبة للمجيء إلى هنا حين تدق الساعة الثامنة ستأتي إلى هنا، ستجلس وقت وصولك على الأريكة من أجل أن تستغرق في نوم عميق» ثم اسأله بما أوحيتَ إليه، وفي النهاية قل: «لن تعرف أنني أمرتك بهذا»، ثم أيقظه.

الفصل الثالث والستون

نتائج واعتراضات على استعمال التنويم

التنويم المغناطيسي شأنه شأن أي وسيلة علاجية، فالخطأ في الشفاء يعني استعماله بطريقة غير سليمة، وهذا طبعاً يؤدي حتماً إلى فشل وخيبة أمل، فلا يجوز إذن ممارسة المعالج بالتنويم المغناطيسي دون تعيين الحالات الملائمة والحالات غير الملائمة له. كل ذلك في هدوء وصبر وأناة.

والتنويم المغناطيسي كباقي العلاجات، فيه حالات لا ينبغي علاجها عن طريقه، مثل الحالات التي يتخوف فيها المريض من الإستسلام للتنويم، وحالات الهستريا التي يميل فيها المصاب إلى شبه غيبوبة وإغماء. وكذلك الأشخاص الذين هم في حالة هياج عصبي أو هزات ناتجة عن تخيلات سمعية وهمية أو تصورات كاذبة، وكذا انفصام الشخصية.

أما عن الشائعات التي تقول بأن التنويم المغناطيسي يفقد شخصية النائم فلا أساس لها من الصحة، بل تقوي فيه الإرادة، وقد يمكن أن يضر بالنائم إذا طال النوم أكثر مما يتحمله، وهذا طبعاً راجع إلى الضمانات الكافية للوقاية من حدوث أي ضرر من طرف المنوِّم.

كما يمكن أن يدفع النائم إلى ارتكاب جريمة، وهذا أيضاً في حدود أخلاقية

النائم إذا كان من طبعه الإجرام، أما إذا كانت أخلاقه فاضلة فلا يمكنه أن يخضع لذلك.

إن التنويم المغناطيسي ـ بكل أسف ـ لا زال يستغل اسمه في أعمال الدجل مما يسيء إلى جدية النظر في حقيقة التنويم المغناطيسي ويقلل من فرص ممارسته في العلاجات، واعتباره إذا ما مورس على الوجه الصحيح فإنه أنجع وسيلة شافية مؤسسة على قواعد علمية، والدجالون أعجز من أن يدخلوا التنويم المغناطيسي ميدان الدجل، لأنه بعيد عنهم إذ يكتفون باستغلال اسمه فقط. ويستعملونه قناعاً لتغطية أعمالهم المغشوشة وحيلهم الكاذبة. وكمثال على ذلك قد نلاحظ في بعض المحلات العامة استعراضات دجلية تعرض فيها على الجمهور معجزات باسم التنويم كذلك الذي ينوم الشخص المتواطىء مع الدجال الذي يُدعى منوِّماً، وقد اتفقوا مسبقاً على الغاز واصطلاحات، فيعصب عينيه بدعوى أنه نام، فيتظاهر ببعض الحركات، فيخاطب المنوّم الجمهور بأن الوسيط في سبات مغناطيسي، يمكن معه طرح بعض الأسئلة ليجيب عليها متنبئاً، كأن يأخذ المنوِّم بطاقة التعريف للشخص والرقم الموجود فيها والمهنة وما إلى ذلك، فيطلب من الوسيط إخباره بذلك، مستعملاً أثناء طرح السؤال عليه تلك الألفاظ الرمزية معه، فيكون الجواب صحيحاً. إن هذا الدجل الفني هو نفسه يتطلب قسطاً وافراً من الذكاء لتغليفه وإخفاء حقيقته عن الجمهور.

إن التنويم المغناطيسي بعيد عن هذه الترهات، والمنوِّم المغناطيسي المحق يتعالى علواً بعيداً عن زمرة المشعوذين والدجالين.

الفصل الرابع والستون

المغناطيسية

توجد في الإنسان والحيوان والنبات والمعادن مغناطيسية بمشابهته لذلك المؤثر المدعو بالحجر المغناطيسي. وهنا يجب أن نميز بين المغناطيسية الجسمانية وبين المغناطيسية النفسانية.

فباستعمال المغناطيسية الجسمانية الخاصة بالإنسان نحصل على ظاهرات تشابه ظاهرات الإيحاء، ولكنها تختلف اختلافاً كبيراً عنها، لأن المغناطيسية الجسمانية الإنسانية تستعمل خصوصاً للشفاء.

والفرق بينها وبين التنويم المغناطيسي، أن التنويم فعال في حالات الأمراض العصبية والعقلية على الخصوص، بينما المغناطيسية تخفف الأمراض وتشفي عدداً كبيراً منها، كما أن الفرق الملحوظ في التنويم أنه يؤثر بسرعة كافية على جميع الناس، بينما المغناطيسية تؤثر ببطء ولا تحدث ظاهراتها إلا على عدد صغير من الأفراد يقارب 20 ٪ تقريباً، والشخص في حالته الإعتيادية يبدو متمرداً على المغناطيسية، لكنه لا يلبث أن يشعر بمفعولها الشفائي حين يصاب بالألم أو المرض، ثم أن هذه القوة موجودة في كل إنسان حيث يستطيع أن يمغنط غيره إذا ما توفرت لديه شروط امتلاك الحيوية القوية، حيث تنمو عن طريق التنفس العميق الذي سنتعرض له فيما بعد، وحين تنوّم ليس هناك من قوى تنفقها. بينما الأمر ليس

كذلك في عملية المغنطة التي ينهك إستعمالها أولئك الذين هم غير معتادينها، ثم أن الأشخاص المعرضين للمغنطة هم الأشخاص الذين عرضنا معرفة قابليتهم للتنويم بعلامات مختلفة.

ولكي تقيس حساسية أي شخص ومقدار تسرب المغناطيسية فيه، اطلب منه أن يقف ويداه متدليتان على طول جسمه، وأن يرخي عضلاته، ضع يديك مفتوحتين على كتفيه، ففي فترة تتراوح بين دقيقة إلى خمسة عشر دقيقة حسب درجة حساسيته سيشعر بوخز في أطرافه وحرارة في ظهره وصدره وثقل في رأسه مع اختناق وضيق، ولربما يسقط في نوم مغناطيسي، فإن سحبت يديك ببطء فإنه سيجذب إليك بقوة تكثر أو تقل.

كما يمكن الحصول على نوم بواسطة المغناطيسية، حيث يمكن بعد عملية قياس الحساسية، أن تضع اليد اليمنى على جبهة الشخص ويدك اليسرى على نقرته مدة تتراوح بين 5 إلى 10 دقائق ثم تجري سحبات طويلة بطيئة جداً على الرأس حتى الشرسوف، ثم انقل يديك ماداً أصابعك على عينيه وأذنيه، تستمر العملية نصف ساعة. فإن كانت النتيجة فذاك وإلا أجل العملية إلى الغد، وفي الغالب لا نحصل على النتيجة من الجلسة الأولى، وبتطورنا للشخص تدريجياً نتوصَّل إلى إحداث تغيير ظاهر.

وقد يتميز هذا التغيير بإزالة الإحساس الجلدي، وإذ يفقد الشخص كل معالم الشخصية وينفذ الإيحاءات، وحين نجعله في نوم أعمق بواسطة سحبات مستمرة أو بانتقال اليد اليمنى على الجبهة، فإن الشخص ينتقل إلى حالة تخشب، وتتميز هذه الحالة بتركيز النظر الدائم، وعدم الشعور، ونقل الأعضاء بسهولة محتفظة بالوضع المعطى لها، ومن هنا يمكن الإنجذاب الروحي، حيث تكون لبعض الأشخاص موهبة النظر على بعد في الزمان والمكان، فيرون بدون أعين ويتصلون بمريض وسيشفون مرضه وطبيعته ويصفون له الدواء لشفائه. أما علامات السبات العميق فقد نلاحظ الشخص يتنفس بضعف، ويستمر في فقدان

الإحساس، وتثقل أعضاؤه، وتكون جفونه مطبقة بينما الكرات العينية منحرفة. ومن المعلوم أن هذه الحالات لا يمكن أن تحدث بصورة متتابعة إلا بعد مران منظم على شخص كثير الحساسية بالمغناطيسية.

أما الإيقاظ فقد يحصل بواسطة سحبات عرضية، وتحريك اليد اليسرى على الجبهة، أو بالنفخ البارد على الجبهة، وهذه الطريقة الأخيرة أكثر بسرعة. وفي حالة ما إذا فشل المبتديء في الإيقاظ - وإن كانت هذه الحالة نادرة الحدوث - فقد يمكن وضع الوسيط في الهواء الطلق، أو في الظلام - ونقول في الظلام - لأن أشعة الشمس إذا سقطت عليه في الناحية اليمنى من جسم النائم فإنها تزيد في تنويمه، أما إذا سقطت على الجهة اليسرى من جسمه فإنه يستيقظ بسرعة، ونؤكد أن القمر يحدث عملاً معاكساً لعمل النفس، كما يمكن استعمال الحجر المغناطيسي أيضاً للتنويم أو الإيقاظ، فالقطب الإيجابي منه ينوِّم إذا وضع على الجبهة، ويوقظ إذا وضع على النقرة، بينما القطب السلبي ينوِّم على النقرة ويوقظ على الجبهة.

الفصل الخامس والستون

تاريخ استخدام المغناطيسية

إن استخدام المغناطيسية قديم قدم العصور، واختلفت فيه مدارس التنويم اختلافاً بيناً، فقد نسبوا المغناطيسية «لمسمر» والواقع أنه كان البادىء في ذلك كدراسة علمية، أما الحقيقة فقد سبقه الفيلسوف «باراسيلسوس» ثم «فان هلموت» و «نوستراداميس» الذي تنبأ بالحرب العظمى، هذا إذا استبعدنا بداهة قدماء المصريين ومن بعدهم الهنود والصينيون، أما «مسمر» فقد بدأ دراسته بعلم الفلك، وآمن بوجود تأثير كهربائي مغناطيسي إشعاعي للكواكب والنجوم على صحة الإنسان، فكان يعالج الأمراض بالتدليك بالحديد الممغنط حيث نجح نجاحاً عظيماً، بعد ذلك لقي الراهب «جسنر» الذي بلغ مبلغاً عظيماً في شفاء الأمراض بيديه بغير الحديد الممغنط، فاتبع طريقته ونشر نظرية المغناطيسية الحيوانية. حيث حلله بنظريته «أنه سيال مغناطيسي يغمر الكون، يظهر أكبر أثر له في الجهاز العصبي الإنساني بحيث يتمكن الرجل المشبع به أن يؤثر في غيره تأثيراً قوياً. وانتقل «مسمر» إلى باريس حيث نجح نجاحاً عجيباً في شفاء عدد عديد من المرضى منهم الدكتور «أوسترولد» مدير الأكاديمية العلمية في أميونخ، وكان مريضاً بالشلل، غير أن الأطباء قابلوه بالعداء ورموه بالتهريج، مما جعل الحكومة تكوّن لجنة للتحقيق من الأطباء وأعضاء الأكاديمية العلمية، فقررت اللجنة صحة الحقائق، غير أنه لم يفلح في إقناعها بوجود السيال المغناطيسي ونسبت ذلك إلى الإيهام والإعتقاد، وما

كان من «مسمر» إلا أن يغادر باريس، وقد اضطرت الحكومة الباريسية إلى عقد لجنة علمية أخرى سنة 1825 فكونها من أعظم علمائها فدرست الموضوع ما ينيف عن ست سنوات بعدها قررت «أنه من المستطاع تنويم إنسان عن قرب أو بعد - بالنظر عن بعد، وقراءة الأفكار عن قرب وعن بعد، وتبادل الفكر عن بعد، والسمع عن بعد وصحة شفاء بعض الحالات التي عولجت بالتنويم، كل هذه الحالات حقائق لا ريب فيها» وضربت صفحاً عن السيال المغناطيسي، بل رفضت الأكاديمية طبع تقرير اللجنة وبقي كمخطوط محفوظ، واجتمعت بعدها لجنة أخرى مجاهرة بعدائها فرمت سابقتها بالجهل والقصور. وفي «منشستر» ظهر الدكتور «برايد» فدافع عن نظريته الجديدة بوجود سيال لا شأن له في إحداث المنوِّم المغناطيسي، وفي سنة 1866 ظهر «ليبو» مؤسس مدرسة «نانسي» وتبعه كثيرون من علماء باريس، بعد ذلك تأسست مدرسة باريس أو مدرسة «سالبتريير» - وعلى رأسها الدكتور «شاركو» وعلى الرغم من اختلاف هذه المدارس فقد أفادت.

الفصل السادس والستون

المغناطيسية الحيوانية

إن نوعاً من الأسماك يعيش على ضفاف البحر الأبيض المتوسط يبعث تنميلاً كالكهرباء يسري في يد الصياد بل حتى في الشبكة إذا مسها الصياد، وقد يسمى هذا النوع من السمك عند الإيطاليين بـ «توربيدو» وجاء العالم الإنجليزي «ولش» سنة 1772 بتجاربه العلميةحيث أثبت تنميل هذا النوع من السمك الذي يشبه في ضرباته كالكهرباء، وكان هذا العالم يستعين بتجارب باحث سبقه هو الدكتور «بانكروفت».

صنع العالم «ولش» جهازاً له تأثير السمكة الكهربائية، وكانت الكهرباء، إذ ذاك لا زالت في مهدها، وقد أوضح بأن هذه السمكة لها جهازان تحت سيطرتها، أحدهما في بطنها وهو تيار سالب، والثاني في ظهرها وهو موجب.

وقد عزز هذه التجارب العالم «كافنديش» عام1775 ثم الدكتور «دافي» عام 1832 ثم تمكن الباحث الإيطالي «ماتيوتشي» سنة 1865 من الحصول على الشرارة الكهربائية من هذا النوع من السمك بعدها لم يبق شك في طبيعة هذه الظاهرة.

وفي نهر «سورينام» ونهر «البنجال» أسماك تسمى «بالثعابين الكهربائية» وهي ضخمة تقارب المتر في طولها، عندما تطلق الكهرباء تصيب من غمس يده في الماء بهزّة كهربائية عنيفة، ولم تمض مدة طويلة على أبحاث «الوايزي جلفاني»

سنة 1789 حتى ترابطت مع أبحاث من جاء بعده وآلت إلى حقيقة الكهرباء الحيوانية، وقد أدهش العلماء بتجاربه على الضفدعة التي أثبت مرور الكهرباء في عصبها بشكل ضعيف.

والعين فيها تيار كهربائي يسري بالمقلة من الخلف إلى الأمام، فإن وضعنا على العين ضوئاً قوياً زادت قوة التيار، وإن حجبنا الضوء القوي فجأة يستمر التيار لحظة ضئيلة، ثم يتناقص، فالعين إن سقط عليها الضوء يولد فيها تياراً كهربائياً في طبيعته، وزيادة الضوء تزيد قوة التيار.

إن المنومين المغناطيسيين يعرفون هذا، فهم بحكم تجاربهم يقفون أمام الضوء، على نقيض الشخص المنوِّم فإنه يعطي بظهره للضوء. والإنسان نفسه في خلاياه كهرباء تحدث تجاذباً ذاتياً وآلياً مع بعضها، وبينها وبين ذرات تصلح لطعامها، كما يحدث عكس ذلك ـ أي تنافر ـ بينها وبين مواد مؤذية لها.

والحية توجد فيها كهرباء مغناطيسية، إذ تجذب العصفور إليها، فيدور في الفضاء ويصيح صيحة الفزع فتهمزه بأنيابها، فهو بمجرد النظر إليها يحوم في منطقة تأثيرها، وقد نلاحظ أشخاصاً يطيلون النظر إلى الإنسان أو الحيوان فيكون ساكناً بين يديهم، ويتسلطون عليه بما شاءوا فيستجيب لهم.

الفصل السابع والستون

المغناطيسية الجسمانية

إن كل فرد من الجنس البشري يتوفر على قوة مغناطيسية داخل جسمه، فإذا قلنا أن بعض الناس وهبوا ذلك فلأنهم عرفوا كيف يصرفونها، أما غير هؤلاء فكامنة فيهم لم يقدموا على استعمالها، وهي مستعدة وتحت الطلب في أي وقت أراد الإنسان تنميتها. ولكي نوضح أكثر، يجب أن نعلم أن كل إنسان يتوفر على جاذبية خاصة به تدعى المغناطيسية، فكل شخص يجذب وينجذب من غير أن يشعر بذلك، وما العلاج المغناطيسي إلا القيام باستعمال هذه القوة بوعي ويقظة بحيث يسلطها على الآخرين بعزم وقوة حازمة.

ولكي تصل إلى فهم ذلك يجب أن تعلم أن الأيدي تلعب دوراً في ذلك، فاليد اليمنى هي موجبة، واليد اليسرى هي سالبة، فعند ممارستها يجب أن تدرك أن سر النجاح يتوقف على فهم وظيفة كل يد من اليدين، فاليمنى هي الواسطة الوحيدة لإرسال السيال المغناطيسي إلى الشخص الثاني، أما اليسرى فهي خاصة لإتمام الدورة المغناطيسية، أو بعبارة أخرى، فإن السيال المغناطيسي المندفع يسري في جسم الشخص الثاني من اليد اليمنى إلى أن يعود إلى اليد اليسرى لإتمام الدائرة، وكمثال واضح، أردنا أن نعالج شخصاً مريضاً يشكو من الروماتيزم، فكر بحزم أنك ترسل إليه السيال أو التيار قوياً من قواك العصبية التي هي في الحقيقة قوة من

قواك العصبية إلى جسم المريض، فباستخدام يدك اليمنى يمر التيار إلى الجسم حتى يصل إلى اليسرى، ومنها يعود إليك ثانياً لإتمام الدائرة المغناطيسية.

إن رغبتك وقوة إرادتك هي التي توزع جزءاً من مغناطيسيتك أو قواك الحيوية إلى المريض، والواسطة الموصلة هي يداك والغرض من استعمال اليدين دون غيرها من الجسم فلأنهما يمتازان بمرور التيار بأكثر سهولة إلى أطراف الأصابع، وبعودة الموجة الكهربائية إلى المشرف على العملية مرة ثانية عن طريق اليد اليسرى، وبهذا يكون التيار عبر جسم المريض عن طريق اليد اليمنى من طرف المعالج، فاحتفظ الجسم المريض بهذه القوى الشافية إلى أن وصل التيار لليسرى فتلقفته ثم أعادته لصاحبه. ومن هنا نقول بأن هذه الطاقة يجب أن لا يبالغ في توزيعها جزافاً في شفاء الأمراض، لأن هذا موجب لفقد صحة المعالج. غير أن هذا القول لا يكون مخيفاً لحد ما، إن الطبيعة لها نظام بديع، فبقدر ما يكون العطاء سهلاً وبحرية بقدر ما يكون التحصيل سهلاً، وبما أن ما يوزعه الشخص العادي كل يوم من مغناطيسية متدفقة معذورة لعدم علمه بقوانين المغناطيسية، فقد ينال منها إتماماً لنظامه العصبي متساوياً لذلك المقدار تماماً.

أما المعالج المغناطيسي، فإنه يمارس أعماله يومياً لتخفيف الآلام التي تصيب بني جنسه في الحياة باستخدام ذلك السيال الكامن في جسمه، وفي الوقت نفسه يحصل على قوة معادلة عوضاً عنها، من القوى العصبية تحل محلها بسرعة مما يتجمع لديه من الأطعمة والأشربة والهواء الذي يجهزه له الجهاز الكيميائي الموجود في جسمه، وهو يعمل باستمرار دون هوادة، فعندما تقرر شفاء الآخرين يجب أن تنشط وتهيج الإهتزازات العصبية داخل الجهاز العضلي، ففي الحال ستسعف من منبع لا نهاية له بقدر ما تحتاج. ومن المدهش والغريب أن الأناني المحب لذاته، الخالي من كل شعور بالإنسانية لا يصلح أن يكون معالجاً ناجحاً، لأن الإحساس القوي العصبي الذي يدفع الإهتزازات ويسيرها بمنتهى القوة لتغذية السيال العصبي يكون عنده متوقفاً عاطلاً. من خلال هذا القول يظهر جلياً أنه لا

خوف على المعالج من استنفد طاقته المغناطيسية التي تحملها قواه العصبية، بل كلما كان العطاء عظيماً كان الحاصل أيضاً عظيماً.

قلنا أن كل جسم يتوفر في حد ذاته على معمل لإنتاج هذه القوى العصبية، ويمكننا أن نمثل العلاج المغناطيسي بشركة سلف، فالقوى العصبية للمعالج تمثل رأس المال، فإذا أودعت هذا المبلغ بدون فائدة، فرأس المال آخر السنة لا يتغير فلا ربح ولا خسارة، أما إذا أودعت رأس المال في عمل رابح، فشركتك تزداد نجاحاً وعملك يزدهر، هكذا شأن المعالج، فإنه يستثمر قواه العصبية في أعمال لها ربحها بدل أن يتركها عاطلة مقبورة دون عمل.

ومما تجدر الإشارة إليه أن المريض يجب أن يكون منسجماً مع معالجه، واثقاً مما يمده به من شفاء بالأحرى إذا كانت تربطهما عاطفة أو قرابة.

إن المعالج ليس له من الضرورة أن يكون ملماً بالمفردات الطبية والمرضية وما يتشعب عن ذلك من أصول معمول بها في الطب، ولا أيضاً بأنواع الأمراض، لأن نظرية العلاج بالقوى المغناطيسية تبين بأن الأمراض ما هي إلا مظهر من مظاهر الضعف أو قلة الراحة للشخص المريض ليس إلا، وكقاعدة عامة، فإن الجسم ما هو إلا آلة ماهرة خبيرة قابلة للإنقباضات محتمل شفاؤها من الإضطرابات التي تعتريها والتي ندعوها بالأمراض، وما دامت أجزاء الجسم كله مرتبطة بشبكة الجهاز العصبي، فأي علاج من أي نوع من الأمراض لا يكون ناجحاً إلا بواسطة فعل الجوهر العصبي أو المادة العصبية.

فحينما تتحد الرغبة بين المعالج والمريض، حيث يكون المعالج مستعداً، والمريض مطمئناً واثقاً مطيعاً، لا يوجد أي عائق يعوق النجاح في الشفاء أو تسكين الألم.

إن المعالج لا بد له من الإلمام ببعض القواعد التي نرى من أولياتها تلك النقطة المركزية التي يبنى عليها العلاج المغناطيسي، وهو أن الحالة الصحية

للمريض تتوقف على التوازن الموجود في الدورة العصبية في الجسم وسريان السيال العصبي فيه، لأن المرض ينشأ عن الإضطرابات التي تعتري هذه الدورة فيضعف السيال العصبي فيها، وأن هذا السيال المسؤول عما يصيب الجسم من أمراض محكوم ومسير طبقاً للقوة الإرادية في الشخص ولحكم الطبيعة. فعلينا إذن أن نعرف مم تتركب الأعصاب.

إن الموجات المغناطيسية الكهربائية أولاً تصل إلى الجهاز العصبي، ومنه توزع على الدم فالأنسجة. والعصب طبعاً يتكون من خلايا وألياف عصبية متماسكة بواسطة نسيج ضامر، وهذا العصب يشتمل على دهن وزلال ماء، أما الماء فهو الموصل الوحيد للقوة العصبية، وللأعصاب أهمية عظمى وتصريف معقد، لأنها هي التي تتسلط على جميع الحركات في الجسم تقريباً، سواء كانت إرادية أو غير إرادية، وكل عصب يتكون من حزمة ألياف عصبية دقيقة جداً، تحاط بغلاف رقيق جداً، وقد ترى الأعصاب كخيوط بيضاء اللون تقريباً ممتدة بالجسم، والألياف التي تتركب منها الأعصاب إما أن تكون صادرة عن مركز عصبي أو واردة إليه، ولما كان للأعصاب قوة النشاط على حركة الجسم وهي التي تحمل كل المعلومات داخلها، وهي في نفسها خبيرة وحساسة، فهي لذلك منبع الفهم والذكاء. وتتغذى الأعصاب من الدم وفي حاجة إلى القوة الكهربائية، والأعصاب تحتفظ في داخلها بالشعور والإحساس، كما أنها مركز التغذية الروحية والعقلية على السواء.

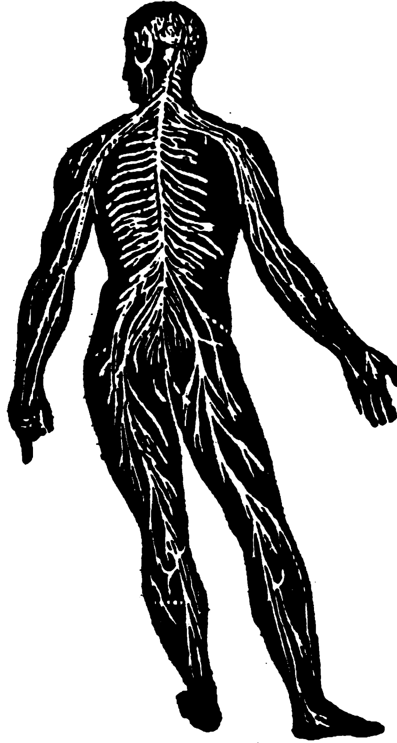
والجهاز العصبي على ضربين، جهاز عصبي طرفي إرادي، وهو يستولي على الأفعال البشرية ويختص بالحياة الإنسانية، واللاإرادي، وتتعلق به الأفعال الغريزية ويختص بالحياة الحيوانية، ولو أن كلاً منهما مستقل بنفسه، إلا أنه هناك تداخل كلي بينهما.

والعلاج المغناطيسي يحتاج لهذين الضربين من الجهاز العصبي، ففي حالة المعالجة يقع التأثير على النظامين، والمغناطيسية تعمل عمليها فيهما معاً ـ من الحالة الموجبة إلى الحالة السالبة ـ بواسطة استعمال الأيدي، والجهاز اللاإرادي

يتألف من العصب العظيم «السمبتاوي» ـ أي الإشتراكي ـ ومتفرعاته والعقدي وغايته الحركات غير الارادية، أي الوظائف التي تتم أفعالها بدون إرادتنا، وهو المستولي على الوظائف المنوطة بالحياة، وهو عبارة عن عقد يجمعها إلى بعضها فروع تؤلف بالتئامها جسماً واحداً يمتد على جانبي السلسلة الفقرية من أسفل الجمجمة إلى آخر الجذع، أما الجهاز العصبي الإرادي فإنه يتألف من المخ والمخيخ والنخاع المستطيل والنخاع الشوكي ومتفرعاته، وغايته إتمام الحركات الإرادية كالإنتقال والتكلم والصوت. وهكذا قد يشعر الإنسان بإحساس ألم مثلاً إذا ما حملت الحاسة اللاإرادية المادة الحارة إلى العقد في العظيم السمبتاوي التي تظهر فيه الموجة المغناطيسية في الحال تحت تأثير الحركات الكيميائية الآلية في الأوعية، فنجد القوة الموجودة في النخاع الشوكي تتوزع في الحال إلى جميع الفروع والخيوط العصبية المتصلة به، فتمر على الجهة المتهيجة من الجسم، والتي تكون أسرع تأثيراً من الجميع، فيشعر المريض بالألم، وهكذا تتم الطبيعة وظيفتها. إن الأعصاب في حدها حساسة وتحمل قوة الإدراك، وليس المخ وحده هو المركز للقوى العقلية ولقيام الحياة الإشتراكية في أفعالنا البشرية بأسرها، كالحافظة والحاكمة والأشواق والإدراك. لأن كل حركة أو أي عمل حسي تشعر به الأعصاب أولاً. فتبلغ إلى المخ فوراً ما وصل إليها وهو يحكم بصلاحيتها أو فسادها باعتباره المركز والحاكم العام على كل الوظائف.

وفي أكثر الحالات العادية يختفي الألم بمجرد ما يتجدد السيال ويصبح متوازناً في جميع أجزاء الجسم بلا استشفاء، وهنا تظهر وظيفة المغناطيسية في تسكين الألم أو إيقافه، حيث تمده بالسيال الكهربائي من القوة العصبية، وهو المطلوب لتجديد الدائرة المغناطيسية في الجسم وحفظ توازنه وعدم حصول أي اضطراب أو عائق في سيرها مما يوجد في النقطة الموجود فيها الألم غالباً، ومن الطبيعي أن المخ هو المؤثر على الأوعية الإرادية العصبية، فهو حينما يرسل للجزء المتأثر دمانقياً، فإن هذا الدم يجعل الجزء يلتهب ويصبح في حالة احمرار،

وضرره عليه أكثر من نفعه، ففي هذه الحالة تظهر فائدة المغناطيسية التي تسكن الألم بالسماح للدم المتدفق إلى الجزء، المتأثر بالعودة إلى مجراه، فيتجلى دور المغناطيسية في الحفاظ على التوازن بين الدورة العصبية في جميع أجزاء الجسم.



الجهاز العصبي

(الجهاز العصبي) (شكل 17)

الضفيرة العجزية الضفيرة القطنية أعصاب الذراع

الضفيرة العضلية أعصاب الوجه المخ المخيخ

النخاع الشوكي باقي الأعصاب المتفرعة من الضفيرة القطنية

الفصل الثامن والستون

المغناطيسية النفسانية

بصرف النظر عن التنويم المغناطيسي والمغناطيسية الجسمية يوجد مؤثر آخر ينتج عن التفكير والإرادة، وقد اتخذ هذا المؤثر اسم المغناطيسية النفسانية، وهو يكمن في كل فرد، ويستطيع أي إنسان أن ينميه إلى درجة عالية جداً، أما أهميته فهو يسمح بالتأثير عن بعد، والتمارين المعطاة في التنويم المغناطيسي أو المغناطيسية الجسمية هي صالحة من جهة التطور النفساني، والذين قاموا بمثل هذه التجارب يملكون قوة نفسانية ثمينة.

ولكي ننميها أكثر فإننا نقوم ببعض التمارين المفيدة لها.

- انسحب إلى غرفة مظلمة بعيداً عن الضجيج، واجلس ممتداً بشكل مريح، حرر تفكيرك من كل ما يتعلق بالجسم، اطبق عينيك، واحرص بصورة مستمرة على أن تجذب إليك القوى الخارجية واستأثر بها، وهذا الجهد الذهني يجب أن لا يحرك أو يطرف جفنك، فإرادتك يجب أن تكون ثابتة هادئة. استمر في هذا التمرين من 5 إلى 10 دقائق، وبإمكانك إعادة هذا التمرين. واعمل باستمرار على تجنب ما يثيرك ويحرضك، فتجتنب تبذير السائل العصبي وترتفع تجربتك النفسانية.

- املأ قدح ماء إلى النصف وامسكه بيدك ومدَّ ذراعك على ارتفاع كتفك بحيث

يكون مستوى الماء أمام عينيك ركز نظرك في هذا الخط وامسك القدح فلا تدعه يتحرك أبداً، يجب أن لا يتغير مستوى الماء.

- حين تحدث أحد الناس أوح إليه ذهنياً أن لا يجد كلماته وأن يتوقف عن الكلام، وحين يظهر ما يكفي من التأثير فإن محدثك سيتلجلج بمدة خمس دقائق أو ست.

- في قطار أو عربة نقل عمومية عيّن شخصاً وأوح إليه ذهنياً أن يشعر مثلاً بضيق في مكانه وأن يبدّله ليأتي إلى جانبك.

- حين يأتي رجل تعرفه أو لا تعرفه في اتجاهك أوح إليه أن يحرف نظره عنك أو أن تجعله يتعثر حين يمر قربك.

إنك حينما تتأكد من نجاحك في مثل هذه التجارب تستطيع القيام بتجربة تنفيذ عمل موحى به سواء كان صاحبه قريباً أم بعيداً. فقد تستطيع أن تطبق قوتك النفسانية بعد إنمائها على تجربة إيحائية، ستلاحظ إحداث ظاهرات مطلوبة بسرعة، خاصة في تجاربك التي تقوم بها في اليقظة، إذ تستطيع أن تتوصل إلى أن تسير الشخص وفق إرادتك دون إحداث النوم المغناطيسي، أما في التنويم المغناطيسي فإن الإيحاء الذهني نادراً ما يكون ممكناً، لأن وعي الشخص يكون مغلقاً، فلكي تحصل على نتيجة يجب أن تنومه بالمغناطيسية، وإما أن تحدث له النوم المغناطيسي موحياً إليه النوم بصورة ذهنية، وهذه القواعد بالطبع ليست مطلقة، فهناك شواذ.

إن هذه القوة النفسانية إذا حصل عليها الإنسان استطاع شفاء الأمراض الميؤوس منها تقريباً، فقد يمكن جمع المرضى في غرفة بشكل دائرة يقف المعالج بينهم ويثير «القوى العليا» فما من شك في أن التركيز الذهني للمعالج يجلب القوى المؤثرة إلى المرضى فتقرر فيهم توازناً ينتج الصحة.

إن بعض المرضى تقام عليهم صلوات جماعية من طرف أصدقائهم، حيث

يصلون جماعة ضارعين لهم بالشفاء، فتبرز تلك القوى العليا في الأشخاص فيتحقق معها الشفاء.

وأبعد من هذا، فقد يحدث أن المعالج المغناطيسي يستطيع أن يركز فكره في ساعة ما، قد يتفق فيها مع مريضه فيرسل له القوى العليا رغم بعد المسافة فيتماثل فيها المريض إلى الشفاء. إن التأملات السامية، والإيحاءات الذاتية المجدية تساعد من يهوى نماء هذه الهبة الإلهية لكي يصبح سيداً لتفكيره الذي يقوده نحو الهدف السامي، من غير أن يجبر أحداً على فعل ما يعاكس المباديء المقدسة.

الفصل التاسع والستون

التيار

في كل خلية حية وكل كائن حي إشعاع وكهرباء ومجال مغناطيسي، ولسهولة الإيضاح نقسم الموضوع إلى قسمين:

- الكهرباء العصبية أو التيار العصبي الفسيولوجي - أي الكهرباء الطبيعية في الأجسام الحية.
- تحويل هذا التيار إلى سيال مغناطيسي بحكم أنه يسري عن طريق الإرادة والرغبة العقلية الشخصية، فهو تحت حكم الشخص وتحت حكم الطلب، حيث أن تنميته في الفرد قد تزيد مما يجعله قابلاً للخروج من جسده إلى أعصاب غيره، وبذلك تكون أعصاب النائم تحت حكم المنوِّم، وهذه التنمية تتم بالتركيز والخلوة والتمرينات الخاصة بذلك، فمتى خرج هذا التيار من جسم وأثر في جسم عن قرب أو بعد سمي بالسيال المغناطيسي..

إن البحاثة «جلفاني» سنة 1786 قتل هذا الموضوع بحثاً، وهو استاذ التشريح وعلم وظائف الأعضاء في جامعة إيطاليا، فبالصدفة قدمت له زوجته طعام العشاء فيه أفخاذ الضفادع، فلاحظت أن الأفخاذ المبتورة تتقلص وتتشنج كلما لامست آلة قريبة منها تولد الكهرباء بالإحتكاك، فأخذ «جلفاني» يختبر تأثير الكهرباء الجوية والبروق على الأنسجة الحيوانية، فعلق بعض أفخاذ الضفادع

بالقرب من شبكة حديدية على سقف منزله وثبتها بأسلاك من نحاس فرأى أنها تتقلص كلما دفعتها الرياح على الشبكة الحديدية، وقد صنع «ليبمان» قياساً كهربائياً شعرياً، ثم جاء بعده «انتهوفن» وصنع جهازاً أدق لقياس كهرباء الأحياء. ولكي لا ندخل في صميم الخلافات العلمية في هذا الشأن فإننا نلخص الموضوع كما يأتي:

- إن البروتوبلازم - أي مادة الخلية الحية للإنسان - تحتوي على ذرات مختلفة مشحونة بالكهرباء.

- كل تغيير في عمل نسج من الأنسجة يصحبه حدوث تغير في الطاقة الكهربائية.

- كل عضل سليم ينتج عن أجزائه المختلفة تيار متشابه متساوٍ من الكهرباء، بحيث إذا حدث جرح سجلت المقاييس الكهربائية المتصلة به حدوث تيار كهربائي متجه من الجزء السليم إلى الجزء المصاب، وهذا عين ما يحدث في العلاج بالسيال المغناطيسي.

- كل ضربة من ضربات القلب وحركة من حركات العضل وإفراز من غدة يصاحبها تغير كهربائي.

- هذه التغيرات الكهربائية لها طبيعة واحدة وصفاتها العامة واحدة، وهي سالبة بالنسبة لكهرباء الأجزاء الأخرى في الجسد، التي تكون في الوقت ذاته في راحة - أي غير مصابة - والإصابة هي تحريض قوى على العمل أو الحركة.

- إذا أطلقنا تياراً كهربائياً في عصب ما، حدث معه تيار آخر بالإستقطاب في غشاء العصب، فإذا فصلنا العصب المؤدي إلى عضو من الأعضاء عن المخ أو المركز العصبي الغريب من هذا العصب فإن هذا العضو لا يقاوم بعمله، وإذا أرسلنا في العصب تياراً كهربائياً مناسباً، فإن العضو يعود إلى القيام بعمله، فالأعصاب والمخ أجهزة كهربائية مغناطيسية.

- إذا فصلنا عين الإنسان ووصلناها بجهاز حساس لقياس الكهرباء وجدنا تياراً صادراً منها متجهاً من المخ إلى الأمام.

هذه أشياء ذكرناها يسيرة عن طبيعة كهرباء الجسم في حد ذاتها تكاد تكون غير كافية لقتل الموضوع. إن مصدر الطاقة لهذا التيار في الأحياء هو الأكسجين الطبيعي، وهو مشحون بالكهرباء. وقد سبق أن تحدثنا عن النظرية الذرية من طبيعة العناصر أنها مكونة من نواة وإلكترونات، فالنواة مشحونة بالكهرباء الموجبة، والإلكترونات مشحونة بالكهرباء السالبة، ومجموع السالبة يساوي الموجبة، وكل إلكترون يحمل شحنة معينة، تمكن العلماء من تحديدها، وتفكيك ذرات الأكسجين بتفاعلها في الجسم عند التنفس يطلق منها كمية من الكهرباء، أو بتعبير آخر أن ذرات الأكسجين يعاد تنظيمها على شكل جزيئات ثاني أكسيد الكربون، والكهرباء المتحررة من توازن الذرة تبقى في الجسم.

وفقراء الهنود يعتقدون بوجود أثير خاص بزيادة القوى المغناطيسية وأمواج غير منظورة، من أجل هذا فهم يمارسون تمارين التنفس العميق على هذا الأساس، ومهما كان وزن هذه النظرية من الصحة، فإن عملية التنفس هذه لا تخلو من فائدة. في تزويد القوة المغناطيسية، ناهيك عن الجسم كثيراً ما يحرض على فتور الأعصاب وتراخيها وجُمودها.

كما أن مصدر الطاقة يأتي أيضاً عن التفاعلات الكيماوية الجسدية للهضم والتمثيل وإفرازات الغدد الصماء، وأخيراً توجد الطاقة في الأجسام وجوداً طبيعياً بمقدار محدود كسلاح طبيعي في بعض الأحيان.

الفصل السبعون

المجال والسيال

من يمارس التنويم وتمريناته ودراسته قد يعلم أن لكل إنسان مجال إشعاع يحيط به على هيئة رسم بيضاوي، أعلاه عريض مقوس حول الرأس ونهايته عند القدمين، وهو يسمى «المجال المغناطيسي» وسماه القدامى «أورا» وسماه «مسمر» «المغناطيسية» كما سماه «جوسيو» «الكهرباء الحيوانية» وقد سماه «ريشنباخ» «اللهب الروحاني» وأطلق عليه «دي روكاس» «الإحساس الطليق» وعند الدكتور «بردوك» «أشعة الحياة»، وقد ينتقل عن طريق النظر واليدين. عندما يمرر المنوِّم يديه على النائم سواء لمسه أو لم يلمسه، كما ينتقل عن طريق التنفس بطريقة خاصة، وينتقل أيضاً عن طريق الريق، وهذا سبب استعمال اللعاب في كثير من أعمال الشفاء، كل هذه القوى التي تخرج من المنوِّم بأية طريقة هي «سيال مغناطيسي» وكل شيء في الوجود له مجال مغناطيسي سواء في الجماد أو النبات أو الحيوان.

فالجماد نظرية الذرة تكفي لثبوته، فهي تثبت وجود الكهرباء بنوعيها، والتجاذب بينهما في كل ما هو حي أو جماد.

أما النبات فلكي ترى المجال المغناطيسي الخاص به مارس التمارين الآتية من تمرينات الخلوة لاكتساب قوة التركيز وتنمية المغناطيسية.

ادخل غرفة منعزلة هادئة، وخذ بذرة من بذور نبات سريع النمو، ثم تأملها نحو عشر دقائق متأملاً في طبيعتها ونوعها ونموها وشكلها وفوائدها، كل ذلك من أجل أن تحصر فكرك فيها من غير شرود. مارس هذا التدريب بضع مرات حتى ينطبع شكلها في مخيلتك وتستطيع تصورها وأنت مغمض العينين، ثم ضع هذه الحبة في إناء مناسب لنموها، فحينما تظهر من التربية وقت نموها مارس تأملها وتركيز النظر فيها يومياً حتى تستطيع أن تراها مغمضاً، وكلما زاد نموها زادت قوتك على تصورها وتخيلها، فبعد زمن يختلف حسب مقدرتك على التركيز والإسترخاء تبدأ في أن ترى قريباً منها شبه لون ضعيف من الزرقة يزداد وضوحاً يوماً بعد يوم. ضعها أمامك وثبت نظرك فيها وركز فكرك تركيزاً تاماً، ترى بعد نحو نصف ساعة أو ساعة أن اللون الأزرق أخذ يتخللها ويغشاها بكاملها، وتشعر شعوراً قوياً عجيباً واضحاً بأنك تنظر إلى شيء حي، وأن هذا الشيء يشعر بك أيضاً - ويتجه نحوك «اللهب الروحاني» اتجاهاً ظاهراً كلهيب الشمعة - ولو لازمت التدريب لظهر لك ما هو أعجب، وهو أن المجال الحي لهذا النبات يبزغ أمامك كما يهبّ لهيب أزرق خفيف، والأدهى من هذا هو أن كل شخص في الغرفة يستطيع أن يرى هذا، فيحسب أن النار اشتعلت في هذا النبات. وإذا أصررت على تركيزك وتدريبك مع ملازمة الصيام الروحاني، وهو الإقلاع عن أكل اللحوم والبيض والجبن والزبد، أمكنك أن تجذب من هذا النبات مجاله المغناطيسي.

الفصل الواحد والسبعون

إثبات المجال والسيال الانساني

في وسع الوسيط المغناطيسي أن يرى المجال الخاص بشخص معين، فإذا ألفيته في نوم عميق وأمرته بأن يرى المجال المغناطيسي لكل شخص في الغرفة ثم أطلقت بخوراً معيناً فإن تأثير هذا البخور على الأشخاص يختلف ويظهر ذلك في مجالاتهم للوسيط، فمنها ما يزيد ومنها ما ينقص ومنها ما يتغير لونه، وهنا نذكر بأن الإيحاء لا مفعول له وليس له دخل في ذلك، وإذا تميز شخص بقوة روحانية رأى الوسيط هالة إشعاع في وجه الشخص، فيقول إن وجهه مضيء، كما نذكر أن الوسيط يستطيع أن يرى مجال الجماد، ومنه يتعرف على تاريخ حياته وما اتصل به كالخواتم والحلي والثياب وغيرها، وهو ما يسمى «بقياس الأثر».

إن المنوم البارع والمتمرن على استعمال السيال المغناطيسي عن طريق السحبات قلما يفشل في تنويم شخص، والفرق فقط هو في الوقت الذي يستغرقه للوصول إلى الدرجات العليا بين ذلك السليم أو المريض أو ذلك الحساس أو العادي، فالمنوم الذي لا يستطيع أن ينوّم ثمانية من عشرة هو ضعيف السيال، والتجربة العملية هو أن كل منوِم قوي الأعصاب سليم البدن يمكنه شفاء كثير من الحالات المرضية، وكل منوم ضعيف لا يمكنه شفاء أي مريض. فالمنوِم القوي يمكنه أن يجلس في مكان خاص، والوسيط المنوِّم المتمرن في مكان آخر، فيضع المريض في يده ورقة بيضاء مدة عشر دقائق ثم تلف الورقة وتعطى للوسيط من غير

أن يعرف صاحبها، ففي الحال يعرف قوة هذا المريض ويصف حالته الصحية وهيئته وخلقه وصفاً دقيقاً، بحيث يمكن معرفته سواء كان هذا المريض منوِّماً أو مستيقظاً، كما يمكن أيضاً أخذ آثاره كقميص أو حذاء أو غيره فيصف حالته بوضوح جلي، لأن الشعاع المغناطيسي يتنقل مع الأثر، ومن هنا كان أمر تدريب الكلاب على الأثر واهتدائها إليه.

أما السحبات باللمس أو بالبعد قدر 3 سنتيمترات أو أقل من أعلى إلى أسفل - أي من قمة الرأس - فلها تأثير إيجابي في تعميق النوم أو تسكين الألم أو منح الراحة والهدوء أو تخدير عضو، والسحبات من أسفل إلى أعلى تنبه النائم وتضعف قوة كشفه، ثم لو عصبت عيني الوسيط وقمت بسحبات عكسية من غير أن تشعره بها فلا بد أن يستيقظ، كما لو قمت بسحبات على عضو متألم كالذراع مثلاً مع الإيحاء اللازم سكن الألم، وإن قمت بسحبات عكسية من أسفل إلى أعلى وقرنتها بأقوى إيحاء يبقى الألم على حاله، وإذا أردت أن تقوم بنقل أفكار معينة للوسيط تقوم بسحبات عادية من غير لمس من أعلى إلى أسفل مع إحداث رعشة طفيفة في أصابعك كأن بها ماء تريد أن تنثره عليه مترفقاً، فإذا قمت بعمل أي سحبات بطريقة ميكانيكية بغير تفكير ولا حصره في شيء معين فشلت فشلاً ذريعاً، لأن السيالات لا تخرج من الجسد إلى اليدين إلا بالتركيز أو الرغبة، وهذا هو السر في تأثير المصافحة، فقد يصافحك شخص لك به صلة فتحكم عليه في الحال أن مصافحته باردة، بينما يقابلك آخر فيهز يدك وينظر في عينيك ويكلمك في قوة وحماسة فتحكم عليه بأنه حياك بحرارة. فسِّر الحالة كما شئت، ولكن الحال أن السيال الذي يجعل اليد في حرارة يلعب دوراً هاماً، وقد يمكنك بالتمارين أن تبقى يدك محافظة على الحرارة المطلوبة، لأن اليد الباردة لا تتوفر على السيال الكافي، وفي الحالات العادية قد تلاحظ شخصاً أراد أن يؤثر على آخر لا يفتأ أن يضع يده على كتفه أو معصمه أو راحته، وهذا ما يستعمل في التنويم المغناطيسي من أجل التأثير.

وقد ثبت أن بعض المناطق حساسة قابلة للتأثير نظراً لوجود أعصاب معينة

فيها، وهذه المناطق هي البطن للتأثير على الضفيرة الشمسية وجذر الأنف أو أصله للوصول إلى لحاء المخ والمعصم في منطقة النبض لقرب العصب، ومنتصف المسافة التي بين زاوية العين والأذن، وخلف الرأس لتنبيه الغدة الصنوبرية.

يقول «لافونتين» في عام1840 نومت أسداً حيث حل بالمدينة ملعب، فقمت بتجربتي من غير أن يعرفني أحد، وقفت بجوار القفص وأخذت أنظر إلى الأسد حتى أغمض عينيه، فرحت أصب عليه من يدي سيالاً قوياً موجهاً إلى رأسه، فبعد عشرين دقيقة وقع في نوم عميق، فلمست مخالبه إذا هي مسترخية، حيث وخزته فلم يطق حراكاً، فعمدت إلى كفه وفرقتها ودفعت رأسه وجعلت يدي في فمه، كل هذا وهو متخاذل ساكن حتى اندهش الحاضرون، وأخيراً أيقظته ففتح عينيه وعاد إلى طبيعته. وقد كررت العملية فنجحت فيها كل مرة. وقد كررت العملية على ضبع، لكنه ما شعر بتدفق السيال صوبه حتى ران به القلق وثارت ثائرته لولا القفص لفرسني، ومن ذلك اليوم كلما دنوت من قفصها وأرسلت عليها السيال جن جنونها. والنمرة سريعة التأثر ـ يقول «لافونتين» ـ فقد صعدت قطة إلى المائدة، فمررت يدي عليها ووجهت لها السيال فوقعت في سبات عميق لم تشعر معه بالوخز القاسي. فمن خلال هذه التجارب يبدو أن قوة السيال تنتقل.

ومن تجارب الدكتور «بيكار» على النبات يقول: «في الخامس من شهر أبريل أتيت بست شجرات من شجر الورد، تركت خمسة منها تنمو نمواً طبيعياً، والسادسة وجهت لها سيالاً قوياً مدة خمس دقائق في الصباح ومثلها في المساء، وفي العاشر من أبريل وجدتها نمت سنتيمتراً واحداً، وفي العشرين منه بدأت تنمو وتتفتح الأشجار الخمسة بينما السادسة قد أزهرت عشر زهرات في حجم متفوق. وقد كررت التجربة على نباتات أخرى فكان تأثير السيال واضحاً، وقد أمكن للدكتور «بيكار» وغيره أن يؤثر على نوع من النبات دون نوع، كالبراعم قبل تفتحها.

وهنا لا ننسى أن بعض فقراء الهنود كانوا عن طريق السيال ينبتون بذوراً في عدة ساعات ويؤثرون عليها فتنمو وتثمر في الحال.

الفصل الثاني والسبعون

سر السيال

إذا تحكمت الإرادة في التيار العصبي الفسيولوجي الطبيعي في كل جسم وأمكن إطلاقه وتسلطه على جسم آخر أصبح خارج الجسم ما نسميه السيال المغناطيسي، وله تمرينات خاصة معروفة في الراجايوجا عند الهنود، وقد يستعمل في التأثير المغناطيسي لرفع الوسيط إلى درجات الكشف العليا، فمصدر السيال كما ترى هو تأثير القوة العقلية في التيار العصبي الفسيولوجي. وإليك تمرين البرانا الهندي الذي يمارسه الهنود لتقوية هذا التيار العصبي، والتمكن من إطلاقه من الجسم، ويسمونه أيضاً «سيال البرانا» فهو ينتقل إلى مسافات سحيقة إلى الشخص المطلوب الذي تمارَس عليه التأثير، وتمرينه يقوم على الإيحاء والتنفس.

- اجلس جلسة مريحة في مكان طلق الهواء، تخيل أن السلسلة الفقرية كأنبوبة مجوفة لهافم مسدود - هو الفقرة الأخيرة من العصعص، ثم ابدأ في التنفس بجذب الهواء على أنفاس متتالية قصيرة من الأنف، متخيلاً أن الهواء يدخل إلى أنبوبة السلسلة الفقرية حتى تمتليء تماماً، عند ذلك اجذب نفساً أخيراً بعنف متخيلاً أن ضغط الهواء الذي دخل صدرك يضغط على قاع الأنبوبة - أي العصعص - ثم احبس الهواء وأنت مغمض العينين متخيلاً أو مركزاً فكرك على أنه يحتوي ذرات الأثير الذي هو أصل كل مادة وكل قوة في الوجود، وهو وحدة الكون

العام، وأنه مشبع بالقوة الخارقة القادرة على التأثير على الغير، وتخيل أن المقصود من استمرار الضغط على العصعص هو إزالة القاع حتى يصبح جسمك ممراً سهلاً للقوة العليا أو الذرات الأثيرية التي يحتجزها جسمك من الهواء المار في داخله. وبعد أن يمتليء صدرك من الهواء احجز ثمان ثوان وهو ضاغط على العصعص حسب الإيحاء الذي قلناه، بعد ذلك أطلقه في ثمان ثوان أيضاً بعدما تنشقته في ثمان ثوان.

فالخلاصة أن تتنفس على دفعات قصيرة مدة 8 ثوان حتى يمتليء العمود الفقري بالهواء المحتوي على الأثير وهو القوة العظمى المتصلة بجميع العقول والوجود والنبات والجماد والحيوان.

خذ نفساً أخيراً بمجهود حتى يزيد ضغط الهواء إلى أن يحين الوقت الذي يفتح فيه نهاية العصعص. احبس الهواء 8 ثوان. متخيلاً أن المخ والأعصاب تمتص منه الأثير ويبقى بها. اطلق الهواء في 8 ثوان. مدة التمرين لا تتجاوز 10 دقائق، وذلك ثلاث مرات يومياً مدة شهر. وفي الشهر الثاني مارس التمرين 10 دقائق مدة ثلاث مرات يومياً مستخدماً طاقتي الأنف بالتناوب، فاليسرى 5 دقائق للشهيق واليمنى للزفير، ثم اليمنى 5 للشهيق واليسرى للزفير، على أن يتم الإمتلاء والضغط على العصعص في 10 ثوان، وتحبس الهواء 8 ثوان، ثم تطلقه في 10 ثوان مستعملاً نفس التركيز والتخيل اللذين ذكرناهما.

أما الشهر الثالث فنفس الطريقة غير أن الزمن يزداد عند الشهيق على قدر طاقتك مثل 20 ثانية، ويحبس الهواء 8 ثوان فقط من غير زيادة، ويطلق في مثل زمن الشهيق. أما الشهر الرابع. فيزداد زمن الشهيق والزفير إلى 30 ثانية على الأقل، ويبقى زمن الإحتجاز 8 ثوان لا يزداد مطلقاً، ويستعمل في هذا الشهر طاقتي الأنف معاً.

ويحدث عادة في أوائله أن يشعر ممارس التمرين أن الهواء أخذ يمر من العصعص ولا يصطدم به، وأن المخ والأعصاب تشبعت تشبعاً تاماً بالأثير، ويجد

بعد ذلك أن أي تخيل أو تركيز يعمد إليه لا بد أن يؤثر أثره في الوقت المناسب، ويستعمل ممارس التمرين في التأثير عن بعد سيالاً صادراً عن السلسلة الفقرية ماراً بالدماغ فالعينين فيجد له تأثيراً هائلاً على الغير. إن من استطاع أن ينفذ هذا التمرين ويطبقه على الوجه المطلوب، وبدقة متناهية مدته المطلوبة بتناسق وإحكام، يستطيع بكل تأكيد أن يصل إلى مطالبه، وأن تنساق له الأشياء كما تنساق الخرفان، على أن يخطو في الوقت ذاته نحو أغراضه في الحياة العملية، ويعمل لنيلها في تدبر حتى ينسجم العقل الواعي مع الباطن، وهنا يصبح الفشل مستحيلاً. ومن سر السيال أيضاً أن وجود تموجات تفسرها حواسنا بأنها صوت معين أو ضوء أو منظر، وهذه التموجات هي السيالات المغناطيسية، فالسيال يحمل فكرة أو صورة أو رغبة، فينطلق أولاً عن طريق اليدين أو العينين، كما ينطلق عن طريق الغدَّة الصنوبرية، ولا يمكن أن يوجد سيال بدون فكرة معينة سواء كان مبعثها العقل الواعي أو الباطن ـ أي سواء كان صاحب السيال منتبهاً إلى الفكرة أولاً. فالمنوِّم الذي يقوم بتجاربه للتأثير عن بعد أو غير ذلك من الأغراض قد يوجه السيال عن طريق السحبات سواء كان الوسيط حاضراً أم بعيداً، وهو يضمر ويركز فكره على فكرة معينة، وقد يجوز أن يوجه السيال بدون فكرة معينة بمجرد أن هذا التوجيه جزء من طريقة تعلُّمها للتنويم أو للتأثير، وفي هذه الحالة لا يكون السيال خالياً من الفكرة المحددة، بل يكون محتوياً على فكرة مبعثها عقله الباطن، لأنها مكونة من اعتقاد وإيمان بأن السحبات ستسبب ظاهرة معينة أو أثراً بعينه، ومعلوم أن الإعتقاد الراسخ يصبح إيحاء قوياً، ـ أي فكرة تلوذ بالعقل الباطن ـ وتصبح من محتوياته، ومن هنا نفهم سبب قوتها ونفاذها.

ومن هنا يتجلى أن السيال المنبعث من المنوِّم وغير المركز على فكرة، فإنه لا يخلو من فكرة بدائية ترسل للنائم فتحدث انقباضاً في العضلات أو تخشباً أو تشنجاً في الحنجرة من خلال السحبات التي تمر على الرأس والعنق، فتؤثر في المخ المستطيل. فالمنوِّم إذا فكر من أول وهلة أثناء التنويم بأنه سيصل بالوسيط إلى الإجابة على الأسئلة المعينة أو القيام بشيء معين، معناه أن السيالات المنبعثة

تحمل معنى، ففي تمرين الوسيط على قراءة الأفكار يفكر المنوِّم في رقم معين أو حرف ويركز فكره فيه ويطلب من الوسيط معرفته في الحال، وهذه الطريقة العادية الناجحة في تمرين الوسيط هي تثبت أن السيال ينتقل عن طريق السحبات أو اللمس وهو يحمل فكرة أو صورة. وما تعدد درجات التنويم واختلافها إلا بسبب السيال الذي يرسله المنوِّم.

ولمساعدتك في إرسال تيار فكري معين لشخص معين.

- إدخل غرفة هادئة، تخيله أمامك كأنه وسيط في حالة استرخاء مغمض العينين، ثم نومه بالسحبات الطويلة بكل تمهل وإتقان، وابدأ بتخشب ذراعه، متخيلاً أنه يطيعك، ومع التدريج والتكرار تستطيع أن تأمره بما تريد وهو غير موجود أمامك؛ فيصبح متأثراً بكل ما توحي إليه متبعاً فنون الإيحاء العادي مع السحبات التي تساعدك على اطلاق السيال الذي يحمل الفكرة المرغوبة ورفع ضغطه ليستمر في الاندفاع، كما يرفع الضغط الكهربائي ليخترق عازلاً. فهذه الطريقة من طرق التأثير على بعد أساسها أن يركز المنوِّم فكره على الرغبة المطلوبة حتى تتجسم ويصبح لها وجود هاديء، بعد ذلك يطلقها ويوجهها بأي طريقة من الطرق الفنية، ومنها، إطلاق الفكرة من الجسم على هيئة سيال ثم توجيه هذا السيال إلى الهدف.

إن الفكرة التي ينقلها السيال إذا أضمرها الإنسان وركز عليها يصبح لها وجود مادي، وكمثال على ذلك ما يحدث في بعض الأمراض النفسية، فالمريض يكتم فكرة محدودة، ثم يصبح لها وجود مادي، حيث يزداد ضغطه حتى تلتقطه الأعصاب فتؤدي ما يمكن تأديته من الفكرة التي تسلطت عليه حسب ما يسمح به تحويل الفكرة إلى طاقة فسيولوجية وعلى حسب ما تسمح به الطاقة من إمكان التنفيذ. والأمثلة كثيرة على ذلك نورد منها ما يأتي.

مريض يكتم قلقاً نفسانياً وخوفاً شديداً، ففي ظروف وملابسات خاصة، يسري سيال القلق والخوف في أعصابه، فتعبر الأعصاب بالضبط عن المعنى الكامن للسيال، ويظهر على الجسم أعراض القلق والخوف، وهي الإضطرابات

وسرعة الخفقان والأرق، فالأعصاب هنا تسلمت سيالاً به معنى الخوف والقلق فنفذت ما أمرت به، وما هو في نطاق عملها، وهو الخوف الفسيولوجي، مع أن المرض الأصلي قد يكون خوفاً من كارثة أو جريمة سابقة أو عقدة عصبية أو غير ذلك.

وهذه سيدة متزوجة لا تلد، تريد النسل، وقد تقدم بها العمر ولم تنجح في الحمل، اضطربت أعصابها عند نهاية كل شهر لتنتظر بلهفة ما إذا كانت قد حملت أم لا، فهي عند اقتراب الدورة الشهرية تكون فكرة ذات قوة عظيمة بأنها لا تريد أن ترى الدورة الدموية، ولقوة سيال هذه الفكرة يغمر أعصابها فتؤديها وتعبر عنها بأن تجعلها لا ترى فتفقد البصر بضعة أيام آخر كل شهر.

بهذين المثالين نكتفي بالمقارنة على أمثلة كثيرة، منبعها السيال في تنفيذها.

الفصل الثالث والسبعون

أجهزة لإثبات السيال

لقد ثبت أن السيال المغناطيسي يمكن أن يقاس بطرق وأجهزة مختلفة.

- خذ ورقة رقيقة كورق لف السجاير، وإبرة وسداداً من الفلين، أدخل الإبرة في الفلين بحيث يكون ثقب الإبرة غائباً وسط الفلين، ثم اثن الورقة من منتصفها في شكل مربعات ثم ضعها متزنة على سن الإبرة من غير أن تنفذ السن في الورقة، فتصبح الورقة حساسة جداً للحركة، قرب يدك ببطء شديد منها كي لا يحركها الهواء، واثن أصابعك في شكل قوس وقربها على بعد ثلاث سنتيمترات، فبعد لحظة تجد الورقة استدارت إلى جهة يدك، وإذا وضعت اليد الأخرى تحركت الورقة صوبها أيضاً، وهذا نتيجة الأنامل الممدودة التي توجه السيال.
- خذ قرصاً من الورق وارسم عليه خطين متعامدين، ثم خذ كوباً وضع في قلبه خيطاً من حرير يكون ملصقاً بشمع، وضع في الخيط إبرة في خط أفقي تكون محكمة الشد بالخيط، واقلب الكأس فوق دائرة القرص، ثم ركز فكرك على الإبرة وأرسل السيال، وأصابعك موجهة نحو الإبرة، فبعد5 إلى20 دقيقة تتحرك الإبرة، فتقوى الحركة أو تضعف حسب قوة السيال، وذلك يتجلى من خلال حركة الإبرة نحو خطوط القرص.
- خذ خيطاً دقيقاً جداً طوله 25 سنتيمتراً معلقاً في زجاج، ومن أسفله يربط بإبرة

نحاسية في منتصفها، وتحتها ورقة مقسمة إلى 360 درجـة، ويكون هذا علـى حامل مثبت، فبعد مدة من إرسال السيال تبدأ الإبـرة في الحـراك فتتجلـى قوة السرعة وذبذبتها، ، وهي تختلف من شخص إلى شخص.

وقد ظهر أن سيالات اليد اليمنى أقوى من اليسرى بثلاث مرات تقريباً. وثبت أن الحديد الممغنط يؤثر على الجهاز العصبي عند الشخص النائم نوماً مغناطيسياً، وهو مفيد في الحالات العصبية، فقد نقتطف عن الدكتور «هاموند» مقالاً نشره في إحدى المجلات الصادرة في نيويورك سنة 1894 عن تأثير المغناطيس، أن رجلاً في التاسعة والثلاثين من عمره لم يعرف عنه أنه وسيط حساس إزاء المغناطيسية، فقد كشف ذراعه اليمنى إلى الكتف ووضعه على مائدة وعصب عينيه بمنديل وطلب منه أن يصف ما يحس به أثناء التجربة، ثم وضع المغناطيس قرب قفاه على مسافة بضع سنتيمترات، فبعد32 ثانية قال بأنه لا يشعر بشيء في ذراعه لكنه يحس تنميلاً في منطقة القفا خلف الرأس، وبعد عشر دقائق قال بأنه يشعر كأن قطعة زجاجية ساخنة وضعت على قفاه، فرفع المغناطيس وسألـه إن كان يشعـر في ذراعـه بأي شعور، فأجاب بالنفي، وفي أثناء إجابته وضع المغناطيس بسرعة فوق رأسـه ثم لمس ذراعه بقطعة من حديد غير ممغنط، فقال أنه شعر بلمس ذراعه بشيء، وأن التنميل الذي كان في عنقه قد زال وظهر في الرأس، فأبعد المغناطيس ثم حركه فوق الذراع من الكتف إلـى الأنامـل علـى مقربـة من الجلـد بدون لمسـة وكرر السحبات، فقال أنه شعر بوخز إبر في الذراع وخزاً خفيفاً وكأنّ زجاجاً ساخناً قد لامس جلده، واستمر في التجربة فكانت تبدو له نفس النتائج، إذ كان يشعر بتهيج في المنطقة التي يقرب منها المغناطيس.

وقد درس الدكتور «بورك» العلاج بالمغناطيس الحديدي دراسة جدية، وله تجارب كانت قيمتها مقرونة بالشك حتى جاءت لجنة كونتها جمعية البيولوجيا وكان من أعضائها الدكتور «شاركو» فثبت لهم أن لها قيمة علمية، وذلك بوضع قطع معدنية على الجلد بعضها ممغنط وبعضها غير ممغنط من غير أن يستطيع المريض التفريق بينها، وأثر هذه الدراسة على الأعصاب.

الفصل الرابع والسبعون

القوة المغناطيسية

إذا كانت لك رغبة في شفاء الآخرين، وكنت تتمتع بعزم وحزم وقوة ورغبة صادقة ولا تدري الطرق الحقيقية للإحتفاظ بالقوة العظيمة وبقوة إضافية تستخدمها وقت الحاجة وحتى لا تستنفذها من أجل المعالجة ويبقى الحاصل بعدها هو إنهاك صحتك، من أجل ذلك ومن أهم واجباتك كمعالج مغناطيسي، أن تعرف تماماً كيف تجذب تلك القوة وتكتنزها داخلك وتحتفظ بها وقت الحاجة لسد ما ينقص من تلك القوة عند التوزيع منها.

إن مصدر تلك القوى لا نهاية له، موجود في الطعام الذي نأكله، والماء الذي نشربه، والأكثر منه في الهواء الذي نستنشقه وهو المورد الأعظم الذي نأخذ منه، فالمعالج سواء كان في نومه أو يقظته فاستنشاقه للهواء يكون عميقاً، فكل نسمة يتنسمها تجلب داخله جزءاً عن القوة. إنه يفعل ذلك بعلم وعن خبرة شاعراً بمقدار العظمة لوجود القوة الهائلة التي تعمل داخله بالإتحاد مع الروح الطاهرة الموجودة بين جوانحه، وعندما يأكل يشعر بأن ما يأكله يزيد من قوته الإحتياطية قوة، وعندما ينام يستسلم للقدرة الإلهية، فتعمل الميكانيكية الإرادية وغير الإرادية والمعبر عنها بالجهاز العصبي متخذة مع الطبيعة لبناء وتجديد النشاط للأعضاء والأوعية المنهوكة استعداداً لتأدية الواجب المقبل.

إن المعالج المغناطيسي أثناء نهاره وليله تلاحظ استنشاقه بطيئاً، فمه مغلق، يتنفس ببطء من أنفه، لا تلاحظ عليه أثناء تنفسه أي اهتزاز عصبي سواء في كتفيه أو مفاصله، إذا قبض على يدك بين يديه تشعر بقشعريرة خفيفة أو هزة لطيفة ناشئة عن قوة مندفعة منه إليه، هذا المعالج المغناطيسي يقوم بتجاربه بعيداً عن الأنظار والغوغاء، يقوم بتمريناته التنفسية التي تصبح ملكاً له لا يشاركه فيها أحد، حيث يصبح ممتلىء الجسم والعقل بتلك القوة الروحية التي تجعل من مقدوره أن يسعفك بها وقت الحاجة.

أما طريقة التنفس وتمريناتها فقد ذكرناها آنفاً، ولكن لا بأس أن نعيد ذكرها بشيء قليل من التحوير حتى نكون قد أتينا على الآراء المتقاربة وكيفية تنظيمها، فيبقى سر مفتاح الوصول بيد المعنى حسب ما يراه من استعداد جسمي ونفسي مقارناً بذلك الأسابيع أو الشهور.

الأسبوع الأول:

عليك أن تمضي خمس دقائق في كل صباح في الإستعداد للتمرين الذي تمارسه، ثبت فكرك وذهنك في طريقة المعالجة دون سواها. فتلجأ بكل قواك إلى عون عزة الإله في كل أعمالك، وأفضل وقت للقيام بالتمرين هو مباشرة بعد كل وجبة من الطعام في الفطور والغذاء والعشاء. ولا تقم بالتمرين في الشهر الأول أو غيره عند استعدادك للنوم، لأنه منبه بحكم تأثيره السريع.

فبعد أن تقضي خمس دقائق في التفكير وتثبيته على استخدام القوة متأملاً في ذلك، أضطجع على مسند أو وسادة أو على فراش وأرح جميع عضلات الجسم حتى يكون كل عضو رخواً، ولا تفكر في أي عضو من أعضاء الجسم أو تركز فكرك فيه، وعندما تبتديء يجب أن تتحرر من أحزمة ملابسك حتى يمكنك أن تتنفس جيداً أو براحة، بعد ذلك تنفس تنفساً عميقاً طويلاً في حالة شهيق بحيث تشعر بحالة تمدد في بطنك، ثم تستمر في هذا التنفس حاملاً إياه إلى صدرك وضلوعك، فتقضي في ذلك مدة ثماني ثوان شهيقاً، ثم تحتفظ به داخلك لمدة ثماني ثوان

أخرى، ثم تزفره ببطء في مدة ثماني ثوان أخرى، فتتم كل هذه العملية في 24 ثانية، أو على رأي الشرقيين الهنود تكون قد أتممت محور مثلث متوازي الأضلاع طول ضلعه ثمانية. إنك لا ترى هذا سهلاً في البداية كسهولة قراءته، إنك في بعض الأحيان تضطر اضطراراً سريعاً للتوقف عن التنفس بسبب التعب الذي تشعر به ولربما تشعر بدوخة، فلذلك تنقطع عن الإستمرار في التمرينات، فإذا حصل لك ذلك لا تنقطع عن العمل، إن هذه العوارض دليل على أن الحالة الصحية هي أحوج بهذا التمرين لتحسن حالتك الصحية أولاً في جهازك العصبي، وبعد قليل من الجلسات ستختفي، وستحل محلها قوة زائدة وشعور عظيم بالتحسن في الصحة، إن هذا التمرين الأول ضروري جداً، فهو يدعو للتحكم في طريقة التنفس وتقوية الشخص تقوية روحية ويعمل على إنعاشها، إن الوقت المقرر لهذا التمرين هو عشر دقائق بالإضافة إلى خمس الدقائق المقررة للاستعداد، فتصبح المدة خمس عشرة دقيقة.

الأسبوع الثاني:

تمارين الأسبوع الثاني يجب أن تكون مدتها المقررة لكل تمرين منها خمس عشرة دقيقة ثلاث مرات في اليوم قبل أو بعد الوجبة. أما تنظيمها فيكون طبقاً للقواعد التالية:

بعد خمس دقائق للاستعداد والتأمل كالسابق، يجب أن تقفل الخيشوم الأيمن باصبعك وتشهق شهقة طويلة بطيئة مبتدئاً بالتمدد في البطن ثم جذب التنفس بتمدد في الضلوع والصدر، تشهق هذه النسمة بانفك الايسر لمدة عشر ثوان وتحتفظ بها داخلك عشر ثوان أخرى، ثم أخيراً تزفر بأنفك الأيمن في مدة عشر ثوان، وسترى أن تنفسك أصبح منتظماً ما دمت تقدر على زفر هذه النسمة بدون تعب في عشر ثوان، إنك تقضي في النسمة 30 ثانية شهيقاً وزفيراً، وفي المدة المقررة لهذا التمرين وهي العشر دقائق تتم في عشرين دفعة. فإذا وجدت أنه ليس في وسعك إتمام هذا التمرين في المدة المقررة فلا مانع من إتمامه في مدة أقل،

وعلى أي حال يجب ألا تترك هذاالتمرين حتى تتمه على الوجه الأكمل، بعد العشر دفعات التي تقضيها في خمس دقائق ـ وهي الأولى ـ يجب عليك أن تغير الشهيق من الخيشوم الأيسر إلى الخيشوم الأيمن والزفير من الخيشوم الأيمن إلى الخيشوم الأيسر بمعنى أن تستنشق بواسطة الخيشوم الأيمن وتزفر بواسطة الخيشوم الأيسر.

هذا التمرين هو واجبك في الأسبوع الثاني، وعندما تكون قد أتممت التعليمات المذكورة تماماً يكون في مقدورك مداواة ثلاثة مرضى يومياً بالطريقة التي ستعطى لك، ولكن الحذر من أن تزيد على هذا المقدار. ستلاحظ بعد انتهاء الأسبوع الثاني أن القوة الحيوية الموجودة فيك لا تؤثر في صحتك ولا تتعبك إذا استخدمتها لفائدة الآخرين.

الأسبوع الثالث:

تمرين الأسبوع الثالث أكثر صعوبة من سابقه، يحتاج إلى عناية أكثر ودقة متناهية، إنه يشتمل كسابقه على استعمال الخياشيم أي فتحتي الأنف بالتناوب، ولكن يجب في كل شهقة أن تستمر لمدة خمس عشرة ثانية، ثم يحتفظ بالنفس لمدة عشر ثوان وبعد ذلك يزفر في مدة خمس عشرة ثانية. ولتلاحظ أن الزفير في مدة خمس عشرة ثانية له صعوبته، فيجب المران عليه تماماً، لأنه من أهم الضروريات لتأهيلك لهذا العمل، وأن النتيجة ستعود عليك بالنجاح التام.

الأسبوع الرابع:

تمارين هذا الأسبوع خالية من العوائق في استعمال الخياشيم أو فتحتي الأنف بالتناوب في التنفس، ولك الإختيار في ذلك، لكن يجب أن تزداد المدة المقررة للشهيق ـ أي بمعنى ـ أن التنفس يزداد تدريجياً إن أمكن بحيث تكون 20 ثانية، وبهذا يتم مدة النسمة الواحدة في 50 ثانية، ومدة التمرين يجب أن تمتد من 15 دقيقة إلى 30 دقيقة بحيث تشمل خمس الدقائق المقررة للاستعداد والتفكير.

بيان مفصل للتنفس

مدة التنفس	الشهيق	احتباس التنفس	الزفير
24 ثانية	8 ثوان	8 ثوان	8 ثوان
30 ثانية	10 ثوان	10 ثوان	10 ثوان
40 ثانية	15 ثوان	10 ثوان	15 ثانية
50 ثانية	20 ثانية	10 ثوان	20 ثانية
60 ثانية	26 ثانية	8 ثوان	26 ثانية

قد يظهر مدهشاً لكل من يجهل المران الذي يكتسب بالتنفس عندما يسمع بأن بعض الطلاب لهم القدرة على التنفس لمدة5 دقائق شهيقاً وزفيراً لمرة واحدة، قد يبتديء الطالب المجد بأن يشعر بعد إتمام الأسبوع الرابع حقيقة مقدار ترقيته الروحية وقوته الجسدية المنعشة التي وجدت فيه عندما اكتمل الجهاز العصبي قوته الحيوية فغيرت شكله وأبدلت ضعفه قوة واصفرار لونه نضارة وحل محل لونه الباهت خصوبة دموية وأصبح هيكله العظمي ممتلئاً وبدأ يشع من عينيه إشعاع روحي وعلى وجهه هالة من نور إلهي، ولا مبالغة بأن عيني المعالج المغناطيسي صارت حادة تخترق أعماق القلوب بنظرة ثابتة، ولكنها ليست نظرة غطرسة، وهي المعبر عنها بالنظرة المركزية المعتدلة الثابتة.

إنه بعد الأسبوع الرابع يجب على الطالب أن يجعل غرضه الأسمى هو الإستمرار على التنفس الطويل، وبذلك تتقوى العضلات، ويجب عليه أن يبتديء بهذا التنفس الطويل العميق عندما يستيقظ من نومه صباحاً دون أن يجبر نفسه بوقت، يقضي على الأقل نصف ساعة لإتمام تمريناته وهو مضطجع على مسند، متدرجاً بتمريناته التنفسية نحو الزيادة، ولا مانع من أن يلازم ذلك أثناء النهار كلما واتته الفرصة، مراعياً أنه كلما ازداد مقدار الشهيق وجب مراعاة تقليل مدة الإحتفاظ أو احتباس التنفس طبقاً لما هو مقرر في الجدول المرسوم، وقد يمكن تغيير ذلك طبقاً للحالة الصحية للشخص.

عندما يتم هذا النظام على الوجه الأكمل يشعر المعالج بروح الحياة وينبوعها كما يسميها الهنود «بالحركة الروحية» وعندما تدب القوة الحيوية ويشعر بانسيابها في جميع أجزاءجسمه بواسطة الأعصاب والروح لا يكون للأمراض أي سلطة على الهيكل الجسماني فتشفى الأتعاب الجسدية بسرعة حتى أن الجوع والعطش يكونان تحت حكم الإرادة الروحية.

إنك إذا سرت على هذا النظام، وأعطيت حيزاً من وقتك لهذه التمارين حتى تتمكن منها، فإنه يمكن أن توجد داخلك القوة المغناطيسية الزائدة عن احتياجك الشخصي، فتحتفظ بها لشفاء الآخرين، ووجودها داخل جسمك بكمية وافرة تكون واقية لك ضد ما ينتابك من أمراض.

الفصل الخامس والسبعون

طرق نقل المغناطيسية

هناك ثلاث حالات لنقل المغناطيسية من المعالج إلى المريض، وهي الأيدي والعين والتنفس. أما اليدان، فيجب قبل البدء في المعالجة غسلهما بالصابون والماء جيداً ثم تنشيفهما وفركهما ببعضهما بخفّة حتى تتولد فيهما حرارة زائدة، وفي الوقت ذاته يسري الدم في جميع عروق اليدين والذراعين، ولكي تحصل على هذه النتيجة بإيجاد الحرارة في اليدين في أسرع وقت ممكن يجب أن تفركهما ببعضهما تاركاً أصابعك مبسوطة والذراعين على الجانبين، وفي أثناء ذلك تجري تحريك اليدين بقوة من غير تشبيكهما مع شحذ الفكر وتثبيته في أن الذراعين هما الموصل الذي منه تحصل على القوة العصبية فتسير بسهولة إلى أطراف الأصابع، وعندما تحصل على الحرارة الكافية في اليدين يجب عليك أن تشبكهما ببعض مرة أو مرتين مع فرك الراحتين ببعض قبل أن توضع الأيدي على جسم المريض.

وقد تكون الفائدة أكثر إذا كانت اليدان مبلولتين عرقاً أثناء هذا التمرين، ومن باب الملاحظة أن عرق الراحتين أثناء المعالجة يعني خروج القوة المغناطيسية بحرية دون عائق منك إلى المريض، وهذه علامة حسنة.

يجب أن تعتقد تمام الإعتقاد قبل البدء بالمعالجة أنك قادر فعلاً على مساعدة مريضك، وبينما يشرح لك المريض مرضه يجب عليك أن تكرر في فكرك بصفة حازمة لا توجب الشك وبملء الثقة محدثاً نفسك بحديث داخلي ذاتي أشبه بوسوسة أنك قادر على أن تريحه من أتعابه، وأن تعطيه قوة من قوتك الذاتية، كل ذلك في هدوء وحزم وعزم ولا تدع لمريضك فرصة تجعله يظن أنك تشك في مقدرتك على شفائه، وبعبارة صريحة أن سر النجاح في المعالجة المغناطيسية هو التسلح بقوة العزيمة والإرادة الثابتة لا يعتريها وهن ولا يشوبها أي ضعف ولا معارضة.

إنك تملك بين يديك القواعد الحقيقية الأساسية للعلاج المغناطيسي، وهي أن القوى العقلية تتحكم في الأمراض، وبثقتك التامة وعزيمتك الصادقة توقظ في مريضك روح الشعور باحترام قوتك والخضوع لها، فيخضع لتلك القوى ولو أنه لا يعترف بها جهاراً، وبذلك تتولد فيه الثقة بقدرتك على شفائه، وعندما توجد هذه الثقة فيه تجعل شعوره خاضعاً لقبول تلك القوى المنبعثة منك. فحينئذٍ ترى أهمية وقوة التأثير الذي يحدث لمريضك، فلا تتردد في عملك ولا تظهر أي تذبذب في طريقتك هاته.

وعندما تسمع أو تلاحظ أية معارضة من مريضك فيجب أن تردعه عن غيه، وأن تستعمل قوة الإقناع معه ليعود إلى فهم الحقيقة، أنظر إليه من غير رمش مركزاً عليه من غير أن تتأثر باحتجاجاته، بل دعه يفهم بأنك لا تبالي باحتجاجاته، وأنك غير مستعد لمناظرته ولا يسمح وقتك بذلك، ولكنك تريد مساعدته كما أنت عازم أن تفعل، فيجب عليه ـ والحالة هذه ـ أن يرضخ للواقع، وأن يترك نفسه بين يديك ويستسلم، وبذلك تتمكن من أن تفيده بالقوة التي تسلطها عليه لإراحته من آلامه وأمراضه.

إننا لا ننصح بأن يشرح المعالج نظريته هذه في القوة الحيوية لمرضاه، ولكن بالعكس، قد يكون من السهل جداً أن تصل إلى التأثير العميق إذا علم مريضك

بأنك شخصياً لا تعلم منبع تلك القوة العظيمة، وما أنت إلا آلة في يد القدرة الإلهية.

إنه بقدر ما قلنا أن اليدين هما الآلة التي توصل القوة المغناطيسية للجسم بطريقة مباشرة كذلك العين هي عامل بواسطتها يمكن التأثير على عقل المريض. ومن هنا تأتي أهمية النظرة المركزية، وذلك بغرس النظرة الثابتة الحادة، في كل محادثتك مع مريضك، هذه النظرة المركزة التي تختلف في العلاج المغناطيسي عنها في العلوم النفسية الأخرى من حيث طريقة الإستخدام، وعند مخاطبتك مريضك عليك أن تخفض بصرك قليلاً دون تفرس أو حملقة، ولكن تنظر إليه بعزم نظرة قوية حادة بإمكان وتثبت في عينه اليسرى باستمرار بحيث لا تسمح لعينك أن تتحول إلى عينه اليمنى أو ما بين عينيه، والغرض البعيد من هذا أن نظرتك القوية المثبتة على موضع واحد تجعل قوة إرادتك تتوصل بسرعة إلى ذهنه من عينه اليسرى التي هي أفضل موصل لذلك. إنك في هذه الحالة تثبت نظرتك الحاملة قوة عزيمتك للشفاء على أعظم نقطة سهلة تصل إلى مركز جهاز المريض، وهي النقطة التي تستقبل القوة الكلية المنبعثة منك بدون أدنى مقاومة، ولكي تكون نظرتك صائبة أريد منك أن تتصور عندما تسلط نظرك على إنسان إنك تنظر إلى ذهنه مباشرة عن طريق عينه، فتلك الصفة العقلية تجعل نظرتك ثابتة ولها مكانتها في نجاحك العملي، إنك بعد قليل مران ستجد نفسك لست بحاجة أن تخفض بصرك قليلاً أو تطرف عينك، وسترى نظرتك أصبحت قوية لامعة عند استخدامها في هذا الموضوع، ولا تهتم إذا كانت نظرة مريضك حائرة بحيث ينظر من عينيك إلى الأرض ثم إليك ثانياً، ولكن دعه يشعر بأن نظرتك تحمل إليه القوة والمعرفة الحقة وأنها نافذة إلى أعماقه من غير حائل.

أما التنفس، فله أهمية خاصة في التمريض المغناطيسي. لذا كان من الواجب أن تعتني اعتناء خاصاً يحفظ الفم والحلق والمعدة في حالة نظافة تامة، ومن هنا نشير إلى الإمتناع عن تعاطي المنبهات وشرب الدخان، لأن كل رائحة

كريهة غير مقبولة تجعل مريضك يشمئز منها وتكون عائقاً مهماً في نجاحك، فأي امتعاض من مريضك من شم رائحة كالبصل أو غيره كاف لعدم خضوعه تحت التأثير العصبي المناسب الذي تريد إيجاده لقبول القوة المرسلة منك. ومن المستحسن أن تفوح منك رائحة عطرية منعشة كالخزامى أو النعناع تكون استعملته في فمك أو تمضمضت به.

أما التنفس للمريض فله قواعد لاستعماله لما له من أهمية العلاج بقدر ما للأيدي والعين، فلذلك يجب العناية التامة به، وأن لا يكون ما يكره المريض أو يوجب اشمئزازه. إن الهواء الذي نستنشقه يحتوي على قوة عظيمة تفوق الكهرباء عظمة، وقد نقول بكل تأكيد لا يتطرق له الشك، إن هذه القوة موجودة فعلاً، وأنها طوع مشيئتك، وعندما تستخدم قوة إرادتك المهذبة تستولي عليها وتحتفظ بها داخلك لاستعمالها وقت الطلب في فائدة الآخرين، وبمعنى آخر يمكنك امتصاص تلك القوة من الهواء عندما تكون في حاجة إليها لتقوية القوة المغناطيسية داخلك، أما الطريقة التي بها تحصل على تلك القوة فهي باتحاد الفكر والإرادة مع استعمال التنفس العميق كنظامه.

هناك إرشادات أخرى يجب أن تقيم لها حسابها، وهي خاصة بكيفية الإحتفاظ بالقوة المغناطيسية بطرق الإحتفاظ الواقية، لقد نرى بعض الأحيان بلولة، وهو نتيجة أن القوة المغناطيسية هائلة تفقد طول النهار بهذه الطريقة، لأنه ليس لها طريق للتوزيع، إنه من الضروري للمعالج المغناطيسي أن يعتني اعتناء بصفة خاصة بتغطية رجليه بغطاء دافيء ناشف، وإذا استخدم نعلاً من الشمع داخل حذائه كان أفضل لحفظ القوة، أما في المساء فيجب عليه أن ينام على المشمع، ولو أن هذه النقط تظهر تافهة أمام من يشك، إلا أنه يجب على المعالج ألا يدع أية فرصة تفلت من يديه للإحتفاظ بالقوة المغناطيسية وعدم ضياعها.

الفصل السادس والسبعون

فعالية المغناطيسية في العلاج

لعلــه من الأليق أن نقيم بإيجــاز نوعية المقارنــة بين العــلاج بالتنــويم المغناطيسي والعلاج بالمغناطيسية، إنه لا يخفي عند ممارسة التنويم المغناطيسي يختفي الألم أحياناً بالمرة، وهذا ناتج عن التأثير الذي يوجده المنوِّم في وسيطه عن طريق الإيحاء، فيجعـل الإحسـاس بين مركز المـرض ومـركز المـخ منفصـلين، والأعصاب في هذه الحالة تكون خاضعة لحالة الإرتخاء التام وللنوم، فلا وعـي نحو الألم، لأن العقل الواعي يكون في غير وعي، وهذا يعني أنه يفقد سلطته على الإحساس فتنعـدم المعارضـة. وبفقـدان الشعـور يمـكن المنـوِّم أن يسـرِّح فكر المريض ويلهيه عن التفكير في المرض، لذلك يمنع على المريض المضايقة التي يسببها العقل بالإنتباه وتركيز فكره في مركز المرض. فالتنويم إذن يلطف في هذه الحالات آلام المريض ويمنعه مؤقتاً من الإلتفات إلى الألم الذي يولده الشعـور واليقظة، ولكن لما كان من المحتمل في حالة فجعة أو صدمة من عملية جراحية، أن يشعر المريض بإحساس ولو في حالة التنويم إذا كانت حادة، كان من الواجب الإعتراف بوجود قوة حيوية قادرة أن تسير وفقاً لقوة الإرادة، والتي تأتي بنتائج باهرة في هذا الموضوع، إن هذه القوة هي قوة الحيوية المغناطيسية، وهي القوة التي تنظم الشعور عندما يكون في عملية أثناء موازنة الدورة العصبية في الوسيط، فتقوى الأعصاب حتى لا تخضع لقوة الشعور والإحساس، فالمريض الذي يكون تحت

المعالجة بالقوة المغناطيسية لا يبالي بالألم حتى ولو كان المخ في حالة نشاطه ووعيه.

من هنا كان فضل العلاج بالمغناطيسية أقوى من فضل العلاج بالتنويم، فالمعالج نفسه كوّن في جهاز المريض بواسطة استخدام اليدين وملامستها للمراكز العصبية للجسم قوة إضافية حيوية تجعل عنده المناعة التامة ضد أي مرض أو ألم وتجعله يتغلب على تلك الآلام، كما أنها تمنع وتقهر أي معارضة أو موازنة في القوى العصبية في النقطة المتأثرة، ويحصل ذلك غالباً بعلم وتحت نظر المريض وفي حالة يقظته التامة، فلذلك ينبغي أن لا يترك المريض وشأنه يتغلب على مرضه ويكافحه بقوته الذاتية دون مصدر آخر وقوة إضافية، لقد يكون ذلك مجدياً في بعض أحوال التنويم لكن ليس غالباً إذا كان المريض ليس له قوة كافية للتغلب على مكافحة المرض، لكن في حالة المعالجة بالمغناطيسية فإن المعالج يأخذ من قواه العصبية الموجودة في ذاته ليعطي مريضه قوة إضافية، وحال ما تصل إلى ذلك المريض فيشعر بنشاط يستولي عليه مدة ساعات بمقدار ما نال من فائدة من تلك القوى التي تزيد قوته وتبعث فيه النشاط والتماثل للشفاء.

الفصل السابع والسبعون

العلاج بالمغناطيسية

بعد أن تسأل مريضك عن عوارض المرض ونوع معيشته، افرك يديك حتى توجد فيها الحرارة، وهذا بعد أن تكون هيأت لمريضك وسائل الراحة حتى يكون قابلاً لتأثيرك، ثم اطلب منه أن يقفل عينيه حتى يبقى تفكيره في موضوع المعالجة وبدون أن يراقب معالجتك، وبما أنك كرست جهدك لخدمة المرضى فلا حاجة أن تجود بمعلوماتك للفضوليين.

عرّف المريض بأنك سترسل عليه قوتك من الرأس إلى القدم لكي تتساوى في كل جسمه الدورة العصبية، وبينما هو في راحة على كرسيه ومركز قدميه على الأرض ويداه على ركبتيه تبدأ أنت في عمليات الموجات الطويلة.

ما هي الموجة الطويلة؟ قف أمام المريض وثبت فكرك في التأثير عليه، كأن تقول في نفسك «سأريح هذا المريض من آلامه وسأشفيه وأعيد إليه ما فقده من القوة العصبية، وسأجدد له نظامه العصبي لكي تتساوى الدورة العصبية في جميع أجزاء جسمه وتتوازن فتعود الحركة إلى الأعصاب المنهوكة العاطلة، سأعطيه بإرادتي عطية الله عز وجل الذي منحني» وبينما أنت تفكر في هذا ترفع يديك ببطء بينما تكون الأصابع مقبوضة وبحركة واسعة. إرفعهما على رأس المريض وهما ملتصقتان والأصابع متشابكة عند النقطة بأعلى جبهته تماماً، ثم بعد ذلك أبسط

أصابعك قليلاً جاعلاً كل يد على حدة، ولكن ليس في حالة تصلب، وانـزل بها ماراً على الجبهة فالوجه والصدر والمعدة والركبتين، بحيث تقضي في تلك اللحظة 30 ثانية تكمل ببطء فيها تلك الموجة العمومية، وفي انتهاء الدورة تهز يديك كأنك ترمي بالمرض بعيداً عن المريض. ثم بعد ذلك تقبض اليدين وتحركهما بحركة سريعة كالأولى في شكل دائرة بحيث تضعهما مرة أخرى بأعلى رأس المريض وتعيد العملية للمرة الثانية ـ وهكذا تستمر في ذلك لمدة خمس دقائق. وفي هذه الأثناء يشعر مريضك غالباً بحركة تنبيه وتأثير منعش وهو قوة مغناطيسيتك.

وقد يكون هذا التأثير كأن يشعر المريض بسرعة ضربات قلبه أو بحرارة من تأثير مغناطيسيتك على دورته العصبية والدموية، وفي الوقت نفسه لا يشعر بأي تهيج بل براحة وهدوء عصبي، فتكلم معه بإيمان موضحاً له التأثيرات التي ستوجدها فيه بطريقتك، وبهذه الطريقة يمكن إيجاد تلك المغناطيسية التي تستولي عليه لإعادة النشاط العصبي العاطل كما توجد المعادلة في القوة العصبية، واستعمال اليدين هما الطريقة لإيصال المغناطيسية الحيوية للمريض، وهنا يجب أن نذكر بأن اليد اليمنى هي الموجبة واليد اليسرى هي السالبة. وهنا أيضاً نذكر بأن إيجاد دائرة الإتصال من اليمنى إلى اليسرى حيث يجب استخدام اليدين كنقطة تماس لإيصال دائرة السيال المغناطيسي بحيث يخرج من المعالج المغناطيسي عن طريق اليد اليمنى ويمر في نقطة المعارضة ـ وهو جسم المريض ـ ويعود للمعالج ثانية عن طريق اليد اليسرى، والمعالج في هذه الحالة يجب أن يكون يقظاً عالماً بإتمام الدائرة، وذلك بالشعور الدقيق الذي يشعر به كوخز أو نقر أو طنين بسيط في اليد اليسرى، فعندما يشعر بذلك يرفع يده اليسرى عن جسم المريض تاركاً يده اليمنى في موضعها، ثم بعد ذلك يستعمل يده اليسرى كمنبه أو محرك للقوة بالدق بخفة بأصابع اليد اليسرى من وقت لآخر على الجسم أو بشكل ربت.

كيفية وضع الأيدي:

يسلط المعالج قوته على جسم المريض بواسطة إتمام دائرة الإتصال بيديه،

حيث توضع اليد اليمنى على الضفيرة الشمسية أو المسماة بمركز الجهاز العصبي الوجداني ـ مركز العقل الباطني ـ وهي تحت مركز المعدة من الخلف مباشرة «مركز فم المعدة» ويركز اليد اليسرى على جزء من العمود الفقري، وفي كل الأحوال فإن اليد اليمنى الموجبة تكون أثناء العلاج المغناطيسي على بشرة الجلد فوق مركز المعدة، ولا بأس أن تكون اليد فوق ثوب خفيف إذا بدت معارضة من طرف المريضة أو المريض، والواقع أن القوة المغناطيسية تخترق الملابس، ولكن للتأثير المباشر يجب أن توضع اليد اليمنى للمعالج بخفة وثبات على لحم المريض، وما يجري على اليمنى يجري أيضاً على اليسرى، هذا وليكن في علم المعالج أنه ليس من المستحسن أن يكون هناك أي دافع للإشمئزاز أو النفور من طرف المريض. وبغض النظر عن اليد اليسرى فإن اليد اليمنى لا تتغير أبداً في وضعهما كما أسلفنا، بل يجب أن تكون دائماً على الضفيرة الشمسية، هذه الضفيرة التي لها مكانة عظمى من جهة مركزه بالنسبة للصحة للمريض ووضعه المتشعب المنتشر في أهم أجزاء الجسم. من أجل ذلك أطلق عليها اسم العقل الباطن. فالقوة المغناطيسية المتسلطة من المعالج على المعالَج تتوزع في كل أجزاء الجهاز العصبي من الرأس إلى القدم بواسطة هذه الضفيرة الشمسية، ثم بعد ذلك تعود إلى الطريق الموصل ليد المعالج اليسرى إتماماً لدائرة الإتصال، فعندما يشعر المعالج بإتمام الدائرة ـ وقد يتم بعض الأحيان ذلك في مدة خمس دقائق تقريباً، وفي بعض الأحيان في عشر دقائق وأحياناً يتم في أقل من دقيقة ـ أقول حينما يشعر المعالج بذلك يرخي يده اليسرى ويرفعها من موضعها على العمود الفقري أو من أي موضع آخر تكون موضوعة عليه ليسمح لتلك القوة بسريانها في جسم المريض من يده اليمنى فقط.

تسيير السيال:

بعد الإنتظار لمدة دقائق قلائل بعد رفع اليد اليسرى يعاد مس العمود الفقري في المريض بخفة بأطراف الأصابع الوسطى من اليد اليسرى، فينتج عن ذلك

اندفاع القوة إلى نقطة التماس، فيجعل المريض يشعر بهزة لطيفة في شبه قشعريرة بسيطة، قد تشبه الهزة التي يحدثها السيال الكهربائي اللطيف عند ملامسته، وقد يكون بعض الأحيان هذا الإحساس ضعيفاً جداً لا يمكن ملاحظته بسهولة، ولكنه مع الإستمرار في المعالجة سيصبح واضحاً.

يضع المعالج أصبعه في مكان واحد لمدة ثوان ثم بعد ذلك يبتديء بلمس العمود الفقري من جهة لأخرى بإصبع يده، وهذا يجعل المريض يشعر بهزة بسيطة لكنها محسوسة، كما يشعر أيضاً بحرارة زائدة في نقطة التماس، قد يستمر هذا الربت لمدة خمس دقائق في نهايتها يشعر المريض بتحسن عظيم وقوة إضافية في جهازه ناتجة عن القوة العصبية والكهربائية المغناطيسية التي أضيفت إلى المجموعة العصبية وفروعها.

إن مدة المعالجة لا تستغرق أكثر من عشر دقائق، وبعد كل معالجة يجب غسل الأيدي وتنشيفها جيداً، وعند البدء في المعالجة يجب أن تكون الأيدي دافئة بها قليل من العرق، فإن كانت اليدان باردتان فيجب فركهما جيداً أو تشبيكهما، وإذا كان بهما يبوسة فيجب تبليلهما بقليل من الماء. وبذلك يسهل للقوة المغناطيسية أن تمر بسهولة من مسام الجلد.

صفات المعالج:

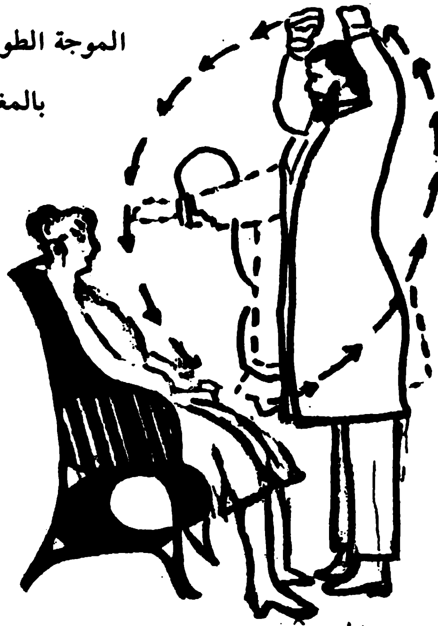
يجب على المعالج أن يحيي مريضه بألفاظ جذابة وكلمات عذبة مظهراً له منتهى الشفقة باعتناقه روح الأمل، متحلياً بالوقار، تتجلى فيه روح الثقة والإخلاص، متدبراً طريقته التي يرى فيها راحته وراحة مريضه، مؤكداً لمريضه الشفاء والراحة، وإن وجد منه خوفاً هدّأ روعه، ومن المستحسن أن يكون مع المعالج شخص آخر، كما ينصح المريض باستنشاق الهواء ببطء وبنفس طويل حسب الطاقة مدة العلاج. وقد يتعرض المريض أحياناً إلى أزمة نتيجة خوف أو معارضة فيشعر بقيء أو إفراز، لكن بتجديد القوة الحيوية الإضافية في جسم المريض يقود الغدد الخاصة بالإفراز إلى حركتها، وعندما تقرب هذه الأزمة من

نهايتها يغرق الجسم في العرق تعقبه نقاهة ، فهذه الحالة تكاد تكو ن بعيدة الحدوث لكنها محتملة .

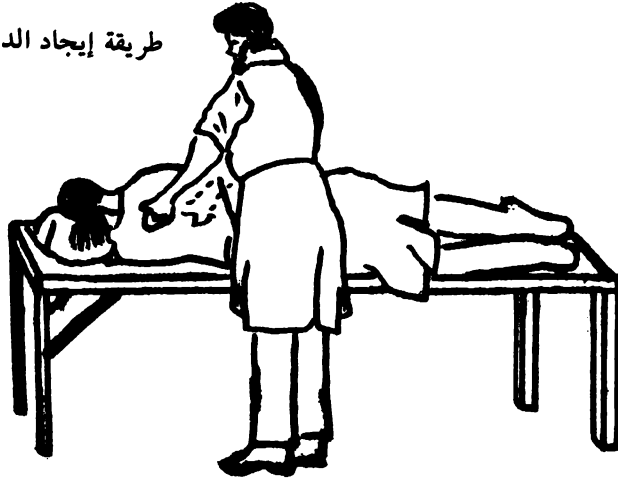
يجب على الطبيب المعالج أن يعلم أن القوى التي تهاجم الأمراض وتقوم بإصلاح الجسم موجودة في العصير العصبي قبل تحويله إلى الدم ومقاومته في مثل هذه الأحوال تكون بصفة قوة مستقلة عن الدم، وللجهـاز العصبـي التـأثير الأول والقوة العاملة الأولى في تغذية جميع أعضاء الجسم والسيطرة على الأعمال العامة في الأعضاء .

أيها المعالج ، لا تكن ثرثاراً أو عبوساً كئيباً، ولا تجعـل كلفـة بينـك وبين مريضك ، ولا تهمل نظافتك وأناقتك ، ولا تأخذ أجراً قليلاً ولا كثيراً ، ولا تتردد في مساعدة المرضى من الفقراء بالمجان ، ولا تأخذ أجراًعن مرض أخفقت فيه لسبب من الأسباب ، وإنما خذ أجرك ما تستحقه على وقتك ، ولا تعالـج أمراضـاً حادة ميئوساً منها أو معدية ، ولا تناظر ولا تجادل أحداً.

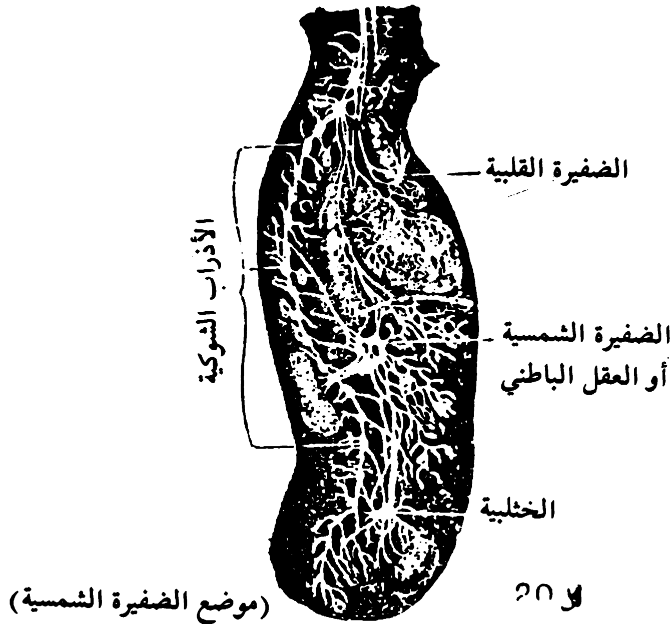
الموجة الطويلة في المعالجة بالمغناطيسية



(شكل 18)



(شكل 19)



(موضع الضفيرة الشمسية)

(الشكل 20)

الفصل الثامن والسبعون

طرق العلاج بالمغناطيسية

قبل أن نأتي على مجموعة من الأمراض وطرق شفائها، وهي على سبيل المثال لا على سبيل الحصر، نؤكد بأن المغناطيسية التي تنبعث من المعالج المغناطيسي بقدر ما لها من إيجاد العلاج لها أيضاً قوة بصرف الرواسب الباقية في الأنسجة والملتهبة نتيجة الأمراض، فتذوب وتحلل الزوائد المتجمعة في الجسم بشكل رواسب عن طريق المغناطيسية، فمثلاً تلك الزوائد المؤلمة التي تظهر في شكل «ثلول» وبثور في أجربة لحمية ملأى بالمواد المخاطية هي في الواقع ناتجة عن عدم تصريف وتحليل وذوبان في الأخلاط في القوة الحيوية، فالسرطان الذي هو أصعب الأمراض وأخطرها لا يوجد ولا ينشأ إلا بهذه الطريقة ينبت أوعية مخاطية إضافية في الأنسجة، وهذه الأوعية تحمل داخلها مولودات من قوات مخلوقة حيوية تتعاظم وتكبر. والآن نبدأ العلاجات.

السرطان:

إن استخدام العلاج المغناطيسي بشكله المانع هو الدواء الوحيد للسرطان وكل النموات في الغدد والأوعية، فالإرادة الحيوية التي تنظم القوة العصبية في الأمراض العادية لبناء وتجديد الأنسجة تستخدم في مثل هذه الأحوال ـ أي في تضخم الغدد والأوعية لموت تلك المخلوقات وتشتيت شمل نموها وسرعة تحليل

الزوائد المتجمعة وإرسالها إلى الدم حيث تطرد بعد ذلك بواسطة النظام وتفرز طبقاً لاستخدام القوة الحيوية.

تخفيف الآلام:

العلاج المغناطيسي هو العلاج الناجح لكل الآلام الناشئة عن عوارض متجمعة للأمراض، فليس هناك أي نوع من الآلام إلا ويبدده ويشفيه. وأول ما يجب على المعالج أن يسعف المريض بالقوة الحيوية اللازمة لجهازه العصبي.

الصداع:

عبارة عن خلل وضجر وثقل في الرأس وتثاؤب وقشعريرة متوالية وفقد الشهية وغثيان ثم بعد ذلك يظهر الصداع في نصف الرأس أو مقتصراً على الجهة الجبهية أو ممتداً إليها كلها. فيقلق المريض وتضيق أخلاقه فلا يعود يتحمل الضوء ولا ازدحام الناس وعلى عيونه غشاوة وهي نصف مفتوحة مع ثقل في الجفون.

اطلب من المريض إذا كان وجهه متورداً أن يجلس معتدلاً على كرسي، ضع يدك اليمنى على الضفيرة الشمسية، واليسرى على قاعدة المخ بأعلى الرقبة خلف الرأس، واحتفظ بهذا المركز لمدة خمس دقائق.

أما إذا كان الوجه باهتاً مصفراً، اطلب منه أن يضطجع على وسادة بحيث يكون رأسه مرتفعاً قليلاً عن مستوى الجسم، وبعد أن تجري العملية في خمس دقائق ترفع اليسرى وتجري ملامسة الرأس والجبهة بلطف بواسطة أطراف الأصابع بحيث تسمح للأصابع أن ترتكز على الشعر وبحركة إلى الخلف ومنها إلى العنق فالعمود الفقري، فيخف الضغط عن الأعصاب النهائية في الأطراف التي تحدث الألم.

الربو:

هو عسر التنفس، ناشيء عن تشنج عصبي مزمن، يبدأ عادة في الليل، حيث يستيقظ المصاب وهو في ضيق من التنفس منقبض الصدر، مضطرب وجهه وتجحظ

عيناه ويزرق لونه أو يبهت ويتشبث بما حوله ، فتشتد الأعراض ثم تخمد لتعود إلى شدتها بعد حين ، فتكون النوبة حيناً منقطعة وحيناً متواصلة .

دع المريض يجلس معتدلاً على كرسي، وضع يدك اليمنى على الضفيرة الشمسية واليسرى على العمود الفقري بين لوحي الكتفين لمدة خمس دقائق، ثم بعد ذلك ارفع اليد اليسرى واربت بها على العمود الفقري بخفة بأطراف الأصابع من أعلى إلى أسفل مبتدئاً بالقسم العنقي فالظهري فالصلبي أو القطني للعمود الفقري، وأثناء العملية تأمر المريض أن يرخي أصابعه ويتنفس من البطن فيخف التشنج في الحال .

النزلة الشعبية والبرودة :

ناشئة من تأثير البرد وتقلبات الجو، تبدأ بزكام يعقبه التهاب الحنجرة وقشعريرة متكررة وحمى وصداع وارتخاء وهبوط عام وانخفاض في التنفس مصحوباً بألم وإفراز مخاطي في الأنف وقد يكون السعال شديداً فيشعر بألم في عضلات البطن والأضلاع .

ضع اليد اليمنى على الضفيرة الشمسيّة واليد اليسرى على جذع الأنف والجبهة لمدة خمس دقائق ثم بعد ذلك حرك اليد اليسرى من جذع الأنف إلى القسم العنقي من العمود الفقري مع تنبيه المريض أن يتنفس عميقاً من البطن بقدر الإستطاعة .

الحمى المتقطعة :

مرض معدٍ يعرف بآلام في الأطراف وانحطاط القوى وارتفاع في درجة الحرارة قد تصل أحياناً إلى الأربعين ، يصاحبها تضخم في الكبد والطحال ، فيكون اللسان مغطى بطبقة صفراء ، ولهذا المرض أدوار ثلاثة ، دور البرد ودور الحرارة ودور العرق، فدور البرد يتصف بقشعريرة وضجر وخفقان وقيء أحياناً، أما دور

الحرارة فيتصف باحتقان الوجه وتوقد العينين وهيجان البدن وصداع قوي، أما دور العرق فتتناقص الأعراض المذكورة.

ضع اليد اليمنى على الضفيرة الشمسية واليد اليسرى على قاعدة المخ وذلك لمدة 10 دقائق بدون أن ترفع اليد وتأمره أن يستنشق عميقاً مدة المعالجة.

التيفود والتيفوس وغيرهما:

أمراض معدية شديدة تتعدى إلى أشخاص. تبدأ خفيفة أولاً في شكل تعب وتكسر عام وفقد الشهية، ثم تزداد الحرارة ويجف اللسان ويحمر، لكل حمى عوارض خاصة تعرف بها، وقد ننصح المعالج المغناطيسي أن يتجنب علاجها وكل الأمراض الوبائية قدر المستطاع.

إذا كان هذيان توضع اليد اليمنى على الضفيرة الشمسية واليد اليسرى على قاعدة المخ لمدة خمس دقائق، يدق بعدها باليد اليسرى وبخفة على العمود الفقري من أعلى إلى أسفل مستعملاً أطراف الأصابع فقط لكي يكون الدق خفيفاً، وهكذا حتى تمر مدة الهذيان.

أما إذا لم يوجد هذيان فتوضع اليد اليمنى على الضفيرة الشمسية واليد اليسرى على قاعدة المخ كما هو موضح سابقاً وتأمر المريض بأن يتنفس تنفساً عميقاً لمدة ثماني ثوان بدون الإحتفاظ بالتنفس بين الزفير والشهيق، وتطلب منه الإستمرار في التنفس طول مدة العلاج، وتترك اليد اليسرى مدة العلاج في محلها، وحينما يشعر المريض بضيق تنفس مصحوب بعرق، فقد يتبعه بعد ذلك نوم فشفاء.

الروماتزم:

أحوال التهابية في الأنسجة تسبب آلاماً من الضغط على الألياف العصبية وينشأ عنه رواسب غريبة في الأنسجة فيتولد عنها في الجسم التهابات في المفاصل وما يحيط بها من الأنسجة، ومن خاصيتها أنها تتنقل من مفصل إلى مفصل، وقد تعم أحياناً جملة، ويكون غالباً عرق وإفراز وافر من حامض البوليك في البول، وقد

تشبه أحياناً الآلام فلا يستطيع المريض الحراك ولا يطيق اللمس أيضاً.

توضع اليد اليمنى على الضفيرة الشمسية واليد اليسرى على مركز المرض، وتأمره بالتنفس العميق.

عرق النسا:

داء يأتي من البرد لا سيما البرد الرطب وعن الروماتزم، تبدأ غالباً بتخدير وتنميل وشعور بحرقة في العضو المتألم، وقد يكون الألم نوبياً أو مستمراً فيتبع سير العصب الوركي، ويشتد في الساق والرجل وسمانة الساق وظهر القدم، وقد يتشعشع الألم أحياناً على مسير تفرعات الضفيرة العجزية والقطنية.

توضع اليد اليمنى على الضفيرة الشمسية واليد اليسرى على مركز المرض، ويؤمر المريض بالتنفس العميق كما هو موضح في علاج الروماتيزم.

ضعف القوى العصبية والنورستانيا:

ينشأ هذا المرض غالباً عن تهيج في مادة المخ وفي الأعصاب، سببه سوء التغذية الحيوية في الأعصاب، وهذا ناتج عن التعب والإنفعالات والتهيج النفساني.

ضع اليد اليمنى على الضفيرة الشمسية واليد اليسرى على قاعدة المخ، وهكذا يستمر في المعالجة إلى أن يتم الشفاء الذي يكون تدريجياً غالباً.

الخمر والمخدرات:

انحطاط أو فساد في المخ والمادة العصبية، تجب معالجته يومياً لمدة قد تصل إلى شهر.

ضع اليد اليمنى على الضفيرة الشمسية ويكون الربت بأصابع اليد اليسرى على العمود الفقري مع التنفس العميق من طرف المريض دائماً قدر المستطاع مع ممارسة التمرينات العضلية الخفيفة.

التهاب الرأس والمعدة والكلي والمثانة:

التهاب في الأغشية المخاطية وهي ناشئة غالباً عن سوء التغذية.

ضع اليد اليمنى على الضفيرة الشمسية واليد اليسرى على الجزء المتأثر لمدة خمس دقائق، وتأمره بالتنفس والتمرينات العضلية وحسن التغذية.

الإمساك المزمن:

ضعف في الحركة الدورية في الأمعاء وانقباض اعتيادي في العضلة العاصرة الموصلة للفتحة الشرجية. والإمساك هو حالة تكون فيها المواد التفلية نادرة وصلبة ومندفعة بصعوبة، وقد يكون فسيولوجياً في بعض الأشخاص الأصحاء فيستمرون أربعة أو خمسة أيام بدون تبرز، فيشعر المريض بملل وغثيان وفقد الشهية، وقد يكثر حدوثه في النساء البالغين، وقد يكون سببه العيشة التقاعدية أو الإدمان على الأدوية والمآكل والمشارب القابضة وعدم الحركة وعدم التريض الكافي للجسم.

توضع اليد اليمنى على الضفيرة الشمسية واليد اليسرى على القاعدة المخية. وتأمر المريض بأن يستعمل السوائل كثيراً، ويمتص من الماء البارد قدر ثمانية أكواب في فترات مختلفة يومياً، مع استعمال التنفس العميق والرياضة الخفيفة. وهذا كاف لشفاء كل أنواع هذاالمرض. وبما أن هذا المرض أكثر شيوعاً، وهو أساس باقي الأمراض، فلذلك يجب أن يعالج أولاً في كل الأحوال المرضية الأخرى قبل البدء في معالجة المرض نفسه.

تلبك المعدة وسوء الهضم:

سببه كثرة الأكل المنبه واستعمال المشروبات الروحية والسهر الطويل والعناء الشديد والإنفعالات النفسية. قد يشعر المريض بغثيان وقيء ويغشى لسانه طبقة صفراء أو بيضاء ويصير فمه لزجاً مراً، وقد تعتريه قشعريرة وتكسر وعياء وصداع مع اضطراب في القناة الهضمية وتهيج في أعضاء الهضم.

ضع اليد اليمنى على الضفيرة الشمسية واليسرى على مركز المخ، ويشدد على المريض باستعمال السوائل والماء كما هو مبين في الإمساك.

الشلل والسكتة المخية والفالج:

السكتة المخية وهي الفالج تنتج عن فساد الدم أو عن فساد الأوعية، فلا تعود تتمكن من المقاومة فتنفجر ويسيل منها الدم، فالسكتة هي نزف دم مخي فيه يفقد الإدراك ويبطل الحس والحركة في قسم من البدن أو في كل نواحيه، وهو مرض على العموم وراثي ينتقل من الأب إلى الإبن، كما يكثر في الشيخوخة وفيمن تكون أعناقهم قصيرة ورؤوسهم كبيرة، وفي ذوي الأمزجة الدموية وكل ما يسبب الإحتقان المخي، ولهذا الداء أعراض منذرة وأعراض هجومية وأعراض ثانوية، فالمنذرة عبارة عن ثقل في الرأس وصداع ودوار ودوخة ودوي في الأذن وميل للنوم وخمول في الإدراك وتنميل في بعض الأعضاء وكامل علامات الاحتقان المخي، وقد لا يكون ذلك فيهجم الداء فجأة بدون أن يدل على شيء فيقع المصاب فاقد الوعي والإدراك والحس والحركة، ويخرج منه بعض افرازات رغماً عن إرادته فيبول ولا يحس، وهذا ما يعرف بالنوع الصاعقي، وقد لا يكون ذلك كله ولا يعم الأذى كامل الجسم فينشل يمينه أو رجله أو يثقل لسانه وتارة يصاب بدوار فيقع صاحبه دون أن يفقد الحس والإدراك، وإذا ما قام يرى ذاته مفلوجاً كما يرى نصفه مشلولاً، فإذا كان الشلل في جنب الشمال فهو ناتج عن إصابة الجزء الأيمن من المخ، وإذا كان في الجنب الأيمن يكون ناتجاً عن إصابة الجزء الأيسر من المخ.

ضع اليد اليمنى على الضفيرة الشمسية واليد اليسرى على الجزء المتأثر من الإصابة وتربت بها بقوة لإيجاد الحس والشعور، فإذا كان الشلل تاماً وتأثيره على الجسم عاماً فالمعالجة تكون بوضع اليد اليمنى على الضفيرة الشمسية واليد اليسرى على العمود الفقري بحيث يسحب أطراف الأصابع من أعلى إلى أدنى من أول العمود إلى الصلب لتجديد الدورة المغناطيسية. أما معالجة السكتة ذاتها

عندما يكون المصاب في حالة عدم وعي فهي أن تجلسه معتدلاً وتستخدم اليد اليمنى على الضفيرة الشمسية واليد اليسرى على قاعدة المخ وتربت بها بعد ذلك على العمود الفقري من أعلى إلى أسفل.

مرض الكلي:

يبدأ غالباً بقشعريرة وآلام حادةفي الناحية الكلوية فتزداد لدى أدنى ضغط، ويكون أحياناً احتباس البول، كما يكون البول عكراً مختلطاً مع كمية من الدم.

ضع اليد اليمنى على الضفيرة الشمسية واليد اليسرى على قسم الكليتين، وحثّ المريض على استعمال التنفس العميق طيلة مدة العلاج.

الإستسقاء:

يأتي هذا الداء من أمراض الكبد التي تتضخم، وعن وجود فضلات مائية في الأنسجة يتسبب عنها تورم، فيزيد حجم البطن رويداً، وإذا قرع على البطن يسمع صوت أصم، وإذا قرع على جدرانه يشعر بالتموج، وقد يجف الجلد وتقل شهوة الطعام وتضيق الأخلاق فيحزن المريض ويغتم، كما يكون ضيق النفس بالنسبة إلى كثرة الإرتشاح أو قلته.

ضع اليد اليمنى على الضفيرة الشمسية واليد اليسرى على قاعدة المخ، كما ينبه المريض على استعمال الطرق التنفسية الطويلة طيلة مدة العلاج.

هذه مجموعة أمراض ذكرناها لا على سبيل الحصر، ولكن ما ذكرنا فيه قدر كاف. لتفهم قواعد المعالجة، ولكي تجعلك قادراً على شفاء أي مرض يقع تحت نظرك أو تصاب به ذاتياً، ولا تنس أن نعرّف المرضى بالإستمرار على عملية التنفس، لأنه ليس من المهم أن تجعل مريضك يشعر بالراحة، ولكن يتعلم كيفية المحافظة على هذه الصحة لكي يمنع من الحصول على أي انتكاس وبذلك يتم العلاج المغناطيسي.

مغناطيسية النفخ:

النفخ على نوعين، حار وبارد، فالنفخ الحار يظهر بالتنفس على قطعة شاش توضع على مركز الألم، فالمعالج يثبت فمه على قطعة الشاش بوضع محكم ويتنفس بقوة يجعل هناك شعوراً بحرارة زائدة في هذا الجزء، ثم يستمر في تنفسه هذا، لمدة دقائق بعدها يرى التعب في حالة وجع الرأس أو الروماتيزم أو غيره من الآلام الحادة، بعدها يخف الألم ويشفى تماماً. وقبل أن نترك موضوع النفخ الحار نشير إلى طريقة يشفى بها الإمساك المزمن الذي هو من الأمراض المستعصية.

الإمساك المزمن:

ضع قطعة من الشاش على اللحم مباشرة على فم المعدة حيث توجد الضفيرة الشمسية وضع يدك على الجزء الأدنى من العمود الفقري والمريض مضطجع واضغط عليه، ثم ضع فمك على قطعة الشاش وتتنفس بحيث تستنشق من الأنف وتزفر من الفم بحالة نفخ على قطعة الشاش، فإن التأثير يحصل في الحال حيث تشتغل الحركة الدموية في جسم المريض والإمساك المزمن يزول.

أما النفخ البارد فله تأثير عكسي، ويتكون من النفخ على المريض مسافة بضعة أقدام بغرض تهدئة الأعصاب وتنقية الذهن، والنفخ البارد مفيد في طرد النعاس ومنعش ومنبه للأعصاب في جسم المريض، لكنه لا قيمة له في الشفاء، إلا أن فائدته لتجديد النشاط وتنبيه الحواس بعد كل معالجة، فيجب أن يسلط على الجبهة والجفون.

مغنطة الجمادات:

قد يحتاج المعالج إلى مغنطة بعض الجمادات نتيجة بعد المريض وعدم الإتصال به مرة أخرى لسبب من الأسباب، وهذه المغنطة تنفع على الخصوص الأمراض المزمنة، بحيث تكون تلك الجمادات حافظة للقوة المغناطيسية مدة زمنية.

مغنطة نشافة :

من أحسن المواد السهلة جداً لحمل القوةالمغناطيسية لمسافات بعيدةهو النشاف، والطريقة هو أخذ نشاف قدر حجم الظرف وتمر به من جهتين بنقط ماء، بعد ذلك أوجد الحرارة في اليدين عن طِريق الفرك والتشبيك ثم ضع النشافة بين راحتيك لمدة دقيقتين وركز فكرك على مغنطستها من أجل الشفاء للمريض، ثم تضع منشفة أخرى كالأولى وثالثة ورابعة إلى أن تضع عدداً، وتجمعها مع بعضها ثم تركز عليها من أجل الشفاء، فإن أردت أن تبعث لمريضك واحدة عن طريق البريد يمكن أن تضعها لـه وسط ورقة بيضاء ثم تضعها في الظرف وترسلها. والورقة يجب أن توضع على الجزء المطلوب شفاؤه. ومن المستحسن ألا يسمح لأي شخص أن يمس النشافة غير المريض.

وقد يمكن مغنطة خاتم أو تفاحة أو غير ذلك، إلا أن النشافة أحسنهم.

مغنطة الماء :

يحدث أن المريض يكون بحاجة إلى سائل، كما قد يحدث في الحميات وأحوال الروماتيزم المزمن وغير ذلك، فمثل هذه الأمراض يمكن شفاؤها بواسطة الماء الممغنط.

فخذ كوباً من ماء وامسكه باليد اليسرى وضع أصابع اليد اليمنى والإبهام على فم الكوب بدون أن تمس الماء، ثم ركز فكرك على الشفاء بعد أن تجري تدفئة يديك بواسطة الفرك كما هو مذكور سابقاً، وبعد خمس دقائق يتمغنط الماء في الكوب أو الإبريق، ويجب تنبيه المريض إلى استعمال جرعات هذا الماء قدر ثلاثة ملاعق كبيرة، كل نصف ساعة في اليوم الأول، وكل ساعة في اليوم الثاني، وثلاث مرات في اليوم الثالث، وما بعده، ونوصي بحفظ هذا الماء من ضوء الشمس والهواء. وحتى تتمكن من النتيجة سلِّم لمريضك كوبين من ماء أحدهما يحتوي على الماء الممغنط، فيكشف لك المريض عن الماء الممغنط من الماء الطبيعي عن طريق الجرعات.

المعالجة غير المباشرة:

اجلس على كرسي مريح في غرفة بعيدة عن الضوضاء بقدر الإمكان، واقفل عينيك، واحفظ في عقلك اسم المريض، وتصور في مخيلتك عوارضه التي يتألم منها، وكرر في نفسك هذه الجملة: «إن المريض يشكو من كذا، إني أساعده بالهبة التي أنعم الله عليَّ بها فأرسل له هذه القوة لتجدد حركة أعصابه وتحفظ توازنها وسيرها ونظامها، إني أرمي بمرضه بعيداً، وأسكب عليه الصحة وأعيد إليه السعادة؛ فأكرم يا إلهي عبدك الضعيف بالصحة والسعادة يا قادر يا مقتدر يا شافي العباد، وساعدني على أن أتصل به، وهذا مطلبي وغايتي».

إن الفكر ليس له حدود فهو ينتقل حيث شئت، فتجول به نحو مريضك، وركز على شفائه، إن المغناطيسية ستصل عن طريق الفكر، فتصل إلى مركز قوى المريض العقلية فتوزع داخله كالخمير الذي يوضع في العجين، ولا بأس أن تحدد وقتاً معيناً للاتصال بالمريض، فمثلاً تضرب معه موعداً يبتديء من التاسعة ليلاً إلى التاسعة والربع من يوم كذا وكذا، وهذا طبعاً من صالح المريض بالدرجة الأولى، وقد تطلب منه الطريقة التي يكون عليها، إما مستلقياً على ظهره في الفراش أو جالساً على أريكة مغمض العينين، متجهاً بفكره نحوك مستمداً منك مساعدته على الشفاء بإذن الله.

كيفية معالجة صداع الرأس



(شكل 21)

الفصل التاسع والسبعون

قانون الحياة

فلسفة عمل قانون الحياة جميل، فقد أشارت الديانات إلى هذا القانون، وهو هبة روحانية وإحسان وصدقة شخصية قد تزداد أضعافه ﴿إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً﴾ بديهي أن الروح في مثل هذه الأحوال ترقى إلى درجات طبقاً لانشغالها بالأفكار الروحية وما يجدي، فهي ترتقي طبقاً لسعيها في المحبة والخير.

إننا بقدر ما نقوم به من علاجات عن طريق المغناطيسية فإن الطبيعة أيضاً تساعد على الشفاء بأبسط الطرق المجدية التي أوجدتها لتحسين حالة الإنسان، فلو قام المريض بعملية التنفس الآنفة الذكر لعاش طيلة حياته في عنفوان شبابه بعيداً عن كل الأمراض، كما لو نظم طريقة شرب الماء والمداومة على الرياضة لكان ذلك أجدى وأنفع.

من أجل هذا نحرص على أن يتتبع المريض طرق التنفس وشرب الماء والتمارين الرياضية. إن المريض تعوَّد أن يتنفس تنفساً قصيراً وبسهولة لكي يسعف جسمه بكمية الأوكسجين اللازمة له، إنه لم يجرب استعمال التنفس الطويل من زفير وشهيق، ولنعلم أن الزفير له من الأهمية مكانة الشهيق، لأنه ينقي الرئتين من حامض الكربونيك. يجب على المريض أن يبتديء التنفس من البطن بدلاً من الصدر، يجب عليه أن يكرر ذلك عشرات المرات حتى يتعود ذلك في كل صباح،

فيعطي لجهازه العصبي منتهى الراحة ومعونة على نشاطه وحرارتـه، ولا بأس أن يستعمل الإيحاء أثناء التنفس مركزاً على الصحة والقوة وذلك في كل شهيق وزفير، وإن خرج إلى الهواء الطلق فليأخذ عشر تنفسات طويلة شهيقاً وزفيراً من الأنف ليجعل الدم يسري حاراً ليضرب القلـب ضربـات قوية ومنتظمـة وتسـرع الـدورة الدموية حاملة إلى الجسم الحياة والصحة، إن التنفس العميق يعطي للصدر اتساعاً ويطرد الرواسب الموجودة في الجهاز العصبي والدورة الدموية الناشئة عن سـوء إفراز المواد الغريبة الموجودة في الدم.

أما أهمية الماء فهو بالمنزلة الثانية بعد التنفس، لذا يجب على كل شخص أن يتعاطى شرب الماء القراح ثمانية أكواب يومياً أو ما يقاربها بقدر المستطاع، فالألم العصبي أو الأوجاع والآلام بصفة عامة تزول، إننا عندما لا نسـعف الـدم بالماء الكافي للجسم فإنه يسحب ما يلزمه من السائل المخصص للأعصاب التي هي في حاجة إلى بقائه فينتج عن ذلك أن تحتاج الأعصاب للرطوبة فيظهر الإنسان للرائي كأنه في حالة فقر دم بسيط، ومثل هذه الحالة إذا أهملت تصبح مع توالي الأيام سيئة.

أما كيفية شرب الماء فقد ترشف الماء رويداً رويداً بدون بلع ولا بكميات كبيرة، فتمصه مصاً ولا تعبه عباً، وذلك في أوقات متقاطعة قصيرة. إن تعاطي الماء باستمرار مفيد لإعطاء جسم الإنسان رونقاً وجمالاً فضلاً عن أنه يزيد وزن الجسم ويضفي عليه قوة حيث يشعر الإنسان بتغيير عظيم، وقد يلاحظ اسهالاً في البداية قد لا يعيره أي اهتمام، بعده يلاحظ جلياً تحسناً في النـوم والتنفس القـوي والنشـاط والقوة في القلب وخفة الحركة في أعماله وسيره وأحواله فتعود الصحة كاملة. إننا نحذر من أن يزيد على كوب في كل دفعة، كما نوصي بتنظيم أوقات الشرب، حيث يقرر مثلاً على رأس كل ساعة كوب ماء باردة أما الرياضة فهي تزيد من حفظ الصحة والراحة والإنتعاش، قد يتشاءم المريض من الرياضة، ولكن يسهل عليه أكثر، إننا نوصيه بأن يمدد أعضاءه كما يمدد القـط عضلاته وأرجله ومخالبـه حينمـا ينفض

الكسل، عليه أن يرخي عضلاته ثم يقلصها بدءاً من اليدين منتهياً إلى القدمين واقفاً، أو على السرير، صباحاً بعد عملية التنفس. أما إن كان في وسع المريض أن يمشي، فلا بأس أن يمشي مسافة من غير إجهاد، وقد حددنا المشي لأنه أفضل رياضة لا تدعو إلى خلفيات. لكن إذا قام بحركات منتظمة مقبولة غير متعبة فلا مانع من ذلك.

أما بالنسبة للأصحاء فإن الرياضة تعد أساساً للصحة وقانوناً من قانون الحياة بجانب التنفس العميق وشرب الماء، غير أننا لا ننصح بالرياضة المتعبة كحمل الأثقال مثلاً.

الباب السابع

قوة الإرادة

الفصل الثمانون

تعريف الإرادة

إن الإرادة كحقيقة ثابتة لاحظ علماء النفس والفلاسفة وعلماء الإجتماع صعوبة في تعريفها فكل من تصدى لموضوع التعريف وأراد البرهان بالدليل المنطقي لا يلبث أن يتوصل في نهاية الأمر إلى النتيجة ذاتها التي توصل إليها خصومه. فقد يقول «برجسون» إنها مجرد تعبير عن علاقة الذات الحية بالفعل الذي تحققه. إن هذا التعريف قد يكون مناسباً، حتى وإن رفض «برجسون» هذه الصفة، لأنه يريد أن يصل إلى ما هو أعمق منه كما هو شأن كل نظر ثاقب لا يرضيه أقل من النفاذ إلى لب الأمور مهما كان النفاذ. وعلى أي حال فقد يمكن القول بأن الإرادة تمثل قدرة الإنسان على أن يتخذ موقفاً أو آخر من نواميس الحياة. أو بتعبير آخر. هي القدرة علىَ أن يكيف علاقته بالحياة على نحو معين. أو بتعبير آخر، هي قدرة الذات على أن تشق لها أسلوباً ما في الحياة ولو عن طريق الألم والنضال. ومن زاوية أخرى يمكن القول بأنها قدرة الإنسان الطبيعية التي استمدها من قدرة الطبيعة على الفكر والحركة. أو هي القدرة على التأمل والحركة التي يستمد منها الإنسان جل عناصر وجوده وارتقائه.

وهكذا يمكن أن تتعدد التعريفات في اتجاه معين أو في آخر، كما لا يخلو أي تعريف لها من جانب أو أكثر من الصحة، حتى إذا تعذر الوصول إلى التعريف

مثل صحة كاملة كما هو الشأن في تعريف أية جزئية صغيرة من جزئيات الحياة.

ومن الجائز أيضاً أن نستمد تعريفاً آخر من الزاوية ذاتها التي نظر إليها «مين دي بيران» من ناحية أنّها «جهد لازم للإنسان كما يدرك ذاته باعتباره علة حرة، وفي هذا الصدد يقول الدكتور زكريا إبراهيم: «وإذا كان الإنسان يدرك ذاته فإنه لا يدرك هذه الذات إلا باعتبارها علة وقوة وإرادة وجهداً وفعلاً وحرية»، وتبعاً لهذا، فإن الواقعة الأولية عند «دي بيران» هي الجهد الذي يقوم عليه إدراك الذات لنفسها من حيث هي قوة حرة تعمل وتشرع في الحركة بإرادتها الخاصة.

ومن الجائز أيضاً أن ننظر إلى الإرادة بوصفهامصدراً للشعور بالإطمئنان أو القلق، والسعادة أو الشقاء، وبالتالي للتفاؤل بالحياة أو للتشاؤم منها، فيقال مثلاً: إن الإرادة هي القدرة التي تحرك وجدان الإنسان إلى الإحساس بأحد هذه الأمور دون الآخر، فتعرف الإرادة عندئذٍ بأهم آثارها المباشرة، وبأخطر دليل فيها وهو شهادة الوجدان.

إن الإرادة قد تكون مصدراً للتفاؤل بمستقبل الإنسان ومصدره في الحياة وإيمانه بنفسه، وبعدالة القوانين المهيمنة على الحياة، وإما أن تكون مصدراً من مصادر التشاؤم، فقد يقول الفيلسوف «شوبنهور» أن مصدر العذاب في العالم هو الإرادة، والعلة في هذا الرأي عنده، هو أن الإنسان له وجودان، وجود كإرادة - أي كفرد واحد محدود تحيط به القيود وتدفعها نحوه الشهوات فيكون فريسة للآلام؛ ووجود تأمل موضعي خالص يصير فيه ذاتاً عارفة مجردة، لا يوجد العالم الموضوعي إلا فيها».

إن توافر الارادة في سلوك الإنسان أمر يمكن أن يلمسه بنفسه في شعوره الطبيعي اليومي، فلو لم يكن له إرادة حرة -ولو إلى حد ما - لما شعر باطمئنان أو بقلق، ولا بتفاؤل أو تشاؤم، وذلك لأن هذا وذاك يكون بمقدار اتساق حادث معين مع اتجاهات الإرادة أو عدم اتساقها، ولكننا نرى أن النفس الواحدة قد تسعد وتشقى في اليوم الواحد عدة مرات، وقد تنتقل من الشعور إلى نقيضه لأوهى

الأسباب، وهذا معناه أن حرية هذه الإرادة وخلجاتها حقيقة واقعة، وأنها يقظة إيجابية في مواجهة كل ما يقابلها من أحداث ومفاجآت سعيدة كانت أم شقية.

فإذا كان «شوبنهور» متشائماً، لا ينبغي أن يفوتنا قول «ول ديورانت» في نقده له: «أنه لا شك أن في التشاؤم من الحياة قدراً كبيراً من الأنانية وحب الذات».

إذا كان العالم لم يضحك بوجهه لنا انقلبنا عليه وتحولنا عنه وألقينا التبعة عليه... وربما كان اشمئزازنا من العالم بسبب اشمئزازنا من أنفسنا. وقد يكون الخطأ والزلل منا ولكنا نضع اللوم على البيئة أو العالم اللذين ليست لهما ألسنة يدافعان بها عن نفسيهما.

إن الإنسان الناضج صاحب الإرادة القوية يقبل ما في الحياة من حدود طبيعية، ولا يتوقع من العناية الإلهية أن تتحيز إلى جانبه وتراعي خاطره وتفضل مصلحته. يقول «كارليل» «إنه من السخف والحمق أن نلعن الشمس، لأنها لم تشعل لنا سيجارتنا، مع أن الشمس قد تفعل ذلك لو أوتينا من العلم شيئاً».

إن هذا الكون الفسيح المحايد قد ينقلب إلى سعادة عظمى لو ساعدناه بشيء من ضياء نفوسنا وإشراق أرواحنا، وما الكون إلا مادة أولية في أيدينا قد يكون نعيماً أو جحيماً وفقاً لما جبلت عليه نفوسنا.

الفصل الواحد والثمانون

المعنى النفسي لقوة الإرادة

الإنسان كائن مريد، والإرادة تتضمن العقل والعزم وما يدور في خلد الإنسان من أفكار واتجاهات إلى حيز الواقع. إن الإنسان مثلث الزوايا في سلوكه، فهو مفكر، ومنعطف نحو الأشياء أو نافر منها، وهو معبر عما يفكر فيه وما يحس من انعطافات سواء بالكلمة التي يتفوّه بها أو يكتبها أو بالرسم الذي يصور به ما يريد، أو بالتمثال الذي ينحته، أو بالبنيان الذي يشيده، أو بالتصرف الذي يؤديه. إن التراث والحضارة البشرية لا يعدوان أن يكونا تعبيراً أو تجسيداً للإرادة البشرية عبر العصور. فالإنسان منذ أن وجد على الأرض وهو يريد. أراد الحصول على الطعام من أجل أن يشبع، فتلمس أوراق الشجر العريضة ليكسو بها جسمه، كما أخذ في حفر المغارات بين الجبال أو جذوع الأشجار الضخمة للحماية من الوحوش أو الأعداء المتربصين.

يقول علماء النفس بأن الفكر ينبثق نتيجة ما يتعثر فيه الشخص من صعاب ومشاكل ومقاومة من جانب العالم الخارجي لما يرغب فيه أو يصبو إليه أو يمني النفس به ويشتاق إليه، ونضيف إلى هذا أن قسوة العالم الخارجي بما يتضمنه من أناس وأشياء ومواقف تضيف قوة إلى قوة الفرد، والموقف هنا شبيه بما يحدث في العضلات من قوة وصلابة بسبب المقاومة التي تصادفها بحمل الأثقال، فلا سبيل إلى

تحقيق عضلات مفتولة قوية إلا بالمقاومة تتصدى لها وتتحداها، فالإنسان حينما يضع إرادته في نفس التيار الذي يتجه إليه تيار إرادات الآخرين يحس بحالة نفسية معينة تسمى بالإنتماء، والواقع أننا جميعاً كباراً وصغاراً بحاجة إلى أن نحس بالإنتماء، والإنتماء يكون على مستويين: الأول لا تذوب فيه إرادته في إرادة الآخرين مع احتفاظ تلك الإرادة الفردية وتماسكها، والثاني أن المستوى الإنتمائي الذي يحدث فيه ذوبان الشخصية في إرادات المجموعة بحيث يطرح الشخص كل مقوماته الإستقلالية ويسحق كيانه الفكري القائم بذاته، ويصير في حالة من الذوبان التام في المجموع. وفي هذه الحالة الثانية من مستوى الإرادة لا نستطيع أن نسمي هذا الشخص مريداً بل نسميه بأنه منصاع، والإنصياع يختلف جوهرياً عن الإرادة، فيبقى موقف هذا الشخص المنصاع كالنائم نوماً مغناطيسياً أو كموقف شخص تتقاذفه الأمواج، والشخص الذي تدفعه الأمواج دون أن يدفعها لا نسميه شخصاً يقوم بالسباحة، وإن كانت الأمواج تحمله، فطالما أنه غير مسيطر على صفحات الماء من تحته فإنه يكون منصاعاً وليس ممارساً للسباحة، وانصياعه هنا هو للأمواج التي تلعب به كيفما تشاء.

إن «وليم جيمس» يقسم الأشياء التي نرغب فيها إلى قسمين، الأول أشياء نصبو إليها ولكننا لا نستطيع إحرازها. والثاني يتضمن أشياء نصبو إليها ونستطيع نيلها سواء مباشرة أم بعد التدريج بوسائل معينة، ويطلق «جيمس» على النوع الأول اسم المرغوبات، بينما يجعل النوع الثاني وحده في نطاق الإرادة، ففي رأيه فرق جوهري بين الرغبة وبين الإرادة، وخلافاً لما ذهب إليه «جيمس» فإن هناك تعارضاً في كثير من الأحيان بين الرغبات وبين مطالب الإرادة، والواقع أن هناك صراعاً في كثير من الحالات بين المرغوب والمراد، فالرغبة نداء بيولوجي للشخصية، والإرادة نداء اجتماعي، وشتان ما بين المطلب البيولوجي والمطلب الإجتماعي؛ إن الجندي في ميدان القتال تكون لديه رغبة بيولوجية في الهرب من الموت، ولكن إذا كان شجاعاً مخلصاً لوطنه فإنه يلبي نداء الواجب الذي يطلبه منه مجتمعه فيعرض نفسه للخطر، فيكون موقفه موقف المريد لا موقف المضطر. وما

يقال عن الجندي يقال عن معظم المواقف الإجتماعية التي نجد أنفسنا بإزائها في كل لحظة، ومن هنا نجد أن «الأنا» العليا التي أشار إليها «فرويد» هي تفسير صادق للفرد بين الرغبة المتمثلة في «الأنا» وبين الإرادة المتمثلة في «الأنا العليا».

ولعله يتبادر إلى الذهن، هل توجد أفعال إرادية غير سوية أو شريرة؟ سؤال مهم، ذلك أننا نفرق بين الفعل الإرادي السيكولوجي، فالفعل الإرادي الأخلاقي يحكم عليه من زاوية الخير والشر، ومن المعلوم أن الخير والشر يكونان ذاتيتين اجتماعيتين، أما الفعل الإرادي السيكولوجي فيحكم عليه من زاوية السوية والشذوذ، ومعلوم أن السوية والشذوذ يقاسان في ضوء المقومات البيولوجية المسؤولة عن نشاط الشخصية في ضوء ما تعارف عليه من التصرفات المألوفة والتصرفات الشاذة، والواضح أن السوية تختلف عن الخيرية، فذلك الشخص الذي يسرق، قد تكون سرقته دلالة على سوء خلقه وفساد تربيته، وفي هذه الحالة تكون سرقته صادرة عن إرادته الخلقية، ذلك بفرض أنه سليم من ناحية التكوين الجسمي والنفسي، وأنه يفهم المعايير الإجتماعية، ولكنه يريد أن يؤثر نفسه بما ليس له حق فيه، فإرادته هنا إرادة أخلاقية. أما إذا كان ذلك الشخص صادراً في تصرفه عن المرض النفسي المسمى بالسرقة المرضية، فإن إرادته في هذه الحال تكون إرادة سيكولوجية.

إننا نصادف في حياتنا أناساً يتسمون بالإرادة القوية وآخرين بخور الإرادة وذبولها، فنتساءل: هل ولد بعض الناس مفعمين بصلابة في الإرادة بينما ولد آخرون معوزين إلى قوة الإرادة؟ أم أن الناس يولدون سواء لا فرق بين واحد منهم وآخر، ولكن ما يلقونه من خبرات وما يخوضونه من تجارب هو الذي يفرق بين الواحد منهم والآخر، فيصير الواحد قوي الإرادة والآخر ضعيفاً؟.

انقسم المفكرون إزاء هذا السؤال إلى قسمين، قسم شايع الوراثة، وقسم شايع البيئة، والمعروف أن بحوث الوراثة بحوث بيولوجية في أساسها، وطبيعي أن تكون البحوث في الوراثة أسهل وأقرب للتجريب من بحوث البيئة، ذلك أن

حصر المقومات الوراثية أسهل بكثير من حصر العوامل المؤثرة بالبيئة، وقد انتقل البحث في الموروث والمكتسب من نطاق علم الأحياء إلى علم النفس، فأخذ علماء النفس يتساءلون عما إذا كان العقلاء يتمتعون بالسوية العقلية نتيجة ما ورثوه عن آبائهم وأجدادهم من مقومات نفسية ومزاجية سليمة؟ أم أن ذلك راجع إلى ما تلقوه من تربية وما تأثروا به في بيئتهم من مؤثرات؟، وأكثر من هذا فقد أثيرت مشكلة، وهي إمكان أو عدم إمكان توارث الصفات المكتسبة. ووجد النزاع حول الوراثة والبيئة صداه أيضاً في الأخلاق، فالمشايعون للوراثة نظموا صفوفهم في مجموعة من المتشائمين، بينما شكل المتحمسون للبيئة فئة المتفائلين، وطبيعي أن يتأثر علماء التربية بهذين المفهومين أشد التأثر. فالمشايعون للوراثة زعموا أن مهمة التربية تنحصر في حدود لا تستطيع أن تتخطاها وهي إحاطة الفرد بمجوعة من المثيرات المتعددة التي يتوقع تفاعل ذلك الفرد معها، بحيث لا يفرض عليه تفاعل معين، بل يخضع المربي نفسه للتلميذ وما جبل عليه، بحيث لا يكون من حقه أن يحمل أي فرد على اكتساب خبرة، لم يفطر عليها. فمهمة التربية من زاوية النزعة الوراثية لا تعدو أن تكون مهمة تفتيقية ولا تتخطاها إلى درجة فرض خبرة معينة على التلميذ. أما المشايعون للبيئة من علماء التربية فإنهم يقولون إننا نستطيع أن نعلم أي إنسان أي شيء إذا ما وقفنا على الطريقة الصحيحة لاكتساب الخبرة المقدمة، فأنت تستطيع أن تتعلم قيادة الطائرة أو الكتابة على الآلة الكاتبة أو تتعلم الطب أو أن تصير من أبطال الرياضة إذا ما قيض ذلك الأسلوب الصحيح لتعلم شيئاً من تلك الأشياء أو جميع تلك الأشياء.

نعود إلى التساؤل عن قوة الإرادة هل هي موروثة أم أنها مكتسبة؟

إن الذي يغضي عن المقومات الوراثية بالنسبة لقوة الإرادة أو ضعفها إنما يكون قد أغضى عن الحقيقة، ذلك أن الإنسان يصدر في سلوكه أول ما يسلك عما فطر عليه وعما ترسب إليه من مقومات وراثية مباشرة عن أبويه أو غير مباشرة عن أجداده القريبين أو البعيدين، وإنك لتجد الوراثة تتسع لتشكل وراثة عنصرية.

قد تجد طفلين نشآ في بيت واحد، وانخرطا في مدرسة واحدة، ولكنك تلاحظ أن أحدهما صلب العود قوي الإرادة بينما تلاحظ خلافاً لذلك أن الآخر خائر العزيمة، سرعان ما يتراجع عما اقتنع بإنجازه، وفي لحظة حكمك على شخصيتهما، فإنك سرعان ما تقول: سبحان الله، البيئة ذاتها، ومن البطن ذاته والسلالة ذاتها، ولكن أحدهما يختلف في إرادته اختلافاً بيناً عن الآخر، ولا بد أنك تعني بهذا سلطان الوراثة.

والواقع أن الجبلة التي نولد بها تحكمنا إلى حد بعيد، فنحن أسرى ما فطرنا عليه ولا فكاك لنا منه، ولكن لا بد لنا أيضاً من القول أن لكل نبتة تربة لا تترعرع إلا في نطاقها، ونقول أيضاً أن ديكتاتورية الوراثة ليست ديكتاتورية غير مشروطة، بل إنها مشروطة بمصادفة المناسب لظهورها، وبتعبير آخر فإنك لا تستطيع أن تخلق من الخشب حديداً، أو من العدم وجوداً، بل تستطيع أن تصنع من الحديد فولاذاً ومن القطن قماشاً ومن الخشب مكتباً، فالتطور الذي يمكن أن ندخله على المقوم الوراثي لا يكون بالفطرة بل بالإستمرار والنمو.

قد تؤدي بعض الأمراض أو بعض العادات أو بعض المواد يتعاطاها الشخص بقوة إرادته، فوجود مقومات الإرادة المتينة لا يعني بالحتم أنها لا بد بازغة ولا بد متربعة على عرش شخصية صاحبها، ولكن لا بد من أن تصادف تلك المقومات ما يأخذ بيدها ويخرجها من نطاق الكمون إلى نطاق الواقع.

إن الغالبية الساحقة من الناس يتمتعون بمقومات وراثية متينة، غير أن الناس لا يستغلون من مقوماتهم الوراثية إلا التفرد اليسير جداً.

إن الجسم السليم يلعب دوراً في قوة الإرادة، ذلك أن ارتباطاً قوياً بين الإرادة القوية والجسم القوي، كما أن صاحب الجسم الضعيف يكون غالباً صاحب إرادة خائرة وهمة فاترة وعزيمة خائبة، إنك تلاحظ أن إرادتك تتقلب بين القوة والضعف حسبما تكتنزه من حيوية وما تتوفر عليه من طاقة، ولقد لاحظ المربون تلك الصلة الوثيقة بين الجسم والإرادة، فعكفوا على الإهتمام بصحة

الأطفال، كما أخذوا في حملهم على الممارسات الرياضية، وحتى فلاسفة التربية اعترفوا بما للمخ من أهمية في صحة الحكم وقوة الإرادة، فالمخ البشري يحمل في طياته كل ما يسمح بقوة الإرادة، فهو يتضمن شبكة هائلة من الألياف العصبية الموردة، والألياف العصبية المصدرة، والتي يتم عن طريقها للشخص إتيان تصرفاته على اختلاف أنواعها. ومن المعروف أن المخ يعتمد في عمله على ما يصله من إحساسات، والإحساسات الخمسة تعتمد في سلامتها وشدتها على الحواس الخمس، فإذا كانت العينان ضعيفتين فإن ما تلتقطانه من صور منظورة لا تكون بقوة العينين السليمتين ذاتها، ومن ثم فإن الترجمة البصرية التي تتم بمركز الإبصار بالمخ تأتي ترجمة ركيكة خاطئة. وهكذا يقال عن جميع الإحساسات الأخرى التي تصل إلى المخ من باقي الحواس، فإذا كانت الأجهزة التي تقوم بالإحساس ضعيفة أو فاسدة فإن ما تنقله من إحساسات يكون ضعيفاً أو فاسداً. وإذا علمنا أن جميع الإحساسات التي يستقبلها المخ البشري تشكل اللبنات الخبرية الأساسية التي تعد أول الخيط في سلوك الشخص، فإننا نستطيع أن نقول أن الإرادة وما تتمتع به من قوة أو ما تصاب به من ضعف إنما تعتمد أول ما تعتمد على نوعية تلك الإحساسات التي تستحيل في المخ إلى مدركات عقلية. ولا بد أن نضع نصب أعيننا أن الإنسان مثلث الزوايا كما أسلفنا، فهو في المرحلة الأولى يحس ثم يدرك، وفي المرحلة الثانية ينفعل وينعطف، وفي المرحلة الثالثة ينزع ويتصرف.

فبعد أن ندرك الشيء نحس نحوه بإحساس وجداني معين، فننعطف إليه أو ننفر منه، نحبه أو نكرهه، نطمئن إليه أو نخشاه، وعلى أساس هذه الخطوة الوجدانية الثانية تصدر تصرفاتنا وينبني سلوكنا وتتحد ملامح شخصياتنا في الموقف، بيد أن الإنسان يكتنز في مخه أيضاً خبرات قديمة، ذلك أن الإنسان لا يعيش بالواقع الحسي الإدراكي فحسب، بل إنه يعيش أيضاً بما سبق له أن حصله من خبرات، وما مرَّ في حياته الماضية من مواقف؛ ويتم ببروز الخبرات المختزنة في حياة الشخص إلى سطح حياته في نطاق تصرفاته بطريقين، الطريق الأول هو

الذاكرة ـ أي بالوعي التذكري ـ أما الطريق الثاني، فهو التعبير اللاشعوري عن الخبرات المكبوتة المنسية. فالواقع أن المخ جهاز على أكبر جانب من التعقيد، إنه يعمل ونحن على وعي بأدائه، كما أنه يعمل أيضاً ونحن في غفلة عنه، فالخبرات التي نتلقاها عن طريق الإحساسات لا تظل على بساطتها وتفككها، بل إنها تتفاعل فيما بينها وتتشابك على نحو معقد للغاية، ويتم ذلك سواء أردنا أم لم نرد، وتلك التركيبات لا تشمل الإحساسات والمدركات وحدها، بل تشمل أيضاً انعطافات نحو الأشياء ونبونا عنها، كما تشمل أيضاً الطرائق التصرفية التي نسلكها أو نتذرع بها للتعبير عن الفكرات والإنفعالات.

قد يعتقد العلماء أن المخ بمثابة جهاز تسجيل من نوع فريد، ذلك أنه يتفاعل مع الخبرات الجديدة، بحيث تقع عليه تغيرات كيميائية معينة، ويفترض أنه إذا ما تسنى إحداث تلك التغيرات مباشرة في المخ بغير مرور الشخص بالخبرات التي تنجم عنها تلك التغيرات، فإنه يستطيع إذن أن يصير حاصلاً على الخبرات بغير أن يستقبلها من الخارج. فإذا كانت الخبرة التي يتلقاها الإنسان من الواقع الخارجي تترك أثراً كيميائياً في تجاعيد المخ، فإن مجرد أحداث تلك الآثار في التجاعيد ينتهي بالفرد إلى الحصول على تلك الخبرات بغير أن يمر بها، والواقع أن الصلة بين الخبرة والمخ ما تزال موضع أخذ ورد بين علماء النفس التقليديين وبين علماء النفس الفسيولوجيين.

اتضح لنا فيما سبق أن ثمة علاقة تبادلية بين الجسم والعقل، فالجسم مؤثر في العقل، والعقل مؤثر في الجسم، وهناك علاقة تبادلية أخرى بين العقل والوجدان، فأفكارنا تؤثر في عواطفنا، كما أن ما نحس به من عاطفة نحو موضوع ما من الموضوعات يصبغ أفكارنا بصبغة معينة، فالحب والكراهية للأشياء يحركان فكرنا ويوجهانه بطريقة معينة، ولا شك أن «فرويد» هو أول من وجه الإنتباه إلى ما للعاطفة من دور فعال في أفكارنا، فنحن نحب أو نكره، ثم بعد ذلك نفكر في الشيء الذي نحبه أو نكرهه، أو بتعبير آخر يعمل فكرنا على خلفية وجدانية من

الحب أو الكراهية، وكأن تفكيرنا ووجداننا بمثابة لوحة، فالخلفية فيها هي الوجدان، والصورة البارزة للرائي فيها هي الفكر. ويعتقد «فرويد» أن الإنسان في سلوكه لا يكاد يوجه انتباهه إلى الخلفية التي ينبني سلوكه عليها، بل يركز جل انتباهه إلى صورة ذلك السلوك وإلى الجانب المعقول منه، ولعل الشخص ينكر وجود ذلك الجانب اللامعقول من سلوكه ولا يعترف إلا بالجانب المعقول منه فحسب، فطالما أننا في وعينا نكون مفكرين بالمنطق، فإننا لا نعترف إلا بما يساير المنطق ويتمشى وينسجم معه، ولكن «فرويد» يعتقد أنه لا يكفي أن ننكر وجود الشيء فيصير غير موجود، فإنكارنا للدور الذي تقوم به عواطفنا في صياغة تفكيرنا لا يكفي دليلاً على عدم فاعلية تلك العواطف في فكرنا، بل قد يكون على عكس ذلك دليلاً قاطعاً على ما لذلك الدور من أهمية بالغة في حياتنا.

إن التفكير ليس مجرد انعكاس إلى ما نتلقاه من مدركات أو ما نصيغه من متذكرات أو أخيلة أو تصورات، وإنما هو عملية إيجابية موجهة يضطلع بها الشخص إرادياً وبطريقة تتسم بالتخطيط، ذلك أن التفكير بحاجة إلى إحاطة شاملة بكل مقومات الموقف، بل وبنظرة تاريخية لتلك الأشياء في ضوء التطورات التي مرت عليها وما تأثرت به من أحداث، ثم أن التفكير بحاجة أيضاً إلى نظرة تنبؤية توقعية، إذ لا يكفي أن يركز المرء اهتمامه على الحاضر بالإضافة إلى الماضي، بل عليه أيضاً أن يتخيل صورة لما سوف يكون عليه المستقبل، ويتبدى هذا الموقف التنبؤي المستقبلي فيما يسمى بالفروض، فنحن نفترض فروضاً لحل المشكلة، وما الفرض سوى تصور أو مفهوم تنبؤي.

ولعلنا نستعين ببعض المخلصين من أصدقائنا لتبصيرنا بحقيقة ما يخيفنا أو يثبط همتنا، ومن هنا لا يعدو التحليل النفسي أن يكون تبصيراً للمريض بواقعه النفسي بحيث يخلع عن نفسيته المريضة ذلك الوهم الذي يجثم عليها فيعرقل حياتها الطبيعية. فالمصاب بالعمى الهستيري ـ وهو ذلك المريض الذي لا يستطيع أن يرى الأشياء أمامه ومن حوله، حيث التمس التعبير عن رغبته في عدم مشاهدة

شيء وذلك بطريقة لاشعورية فصار أعمى هستيرياً بغير أن يعي بوعيه ما انتهى إليه لا شعوره من قرار حاسم بالحكم بعدم القدرة على إدراك الأشياء بالعينين، فهناك تكون مهمة المعالج النفساني هي تبصير المريض بواقعه، ومساعدته على أن يكشف واقعه بنفسه، والسير معه خطوة خطوة نحو عملية التذكر بالرجوع إلى الوراء حتى يصل إلى الواقعة أو الموقف أو الظروف التي حدث به إلى المرور بالأزمة التي لم يجد له مخرجاً منها إلا أن يحكم على نفسه بالعمى الهستيري.

سبق أن ألمحنا إلى ما للوجدان من أهمية في الإرادة وفي التصرفات الإرادية، وعلينا أن نركز انتباهنا إلى الدور الهام الذي يلعبه الوجدان من انعطاف إلى الأشياء، فالمحبة والكراهية هما قطباً الوجدان اللذان تتم بواسطتهما التصرفات، بل ويتم السلوك بجميع ملامحه عن طريقهما، ولقد فسر «فرويد». هذه التصرفات الإرادية الواعية في ضوء العوامل اللاإرادية وغير الخاضعة للوعي والتفكير، وصور «فرويد» الموقف بأنه في ضوء مبدأ اللذة والألم منذ بواكير الطفولة تتحدد ملامح السلوك المقبلة، فالإنسان يقبل نحو الأشياء الملذة وينبو عن الأشياء المؤلمة، ثم إنه يقبل نحو الأشياء التي ارتبطت في الخبرات الماضية ـ القريبة والبعيدة ـ باللذة، بينما ينبو عن الأشياء التي ارتبطت في خبراته الماضية ـ القريبة والبعيدة ـ بالألم. وتصرفات الإنسان في الواقع ما هي إلا شحنة عصبية معينة مناسبة للعملية المطلوب أداؤها، بيد أن تلك الشحنة العصبية هي في نفس الوقت شحنة وجدان سواء كانت شحنة إيجابية أم شحنة سلبية، فالشخص وهو متحمس للنهوض بإحدى العمليات إنما يستهلك في قيامه بها طاقة عصبية وجدانية إيجابية، بينما يستهلك من يشترك في مشادة أو معركة طاقة عصبية وجدانية سلبية، فهناك إذن طاقة وجدانية للبناء وأخرى للهدم، لقد اهتم الدارسون للإنسان منذ القديم تقسيم الناس إلى فئات حسب صفاتهم وسماتهم الوجدانية ولعل «أبقراط» اليوناني الذي عاش خلال القرن الخامس قبل الميلاد هو أول من قام بمحاولة تقسيم الناس على ضوء أمزجتهم، وقد ذهب إلى أن الذي يحدد أمزجة

الناس هو وجود نسب معينة من الدم والبلغم والصفراء ذات اللون الأسود واللون الأصفر بالجسم. واستمر «جالينوس» 130 - 200 م بأفكار «أبقراط» فقال بالأمزجة الأربعة وهي الدموي والبلغمي والسوداوي والصفراوي.

أما «بافلوف» 1840 - 1936 م فإنه يقسم الناس إلى فئتين، فئة قابلة للإستثارة السريعة وفئة سوداوية تدفع بانفعالاتها إلى الداخل. ولكن «كارل يونج» 1871 — 1961 يقسم الناس إلى انبساطيين وانطوائيين.

إن المهم في هذه التقسيمات وغيرها أنها تؤكد أن الأفعال الإرادية لدى الناس لا تعتمد على ما في عقولهم من أفكار أو على ما في أجسادهم من طاقة فحسب، وإنما تعتمد أيضاً على ما يدور في قلوبهم من وجدان وما تتسم به شخصياتهم العامة من سمات وجدانية. وقد يسوقنا هذا الكلام عن أهمية الصحة النفسية في قوة الإرادة، وهنا ينبغي أن نشير إلى أن هناك ثلاث فئات أساسية للأمراض التي تصيب الشخصية: فئة عصبية وهي تتصل اتصالاً مباشراً بالجهاز العصبي، وفئة عقلية وهي تتصل مباشرة بالتفكير، وفئة وجدانية وهي تتصل اتصالاً مباشراً بوجدان الشخص وعواطفه. وهناك بوجه عام نوعان من اللاسوية النفسية الوجدانية: النوع الأول، الهياج الإنفعالي، والنوع الثاني، البلادة الوجدانية. ونلاحظ أيضاً أن بعض الأمراض النفسية التي تصيب الشخصية، من ذلك حالة الوساوس والأعمال القهرية. كما أن الوجدان أيضاً تعتريه أمراض تحول دون تمتع الإرادة بالقوة والإصابة بالإكتئاب، هذا الكابوس من الهموم الذي لا يجد سبيلاً إلى تفهمه إنه يوشك أن يجد الدنيا كلها مطبقة عليه بل إنه لا يكاد يفهم مبرراً لحزنه العميق الذي غلف حياته.

وهناك أيضاً مجموعة من الأمراض الجنسية التي تقف حائلاً دون تمتع المصاب بها في حياة اجتماعية محترمة، كما تحرم المصابين بها من الحياة الزوجية السليمة، من ذلك مثلاً جنون الغرام وجنون الشهوة واللواط والسحاق والعادة السرية والسادية والميل

إلى ارتداء ملابس الجنس الآخر إلى غير ذلك من الأمراض الجنسية .

فإن صح أن تكون هذه الحياة مسرحاً واسعاً ، ونحن نمثل على هذا المسرح الفسيح ، فإننا نستطيع القول بأن من سمات الشخصية المريرة القوية ضبط انفعالاتها بحيث لا تنغمر في المؤثرات بل تحرك أولئك الذين يحيطون بنا ويتعاملون معنا ، بحيث يتم لنا التأثير فيهم ونحن غير عابئين في لجة الإنفعال بل طافين على السطح ، فلا تتقاذفنا أمواج الحياة ، بل نجيد السباحة على السطح .

الفصل الثاني والثمانون

المعنى الفلسفي لقوة الإرادة

يفسر بعض الناس قوة الإرادة في ضوء الطاقة الحيوية التي يفعم بها الشخص، فبمقدار ما يحظى الإنسان بتلك القوة الحيوية تكون قوة إرادته، فذلك الذي لم يوهب سوى مقدار قليل من تلك القوة الحيوية يكون ضعيف الإرادة، بينما يكون قوي الإرادة قد حصل على قدر كبير منها. فما المقصود من الطاقة الحيوية يا ترى؟ هل هي الحصيلة العامة لصحة الشخص أم أنها شيء آخر؟

إن التساؤل يسوقنا في الواقع إلى ما ذهب إليه «أبقراط» وجالينوس» فيما يتعلق بالأمزجة وما يتعلق بها من عصارات، كما أنه يذكرنا بما ذهب إليه علماء الفسيولوجيا من أن هناك ما يسمى بالإتزان الهرموني، ومن أن بعض الهرمونات تؤثر من قريب أو من بعيد في سلوك الشخص ومزاجه العام وطابعه الشخصي، وأكثر من هذا وذاك فإن هذا يذكرنا بما ذهب إليه العلماء اليوم من أن علاج الشخصية وتعديل أنماط سلوكها ومناحيه سوف يناط بتغيير كيمياء الجسم، فضعيف الإرادة في رأيهم يمكن أن يصير قوي الإرادة إذا هو واظب على تناول بعض الأقراص المعدة لهذا الغرض، وتبعاً لذلك فإنك سوف تجد في المستقبل ركناً بكل صيدلية خاصاً بالأخلاق والقيم، فسوف تجد أقراصاً لتقوية الإرادة، وأخرى لتقوية الذكاء، وثالثة لتقوية الذاكرة ونحو ذلك. ومن المعروف أن مدمن الخمر والمخدرات قد

يصاب بخور الإرادة كما أنه يصير عاجزاً عن إصدار القرارات أو عن التخطيط لمستقبله القريب أو البعيد. ومعنى هذا كله أن هناك علاقة وطيدة وأكيدة بين الجسم والإرادة، وقد فسر البعض هذه العلاقة بالقوة الحيوية، وهذه القوة الحيوية تدفع الإنسان إلى تأكيد ذاته والتشبث بقراراته والمداومة على متابعة تنفيذها والتخطيط لأهداف جديدة باستمرار.

وهذا يذكرنا في الواقع بفلسفة «برجسون» 1859 - 1914 م وموقفه إزاء الحياة، إن فلسفته فلسفة ثنائية، فالعالم في نظره منقسم إلى قسمين متباينين: فنجد الحياة من جهة والمادة أو بالأحرى الشيء الجامدة من جهة ثانية، ويرى «برجسون» أن الكون على أساس أنه صدام أو صراع بين حركتين متعارضتين: الحياة التي تصعد إلى أعلى، والمادة التي تسقط إلى أسفل، ويرى «برجسون» أن الحياة قوة كبيرة أو هي دافع حيوي واسع النطاق، وقد نشأت تلك القوة منذ بداية العالم ولكنها جابهت مقاومة من المادة، وقد أخذت تكافح من أجل شق طريقها في المادة، وأخذت تتعلم بالتدريج أن تستخدم المادة بواسطة ما تنذرع به من تنظيم، بيد أن تصادم القوة الحيوية بالمادة قد انتهى إلى انقسامها إلى قسمين تماماً كما يحدث عندما تتصادم الريح مع أحد البيوت. أما القسم الأول فإنه يخضع للمادة من خلال التكيفات التي تفرضها القوى المادية على القوة الحيوية المتعلقة بهذا القسم. أما القسم الثاني من القوة الحيوية فإنه يسعى للحصول على حرية أكبر من الحركة في وسط جدران المادة المعارضة. ويرى «برجسون» خلافاً لما يراه «دارون» أن التطور لا يمكن أن يفسر في ضوء التكيف للبيئة فحسب، ذلك أن التكيف أو التوافق لا يفسر سوى تحولات والتواءات التطور، وذلك كحال الرياح لدى اقترابها من أحد البلاد في مرورها بمنطقة وعرة، بيد أن هذا التشبيه ليس صحيحاً على طول الخط. فليس هناك بلد وليس هناك هدف محدد في نهاية الطريق الذي يسير عبره التطور. ويرى «برجسون» أن المذهب الآلي والمذهب الغائي (الذي يقول بوجود غاية للوجود) يفترضان أنه لا توجد جدة أساسية في هذا العالم، فالمذهب الآلي ينظر إلى المستقبل باعتبار أنه مضمر في الماضي، أما

المذهب الغائي فإنه يعتقد أنه لا يمكن الوقوف على الغاية التي سوف يتم الوصول إليها مقدماً، فإنه ينكرفي نفس الوقت وجود أية جدة أساسية في النتيجة. وقد يعتقد «برجسون» أن التطور يتسم بالإبتكارية الأصلية شأنه في ذلك شأن ما يضطلع به الفنان، فثمة دافع نحو العمل، وثمة إرادة غير محددة توجد بطريقة قبلية، ولكن إلى أن تشبع تلك الإرادة، فإنه يكون من المستحيل معرفة طبيعة ما سوف يقول بإشباعها، فعلى سبيل المثال أننا قد نفترض وجود رغبة غامضة لدى الحيوانات التي لا ترى بحيث تكون قادرة على الوقوف أمام الأشياء قبل أن تتصل بها. والواقع أن البصر قد عمل على إشباع الرغبة. ولكن لم يكن من الممكن تخيله مسبّقاً، ومن هنا فقد استنتج «برجسون» أن التطور غير قابل للخضوع للتنبؤ، وبالتالي فإن حتمية التطور لا يمكن أن تدحض القول بحرية الإرادة. وهذا التصور العام يمكن أن يفسر التطور الحقيقي للحياة على الأرض، فلقد كان الإنقسام الأول لتيار القوة الحيوية إلى نباتات وحيوانات، واستهدفت النباتات تخزين الطاقة الحيوية في مخزن، بينما استهدفت الحيوانات استخدام تلك الطاقة في حركات مفاجئة وسريعة، ولكن ثمة بين الحيوانات بصفة عامة انقسام جديد ظهر في حياة الحيوانات، فثمة الغريزة من جهة والذكاء من جهة ثانية، وقد أخذ كل من هذين الطرفين في التباعد والإنفصال بعضهما عن بعض. نعم إن الواحد منهما لا يمكن أن يستغني عن الآخر، ولكن نشوء الذكاء كان بصفة أساسية من سوء حظ الإنسان، بينما نجد أن الغريزة تشاهد في أحسن صورة لها لدى النمل والنحل. و «برجسون» يتعاطف مع الغريزة بينما ينعي على الذكاء، ذلك أنه يعتقد أن الغريزة لم تؤذ الإنسان بينما أودى الذكاء بكثير من أسباب سعادته ورفاهيته، ويسمّي الغريزة باسم «الحدس».

وطالما أن الذكاء مرتبط بالمكان، فإن الغريزة أو الحدس يرتبط بالزمان، وهذه من الملامح المميزة لفلسفة «برجسون» إذ أنه يرى مفارقة عميقة بين المكان والزمان، فالمكان وهو الخصيصة الأساسية للمادة إنما ينشأ عن انشعاب التدفق

الذي يعتبر تدفقاً، وإن كان مفيداً إلى حد ما من الناحية العملية، ولكنه مضلل من الناحية النظرية، أما الزمان فعلى العكس من ذلك يعد الخصيصة الأساسية للحياة أو العقل، فأينما توجد الحياة فإن الوقت يكون موجوداً، ولكن الزمان الذي يعنيه «برجسون» ليس الزمان الرياضي - أي ليس المجموع النهائي للحظات، ذلك أن الزمان الرياضي تبعاً «لبرجسون» هو شكل من أشكال المكان، أما الزمان الذي يعد في نظره جوهر الحياة فإنه يسمى بالإستمرار الزماني، وهذا المفهوم الإستمراري من الزمن يحتل مكانة أساسية في فلسفة «برجسون».

وإذا كان «برجسون» قد جعل الطاقة الحيوية تمثل بؤرة فلسفته بينما جعل الذكاء والذاكرة في محل ثانوي بها، فإننا نجد «فرويد» - إذا ما نظرنا إليه كفيلسوف لا كعالم للنفس - قد جعل أيضاً القوة الحيوية تحتل بؤرة فلسفته ولكنه أطلق على تلك القوة الحيوية اسم «الليبيدو» - أي عبارة عن قوة شهوانية عامة تنشد الإشباع، ولكنها غير متعينة وغير محددة المنافذ - وتظل تلك القوة الشهوانية أو الليبيدو تعمل عملها. ويذهب «فرويد» إلى أنه يطلق كلمة «الليبيدو» على الطاقة الغريزية من حيث حجمها على الرغم من أنها ما تزال في نظره غير قابلة للقياس، وانخرط تحتها كل ما يمكن أن تتضمنه كلمة «حب» بيد أن «فرويد» لا يعني بكلمة حب ذلك الحب الجنسي بين حبيب وحبيبة فحسب، بل يستعمل اللفظ بالمعنى العام بحيث يشمل أيضاً حب الذات وحب الوالدين والأطفال والصداقة وحب الإنسانية بوجه عام، وأيضاً التعلق بالأشياء المادية والأفكار المجردة.

وتظل الطاقة الحيوية لدى «فرويد» تعمل عملها بالشخصية وإن كان يعتريها كثير من التطور، ولكن مهما تباينت الصور التي يتلبس بها «الليبيدو» فإنه يظل المحور الأساسي الذي تدور عليه مناشط الشخصية. «ففرويد» يرى أن «الليبيدو» يتطور بحيث تنشأ أجهزة نفسية متباينة بالشخصية، فينشأ عنه «الأنا» و «الأنا العليا» كما يظهر الشعور واللاشعور، وتنشأ أيضاً وظائف نفسية كالكبت والقمع والإعلاء والإبدال وغير ذلك.

أما «مكدوجال» فإنه يؤمن بالطاقة الحيوية ولكنه يطلق عليها اسماً آخر، إنه يسميها بعاطفة اعتبار الذات. فالإنسان في كل تصرفاته إنما يصدر عن مصدر حيوي بالشخصية هو تأكيد الذات وتقدير الإنسان لنفسه.

بينما ذهب «برجسون» وغيره إلى تفسير قوة الإرادة بالطاقة الحيوية، وقد غضوا عن قيمة الذكاء باعتباره أنه لا يعدو أن يكون قوة سلبية تقتصر وظيفتها على التحليل والتصنيف، فإننا نجد فلاسفة كثيرين قد اعتقدوا في الذكاء كقوة إيجابية فعالة في حياة الناس، «فسقراط» مثلاً نادى بشعار «اعرف نفسك» ومعرفة الذات في رأيه ليست معرفة هينة لينة، بل هي معرفة تشق على الكثيرين، بل إنها لا تأتي إلا لقلة قليلة من الناس، فهي بحاجة إلى كثير ذكاء وخوض أغوار الذات وتركيز للتأمل وانتباه إلى ما استخفى من الذات.

كانت دعوة «سقراط» للناس بالتفكير كوسيلة للخلاص من براثن الشر، فالذكاء إذا ما أوتي الشخص فإنه سيتمكن من التفكير، والتفكير الجيد بحاجة إلى ذكاء، ولا فرق بين الذكاء لديه وبين التطهر، وهل يتسنى لمن يعرف نفسه أن يقع في الخطأ أو الخطيئة، لقد اعتقد «سقراط» ضمناً أن الخطأ والخطيئة لفظان لشيء واحد، فكل خطأ هو أيضاً خطيئة، كما أن كل خطيئة هي في الوقت ذاته خطأ، والإنسان الخاطيء هو إنسان ضل سبيل التفكير السليم، فإذا ما فكر بطريقة سليمة فإنه يستطيع عندئذٍ أن يتخلص من خطيئته، ولعل ضلال الإنسان راجع إلى عدم دقته في التفكير وإلى عدم التزامه بمباديء الفكر السديد.

ويعتقد «سقراط» أيضاً أنه يكفي لكي يكون سلوكنا صحيحاً أو خيراً أن نفكر بالطريقة الصحيحة، فالسلوك الخارجي بمثابة إنعكاسات للسلوك الداخلي، والخارج عبد للداخل، وقد يبدو أن «سقراط» كان متأثراً بالفكر الهندي القديم كما يذهب إلى ذلك كثير من مؤرخي الفلسفة. ويعتقد «أفلاطون» أن السبيل إلى استرجاع مجد الإنسان المفقود هو التذكر، ويلعب التذكر دوراً كبيراً في خدمة الذكاء، فإذا ما تذكرنا فإننا نستطيع أن نصير صالحين لأننا سنتذكر ما كنا عليه في

العالم السابق، ومن ثم فإننا سوف نتشبث بملامح ذلك العالم المطلق الكامل، فتتطهر نفوسنا ونصير قريبين من الله.

إن العلاقة التأثيرية للذكاء في السلوك وفي الإرادة ما تزال سائدة في فكرنا الشعبي العادي، فنحن ما نزال نعتقد أن الشخص كلما استنار استطاع أن يحرز إرادة قوية، بحيث يكون قادراً على شق طريقه في الحياة وأن يخطط لمستقبله وقد تبصر بواقعه ووقف على جذور مشكلاته. ولقد ظلت مدارسنا حتى اليوم تعتقد في التربية على الجانب المعرفي، وقد اقتنع المربون ضمناً أن المعرفة السليمة جديرة بأن تدعم الشخصية وتقوي الإرادة، وأكثر من هذا فقد اعتقد أن المعرفة لا تتأتى للشخص إلا إذا كان قد وهب مستوى معيناً من الذكاء، فإن كان ما وهبه منه أقل من المطلوب للتعلم فإنه لا يستطيع إذن أن ينتظم في ركب التلاميذ. فالذكاء إذن هو أساس المعرفة، والمعرفة هي أساس الإرادة.

إن علماء النفس التطوريين يقولون بأن العضلات الجسمية في تحركها وتآزرها مع بعضها إنما تستعين بنوع من الذكاء ـ هو الذكاء الحركي ـ ومن ثم يكون هناك ثلاثة أنواع من الذكاء: الذكاء الفسيولوجي، والذكاء الحسي الحركي، والذكاء التمثيلي، والذكاء التصوري. وهذه الأنواع الأربعة تتكامل فيما بينها لدى الإنسان بحيث تستهدف جميعاً هدفاً واحداً هو الحفاظ على الإنسان ودعم بقائه وتحقيق ارتقائه وتأكيد سلطانه على الأرض، ولا يشترط هؤلاء العلماء في الذكاء أن يكون عملية شعورية خاضعة لمشيئة وإرادة الكائن الحي، بل إن الذكاء قد يعمل عمله بغير علم من جانب صاحبه. وهذا ما يذكرنا بقول «فرويد» من أن ما يعتمل في الإنسان من أفكار ورغبات لا يكون بالضرورة خاضعاً لحالته الشعورية، بل إنه قد يعتمل فيه رغماً عنه وبغير وعي من جانبه.

وعلى أي فإن الذكاء لا يقتصر في نظر علماء النفس على مجرد الوقوف على العلاقات المتعددة بالموقف، بل إنه أيضاً يرتبط ارتباطاً وثيقاً بما سوف تحققه نفسنا

من بقاء وتبرير، إن الوجود الإجتماعي صار في قوة لا تقل خطورة عن الوجود الطبيعي، ومن ثم فإن الذكاء يتجه إلى تحقيق نجاح الشخص اجتماعياً بقدر لا يقل عن اتجاهه إلى استمرار وجوده الفيزيائي، وفي الحالتين، فإن أولئك العلماء لا يفصلون الذكاء عن الإرادة، بل يجعلون الذكاء أداة لتحقيق البقاء.

وقد اعتقد الدينيون عبر العصور أن قوة الٰهية تؤازر الإنسان فتدعم إرادته وتحركها نحو الخير وتنأى بها عن الشر، ولقد ارتكزت هذه العقيدة على أساس أن طبيعة الإنسان فاسدة من أساسها أو أنها فسدت بسبب جهله لطريق الخير أو بسبب عصيانه للأوامر الإلٰهية وطرده من النعيم، فقوة الدعم الإلٰهي لإرادة الإنسان هي الكفيل الوحيد لجعله يستطيع التخلص من قيود الجسد والإرتفاع إلى مراتب الروحانية، ويتطلب الأمر أولاً تسليم قيادة الشخصية للقوى الخارقة للطبيعة أو التلبس بقوى أخرى كالأرواح أو الجن أو الملائكة أو نحو ذلك، فتلك المخلوقات التي تحتضن الشخص وتحتل قوامه تهبه قوة خارقة وإرادة صلبة بحيث يستطيع أن يرى أشياء وأن يسمع أصواتاً لا يستطيع أن يراها أو يسمعها سواه. وقد نجد في التاريخ القديم أن الشعوب القديمة كانت تعتقد في الوجود الروحاني إلى جانب الوجود الفيزيائي. فالإنسان من حيث تكوينه يتضمن عنصرين: عنصراً أرضياً وعنصراً روحانياً، ثم إن الكائنات الموجودة على الأرض تتشكل من نوعين: أحدهما تلك الكائنات المحسوسة التي تحيط بنا ويقع عليها حِسنًا، والثاني كائنات غير منظورة ولكنها تلعب دوراً معيناً سواء في الظواهر الطبيعية أو في حياة الإنسان، فمن ترضى عنه تهبه السعادة، ومن تغضب عنه تصب عليه الشقاء وتوقع به وبممتلكاته الدمار، والإنسان البدائي كان يقدس بعض الأشياء المادية الجامدة معتقداً في أنها متلبسة بالأرواح أو أنها كائنات حية تريد وتؤثر وتعمل عملها في حياته. ولقد حصل الأشخاص العالمون بأسرار تلك الحجارة أو الأشياء على مكانة عالية، وقد اعتقد الناس من حولهم في قوتهم الذاتية التي حصلوا عليها من الآلهة. وهذا «فيثاغورس» على الرغم من أنه تمرس بالرياضيات واخترع الهندسة

فإنه كان يعزو فكره الرياضي إلى الإلهام، فالإنسان يستطيع بتفكيره الرياضي أن يجوب آفاقاً من الوحي لا تتسنى للشخص الذي يقصر همه على الأشياء المادية، فالآلهة في رأيه هي التي تحرك الإرادة وتوجه السلوك، ولكن بشرط أن يخضع الإنسان إلى تدريبات معينة لكي يقترب إليها فتهبه قواها اللدنية. وفي العصور الوسطى نجد «جون سكوت» حوالي «عام843 م» يعتقد مقارنة بين العقل والإلهام ويزعم أنه لا تعارض بينهما، ولكن إذا حدث تعارض فيجب الإنضمام إلى صف العقل وليس إلى صف الإلهام، ذلك أنه اعتقد أن الإلتزام بالفكر الشخصي بصفة أساسية هو الكفيل الوحيد لسيطرة إرادة الإنسان على نفسه. أما «فرانسيس بيكون» «1561 - 1626» فيعزى إليه الكلمة المشهورة «المعرفة قوة» والأساس الذي تقوم عليه فلسفته هو أساس عملي بقصد سيطرة الإنسانية على قوى الطبيعة بواسطة المكتشفات والمخترعات العملية، ولقد أكد «بيكون» ضرورة فصل الفلسفة عن اللاهوت، ولكنه ظل مؤمناً بضرورة قيام العلم إلى جانب الإلهام، لأن الإلهام هام في دعم الإرادة، وقد يتبعه في هذا الرأي «جون لوك»«1632 - 1704» . أما «جان جاك روسو» 1712 - 1778 فقد أكد إيمانه الشديد بالوحي وبفاعليته في حياة الإنسان، وهو يؤكد أننا بغير الفلسفة نستطيع أن نكون إنسانيين إذا ما تشبثنا بالوحي وبالتعاليم الدينية، ولكن الفلسفة وحدها لا تستطيع أن تدعم إرادتنا للخير. ولتجد الإنسان في حياته الشخصية إنه بحاجة إلى أن يحصل على قوة خارجية لدنية تعينه على مجابهة الصعاب في الحياة، والحياة لا يمكن أن تكتمل جمالاً واكتمالاً إلا إذا سوندت بقوة وعناية خارجية مستمدة من السماء. ولعل أهم حجة يمكن أن تعتمل في نفسية الإنسان الذي يستلهم قوة إرادته من العناية الإلٰهية هي أن الحياة تكون بلا معنى إذا كانت غاية في حد ذاتها. فلماذا يكون السعي إذن؟ ولماذا نعمل الخير؟ ولماذا لا يستحيل الإنسان وحشاً ضارياً بأخيه الإنسان إذا لم تكن هذه الحياة وسيلة لحياة أخرى؟ لو أن هذه الحياة الأرضية كانت نهاية المطاف، إذن لقعدنا في زاوية بعيداً عن السعي وراء مثل عليا بعيدة المدى نريد تحقيقها، ولكن الواقع أن هناك كثيراً من الناس يسعون إلى الخير ولديهم مثل عليا أعلى بكثير

من المثل العليا المادية الضيقة، إنهم في تصرفاتهم وأفكارهم وآمالهم يلقون بأبصارهم بعيداً إلى ما بعد هذه الحياة باعتبار أن كل المساعي في هذه الحياة إن هي إلا منهج ووسيلة للتقدم وبلوغ الحياة الأخرى، ونفس هذا المعتقد المتعلق بالحياة الأخرى يجعل الإنسان ذا إرادة قوية في السعي وفي الكفاح والجهاد، ولا شك أن الإعتقاد في الحياة الأخرى يسمح برحابة المجال الذي يتحرك فيه فكر الإنسان ووجدانه وتصرفاته، ونستطيع أن نضيف إلى هذا أن الروحانية سبيلها الأول هو الممارسة الوجدانية وليس البصر العقلي، لذا فإن المتصوفة في الإسلام أكثر روحانية من فلاسفة المسلمين، والرهبان والنساء في المسيحية أكثر روحانية من الفلاسفة العقلانيين المؤمنين بالمسيحية، يقول لنا الرهبان النساك والمتصوفة أن هناك تدريبات روحية ترتفع بالإنسان في سلم الروحانية، وليس المهم بالنسبة للراهب أو المتصوف كم يعرف؟ بل كيف يمارس؟ وأكثر من هذا فإن كثيراً من المتصوفة والرهبان يحذرون أتباعهم من رجحان كفة ما يعرفون على كفة ما يمكنهم اكتناهه من الحقائق أو الكشوف الروحية، ومعنى هذا أن هناك حالات يمر بها المتصوف والراهب، إنها مرور الإنسان بجوهريته الروحية في مراتب، فالحياة الروحية ممارسة وتدريب وجداني وإرادة متحفزة واعية ومثابرة ومسيطرة على دخيلة الإنسان وتصرفاته أكثر من كونها فكرة جامدة ميتة تعمل في عقل الإنسان ثم يلقى بها إلى الورق في كلام.

يمكن أن نعزو القيم الذاتية إلى الإلهام فيساق إلى الإنسان سوقاً بحيث تكون معايشته والتلبس به من قبيل المنح الإلهية، فليس بالعلم وحده يستطيع الإنسان أن يحيا قيمه، بل يتسنى له ذلك بالتأمل الوجداني أكثر مما يأتي له بالإقتناع العقلي. ولعلك إن تصفحت حياتك الشخصية لقلت بأنك مررت ببعض تلك اللحظات الإلهامية التي قد تكون غيرت مجرى حياتك أو أرشدتك إلى أفكار رائدة جعلت منك شخصية لها كيان ذاتي مستقل، وكم من مشكلة لم تكن تجد لها حلاً في عقولنا ولكن الحل جاء فجأة بالإلهام، وإن كنت تجد شكاً في هذا الزعم فعد

إلى قراءة اعترافات كبار الفنانين والشعراء والعلماء لتقف على خطورة الدور الذي لعبه الإلهام في حياتهم والفضل الذي يناط به فيما أنجزوه.

وهناك مذهب «الأناركية» له رأي في قوة الإرادة «والأناركية بمعنى الفوضوية» وقد التبس معناها مع معنى الهدمية، باعتبار أن كليهما يستهدفان القضاء على النظام الرسمي للدولة وهدم النظام الإجتماعي، ذلك أن الأناركية استحالات إلى فلسفة اجتماعية لها جانبان أساسيان: أحدهما إيجابي والثاني سلبي. ومن أهم زعمائها «برودون» و «جودوين»، وهما يؤكدان أن الأناركية تردد ما تضطلع به الطبيعة في نشاطها، وذلك النشاط المتسم بعمليتين أساسيتين هما الهدم والبناء، فلا بأس أن يحدث هدم في الجسم الإنساني، لأن ذلك الهدم يجد ما يعوضه بعملية البناء، ويؤكد زعماء الأناركية أن الهدم والبناء لازمان لتقدم المجتمع في الحاصل النهائي. إن وصف النظرية الأناركية أساساً صعب المنال، ذلك لأن طبيعة هذا المذهب يتسم بالتحررية وبالمسؤولية الفردية في الإختيار فيحول دون تشكيل نظرية محددة التقاطيع تماماً، وعلى الرغم من أن هناك بعض الأناركيين يتذرعون بالعنف كوسيلة للهدم. فإننا نجد هناك بعض مجموعة أخرى منهم وعلى رأسهم «تولستوي» و «غاندي» يشكلان اتجاهاً سلمياً باستخدام النشاط السلبي كوسيلة لهدم جبروت الطغيان تمهيداً لتحقيق مثلهم العليا الإيجابية. وهكذا نجد ملامح فلسفتهم تتجلى في النظرة الطبيعية للمجتمع، وأن الإنسان ليس اجتماعياً بالطبع فحسب بل إن لديه ميلاً لأن يعيش في مجتمع، كما أنهم يحبون فكرة العقد الإجتماعي التي قال بها «روسو» وغيره بل يرفضون الشيوعية، وهم يعتقدون أن المجتمع لا يستهدف خطة محددة للتطور كما ذهب إلى ذلك كل من «هيجل» و «ماركس» بل إن التقدم يحدث دوماً بغير خطة مسبقة ومحددة التقسيمات، وهناك فارق جوهري بين تطور المجتمع عند الأناركيين وعند الماركسيين، فالتطور الإجتماعي في فلسفة الماركسية ينشأ قصراً بحتمية تاريخية لا سبيل إلى تجنبها، حيث لا تعتبر الماركسية أن الإرادة الفردية لها دور في توجيه تطور المجتمع، أما

الأناركيون فإنهم يعتقدون في الحرية الفردية وفي الإرادة الفردية، فالفرد هو المسؤول عن تغيير المجتمع وإن كان الإنسان اجتماعياً بطبعه، والفردية يجب أن تكون هي الصيغة السائدة في أي عمل اجتماعي. وقد قرر «جودوين» استبعاد العوامل الوجدانية من الإرادة، واعتبر الإرادة لا تعدو أن تكون الكم الحر بغير تدخل من جانب الدوافع، كما يعتقد أن هناك في السلوك جانبين: أحدهما لا إرادي والثاني إرادي، فبالنسبة للجانب اللاإرادي فإن سلوك الشخص يكون محكوماً بحتمية الخبرات السابقة. أما بالنسبة للسلوك الإرادي وهو السلوك الذي يتطلع فيه الشخص إلى اختيارات متعددة يختار من بينها، فإنه يكون أيضاً واقعاً تحت حتمية ولكن من نوع آخر تتجلى في الحتمية العقلية.

وننتقل إلى المنهج الروحي والعملي لأصحاب «اليوجا» في قوة الإرادة والشائع في الهند قديماً وما تزال أصداؤه موجودة حتى الآن، وقد تخطت تلك الأصداء البلاد التي نشأ فيها وجذب انتباه الغربيين وقد أخذوا ينفضون عنهم ما ألفوه من مادية ومن تشتت للذهن وضياع في عالم يصرف الإنسان عن كيانه الذاتي الحقيقي.

و «اليوجا» تتصل بالفكر والوجدان والإرادة بدخيلة الإنسان وبخارجه، بالوجود الداخلي والبيئة الخارجية، وهي تهتم أساساً بسيطرة الإنسان على مقوماته وفرضه ذاته على الواقع الخارجي وعدم الرضوخ للمغريات الخارجية، إنها تدعو إلى آلام الذات، لا لقهر الإنسان بل لتحقيق ذاتيته وبلوغه أمر مرتبة روحية تؤهله لها إمكانياته الروحية.

و «اليوجا» تأخذ في اعتبارها نتائج السلوك، بالإضافة إلى ما تأخذ به من استنباط للواقع الداخلي للشخص، وذريعة «اليوجا» في ذلك هي المعرفة الصحية والممارسة الدائبة لما يتضمنه العقل من اتصاله بالجسم والبيئة، ويعتقد أصحاب «اليوجا» أن شقاء الإنسان إنما ينشأ عن إذعان الإنسان وعبوديته لحالة خفيفة يرزح تحتها عقله، ولعل أول شيء يتعلمه طالب «اليوجا» هو أن مستقبله لا يعتمد على

ظروفه المادية الباسقة على الرغم من أنه ضروري أن يكون لديه القدر الكافي من المطالب المادية، و «اليوجا» لا تحارب الطاقة الجسمية بل تقوم بترويضها وتوجيهها، إنها لا تحارب الجسم، بل تدربه، فلا بد لطالب «اليوجا» من أن يحافظ على جسمه ويرعاه بحيث لا ينزلق إلى الرفاهية الجسمية. لا بد أن يكون لدى الشخص القدر الكافي من الكفاية الجسمية المناسبة، ليس من المهم أن يكون الشخص مفتول العضلات قوي الشكيمة بل يكفي أن يكون مفعماً بالحيوية الجسمية المناسبة. وأول خطوة يجب على طالب «اليوجا» اتخاذها هي التحكم في الدوافع العقلية الشاردة غير الملجمة. فالعقل ينمو لخدمة الجسم، إنه يساعد أولاً على الوفاء بالرغبات، ثم إنه يحدد ماهية الرغبات التي يجب مساعدتها أو خدمتها، ثم هو يعمل على تحسين تلك الرغبات، وفي النهاية يستجيب لهدف الحياة الداخلي، ويحيل ذلك الهدف الداخلي في النهاية إلى واقع ممارس، وطالب «اليوجا» يتحكم في مجرى أفكاره بعقله، فإذا ما استطعت التحكم في ذلك التيار فإنك تستطيع عندئذٍ أن تحقق ذاتك، أما إذا عجزت عن ذلك فإنك تضحى فريسته لظروفك الخارجية، وعليك أن تمارس التفكير وألا تسمح لانفعالاتك بأن تسيطر على مجرى أفكارك، فالواجب على طالب «اليوجا» ألا يسمح للعادات التي سبق له التلبس بها ولا لانحيازاته ولا لما يستثيره حاضراً بالتحكم في عقله.

وهناك ثماني خطوات في معارج «اليوجا» هي الزهد وممارسة الشعائر الخاصة «باليوجا» واتخاذ وضع ثابت والتحكم في التنفس والإنسحاب من عالم الحواس والتركيز الذهني حول فكرة معينة والتأمل والتفكر.

فالزهد يتضمن خمس حالات هي عدم إيقاع الأذى بالغير والتمسك بالصدق والأمانة وانتهاج السلوك الروحي والتحرز من النهم. أما الشعائر فإنها تتضمن النظافة والإكتفاء الذاتي والصرامة مع الذات ودراسة النفس ودوام التفكير في الله. أما تركيز العقل فيأتي على ثلاث مستويات: العمل على تثبيت العقل حول موضوع معين، والتمرس بالتركيز الذهني فيسير تبعاً للقدرة التي حظي بها

الشخص، واختيار الموضوع سواء كان بسيطاً أو صغيراً أو محسوساً في البداية. وهذا التركيز يدفع إلى فهم الأصوات والماضي والمستقبل وما في عقول الناس والقوة وإحراز البصيرة، وبالنسبة للحواث فإنه يمنحها أداء أفضل وإفادة منها أكثر مما يؤدي بها إلى سرعة عقلية كبيرة وغور في المجهول.

وتهتم «اليوجا» بتفسير العلاقة بين العقل وبين العالم، فهي تبدأ بالقول بأن القوى الخارقة التي تأتيها اليوجي إنما تكون في بعض الحالات قوى مفطورة لدى الشخص. إذ أن بعض الناس يولدون ومعهم تلك القوى، وتغير حالة الشخص من مستوى إلى مستوى أعلى وإنما ينشأ نتيجة تدفق الطبيعة عليه شريطة أن يكون شعاره «أزل العقبات تحصل على النتائج» وهذا الشعار اليوجي ينطبق على الوقائع المادية وعلى القوى النفسية، ومن هنا تكون تمرينات «اليوجا» ليست عمليات أدائية مرهقة وإنما هي في جوهرها عمليات تطهيرية، تخلّص من الأخطاء أو من العادات الرديئة.

إن الإنسان الحقيقي في نظر «اليوجا» هو ذلك الشخص الذي يقف على الأشياء بغير أن يقوم في أثناء إدراكه لها بتعديلها، والفرق بين إنسان يصبغ الأشياء بتأثيره فيها وبين إنسان آخر - وهو الإنسان الحقيقي - لا يؤثر بشخصه فيما يدركه من أشياء خارجية. ولكي يتسنى للإنسان أن يستحيل إلى انسان حقيقي عليه أن يدرب إرادته بحيث يصير كميزان الحرارة الدقيق الذي لا يعدل الواقع الخارجي، بل يراه كما هو في حقيقته، وبذلك يكون الوجود الموضوعي عند اليوجي وجوداً حقيقياً في حد ذاته.

الفصل الثالث والثمانون

المعنى الاجتماعي لقوة الارادة

إن المجتمع حينما يحكم لشخص ما بأنه قوي الإرادة إنما يبني حكمه على ما يبدو من سلوكه الإجتماعي من تفوق، ذلك أن ما يهم المجتمع أكثر من أي شيء آخر لكي ينعت إنساناً ما بأنه قوي الإرادة هو ذلك القطاع الخارجي من سلوكه، بل إنه يضع إنتاجية الشخص في أول القائمة التي يأخذها في اعتباره، وبينما يهتم عالم النفس المثالي بتركيز انتباهه على ما يعتمد بدخيلة الشخص، فإن عالم النفس الإجتماعي يركز إنتباهه على الجانب الظاهري من السلوك، بل وعلى نتائج المساعي التي يضرب الشخص في أثرها.

إن علم النفس أزاح الستار عن أن هناك مواهب شخصية يختص بها كل شخص بحيث يثمر التمرن عليها ويبرزها من حيز الكمون إلى حيز الواقع والأداء، فثمة شخص لديه ميل إلى الممارسات اليدوية يتقنها وثمة آخر لديه استعداد للتمرس بالأفكار والإطلاع على النظريات المجردة وثمة ثالث لديه خيال خصب بحيث يستطيع أن يركب من الذكريات التي مرت به في جهازه المعرفي مركبات خيالية جديدة يقدمها مكتوبة أو مرسومة أو مسموعة أو مجسدة في تمثال، وهناك كثير من المواهب المتباينة سواء تعلقت بالممارسة أم بالفكر أم بالعلاقات الإجتماعية، وعلماء الأخلاق لا يعترفون بشيء مجرد اسمه قوة الإرادة، فإذا ما استخدموا لفظ

الإرادة فلا يستخدمونه باعتبار أنه موجود قائم بذاته، بل باعتباره سلوكاً قائماً في مواقف حية، فقوة الإرادة في نظرهم هي نفس تلك التصرفات الدائبة والإنتاجية المتدفقة التي تصدر عن الشخصية، فهم يقولون إن فلاناً إرادته قوية لأنه ينتج أكثر من غيره في المواقف المتساوية وفي ضوء فرص متكافئة، وقد يتذرعون في مقاييسهم لقوة الإرادة في أحد المصانع بالقطع التي ينتجها كل عامل في متوسط ساعات العمل، فإذا زاد متوسط واحد من العمال لما ينتجه من قطع عن متوسط ما ينتجه كل زملائه بالمصنع ذاته وفي ظل ذات الظروف، فإنه يعتبر في هذه الحال أقوى إرادة منهم جميعاً، ولكن هذا المقياس بقطع الإنتاج وحده لا يكفي، فلا بد لهم من تثبيت باقي العوامل، ولا بد أن يتساوى جميع الأفراد الذين بالموقف في عدة أمور منها مهارة الإنتاج، والقدرة على إنتاج نوعيات متشابهة في المستوى الإنتاجي من حيث الجودة، وهؤلاء العلماء يعترفون بالكميات التي يتم إنتاجها دون الإعتراف بوجود مقومات نفسية يعترفون بوجودها كموجودات قائمة بذاتها.

ولا شك أن الذين يبدأون بالإنتاجية للإشارة بها إلى قوة الإرادة إنما يكونون من ذوي الإتجاهات الواقعية، بينما يعتبر الآخرون بالإتجاه العكسي ـ أي الذين يبدأون بدخيلة الشخص للوصول إلى خارجه إنما يكونون من ذوي الإتجاهات المثالية، ذلك أن المثاليين يعتبرون الداخل هو الجوهر، وأن الخارج ظل لذلك الجوهر، والمهم في نظرهم هو صلب الشخصية وقوة الإرادة المتمركزة في ذاته، ولقد يقولون أن الشخصية قد تكون قوية الإرادة على الرغم من عدم تبدي نتائج تلك القوة في الخارج، أي في تصرفاتهم وإنتاجهم الفعلي، أما الواقعيون فإنهم يعتمدون اعتماداً كلياً على الواقع الفعلي وعلى ما ينتجه الشخص من أعمال فيستدلون منها على ما يعتمل بدخيلته من قوة إرادة.

ومهما كانت محاولات الواقعيين في قياس قوة الإرادة في ضوء الواقع الخارجي وما يبديه الشخص من إنتاجية، فلا شك أن الهدف الأساسي لهم هو اعتماد على الواقع الخارجي ومدى ما يؤثر به الشخص في ذات الواقع ـ أي

الإعتماد على الإيجابيات لا على السلبيات. ولقد ينعي الواقعيون على المثاليين بأن الآخرين قد دأبوا على قياس قوة إرادة الشخص في ضوء ما يديه من قدرة على الإمتناع عن اتخاذ تصرفات معينة، أكثر من اعتمادهم على ما يديه من قدرةعلى إتيان تصرفات من نوع معين، لقد أخذوا مثلاً يقيسون قوة إرادة الشخص بمقدار الساعات التي يستطيع الإمتناع خلالها عن تناول الطعام أو بعدد الساعات التي يستطيع أن يظل خلالها واقفاً على ساق واحدة، أو عدد الأيام التي يستطيع أن يستمر خلالها في صمت مطبق أو مغلقاً الباب على نفسه وحيداً، أو معرضاً نفسه للبرد أو المطر أو الشمس المحرقة.

إن الإنسان منذ ميلاده حتى وفاته يظل خاضعاً لعمليات تكيفية متعاقبة، فمن ينجح في اجتياز تلك العمليات يتقدم في ركب الحياة، ومن يثبت فشله فيها فإنه يضمحل ويتوارى عن الوجود، فعلى الوليد أن يتكيف للبيئة الجديدة التي أخذ ينخرط فيها، وقد ينزلق من البيئة الحشوية في بطن أمه، والتي كان فيها يقوم بعمليات تكيفية ولكن في حدود ضيقة، ولكنه في البيئة الجديدة يجد أنه قد تصادم مع مقومات جدية. من الصعب عليه أن يستوعب جميع عناصرها أو حتى معظم عناصرها دفعة واحدة، فيأخذ في النضال، والنضال هنا داخلي وخارجي، أما النضال الداخلي فهو القدرة على الإحتمال والثبات على قيد الحياة دون أن ينهار فيموت، أما النضال الخارجي فهو في الإستعانة بالعناصر الإيجابية الجديدة كالرضاعة والإلتصاق بجسد الأم أو تقبل ما يقدمه الآخرون ضماناً لغلبته في معركة الوجود، فيرضع ليدرأ عن نفسه الجوع، ويكتسي ليدرأ عن جسده البرد. وهكذا يظل هذا الكائن الجديد يناضل في دخيلته وفي خارجه أيضاً، فعلى الجسم أن يحافظ على درجة حرارة ثابتة مهما تغيرت الظروف الجوية، وعلى الأجهزة الداخلية أن تتآزر فيما بينها بحيث يتم التكامل لمجموع الجسم، فلا تتأخر الرئتان مثلاً عن مد القلب بالأوكسجين الذي يحتاج إليه، ولا يتأخر القلب عن مد الرئتين بالدم النقي المطلوب لتشغيلها. وهكذا بالنسبة لجميع أجهزته لكي تتكامل في كيان بيولوجي يعمل بدقة وفاعلية. أما في الخارج فإن الإنسان مؤثر ومتأثر، معط

ومتقبل، فهو يغير في الوجود من حوله، وهو من وجهة متجاوب مع ذلك الوجود، ولا يتم هذا على المستوى البيولوجي فحسب، بل على جميع المستويات الأخرى التي أشرنا إليها سابقاً، ومن الناحية الإجتماعية يمكن أن نقيس الشخصية وقوتها في ضوء مدى قدرتها على التكيف للظروف المتغيرة، والإفادة من العناصر الجديدة التي تقدم إليها بالمواقف المتعاقبة.

والشخص المتسم بقوة الإرادة هو ذلك الذي يبحث عن تكيفات جديدة يضطلع بها، إنه لا ينتظر حتى يفرض عليه الموقف أن يتكيف، بل إنه يتفحص العناصر ويتنبأ بالمستقبل، مجتهداً في الوقوف على متغيرات الحاضر عن الماضي وما سوف يحمله المستقبل من متغيرات جديدة.

وهناك نوعان من التكيف على الإنسان الحديث أن يحققها: النوع الأول تكيف للتراث والقيم المتوارثة، والثاني تكيف للمتغيرات التي وقعت وضرورة القيام بتعديل التراث بحيث يماشي التغيرات الجديدة. وقد نلاحظ معركة محتدمة بين المتحمسين للتراث من جهة، وبين المتحمسين للواقع الآتي من جهة ثانية، وقد يتهم الآخرون الأولين بأنهم رجعيون، بينما يتهم الأولون الآخرين بأنهم متطرفون هدامون، لكن التوافق بين التراث وبين الواقع الحاضر ممكن على الرغم من صعوبته.

إلى جانب المعيارين السابقين لقوة الإرادة من الناحية الإجتماعية وهما الإنتاجية والتكيف للواقع الخارجي، هناك معيار ثالث هو التفتح العقلي والإستمرار في النمو الثقافي، ذلك أن الإنسان ليس مجرد آلة استقبال تسجل عليها الخبرات التي ترد إليها، وإنما يسعى الإنسان إلى مصادر الخبرة كما أنه يقوم بعمليات تقويمية فيقارن وينتقي مما يقدم إليه. من هنا كان لا بد للمثقف من إرادة ثقافية يتذرع بها في تحقيق الأمن الثقافي بداخله، ومعنى الأمن الثقافي عدم السماح لكل فكرة بالدخول أو الإعتمال، بل لا بد من التفتيش عليها قبل الإذن لها بالدخول أو الإختمار مع باقي الفكرات الأخرى، ومعنى هذا أن الرقيب الإرادي

يقف بالمرصاد، إنه يتصفح الكثير من الفكرات، ولكنه لا يسمح بالدخول والإندماج إلا لتلك الفكرات التي تنسجم مع الفلسفة الشخصية، فالمعرفة بهذا تختلف اختلافاً جذرياً عن الثقافة، فنحن نعرف الكثير لكننا لا نتفاعل إلا مع ما ينسجم معه.

ومن المجالات التي تعد مجالاً للإرادة مجال القيادة والتبعية، إن الإنسان في مواقف حياته المختلفة لا بد أن يتخذ موقفاً من ثلاثة مواقف: إما تابع، وإما ند، وإما زعيم. وفي جميع هذه المواقف الثلاثة يجب أن تعتمل الإرادة في شخصية الإنسان بطريقة أو بأخرى. ويخطيء من يعتقد أن التبعية ليست بحاجة إلى قوة إرادة، ويعزو قوة الإرادة إلى الزعامة فحسب، وليس من شك في جميع مواقف حياتك بحاجة إلى قوة إرادة وإلى توجيه لإرادتك من أجل النجاح والتلبس بالدور الإجتماعي الذي تتوج به. يقول علماء النفس الإجتماعيين أن المساجين أنفسهم بحاجة إلى قدر معين من التعاون مع جلاديهم حتى يتسنى لأولئك الجلادين السيطرة عليهم وإدارة شؤون السجن بنجاح، فلكي تنجح في موقفك كتابع، فإنك تكون بحاجة إلى بذل جهد إرادي بقدر معين، وبغير ذلك القدر من الجهد الإرادي فإنك لا تصلح لأن تلعب دور التابع بنجاح.

ومما لا شك فيه أنه لا يوجد احتكار بالنسبة للمكانة الإجتماعية التي يحتلها الشخص، فهناك أولاً التنافس المستمر بين أفراد المجموعة الواحدة مما يؤدي إلى هبوط بعض الأفراد وارتفاع أفراد آخرين إلى مستويات أعلى. ومن جهة ثانية فإن الشخص عندما يترك مجموعته ويندرج في نطاق مجموعة أخرى، فإن ما يتمتع به من قوة إرادة قد يقل أو يزيد عما يتمتع به بعض أفراد المجموعة الجديدة، ومن ثم فإنه يحتل مكانة معينة بالمجموعة الجديدة حسب قوة إرادته التي يتمتع بها.

ولعل قائلاً يقول: إن الحدس لا يتوافر للشخص إلا إذا كانت لديه قدرة خارقة لا يتوافر للأشخاص الآخرين، فقد نرد على هذا الزعم بأن الأصل في الإنسان أنه حدسي، وقد كان في الأصل البعيد إلهامياً، نعم إننا نؤكد أن الإنسان

قديماً كان يسير في حياته بالإلهام اللدني، ولكنه قد خالط الواقع المادي فإنه نزل إلى مرتبة الحدس، حيث صارت حياته مسيرة بمركب من الروح والمادة. وأخيراً وبعد انغماسه في الواقع المادي فإنه فقد الموهبة الحدسية ولم يعد يتذرع إلا بالمعرفة الحسية، ومعنى هذا أن البسطاء جداً من الناس ما يزالون يتمتعون بالمرتبة الإلهامية، وأقل منهم بساطة يتمتعون بالمرتبة الحدسية، وبالتالي فإن الإنسان قد اعتقد بارتباطه المباشر بعالم الواقع المحسوس، فقد صار كائناً معرفياً لا يعتمد إلا على عقله، وقد أخذ في عزل وجدانه بل وعزل إرادته عن جوهر حياته ومجرياتها، ومن ثم فإن الإنسان الحديث صار ثلث إنسان بعد أن كان إنساناً كاملاً في البداية.

الفصل الرابع والثمانون

أمراض الإرادة

إننا في حياتنا اليومية العادية، نجد أنفسنا في بعض المواقف عاجزين عن اتخاذ قرار أو الإقدام على الإضطلاع بتصرف معين، وعندئذٍ نفسر عجزنا عن إصدار القرار أو عن إتخاذ التصرف بأن هناك في الموقف الواحد نشأ دافعان متضادان أبطل كل منهما الآخر وشل قدرته عن العمل. ولنضرب لذلك مثلاً بالشخص الذي شب حريق في شقته الواقعة بأحد الأدوار العليا، فحاصرته النيران بحيث لم يكن أمامه حل إلا واحد من حلين: إما أن يقفز من الشباك إلى الشارع فيعرض نفسه للموت، وإما أن يمر داخل النار ليصل إلى باب الشقة ليلوذ بالفرار، وهذا يعرضه أيضاً للموت. إن المتوقع من هذا الشخص أن يتوقف عن التصرف بحيث تعجز إرادته عن اتخاذ القرار والإقدام على التصرف، وذلك لأن الدافع للنجاة من الشباك لا يحظى بكبير أمل مثلما يحظى الدافع للنجاة بالمرور في وسط النار الملتهبة.

ولنضرب مثالاً آخر ولكنه في هذه المرة مثال إيجابي يتعلق بدافع عاطفي. هب أنك في حفل وفجأة أعلن المذيع في الحفل أنك ربحت جائزة من جائزتين، وعليك أن تختار من بينهما جائزة واحدة في نصف دقيقة، فإن لم يقع اختيارك على واحدة منهما فإنك لا تحصل على شيء وتضيع عليك الجائزة، والجائزتان هما

تذكرة للسفر إلى إحدى الدول الأوروبية، حيث يقطن أخوك الأكبر، وأنت في شوق شديد إليه، أما التذكرة الثانية فهي أيضاً تذكرة للسفر إلى دولة عربية حيث يعمل أخوك الأصغر، وأنت في شوق شديد إليه أيضاً، والتذكرتان ذهاباً وإياباً، وسعر كل منهما مساو للأخرى، إنك ستجد نفسك وجهاً لوجه أمام دافعين متساويين، فكل من الجائزتين عبارة عن تذكرة سفر بالطائرة ذهاباً وإياباً، وكل منهما توصلك إلى رؤية أخ حبيب إلى قلبك، وسعر كل منهما مساو لسعر الأخرى. الأرجح في مثل هذا الموقف أنك ستجد نفسك وقد أضعت النصف دقيقة دون أن تحسم الموقف، ومن ثم تضيع عليك الجائزة؛ والسبب أن إرادتك وقفت عاجزة أمام الإختيار، بيد أن السبب هنا ليس سبباً يتصل بمرض بإرادتك، وإنما يتعلق بعدم رجحان كفة من الكفتين على الأخرى، ولكن هناك حالات مرضية يظل الشخص المريض نفسياً عاجزاً خلالها عن إتخاذ أي قرار أو انتهاج أي تصرف من أي نوع، ويسمى هذا بالعجز الإرادي، وهذا العرض المرضي الذي قد يصيب الشخصية يتخذ شكلاً مضاداً للإرادة الهائجة أو المتهورة، بيد أنه ينبغي ألا نعتبر الحالات المتطرفة وحدها هي التي أصيب أصحابها بالمرض الإرادي بل يجب أن نعتبر أيضاً تلك الحالات الخفية التي تصيب الإرادة ضمن حالات المرض الإرادي سواء اتخذ العرَض المرضي شكل عجز إرادي أو تهور إرادي.

وإنك لتجد المريض بالعجز الإرادي الحاد وقد فقد القدرة على الحركة، ولكن فقدانه ذاك لا يعزي إلى خلل في العضلات أو في مراكز المخ المسيطرة على الحركات. ويقسم علماء الصحة العقلية تلك الحالات إلى أربعة أنواع هي: حالات العجز الحركي الحزين، ثم حالات العجز الحركي التخشبي، ثم حالات البلادة الشعورية، وأخيراً الحالات الهستيرية. وأكثر الحالات انتشاراً هي الحالات التخشبية التي تتسم بتأخر ملحوظ في إتيان الحركات والصعوبة في الكلام إلى حد الوصول إلى البكم الكامل والسلبية والخضوع الكاملين، فبعض المرضى ينفذون ما يؤمرون به أياً كان، بينما ينفذ البعض الآخر منهم عكس ما يقال لهم على

طول الخط، وليس هناك حد فاصل بين النوعين، ذلك أن بعض هؤلاء المرضى المطيعين تنتابهم فترات من العناد بحيث ينفذون عكس ما يطلب منهم، كما أن بعض المرضى المقاومين الذين ينفذون عكس ما يطلب منهم تمر عليهم أوقات يرضخون خلالها لكل ما يطلب منهم. وثمة ما يعرف بالمرونة السمعية بين مرض العجز التخشبي، فالوضع الذي تحرك وفقه ذراع أو رجل يظل مستمراً بغير تغيير، وكأن المريض وقد صار دمية طيعة لما تشكل وفقه اليدان أو الرجلان أو اتجاه الجسم، ويظل المريض ساكناً إلى أن يسقط بسبب عدم اتزان وزنه. وفي حالة العجز الحركي الحزين يجد المريض نفسه عاجزاً بصدد اختيار الكلمات التي يعبر عنها، فيفشل في الوقوف على ما حوله من أشياء، نعم إن فشله هذا قد لا يرتكز على أساس معرفي، بل على أساس إرادي، إنه يكون واعياً بكل ما يدور حوله وبكل تفصيلاته، كما أنه يستشعر الرضى أو السخط قبالته، وقد ترتسم في ذهنه كل تفاصيل التصرف الإرادي الذي ينبغي أن يشكل رد فعل مناسب للموقف الخارجي، ولكنه لا يستطيع أن يخرج من نطاق الصور الذهنية والوجدانات الثائرة إلى حيز السلوك الأدائي، فهو يبدو للرائي وكأنه غائب في سبات عميق وقد انفصل عن الواقع الخارجي، بينما تكون الحقيقة خلافاً لذلك على طول الخط، إذ أنه يظل مرتبطاً بما يدور حوله، ولكن ارتباطه به يكون ارتباطاً ذهنياً وجدانياً، وليس ارتباطاً أدائياً عملياً.

وقد نتساءل هل يحس المريض فعلاً بالألم أو البرد أو الجوع؟ نعم إنه يحس بكل ذلك، وتتشكل لديه صورة ذهنية عن ذلك الإحساس، كما أنه يحس بالضيق والتبرم. ولكن الذي يعجز عن الإتيان به هو ذلك التعبير الإرادي عما يحس به، ذلك أنه قد انقطع الوصل بين الداخل والخارج بحيث لا يستطيع أن ينقل ما يحس به إلى من حوله ولا يستطيع أن يصوغ إحساساته ومشاعره في ألفاظ أو حركات أو حتى ملامح معبرة تعبيراً واضحاً، بل يظل ما يعتمد في دخيلته حبيس ذاته ولا يجد له منفذاً إلى الخارج.

وفي حالات العجز الإرادي الهستيري يكون المريض مصاباً بالشلل الكامل أو الجزئي، بحيث لا يستطيع تحريك الجسم كله أو بعضه حسب الحالة، وفي هذه الحالات الهستيرية فإنك تجد المريض سليماً من الناحية العضوية ولا يكون هناك تفسير لما يبين عنه من عجز حركي، فالمخ سليم والعضلات المسؤولة عن إتيان الحركات سليمة تماماً، ولكن العجز الحركي يرتد بصفة أساسية، بل بصفة كلية إلى حالات نفسية ألمت بالمريض مما انتهى به إلى فقدان القدرة على إتيان الحركات المناسبة. وكما أن الفضيلة وسط بين رذيلتين إما إفراط وإما تفريط، كذلك فإن الصحة النفسية السوية هي حالة وسط بين مرضين نفسيين: إما عجز وإما تهوّر، ولقد تناولنا عجز الإرادة، وعلينا أن نتناول تصور الإرادة باعتبار أن الإرادة المتهورة حالة نفسية مرضية لا تقل خطورة عن حالة الإرادة العاجزة، وكما أن أطيافاً من المرض النفسي في الإرادة العاجزة تبدأ من الحالات التي يعتبرها معظم الناس حالات عادية أو سوية وتتدرج في الإشتداد والتعقد حتى تنتهي إلى أشد الحالات المرضية عجزاً في الإرادة، كذلك هناك أطياف من المرض النفسي في حالات الإرادة المتهورة، بحيث تبدأ من حالات خفيفة لا يعتبرها الناس في العادة ضمن نطاق مرض التهور الإرادي، بل يعتبرونها ضمن حالات النزق أو عدم التريث وضيق الصدر أو يعتبرها البعض لوناً من الشجاعة أو الصراحة والإقدام، ثم تتزايد تلك الحالات شدة بحيث لا يتسنى لعامة الناس اعتبارها ضمن الحالات السوية، بل يعتبرونها واقعة في نطاق جنون تهور الإرادة. وهناك أساس فسيولوجي لكل من العجز والتهور الإراديين، فالمخ محكوم بقانونين: أحدهما قانون الكف أو الضبط، والثاني قانون الدفع أو التعبير إلى الخارج، وكل من هذين القانونين يأخذ في جذب الشخصية إلى نطاقه، والوضع الأمثل للشخصية هو أن تحقق حالة من التوازن بين الطرفين الجاذبين: الكف من جهة والدفع من جهة أخرى، بيد أن كفة من الكفتين تتغلب في معظم الحالات، بحيث نجد بعض الناس ترجح لديهم كفة الكف، بينما ترجح لدى آخرين كفة الدفع. وهناك حالات من التهور الإرادي تتخذ شكلاً إيجابياً حسناً خلافاً للحقيقة، فهناك أشخاص تأخذهم

الشفقة على الفقراء فيتبرعون بجميع ممتلكاتهم لهم بغير أن يفطنوا إلى العواقب الوخيمة التي تنتظر أبناءهم وذويهم، وهناك أيضاً أشخاص ينخرطون في نوبة من الكرم فيقيمون الولائم لأصدقائهم في مناسبات هامة أو عارضة حيث ينفقون ببذخ شديد يأتي على ممتلكاتهم ويعرضهم للفاقة؛ ومن الناس من يتأثر بموعظة في مسجد فيترك كل شيء ويبدأ في الزهد والتصوف، طبيعي أنه إذا ما استمر الشخص على الحالة الجديدة التي شق طريقه فيها ووجد سعادته المنشودة خلالها فإنه يكون شخصاً عاقلاً، ولكن إذا ما انخرط الشخص في سلك التصوف لفترة وجيزة ثم انقلب من تلك الحال إلى حال أخرى مباينة تماماً فإنه يكون من المصابين بالتهور الإرادي.

وفي الحياة الزوجية قد تجد الزوج أو الزوجة وقد أصيب أحدهما بهذا المرض الإرادي، إن الزوج من هذا النوع قد يفرض تصرفات معينة غير معقولة على زوجته، وقد تكون الزوجة مرموقة اجتماعياً وقد احتلت مكانة ممتازة في العمل بين زملائها، ولكن الزوج وقد أصيب بهذا المرض يفرض عليها بغير مقدمات أو أسباب ضرورة ترك عملها حتى بغير تقديم الإستقالة، إن عليها أن تمكث في البيت، وإذا ما سألته عن أسباب ذلك، فإنه يهاجم في الصميم ولو بالشتم أو الضرب. وفي الحياة العامة قد نقابل أشخاصاً من هذا النوع في وسائل المواصلات أو غيرها فيفاجئك بالشتم وأشياء لا تتوقعها مما يضطرك إلى الدفاع عن نفسك أو الهرب من ذلك المجنون، وطبيعي أنه ينتحل حجة يبرر بها عدوانه رغم أن الحجة واهية في نظر جميع الموجودين.

وكما أشرنا بأن هناك حالة من التردد بين العجز الإرادي وبين التهور الإرادي، فإن هناك حالة مرضية أخرى هي تذبذب الإرادة وتدعى باسم «الجنون الدوري» وهي حالة مرضية نادرة نسبياً تصيب الشباب، وينخرط المريض بها في حالتين، إحداهما تتسم بالهوس، والثانية تتسم بالإكتئاب والهبوط. فعندما تجد المتذبذب إرادياً في حالة متطرفة من الفرح الشامل أو من الحزن المخيم، فحري

بك أن تتركه في حاله وألا تقاومه وألا تجاريه في الوقت ذاته.

أشرنا سابقاً بأن الإنسان مثلث الزوايا في نشاطه الإرادي، فهناك الجانب المعرفي، ثم الجانب الوجداني، ثم الجانب الأدائي، وهذا يعني أن السلوك يمكن أن يكون سلوكاً ذهنياً، ويمكن أن يكون سلوكاً وجدانياً ويمكن أن يكون سلوكاً أدائياً، وبتعبير آخر نقول أن هناك ثلاث إرادات لدى الإنسان: إرادة ذهنية وإرادة وجدانية وإرادة أدائية، وقد يحدث خلل في إرادة من هذه الإرادات الثلاث بحيث يجد الإنسان نفسه غير قادر على الإنتقال من فكرة إلى فكرة جديدة، أو من وجدان إلى وجدان ثان، أو من أداء إلى أداء آخر، إنه يجد نفسه دائراً في حلقة مفرغة لا سبيل إلى الخروج من إطارها، إنه يظل دائراً في حدود الفكرة ذاتها أو الوجدان ذاته أو الأداء ذاته بغير أن يكون قادراً على الخروج إلى فكرة أو وجدان أو أداء جديد. ويسمي علماء الصحة النفسية الحالتين الأوليين أي الدوران في حلقة ذهنية وفي حلقة وجدانية بغير انقطاع أو بغير تمكن من الخروج من نطاقها باسم «الوسواس»، بينما يسمون الدوران في حلقة أدائية بغير انقطاع أيضاً باسم الأعمال القهرية. وقد يحدث لأي واحد من العقلاء في وقت أو آخر أن يسيطر عليه وسواس أو عمل قهري، ولا يكون التفسير بالجنون الذي لا رجعة فيه، بل يكون بالتعب الذي أحدث نوعاً من عدم الإتزان في المخ بين مبدأي الكف والدفع؛ وفي الحياة الزوجية قد يسيطر الوسواس على عقلية الزوج أو عقلية الزوجة فيعتقد الواحد منهما بأن الطرف الآخر يتحين الفرصة لخيانته. ومهما أخذ الزوج أو الزوجة في الدفاع عن النفس والبرهنة على الحب والوفاء والإخلاص، فإن الفكرة المسيطرة تظل سائدة مما ينتهي في معظم الأحيان إلى انفصام عرى الزوجية بالطلاق أو بالفراق. وقد يشكل وسواس الفشل عائقاً أمام تقدم الشخص في الحياة العملية، إنه ما يكاد يبدأ في أي مشروع حتى يسيطر عليه الشك والوسواس بأن مشروعه مشروع فاشل، والأجدر به أن يهجره إلى مشروع آخر أفضل منه، وما يكاد يبدأ في المشروع البديل حتى يصير حظه في نظره ليس أفضل من حظ المشروع السابق.

وأخيراً نأتي في نهاية المطاف بالنسبة لأمراض الإرادة بمرض معروف باسم «الشخصية السيكوباتية». والمرض السيكوباتي لا يتعلق بالعقل أو بالشعور، بل يتعلق بالتصرفات والتوافق الذي لا يكون متوافراً للمصابين به بينهم وبين العالم من حولهم، ويقع في نطاق هذه الفئة من الناس سيئو السلوك والمحتالين والتعساء غير القانعين بوضعهم باستمرار والذين تقع عليهم العقوبات باستمرار بسبب تعدياتهم ولكن بغير ما جدوى وبغير أن يؤدي ذلك إلى تعديل سلوكهم أو أن يخفف من أسباب شقائهم أو ما يسببونه من شقاء لمن حولهم.

بيد أنه ينبغي أن نضع في اعتبارنا أن تحديد الشخصية السيكوباتية وتمييز الشخص السيكوباتي من غير السيكوباتي من الصعوبة بمكان، ذلك أن ظواهر السلوك الرديء كالعكوف على إدمان الخمر أو تعاطي المخدرات أو الإساءة إلى الآخرين أو عدم التوافق مع البيئة الإجتماعية المحيطة إلى غير ذلك من الأعراض السلوكية ليس بالضرورة أن يكون مرتكزاً على أساس نفسي مرضي، بل قد يكون مرتكزاً على أساس أخلاقي تربوي، فهناك إذن فئتان من الناس يمكن أن يشار إليهما باعتبار أنهما رازحون تحت سوء التوافق الإجتماعي: فئة سيكوباتية وفئة أخرى أخلاقية، ولعل التمييز بين هاتين البيئتين يكمن في معيارين: المعيار الأول الشمول، والثاني وجود عوامل بنائية عضوية وانفعالية.

والسيكوباتيون أشخاص سريعو الإندفاع ومستهترون وغير مستعدين لقبول نتائج الخبرة التي يمرون بها وعاجزون عن الإفادة منها، كما تنقصهم المثابرة ومواصلة العمل حتى النهاية، كما تتسم حياتهم بكثرة التنقل من عمل إلى آخر، ولا يستطيعون أن يكوّنوا أصدقاء لهم.

وشأن السيكوباتية شأن السرطان، إن هذا المرض يبدأ ظاهرياً في المراهقة والشباب، ولكنه بالتأكيد ظل معتملاً في الخفاء خلال مراحل النمو السابقة للمراهقة. فالسيكوباتي الكبير، وقد ولد لديه مقومات وراثية غير مواتية يستحيل سيكوباتياً آثماً ماكراً بسبب انحراف الأسرة أو المدرسة.

الفصل الخامس والثمانون

كيفية تقوية الارادة

يجب أن نضع نصب أعيننا أن تعديل السلوك لا يقف عند سن معينة، بل هو مستمر طالما أن الإنسان على قيد الحياة. بيد أن السلوك يكون ذا حدٍ أوسع كلما كان الشخص أصغر سناً، فتعديل السلوك في الثانية من العمر أوسع نطاقاً من تعديل سلوك الشخص نفسه وقد بلغ الثانية عشرة، وتعديل نفس سلوك الشخص في هذه السن الأخيرة أكثر احتمالاً وأسرع منالاً من تعديل سلوكه وقد بلغ الخامسة والعشرين، وهكذا. وقد نتساءل: هل مرونة الشخصية في تعديل سلوكها بيد الشخص أم أنها قد فرضت عليه؟الإجابة أن المرونة أو الجمود في السلوك مرهون بإرادتنا، فكلنا نستطيع أن نتعلم المرونة كما نستطيع أن نتعلم الجمود، وبمقدار مرونتنا على المرونة نكون مرنين، وبقدر مرونتنا على الجمود نكون جامدين. ولكي تقوي إرادتك لا بد من التمرن على العصيان الإرادي، بحيث تعرف النقطة التي يجب أن تعلن عصيانك بإزائها، وأن تعرف نوعية العاطفة التي يجب توظيفها في الموقف بنجاح لإعلان عصيانك، وأن تقف على التصرفات الجديرة بالاتباع، كل ذلك في شجاعة وإقدام، والشجاعة لا تتأتى لنا إلا بالممارسة والوقوف وجهاً لوجه أمام الموقف المناهض لنا، ولا يمكن أن يعلمك أحد كيف تكون شجاعاً، وإنما يجب أن تدرب نفسك على الموقف الشجاع. إذن لا سبيل أمامك إلا أن

تغربل ما ترسب في أعماقك من خبرات جيدة ورديئة لكي تبدأ عصيانك الإرادي، وذلك بالالإلقاء في سلة المهملات بكل ما فرض عليك من قيود عقلية ووجدانية وأدائية، وهذا بالطبع ما فعله كثير من الفلاسفة وغيرهم، إنك بعد التمحيص في حياتك ومراجعتها تأخذ قرارك برفض ما يجب رفضه، وبقاء ما يجب بقاؤه. وهكذا تكون قد قمت بعملية تنقية ما لديك من حصيلة وخبرة، بعدها تستطيع أن تقوم بشق طريق جديدة، إن هذه الغربلة ليست من السهولة بمكان، بل هي بحاجة إلى شجاعة كبيرة من النفس، ذلك أن الحكم على بعض مقومات خبرتك بالإعدام يشق على النفس، وبحاجة إلى شجاعة منقطعة النظير، ناهيك عن أن شقك لطريق جديدة في التفكير والعاطفة والممارسة لمِمَّا يحتاج أيضاً إلى إقدام يعز على الكثيرين الحصول عليه والتمتع به.

هناك اختلاف أساسي بين الكبت والقمع. فالكبت اصطلاح أدخله «فرويد» في علم النفس للتعبير عن عملية تتم في اللاشعور مؤداها حبس الرغبات والمخاوف بحيث تظل بعيدة عن مجال الشعور ـ أي أنها تظل بعيدة عن وعي الشخص ووقوفه عليها ـ ولكن تلك المكبوتات لا تظل خابية بالداخل في حالة إنكماش أو ضمور أو كمون، بل تعمل عملها وتعبر عن نفسها في طريق مشوب بالإستخفاء والتمويه، فبعض المخاوف تعبر عن نفسها بشلل هستيري في اليدين أو الرجلين أو بعمى يصيب العينين أو صمم يصيب الأذنين، كما أن المكبوتات قد تجد لها تعبيراً في الأحلام برموز تبعد كثيراً أو قليلاً عن الأشياء الأصلية التي ترمز لها، كما قد تجد لها تعبيراً في مرض ما عن أمراض الشخصية أو في نوع من أنواع الجنون كجنون العظمة أو الوسواس والأعمال القهرية أو غير ذلك من العصابيات.

أما القمع فهو عملية إرادية شعورية يقف القامع على أنحائها ويستهدف من ورائها أن يكون أكثر تكيفاً للمجتمع الذي يعيش فيه وأكثر قدرة على الإحتفاظ بثقة الناس فيه واحترامهم وحبهم له. وبناء على هذين المفهومين لكل من الكبت والقمع، نستطيع أن نقول بأن الكبت عملية باعثها نفسي، بينما باعث القمع

أخلاقي، وبالتالي فإننا عندما نطالب شخصاً ما بعمل شيء بإزاء تحقيق نوع من السلوك الإنضباطي، فإنما نحثه على القمع الإرادي.

وقوة الإرادة إذا كانت ترتكز على ثلاث دعائم، وهي القدرة على قمع الرغبات من جهة، والقدرة على قمع المخاوف من جهة ثانية، والقدرة على قمع الغيظ من جهة ثالثة؛ فإن التمرس بهذه المناشط الثلاثة عن قصد وتخطيط وتنظيم ينتهي بلا شك إلى تمتع الشخص المتمرس بقوة في إرادته، وإلى التمتع بلياقة أخلاقية في علاقاته الإجتماعية وفي مدى قدرته على التكيف مع المجتمع الذي يعيش فيه، بل ويكتسب مرونة اجتماعية معينة تؤهله للعيش بنجاح في كثير من المجتمعات حتى تلك التي تختلف كثيراً أو قليلاً عن المجتمع الذي نشأ فيه.

لا شك أن حياة الجدة أفضل من حياة الرتابة، وأن انتهاج خط جديد أفضل من الإلتزام بخط بال قديم، وأن التفتح على آفاق رحبة جديدة أفضل من الإنغلاق في ضيق قديم، ولكن هل معنى هذا أنه بمقدورنا أن نعيش على الجديد باستمرار، وأن ننبو عن القديم بمجرد تفتحنا على الجديد؟ إننا لا نعني بالجديد رفض القديم، بل يجب تخصيب القديم بالجديد بمجرد اكتشاف طريقة جديدة للممارسة، ومعنى هذا أننا ندعو إلى التشبث بالقديم وأننا لا بد نعتز به ونعمد إلى إشاعة الحيوية في نطاقه بحيث يكون قديماً متجدداً لا قديماً بالياً، والحياة الروتينية لا يخلو صوابها إذا كانت محكمة، وقد تحضرنا هنا شخصية فلسفية هامة اشتهرت بين الفلاسفة بالتزامها بالروتين اليومي الذي وضعته لنفسها، وكان له أكبر الأثر في إنتاجها الفلسفي، إنه الفيلسوف الألماني «كنط» لقد كان يستيقظ في وقت معين وقد أخذ ينظم وقته بطريقة صارمة، وكان في تناوله لموضوعات دراسته ينهج نهجاً معيناً لا يحيد عنه قيد أنمله، ولم يقل أحد أن «كنط» لم يكن مجدداً، بل قيل عنه أنه سيطر على الفكر الفلسفي مدة طويلة جداً لدرجة أنه صار خطراً على المفكرين من بعده بسبب صعوبة مقاومة فلسفته أو زحزحتها بفلسفة جديدة تحل محلها.

لا نستطيع أن نتخيل شخصاً قوي الإرادة لا يخطط لنشاطاته المقبلة ولا يعمد

إلى الإضطلاع بها وتنفيذها، فالإرادة إقدام، والإقدام تقدم خطوات إلى الأمام، أما أن يقف الشخص ثابتاً في مكانه بغير تقدم فمعنى ذلك أنه تحوَّل إلى شيء جامد، وأن إرادته قد تقلصت وعزيمته قد فترت وحيويته قد أفلت ونشاطه قد خبا وشخصيته قد اضمحلت.

ومن أهم ما يتصف به المخطط الإرادي قدرته على إعداد الإمكانات اللازمة للحركة الإرادية، ثم العمل على إزالة المصاعب من طريق التنفيذ، ورسم الخطة الفعالة لتحقيق التعاون مع الآخرين، وإعادة الطاقة النفسية اللازمة للتحرك الإرادي، والقيام بالمفاضلة بين عدة مواقف يتم الخيار من بينها، ولقد تصادفك عقبات إزاء وضع الخطة لنفسك وإزاء القيام بتنفيذها، فلقد يساورك إحساس بالنقص يتعلق بمدى قدرتك على التخطيط والتنفيذ، وربما يكون ذلك الإحساس ناجحاً عن اعتيادك تلقي الخطط ومقومات تنفيذها عن غيرك ممن يكبرونك سناً أو علماً أو مكانة، إن كثيراً من الناس قد نشأوا منذ نعومة أظافرهم على النظر إلى أنفسهم باحتقار، وعلى النظر باحترام إلى ما يقدمه الآخرون لهم، ولعل هذا هو السبب الذي يحدو بالكثيرين إلى تقديس غيرهم واحتقار آرائهم الشخصية وتنازلهم أمام آراء الآخرين بانصياع واضح.

وقد يحدث أنك تظن أن التخطيط الذي وضعته هو تخطيط لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولكنك سرعان ما تكتشف أنك قد أغفلت ناحية أو أكثر كانت سبباً في فشل خطتك، ماذا تفعل إذن؟ هل ستحس بالإحباط والفشل المزري؟ وهل سيحملك هذا الموقف على التخلي عن التخطيط والتنفيذ في المستقبل؟ ننصح بأن تستفيد من فشلك تماماً كما تفيد من نجاحك، ادرس الناقص في خطتك بطريقة جادة وموضوعية، فلا بد أنك تستطيع في خططك القادمة تفادي ما ترديت فيه من أخطاء أو العناية بما أغفلته من جوانب لها اعتبارها، ولسوف تستطيع بالتأكيد أن تراعي ذلك منذ الآن، فلا تيأس ولا يفت الفشل من عضدك، بل أسع إلى التخطيط الدائم والتنفيذ الدائب. إنه ما من إنسان إلا وتشوبه بعض

الأخطاء ونقاط الضعف المتباينة التي يختلف فيها شخص عن آخر، وهناك نوع من الجنون يصيب بعض الناس بدرجات متفاوتة مؤداه أن الشخص يعتقد أنه لا يخطيء بل هو منزه عن كل خطأ، وطبيعي أن هذه العصمة الجنونية ما هي إلا إغفال للواقع النفسي في الحاضر وفي الماضي وفي المستقبل، ومن الناس من يخدره مديح الناس وثناؤهم عليه فيبقى مصدقاً لأقوالهم وهو في غفلة عن ضعفه، فيسارع إلى تكذيب نفسه وتصديق الناس، ذلك أن ما يعرفه عن نفسه مؤلم له، بينما الذي يقوله الناس عنه يلذ له ويهبه الراحة النفسية الزائفة، ومن هنا يعزف عن فكرته عن نفسه ويستبدل بها مديح الناس.

كما أن صنفاً من الناس يكذب ويتظاهر عن غير حقيقته، فيصدقه الناس أو يتظاهرون بالتصديق، ثم يأخذون بترديد ما قاله عن نفسه، فيأخذ هو بدوره في تصديق كذبه الذي قاله للناس، لدرجة أن تصديقه لكذبه يصل إلى حد الإيمان الأعمى بما ادعى. ومن الناس من لا يتقبل نقداً يوجه إليه معتبراً كل نقد سبة في وجهه وحطاً لكرامته وإهانة لا تغتفر، ومنهج من يؤنبه ضميره على غير ما ألمّ به من ضعف أو ما تعرض له سلوكه من مزلق، تأنيباً مبرحاً يهدد كيانه النفسي ولربما يرميه بالجنون.

فالتأمل الذاتي هام جداً في الوقت بأمانة وموضوعية على الأخطاء ونقاط الضعف، فليس بكاف أن نجابه الأحداث ونتصرف بإزائها بما يمليه علينا الطبع أو بما نستلهمه من مقومات الموقف، بل يجب علينا أن نقدم إلى أنفسنا كشف حساب يومي، ويحسن أن يتم ذلك قبل النوم بحيث نستعرض أحداث اليوم، وأن نحدد في ذلك الشريط الذي ينبغي علينا نهجه وما يجب علينا إسقاطه. فكرس جهدك لهدف إصلاحي سواء في قطاع الفكر أو في قطاع الوجدان أو في قطاع السلوك الإجتماعي أو السلوك الأخلاقي، ولتبذل خلال الفترة التي تخصصها لذلك الغرض كل الطاقة وكل السعي لإحراز أكبر قدر من اصلاح أخطائك ونقاط ضعفك.

ولا تنس وظيفة المثل العليا التي تستلهمها ممن يحيطون بك أو ممن سبقوك في

هذه الحياة وكانوا عنواناً يجب احتذاؤه في سلوكك، إنك إذا ما عمدت إلى دراسة الشخصيات العظيمة وكيف نجحت حياتها فإنك بلا شك تكون أقدر مما عليه حالك اليوم في إصلاح ما اعوج من شخصيتك وعلاج نقاط الضعف في سلوكك، فعليك بحسن اختيار مثلك العليا.

الباب الثامن

- الوساطة
- الجلاء
- قراءة الأفكار
- الطرح الروحي

الفصل السادس والثمانون

الوساطة

إن الظواهر الوساطية ترعرعت عن محض دراسة معملية لظواهر تعرف الآن باسم الظواهر الوساطية . أو فوق العادية أو غير المألوفة ، وهي لا تخضع لقوة أي إنسان ، بل حتى الوسيط نفسه لا يدري كيف تحدث ولا متى أو لماذا ، وليس لها سن معينة أو مكان معين ، فقد تظهر مبكرة أو متأخرة ، وقد تتطور مع الوقت وتنمو وتضعف ، وقد يفقد الوسيط موهبته لسبب لا يعلمه وقد تعود إليه بعد وقت طويل أو قصير أو لا تعود أبداً ، وهي لا تخضع لسلطان مجرب ، فدراسة هذه الظواهر أشبه ما تكون بدراسة ظواهر الطبيعة المختلفة التي يقتصر دور العلم المادي على تسجيلها ، وكل ما يملكه الوسيط أو العالم بشأن هذه الظواهر هو تهيئة الظروف التي قد تبدو موآتية لتيسير حدوثها إذا ما توافرت له باقي الأسباب المطلوبة ، ومن هذه الظروف الهدوء والتنظيم في مواعيد معينة والمواظبة والضوء الخافت أو الأحمر، والتوافق بين الجماعة عن طريق الصلاة أو الموسيقى الهادئة أو الأناشيد، وعلى أي فإن نجاح الجلسة يتوقف على توافق الأشخاص الموجودين فيها إذ أنهم يكوّنون أجزاء من بطارية وساطية واحدة يتوقف على نوعها وعلى قوتها نوع الظواهر الوساطية التي قد تحدث وقوتها .

إن الوساطة التي خضعت للتحقيق العلمي متنوعة تنوعاً كبيراً ، وقد ميز بين

نوعين منها: عقلية وفيزيقية، فالعقلية ليس لها كيان مادي خارجي، وهي قدرات عقلية غير عادية يتمتع بها بعض الأشخاص النادرين تمكنهم من الأنباء عن أمور صحيحة تصل إلى عملهم عن طريق الحواس الخمس، وقد يطلق عليها «ظواهر الإدراك عن غير طريق الحواس». أما الفيزيقية فلها مظهر مادي محسوس ومستقل عن عقل الوسيط، وربما تجمع الظاهرة الواحدة بين خصائص النوعين معاً.

كل الظواهر الوساطية توصف بأنها غير مألوفة أو فوق المألوفة، وكلها تمثل قدرات تنتمي إلى ملكات غير عادية ولكن لا يصح وصفها بأنها فوق الطبيعة، كما يرى بعض الباحثين، لأنه لا يوجد في الوجود كله أمر واحد يصح وصفه بأنه فوق الطبيعي، فكل ظواهر الحياة خاضعة لنواميس الطبيعة ولا يعلو إلى مستوى فوق الطبيعي.

والظواهر الوساطية تختلف من حال إلى حال. فهناك الغيبوبة، وهي حالة من حالات عدم الوعي تحدث لمثل هؤلاء الناس غير العاديين، ويمكن مقارنتها بالنوم العميق مع فترة قصيرة بين الوعي وعدم الوعي، فهي أكثر من النوم، بل هي إحدى حالات الوعي الأكثر عمقاً، إذ فيها تنسحب الشخصية إلى مدى كبير ويصبح الجسم أقل حساسية بالألم، أما الواقع في غيبوبة قد يكون أقرب إلى المنحدر منه إلى النائم مع فارق هو أن الغيبوبة قد تستمر من ساعتين إلى ثلاث، وقد يتكرر حدوثها عدة مرات في الأسبوع دون أن يلحظها أي أثر سيء، وقد يمكن ملاحظة وسيط الغيبوبة أن نبرة صوته تختلف، وما يقوله بعيد عن معرفته. أما الجلاء السمعي والجلاء البصري فهما قدرة البعض على سماع الغير ورؤيته ما لا يمكن رؤيته عادة، ويرجع هذا إلى التكوين الأثيري للأذن والعين غير العاديتين، ومن ثم كان لهذين العضوين القدرة على الشعور بالإهتزازات الأثيرية. أما التحريك عن بعد فيقصد منه تحريك الأشياء دون استعمال أية قوة من القوى المعروفة. وأما المجلوبات فهي الأشياء التي تنقل بوسيلة غير منظورة من حجرة لأخرى أو من مكان بعيد إلى حيث يكون الوسيط.

وقد جاء في دائرة المعارف الإنجليزية بصدد الغيبوبة الوساطية قائلا: «يعتبر العلم حالة الغيبوبة الوساطية أشبه شيء بحالة النوم المغناطيسي العميق» وجاء أيضاً «ومن الوجوه المميزة لحالات الغيبوبة الوساطية ما يحدث باستمرار من كلام تلقائي أو كتابة تلقائية . . . ومثل هذا الكلام التلقائي أو الكتابة التلقائية تحدث أحياناً من أناس كثيرين أصحاء الجسد وهم في اليقظة، الأمر الذي لا يدل على وجود أية علامة من علامات الشذوذ غير الطبيعي» وجاء أيضاً «ولقد اهتموا من جديد في السنين الأخيرة بأمر دراسة الغيبوبة الوساطية ففحصت فحصاً دقيقاً، وقد أجراه أعضاء جمعية البحوث الروحية بجدارة تستحق الإحترام، وهذا الفحص يميل إلى تأييد نظرية الإستحواذ الخارجي».

ويؤيد هذا القول ما قاله الإنجليزي الدكتور «جورج لندسي جونسون» من أن الوسيطة «مرجري» كتبت وهي واقعة في هذه الغيبوبة تسع موضوعات مختلفة بتسع لغات مختلفة من بينها اللغة الصينية ؟وهذا يدل على استحواذ شخصيات غير منظورة عليها، فتهيمن على يدها وتكتب ما تريد. ويؤيد هذا أيضاً ما قاله الأميركي الدكتور «ويكلاند» التي تكلمت زوجته في جلسة بست لغات مختلفة مع أنها لا تعرف إلا اللغتين السويدية والإنجليزية، وقال معلقاً على هذه الحالات قائلاً: «إن أي مجهود لتفسير تجاربنا هذه على مقتضى نظرية العقل الباطن والواعز الذاتي أو نظرية تعدد الشخصية يكون واهياً، إذ أنه من المستحيل أن تتخذ «مسز ويكلاند» لنفسها أكثر من ألف شخصية. ولقد ذهب الدكتوران السيكولوجيان «كارنجتون» و «ميدر» في كتابهما «الموت، أسبابه وظواهره» بصدد الغيبوبة حيث قالا: «إننا نجد صعوبة كبرى في تكوين رأي ما عن الغيبوبة إذا ما أردنا درس طبيعتها وأساسها، فأما التفسيرات الفسيولوجية جميعها فيتحتم إهمالها، لأن الفسيولوجيا لا تدلي بأي بيان عن ظواهر النوم المغناطيسي، وهي بعد أقل تعرضاً لأنواع الغيبوبة الفجائية أو الوساطية، وتختلف هذه الغيبوبة عن النوم العادي اختلافاً جوهرياً مع اتفاقهما بالطبع في بعض الأمور، ولعل أقرب شبه لها هو غيبوبة النوم

المغناطيسي، ونرى من جانبنا أن الغيبوبة الوساطية يمكن اعتبارها نوعاً من التأثير المغناطيسي المبعوث من عالم الأرواح، أما الغيبوبة المغناطيسية فنوع من التأثير العقلي المبعوث من عالمنا؛ وبعبارة أخرى إن كلتا الغيبوبتين المغناطيسية والوساطية يصح اعتبارهما نموذجين من نماذج التأثير العقلي ـ أحدهما من عقل إنسان حي، والثاني من عقل إنسان ميت».

وقد اضطر العلامة «وليم ساخت» استاذ الفلسفة والسيكولوجيا، بعد رؤيته ظاهرة الغيبوبة والكتابة التلقائية تقوم بهما الوسيطة «مسز كارن» ـ وهي بين الحين والحين تتفوه ـ فتملي أو تكتب أدباً ممتازاً أو شعراً رقيقاً، على حين لم تكن بالأديبة ولا بالشاعرة، فقال: «لا شيء يمكن أن يجيء من العقل الباطن دون أن يصفى أولاً خلال العقل الواعي» ثم قال بعد ذلك: «من المستحيل أن تجيء تفوهات «مسز كارن» وهي في الغيبوبة من عقلها الباطن».

صفات الوسيط وعلاماته:

من الصفات التي يتسم بها الوسيط سلامة البنية، لأنه يبذل في نفسه طاقة روحية. وقد يكون حساساً لانفعالات مختلفة، ميالاً للبساطة والبعد عن الترف نظيف الجسم والعقل معاً، بعيداً عن الضوضاء والضوء القوي يحترم نفسه وغيره، يشعر بثقل في جسمه وخاصة في يديه مع شعور بنسيم بارد وبتقلصات مفاجئة وذبذبة أثناء ميله للغيبوبة، وقد يمكنه استخدام مادة «الأكتوبلازم» الصادرة من جسمه أو أجسام الحاضرين في تجسيد مواد مختلفة يمكن أن يتحسسها الحاضرون.

قد تكون الوساطة موهبة تنتقل بالوراثة، ولكن نسبتها تختلف من شخص لآخر. يقول «شوو زموند» إن كل شخص منا يعتبر وسيطاً، إلا أن الموهبة لم تتكامل فيه للدرجة الكافية، والأنبياء هم أعظم الوسطاء، لأنهم كانوا يعيشون في العالمين المادي والأثيري في وقت واحد، وكانوا يتخاطبون مع أشخاص أثيريين

لا يراهم أحد سواهم. ويقول «إرنست تومسون» إن المدة الصغرى للتمرين على الوساطة هي خمس سنوات.

ومن علامات الوسيط أن يكون سلبي الشخصية أو ممن يعيشون في خلوة أو ريف أو ممن يمارسون رياضة روحية كالصمت أو غيره. ويندر أن ينجح غير المعتزلين كالذين يعيشون في ضجة المدن وازدحامها.

وقد يبدأ تمرين الوسيط بالكرة البلورية على نور خافت، فيجلس على بعد متر من الكرة وينظر إلى مركزها وينجلي ذهنه من كل تفكير ليصبح في حالة سلبية، وإن شعر بتعب يمنع في الحال عن التمرين، ومع تكرار الجلسات سوف لا يشعر بالتعب.

ومن يمارس تمرينات النظر عن بعد تنمو فيه خواص عكس خواص النوم - أي أنه يصبح مستلماً، بينما المنوّم يرسل الأفكار والإيحاءات.

نعود إلى علامات الوسيط فنقول إن هناك علامات ظاهرية تميز الوسيط تمييزاً كافياً ولا سيما إذا اجتمعت فيه عدة علامات، منها جبينه أقل عرضاً من وجهه أو عرض الجبين، وطول الأنف، ثم المسافة من الأنف إلى الذقن كلها متقاربة ومتساوية، ومن كانت هذه المسافات في وجهه مختلفة أو إحداها أقصر أو أطول من غيرها بشكل ظاهر، فهو في الأغلب وسيط جيد لقراءة الفكر، وكلما زاد عرض الوجه بالنسبة لطوله كانت القابلية للإيحاء أقل.

ومن أعظم الوسطاء من كانت أسرّة وجهه تنبي عن رقة عظيمة في الإحساس ورقي في التفكير والخيال، أو على النقيض من ذلك تدل على الحيوانية والخلق البهيمي والتفكير البدائي الهمجي ومن كانت أذنه بغير شحمة وصوانها ليس لإطاره حافة مثنية إلى الخارج فهو وسيط موهوب بالفطرة لا سيما إذا كان أحمر الشعر. وما كانت نظرته هاربة شاردة تدل على عدم الإستقرار فهو دليل على الحساسية.

والقابلون للتنويم المغناطيسي عادة يتعبهم الضوء القوي والحرارة القوية

وضوء القمر ورنين الأجراس وقد يحدث لبعضهم تشنج وضيق في التنفس عند سماع رنين الأجراس الفضية أو غيرها قرعاً رتيباً. والوسيط عادة يتجنب الإندماج في مجتمع كبير من الناس ونومه الطبيعي مضطرب غير عميق ونفسه متقلبة، وإن غمره الظلام حمله الخيال إلى كل صوب وشردت به التصورات، وقد يستلهم أفكاراً صائبة، ويتجول في نومه الطبيعي من فراشه فيمارس عملاً ثم يعود.

الفصل السابع والثمانون

الجلاء أو «الاستشفاف»

لكل حاسة من الحواس الجسمانية حاسة مماثلة تقابلها في عالم الأثير، وهذه الحاسة الأثيرية تمتاز عن زميلتها الجسمانية من حيث الحساسية، يعني أن العين الأثيرية ترى على مسافات بعيدة جداً ولا يعوقها حائط، وكذا الشأن بالنسبة للأذن فإنها تسمع على مسافات بعيدة، وبُعد زوال مصدر الصوت الأصلي، وهكذا بالنسبة للحواس الأثيرية الأخرى تحمل أيضاً على مسافات بعيدة عكس الحواس الجسمانية، وإذا فرضنا أن الجسم الأرضي ما هو إلا لباس للجسم الأثيري أدركنا أن الحواس الأرضية ما هي إلا لباس لزميلاتها الأثيرية، وبذا يكون الشخص القوي الحواس الأرضية شخص ما زال محتفظاً بجزء من قوة حواسة الأثيرية لأنها هي الأصل، والحواس الأرضية هي الفرع.

الجلاء البصري:

إن نظرية الجلاء البصري ليست ذات صعوبة، فأي جسم مادي يبعث بإشعاع مستمر في جميع الجهات، هذا الإشعاع الأثيري يشبه كثيراً الإشعاع الضوئي العادي في طريقة انتقاله ولكنه أرق منه كثيراً، فقد يمكنه أن يخرق الحواجز مهما كانت صلبة، وعندما يسقط على العين الأثيرية للإنسان يؤثر عليها ويجعلها ترى تماماً كما ترى العين الجسمانية العارية عندما يسقط عليها الإشعاع

الضوئي المعتاد، يقول الدكتور «الكسندر كونان» إن هذه الظاهرة تحدث أفضل في الضوء الأحمر البرتقالي. وقد تتفاوت قدرات الموهوبين على الجلاء البصري، ويمكننا أن نقسمهم قسمين: أصحاب الجلاء البصري البسيط، وأصحاب الجلاء البصري البعيد. أما الجلاء البصري البسيط، فيقصد به القدرة على استقبال الرسائل الأثيرية عن قرب فقط، ولا يمكنه رؤية الحوادث الماضية أو الحاضرة، يمكنه أن يرى الأشياء الغريبة ولو من وراء الحجاب، فيتطلع إلى الحوادث التي تجري في غرفة مجاورة مغلقة، أو يقرأ كتاباً مغلقاً، ويرى ما في بطن الأرض مسافة أمتار، ويتطلع إلى داخل الجسم ويعرف سبب المرض، ويرى هالة الإنسان ويصف ما فيها من ألوان وبذا يمكن معرفة ما يجول في خاطره من أفكار، كما يمكنه أن يرى الأشباح أو الأجسام الأثيرية الأخرى الموجودة في المكان.

وهنا حالة نادرة يمكن لصاحب الجلاء البصري البسيط أن يحدثها عن طريق التمرين، ذلك هو تكبير الصورة الأثيرية التي يراها، يعني يمكنه أن يكون لنفسه مجهراً أو «ميكرسكوباً» بسيطاً مكوناً من عدسة أثيرية واحدة تساعده على تكبير الصور الصغيرة التي يراها.

أمّا الجلاء البعيد، فهو حالة يمكن للشخص الموهوب أن يرى الأشياء البعيدة عن متناول النظر العادي، وهذا طبعاً يتم بوسيلتين، الأولى استخدام «تلسكوب» أثيري بدلاً من الميكروسكوب البسيط الذي سبق ذكره، هذا التلسكوب الأثيري كزميله الميكرسكوب تقوم به أعضاؤه الأثيرية، وتختلف قوته من شخص لآخر. فقد يتطلع شخص وسيط إلى أشياء على بعد عدة كيلومترات في حين أن آخر يرى ما على سطح الأرض، ولربما على مناظر في بعض الكواكب. والتلسكوب الأثيري ما هو إلا نوع من الأنبوبة الأثيرية، يمكن استخدامها كمكبر للضوء أو للصوت إلى غير ذلك من الإحساسات، وفكرتها تقوم على أن الإنسان يكوّن تياراً فكرياً أثيرياً وذلك باستخدام قوته الحيوية، هذا التيار يسهل مرور الذبذبات الأثيرية مهما كانت ضوئية أو صوتية أو فكرية، وبعبارة أوضح فإن الشخص الوسيط

بتكوينه هذا التيار يرفع من ذبذبته حتى توافق ذبذبة الشيء المطلوب الإتصال به. وقد تكون الظروف مواتية فتساعد الوسيط على الإتصال بدون جهد، وعلى كل فإن الشخص القوي يمكنه أن يعمل الإتصال أو يقطعه عندما يريد. كما أن هناك بعض الطرق التي تنبني في عملها على الجلاء البصري البعيد، مثل ذلك البلورة التي تستخدم كنقطة للابتداء، أما الوسيلة الأخرى من وسائل الجلاء البعيدة فهي الطرح الروحي - أي أن الوسيط يكون لديه القدرة على طرح جسمه الأثيري إلى المكان المطلوب رؤيته فيراه ثم يعود بالأخبار المطلوبة. وقد يكون ذلك أثناء النوم أو أثناء اليقظة لا شعورياً أو شعورياً بإرادة الوسيط، وقد يكون الجسم الأثيري في هذه الحالة مرتبطاً بجسمه الأرضي بواسطة الحبل الفضي، ويمكنه أن يسير إلى أية بقعة من بقاع العالم بسرعة تفوق سرعة الضوء ثم يعود.

والجلاء البصري موهبة معروفة منذ القدم، وهي موهبة فطرية وقد تنمو بالتعبد واعتزال الناس، فهؤلاء كانوا يرون أرواحاً ويكلمونها، كما يرون أشياء بعيدة أو مفقودة فيرشدون أصحابها.

رؤية الماضي:

هذه الموهبة أعلى درجة من النوعين السابقين: الجلاء البسيط والجلاء البعيد، ولا يصل إليها إلا المتعمقون في الصوفية، ويمكن تفسيرها بأن الجسم الأثيري ينطلق من جسمه الأرضي في هذا الأثير، ويصل بسرعته الفائقة إلى المكان المناسب فيه حيث يرى المشهد أو الحادثة التي يطلبها ثم يعود ثانية، ويمكننا أن نشبه الحادثة بصحيفة تطبع في المغرب بالرباط ثم تصدر بالقطار إلى الجزائر، فإذا فرضنا أن رئيس التحرير صحا يوماً بدون أن يطلع عليها فإنه يمكنه أن يأخذ طائرة إلى مدينة وجدة مثلاً حيث يستقبلها ويقرأها ثم يعود ثانية.

رؤية المستقبل:

يمكننا أن نقول أن جميع الحوادث المستقبلية موجودة في مكان ما في الكون، ولكن لم تصبح في حيز الواقع، وليس هذا الرأي غريباً بعد نظرية النسبة،

وكما أن هناك في الهندسة مسافات سالبة (-) وأخرى موجبة (+) فكذلك الزمن، فنحن نقول قبل الميلاد (-) وبعد الميلاد (+) مثلاً، وهكذا توجد حوادث شفوية (-) وحوادث فعلية (+).

الجلاء السمعي:

إن الجلاء السمعي مثله مثل الجلاء البصري في عمله وتقسيمه إلى جلاء بسيط وجلاء بعيد وهذه الموهبة تكون أحياناً لوسيط الجلاء البصري، والجلاء السمعي أقل وجوداً من الجلاء البصري.

الجلاء الشمي:

حاسة الشم عند بعض الوسطاء أقوى من المعتاد، مثل ما في قصة يوسف من قوله تعالى ﴿ولما وصلت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون، قالوا تاالله إنك لفي ضلالك القديم﴾.

استقصاء الأثر:

هو أن الوسيط الموهوب يمكنه عندما يتحسس على جزء صغير كقطعة من القماش أو الحجر إلى غير ذلك أن يصل بفكره إلى كل ما يتعلق بالموضوع في معرفة المكان والتاريخ إلى غير ذلك. وهذا النوع ليس جديداً فمثله مثل نوع الجلاء.

الفصل الثامن والثمانون

انتقال الأفكار أو «التخاطر»

إن انتقال الأفكار ليس إلا درجة عادية من درجات التنويم ـ أي أن المنوم يمرن وسيطه ثم يدربه على قراءة فكره.

وانتقال الأفكار هو الإتصال بين الوسيط وبين أي شخص آخر سواء كان حاضراً أو بعيداً في أية جهة من جهات العالم، ويبدأ على سبيل التدريب بين الوسيط والمنوم، والأحسن أن يكون الوسيط عصبياً مخالطاً للمنوم في حياته العادية مما يسهل تبادل الأفكار. كما ينبغي للمنوم أن يدرب نفسه على التركيز، لأن الوسيط يلتقط الفكرة بسِرعة وسهولة إذا كانت واضحة محددة في ذهن المنوم المغناطيسي غير مختلطة بأفكار وتصورات أخرى، والذين يصلون بسهولة إلى درجة التجوال النومي يسهل تدريبهم على قراءة الأفكار.

نوّم الوسيط نوماً عميقاً مكثراً من السحبات بغير لمس، ثم أنظر إلى جبينه محدقاً وأعطه هذا الإيحاء «انتبه انتباهاً قوياً واجتهد أن تتصل بفكري ـ سأعطيك أمراً عقلياً من غير أن أنطقه بلساني ولا بد أن تطيعه» ثم فكر في شيء معين وتسلط عليه بفكرك مشيراً له بأصابعك، فقد تنجح في الحال، وإلا أجل الإيحاء إلى اليوم الثاني، مثيراً في الإيحاء زيادة مقدرته ونجاحه، فإنك لا محالة ستنجح. وحاول

أن تجرب في مجموعة من الوسطاء فستجد من تنجح معه التجارب أكثر بمجرد إشارة عقلية.

إن النجاح مع وسيط والفشل مع وسيط آخر في أية تجربة من التجارب ليس معناه أن أحدهما أقوى من الآخر، لأن قوة العقل الباطن لا تزيد ولا تنقص، قد يولد الطفل وهي فيه كاملة غير قابلة للنمو، وإنما الذي يختلف ويتباين هو طرق الإتصال بهذه القوة والإعتقاد الغالب على الوسيط فيما يختص بالنوم والكشف، ونظرته إلى المنوِّم، ونفس المجهود الذي ينوي أن يبذله في الجلسات، ونفس هذا القول ينطبق على المنوِّم، فقد تفشل الجلسة وتنجح مرة أخرى، لأنه يحترم الشهود ويتعاظم درجاتهم الكبيرة وشخصياتهم القوية، أو لأن بينهم سيدات وآنسات يبذين له قبل التنويم علامات الدهشة، ويقبلن عليه متدللات باديات اللهفة، وقد يفشل لأنه يكره أحد الحضور أو لأنه مثقل بطعام أو متعب الجسم أو في حالة نوم طبيعي إذا كان الليل قد تقدم به، أو لأن المنوَّم يتحداه بسيطرته وخشونته في اليقظة.

وإن من الطرق أيضاً أن تنوم الوسيط ثم تكتب رقماً على ورقة مثل7 أو5 أو أي رقم أو حرف من حروف الهجاء، ثم تطويها وتقربها من قفاه، وابدأ بالإيحاء الآتي بصوت قوي مع تركيز فكرك في الرقم أو الحرف «ما هو العدد المكتوب في الورقة؟. إنه غير ظاهر لك ولكنك الآن في الحال ستراه واضحاً أمامك، ها هو قد ظهر لك، تستطيع أن تقرأه بكل سهولة» وفي البدء اكتب رقماً واحداً أو حرفاً واحداً، وإذا نجح اكتب رقمين أو أكثر.

وهناك طريقة أخرى بأن تنوم الوسيط، وعمق نومه بالسحبات، ثم خذ يده في يديك وقل له آمراً «اقرأ فكري، سأفكر في حرف من حروف الهجاء، وستراه جيداً وتلفظه بصوت مسموع» ثم قرب جبهتك إلى جبهته وركز فكرك في أي حرف. وينبغي ألاَّ يكون في فكرك سواه، وأن ترى رسمه وتفكر كأنك تريد طبعه في مخ الوسيط.

ويستمر التمرين بأن تترك يده ثم تقرأ عدة حروف ثم كلمات ثم جملاً، ثم تزيد المسافة بينك وبينه إن كثيراً من الوسطاء المتمرنين يقرأون فكر المنوم في الحال وأفكار جميع الحضور. وقد يعتمد الوسيط في معرفة المستقبل على قوة ذكاء عقله الذاتي.

ومن الملاحظ أن الوسيط إذا اتصل بشخص معين لقراءة فكره في مسألة بعينها فإنه يعرف ما في فكر الشخص عنها، أما إذا كان الشخص لم يفكر في هذه المسألة أو لم تبلغ مسامعه على الإطلاق فإن الوسيط يجيبك هذه الإجابة ذاتها. وتفسير ذلك أن الوسيط كأنما يستخدم عقل شخص معين للإجابة على سؤال معين؛ فمثلاً اعط الوسيط مسألة هندسية أو حسابية وقل له أن يتصل بك لمعرفة الجواب، فإنه يعطيك النتيجة ذاتها أي الجواب ذاته الذي تصل إليه أنت لو فكرت فيه، ويخطيء نفس الخطأ الذي تقع أنت فيه.

ولو سألته عن مسألة اجتماعية أو سياسية وأنت لم تفكر فيها فإنه يفكر بعقلك، فلو كنت طبيباً وسألته أن يشخص حالة مريض معين فإنه يذكر لك تشخيصاً معيناً، وبعد ذلك لا قبله تفحص المريض وتشخص المرض التشخيص ذاته ـ وهذا يعني أن الوسيط يفكر بعقلك في أية مسألة ولو لم يسبق لك التفكير فيها مطلقاً.

الفصل التاسع والثمانون

عالم الأفكار

تشع من هالة الإنسان اشعاعات وأمواج في جميع الجهات، فهو كأي كائن حي له ذاتية. وله سرعة اهتزازات أو تردد معين، مثله كمثل الشمس حينما تشع أو كمثل الموقد الذي تشع منه الحرارة، هذه الذبذبات الأثيرية تظل موجودة في الأثير إلى الأبد مثلها مثل ضوء الشمس على الأرض الذي ينعكس نحو الفضاء فيبقى ملايين السنين، بحيث لو أمكننا أن نرتقي في أعالي الفضاء بملايين الكيلومترات لعشنا في حياة أقوام ماتوا زماناً، وبهذا المعنى لا يكون للزمن أي معنى، إذ الماضي والحاضر والمستقبل كله موجود فعلاً ولم يضع منه شيء، وإنما وسائلنا وحواسنا الأرضية لا تساعدنا على إدراك ذلك. ومن هذا نستخلص أن الذبذبات تظل موجودة حتى بعد زوال المصدر الذي أحدثها، وقد أمكن لجهاز الراديو أو التلفزيون أن يصيد من الفضاء أمواجاً لاسلكياً لم نكن نحن نظن أنها موجودة. إن الفضاء مليء بأنواع الذبذبات التي أنتجتها مصادر الطاقة المختلفة، ولما كانت الأفكار نوعاً من الذبذبات، فإذن هي الأخرى تنتشر في الكون كما ينتشر الضوء أو الصوت سواء.

إن الأفكار تنبعث من الشخص كما تنبعث الأمواج اللاسلكية من محطة الإذاعة، فتحيط بنا كالهالة إلى ارتفاع بضعة أمتار ثم تضعف تدريجياً، وبعدها

تسبح في الفضاء كما يسبح السحاب فوق الهواء، وتمتزج بالأفكار الأخرى وتنطلق إلى مسافات بعيدة فوق سطح الأرض.

وقد تظل الأفكار راكدة في المكان الذي صدرت منه بضع سنين حتى تأتي أفكار أخرى أقوى منها من نوع مضاد تعمل على إزالتها أو إضعافها تدريجياً من ذلك المكان.

وتؤثر أفكار الشخص على نفسه وتغير من طبيعته، فهي تعمل عملاً إيجابياً في نفسه. وهناك أفكار يمكن أن تنتقل في اتجاه معين إذا كانت هناك قوة هائلة من العزيمة أو الشعور تعمل على توجيهها في ذلك الإتجاه، وفي الغالب لا يبذل الشخص العادي مجهوداً يذكر في دفع أفكاره في الفضاء، لذا فإنها لا تقطع مسافات بعيدة، اللهم إلا إذا كانت هناك أفكار أخرى متشابهة من شخص آخر تعمل على جذبها نحوها.

والأفكار كغيرها من أنواع الطاقة يمكن إدراكها بوسيلة ما، فهي كالضوء ترى لكن بعين روحية، وهي مثله لها وزن وطيف ـ أي لون ـ ونقصد بالألوان أن تكون لها أمواج مختلفة الطول ـ وأي ترددات مختلفة ـ ويمكن أن يشعر بها مخ مستقبل فيصورها كما أنه يمكن أن يخرجها إلى حيز الوجود بوسيلة ما. وكما يرى الشخص العادي الطيف الضوئي الصادر من مصباح يمكن للشخص الروحي أن يرى الطيف الفكري الصادر من أحد الأمخاخ، فهو شيء مادي بالنسبة له، كما أن البخار المتصاعد شيء عادي بالنسبة لنا.

قلنا أن الأفكار المتشابهة تتجاذب وعلى هذا تكتسب قوة وحيوية، هذا التجاذب يعمل على تكوين أفكار عامة لمجموعة الناس الموجودين معاً في مكان، ولذا يشعر الشخص بأن أفكار أهل مدينة من المدن تختلف في لونها عن أفكار أهل مدينة أخرى، ويشعر الإنسان إذا ما حل في إحدى المدن بشعور غريب إما يستجيب له فيرتاح للبقاء هناك، وإما لا يستجيب له فيترك المدينة سريعاً، ولكن يجب أن يلاحظ أنه قد يتغير لون أفكاره إذا ما عاش في هذه المدينة مدة كافية، إذ

أن أفكار المجموعة لها من القوة ما يجعلها تتغلب على أفكار الفرد في العادة. ولا يغرب عن البال أن هناك أفراداً لهـم من قوة الأفـكار ما يجعلهـم يتغلبـون علـى المجموعة ويغيرون أفكارها، هذا هو الحال مع الأنبياء والزعماء والموهوبين.

ويجب أن يرتقي الإنسان من أفكاره حتى إذا ما سارت في الفضـاء كانـت هدى لأفكار غيره من الناس. ولا بد أن بعضنا هبطت عليه وهو في أزمة فكرة طارئة هدته سواء السبيل، مثل هذه الفكرة قد تكون صادرة من مخ شخص خير يبعث عن بعيد بأفكار مساعدة.

وعلى هذا يمكننا أن نقول بأن الشخص الذي يصنع فكرة من لون ما، هذه الفكرة تعمل على جذب أو اصطياد الأفكار المشابهة، وينشأ عن ذلك تقـوية أو رنين يأخذ في النمو بالتدريج. لو علمنا هذا لأدركنا مقدار الخطورة التي تنشأ عن لون الفكرة التي يبعث بها الإنسان في الفضاء، إنها قد تتسبب في إقامة جبل من الخير أو الشر.

وإذا كان عند الإنسان قوة من العزيمة أمكنه أن يطرد عن نفسه الأفكار التي يرغبها ويجذب الأفكار المضادة التي يفضلها، وذلك بأن يغير لون أفكاره الخاصة حتى تتغير من الصيغة السالبة إلى الصيغة الموجبة، وبهذا يكون الإنسان مصدراً لأفكار الخير بدلاً من أن يكون مصدراً لأفكار الشر، إن هناك أفكاراً جميلة توحي إلى النفس بالصفاء والهداية والتأمل في الكون، ولكن من منا له المقدرة على قراءة مثل هذه الأفكار الذهبية السابحة حوالينا، إنهم طبقة الموهوبين من رجال الدين والفن، إن سماعنا للشعر أو الموسيقى ينقلنا إلى عالم آخر على أيدي أنـاس منـا صناعتهـم نسيج الأفـكار من الهـواء.. إن «بتهوفـن» و «مـوزار» و «شكسـبير» و «شوقي» وغيرهم، كانوا يترجمون الألحان أو الشعر التي تعج بها بحور السماء، وفوق هؤلاء تأتي طبقة الأنبياء الذين نقلوا إلينا قوانين الـكون من كتابـة الأثيري الخالد... «قـل هو قرآن مجيد في لوح محفـوظ». يصف الدكتـور «الكسنـدر كونان» هؤلاء جميعاً بقوله «إن العقل الظاهر حائط خارجي للعقل الباطن بما فيه من

كنوز مختلفة، أو بمعنى آخر، بين يديك المفتاح إلى هذا المكان . . . » أما عن أفكار الشر الساقطة على عقولنا فليس ضرورياً أن يكون مصدرها إنسان شرير، فقد يصح أن تكون مراسلة من الأرواح الشريرة في العالم الأثيري كالشياطين مثلاً. هذه الأفكار الشريرة التي تسبح في الفضاء وتؤثر على بعض الناس.

ولمحاربة هذه الأفكار الشريرة يجب أن يكون لدى الإنسان مقدار من القوة العقلية يساعد على تكوين أفكار خيرة - أي موجهة - ضد هذه الأفكار الشريرة، هذه القوة العقلية تتطلب أن يكون العقل في حالة سليمة. ومن هنا يأتي الضرر من تناول الخمر، إذ أنه يشل التفكير الموجب ويزيد من سالبيته، بحيث يجذب إليه مقداراً هائلاً من الأفكار السيئة. وقد يؤيد هذا علماء الروح حينما يقولون أن الشياطين أو الأرواح الشريرة تهبط لتعيش على الأرض في الأماكن المنحطة، حيث تجد أشخاصاً لديهم أفكار سيئة مماثلة فتحدث بينهم الإستجابة والوسوسة، هذه الأماكن هي بالطبع أماكن الخمر أو الغضب أو ما شابه ذلك حيث تكون قوة العقول مشلولة.

ففي مثل هذه الأماكن يكون الضرر والتعاون بين الإنسان والشيطان، ويجب أن لا ننسى أن الأفكار السيئة التي يرسلها بعض الأشخاص إلى غيرهم قد تقلق راحتهم منها الحسد مثلاً، وما أسرع قول الله في هذه النظرية ﴿ قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق إذا وقب ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد إذا حسد﴾.

وبالعكس، يمكن للأشخاص ذوي الأفكار الراقية أن يتعاونوا معاً، وكلما رفع الإنسان من درجة رقيه العقلي أمكنه أن يصيد من الفضاء الأفكار الراقية المماثلة، وقد وقعت عدة حوادث من هذا النوع عند كثير من الإختراعات.

إن أفكارنا تسبح في الفضاء ويطلع عليها الآخرون دون أن نشعر نحن ولا هم، ومن هنا يمكن القول بأن أفكارنا جميعاً ما هي إلا زرع في حقل الطبيعة الواسع، إنها أمواج تسبح في محيط الأثير العام.

تصوير الأفكار:

إن الأفكار لها قوة ديناميكية، وهذا الإفتراض دخل دور التجارب العلمية، ومن هذه التجارب ما أجراه الدكتور «الكسندر كونان» بواسطة «جهاز راسم النفس» فقد أثبت به أنه يمكن تصوير الأفكار أو تسجيلها كما تصور «آلة الزلازل» الزلازل، أو كما تسجل العين الكهربائية الأصوات في فلم السينما الناطق. وتتلخص في أن كل فكرة تمر على صحيفة العقل لها لون أو صورة خاصة تظهر في الجهاز على هيئة خط أو خطوط لها شكل معين، وقد درس هذه الخطوط وشاهدها في كل منها من تعرجات أو تموجات، ودرس العوامل التي تغير هذه التعرجات، فوجد أن لكل حالة من حالات الإنتباه أو النوم أو الموسيقى أو الإنفعال أو التفكير بوجود رسم معين يشبه «النوطة» الموسيقية التي يدل كل خط أو علامة فيها على معنى خاص. أما وصف هذه الرسوم فهو موجود في كتابه «التأثير غير المنظور». وقد اشتغل آخرون بفكرة تصوير الأفكار. ولكن في حجرة التحضير الروحي بواسطة جهاز يسمى «سكوتجراف» ومن هؤلاء الأستاذ «شودز موند» وكانت تستعمل ألواح «فوتغرافية» داخل صناديق مقفلة، فكان الشخص الموهوب يمسك إحدى هذه الألواح، فإذا كانت لديه الموهبة للاتصال بالروح ظهرت على اللوح صورة ما، ففي هذه الحالة تؤثر الروح المتصلة على الشخص بحيث تجعل الأفكار أشعة. لها من القوة ما يجعلها تخترق الأجسام المادية، وبذلك يظهر أثرها لنا.

والوسيط الذي يتمتع بوساطة قوية يمكنه عند نومه وغيبوبته أن يمر على الجسم الأثيري للشخص فيشاهد هالته البيضاوية الشكل والمحيطة بجسمه الأرضي، فيشعر بأن أفكار هذا الشخص منبعثة منه، وذلك لأن الأفكار ما هي إلا نوع من الذبذبات اللاسلكية، فيكون لها تردد معين أو لون معين يدل على طبيعتها، وعلى هذا يكون من الميسور لهذا الوسيط الذي انطلق جسمه الأثيري أن يعرف ما يدور في خلد الشخص، كما أنه يشاهد انتقال الأفكار من شخص إلى آخر، وكما يقرأ الوسيط النائم أفكار ذلك الشخص يمكنه أن يقرأ أفكار المكان أو

المدينة ، لأنه قد سبق أن قلنا أن لكل مكان ذبذبة أفكاره حسب سكانه ، وعلى هذا نجد النائم ينطلق جسمه الأثيري إلى الأماكن التي يحبها ، ولا ينطلق إلى الأماكن التي يكرهها .

الفصل التسعون

الطرح الروحي

الطرح الروحي ظاهرة مدهشة، يدخل في نطاقها أنواع أخرى. فعندما يدخل الإنسان في نوم أو غيبوبة أو تفكير عميق ينطلق جسمه الأثيري خارجاً عن جسمه الأرضي، في موضع بين العينين حيث يمكنه أن يسري إلى أي نقطة في الأرض ثم يعود هذا الجسم الأثيري إلى صاحبه الأرضي بعد رحلة بسرعة البرق. أما إذا لم يعد فإن الموت يحدث في الحال. قال تعالى: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت، ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾.

والجسم الأثيري يكون مربوطاً مدة الطرح بجسمه الأرضي بواسطة الخيط الفضي الطويل المرن، والذي يساعده على الإنتقال إلى طبقة في عالم الأثير، حيث يمكنه أن يتقابل مع الأجسام الأثيرية الأخرى ـ أي بأرواح النائمين والموتى على السواء ـ. إن هذا الرأي متفق عليه بين القدماء والمحدثين. وهو إذ ينطلق يبدأ في الخروج فتأخذ سرعته في الزيادة بالتدريج حتى يصل إلى سرعة هائلة يسبق بها سرعة الضوء أكثر بكثير، فيسبح في الجو أو في البحر أو في الثرى، ويعيش في العالم الأثيري فيطلع على ما فيه من أرواح الموتى والأحياء وربما الجن والملائكة، وهناك لا يعرف للزمن قيمة في العالم الأكبر، هناك يمكن للإنسان أن

يطلع على ماضيه ومستقبله وينظر وراءه وأمامه، وحينما يستيقظ الشخص يعود هذا الجسم الأثيري داخلاً مكانه في غمضة عين، ولكن ذكرياته في ذلك العالم تظل له وحده ولا يطلع عليه الجسم الأرضي، وبذلك لا يتذكر المرء بعد يقظته من أحلامه إلا القليل.

والجسم الأثيري حالما يخرج من الجسم الأرضي يتحرك وصاحبه في وضع الطرح الإرادي، وقد يحدث الطرح بطريقتين، إما بتأثير شخص آخر عليه أو بتأثير ذاتي. وفي الشرق تتبع الطريقة الأولى، لذا يكون الجسم الأثيري المطروح في حراسة من الخطر الذي يتعرض له الشخص غير المحروس، وتساعد الأرواح المرشدة في العالم الأثيري على حراسة الشخص المطروح وتحميه من أذى أو تداخل الأرواح السفلية. ويعترف علماء في الغرب ومن بينهم الدكتور «الكسندر كونان» أن الطريقة الشرقية للطرح أقوى وأنجع، إذ أن الشخص الذي يطرح نفسه إرادياً يصل إلى ذلك بالتمرين والصبر وتطليق الغرائز وتقوية العزيمة، فهو عندئذٍ يظل محتفظاً بعزيمته وشعوره الواعي، في حين أن الوسيط الغربي يكون في حالة غيبوبة أي نصف واعٍ وبذا لا يستعمل قوة إرادته.

ويساعد على عملية الطرح الحالة الصحية للشخص، فالصيام مثلاً من أهم العوامل، وكذلك التركيز والتعبد كل هذا يساعد على تلطيف الجسم الأرضي. وزفع ذبذباته وإضعاف سيطرته على الجسم الأثيري، والمتصوفون يمكنهم طرح أنفسهم بسهولة وانتقالهم من مكان إلى مكان بعيد أو قريب، ولربما يتجسدون فيراهم غيرهم.

الفصل الواحد والتسعون

الإلهام

قد يغلب الطابع العقلي على أهم ما يتصل بالإلهام من ظواهر وساطية روحية، تحمل أرقى صور الوساطات العقلية التي تتطلب مستوى رفيعاً من نضج عقلي وأخلاقي لدى الوسيط.

والإلهام أعمق قدرات الإدراك عن غير طريق الحواس، لأنه يمثل ملكة تلقي إرسال عقلي صرف من مستوى آخر غير مادي للوجود، ويبدو أن ملكة الإلهام لا تنتمي إلى العقل الواعي بقدر ما تنتمي إلى العقل الأسمي الذي يمثل الجانب الأعلى من جانب العقل الباطن أو اللاشعور.

والأشخاص الملهمون يميلون إلى تصوير إبداعهم الإلهامي، ويتسم بطابع إلهي أكثر مما يتسم بطابع بشري، ومهما كان اختلاف العلماء والفلاسفة في تحديد الإلهام فإنهم يجمعون النظر بوصفها آلة نفسية مفاجئة تأخذ بمشاعر وأحاسيس قلب الملهم، وهم يعتقدون أن الإلهام يوقف المجرى العادي للرأي أو الشعور، ويغير من الإتجاه العادي للتأمل والتفكير ويكشف عن انعدام التناسب بين ما كان الملهم يفكر فيه وما انكشف له فجأة، ويحيل الملهم نفسه إلى موجود سلبي يقتصر على التقبل والمعاناة، وكأنما هو مجرد أداة في يد قوة مجهولة تسيطر عليه فتسخره لخدمة أغراضها وتتخذ منه مجرد واسطة لتحقيق أهدافها.

والملهم عندما يهبط عليه الإلهام يشعر بضرب من الإنجذاب العقلاني الذي يوحد بين كافة قواه النفسية، ويجمع بينها في وحدة روحية متمركزة، فيجد نفسه خارجاً عن ذلك، فيحس بغبطة روحية عقلانية تسمو به فوق مستوى البشر، وكأن فيض القوة الإبداعية قد غمره، ومن ثم نراه يتوهم أنه قد أصبح في كنف القوة الإلٰهية ذاتها.

ومن هذا المنطلق الروحي العقلاني يصل الوسيط إلى لحظات الإشراف أو العيان أو الحدس التي أدت بالكثيرين إلى الوقوع تحت سيطرة الوحي أو الإلهام أو الكشف العرفاني.

إن التساؤل عن الإلهام لا زال مطروحاً، فهل يأتي بواسطة الشعور أم اللاشعور؟ وهذا التساؤل مرتبط بآخر أشمل منه، وهو هل الإدراك خارج الحواس نابع من الشعور أو من اللاشعور؟ ثم هل من حدود فاصلة بين الشعور واللاشعور؟ وما هو الشعور وما هو اللاشعور؟ إن كل هذه الأسئلة تطرح بإلحاح شديد في جميع الأوساط الروحية والنفسية، ولا تزال مصدراً لخلاف بين العلماء.

وبما أن الدراسة الروحية لا تحدد حدوداً فاصلة بين الشعور واللاشعور كان من الإفتراض القول بأن الملهم إذا كان في كامل وعيه كان الإلهام أوثق صلة بالشعور منه باللاشعور، وكلما اضطر الملهم أن يروح في غيبوبة تامة أو جزئية أو في نشوة روحية كلما كان الإلهام أوثق صلة باللاشعور منه بالشعور، أما الغيبوبة فإنها بمقدار قوتها تؤدي إلى تراجع الشعور ويقظة اللاشعور.

والغيبوبة التامة أو الناقصة لا تتوقف على مدى حساسية الملهم، بل تتوقف على مدى استحواذ الملهم على وعيه إن كان ثمة إلهام أو كان ثمة كائن ملهم. والإلهام قد يكون بدون استحواذ، فلا تحدث الغيبوبة، بل تحدث رغبة من الملهم في الهدوء التام، وتركيز الذهن، وربما في الخلوة مع النفس، وقد تكون مصحوبة بقدر أو بآخر من هذه النشوة الروحية التي قد تكون ذات صلة ببعض صور الوساطة العقلية التي تعتبر أسمى صور الوساطات الروحية.

والفلسفة الهندية تعترف بالإلهام، وتذهب إلى أن القوة المفكرة باردة والعقل الروحي حار، تموج حياته بالكثير من المشاعر السامية، ومنه تفيض بالإلهامات، فالشعراء والرسامون والكتاب وغيرهم من الموهوبين تلقوا عنه إلهامات منذ القدم كما يتلقونها اليوم وغداً، ومن هذا المعين تلقى الحكيم حكمته.

يستطيع الإنسان بإنماء وعيه الروحي أن يرتفع بنفسه حتى يتصل بهذه المراكز الرفيعة من طبيعته العليا حيث تضفي عليه من العلم ما لم تجرؤ على أن تحلم به قوته العاقلة وذكاؤه المعتاد، إذا عرفنا كيف نكون واثقين مؤمنين بقوة الروح، فإنها تقابل ثقتنا بأن تبعث في عقولنا الومضة من الإلهام بعد الومضة حتى تستنير العقول.

الفصل الثاني والتسعون

أساليب العمل التخاطري أو «التلبسي»

إنه من الطبيعي أن تهرب الفكرة بشكل يقل أو يكثر، وتجربة بسيطة تقنع بالصعوبة التي يشعر بها المبتدىء حينما يحاول التركيز على شيء واحد، وجميع أبحاث «المغناطيسية الشخصية تلح على الإهتمام بحفظ الأفكار المعينة إذا أريد التأثير على الغير، وتلح على المرء أن يقود تفكيره بدلاً من أن يدعه يسير من تلقاء نفسه وعلى هواه بشكل فوضوي.

وقاعدة التأثير على بعد هي حفظ تمثيل ذهني كثير الوضوح في حقل الوعي يصاحب ذلك مشيئة قوية، ومن أجل وضوح الرؤيا والإستمرار والحدة النفسانية لا بد من الإنصراف إلى التمارين الإعدادية.

تمارين تمهيدية:

- إقرأ كل يوم بعض صفحات من كتاب، وركز ذهنك على ما قرأت، ولا تسمح له بزيغ فيما لا فائدة منه، وإذا بعد ذكِّره من جديد وافرض عليه الفكرة نفسها من جديد.
- إقرأ مدة خمس دقائق وتأمل ما قرأت مدة ربع ساعة.
- اجلس مستقيماً على مقعدك والرأس ثابت والذقن مرتفع والكتفان منخفضان بقدر

الإمكان، ارفع الذراع اليمنى جانبياً على ارتفاع الكتف والفت الرأس إلى اليمين مديراً أطراف أصابعك ومحتفظاً بالذراع في وضعيتها الأفقية طوال دقيقة على الأقل. نفذ التجربة عينها على الذراع اليسرى، وحين تتوصل إلى حركات سهلة واضحة زد المدة من يوم إلى يوم، والوقت من دقيقة إلى دقيقتين، وهكذا إلى خمس دقائق.

- خذ قدح ماء وامسكه بين أصابعك ومد ذراعك اليمنى أمامك، جمدها بقدر الإمكان بحيث تجنب القدح أي ارتجاج. زد مدّة التجربة بالنسبة المذكورة آنفاً.

- خذ قلم رصاص وانصرف بكليتك إليه، تأمله وفكر به وتساءل عن استعماله وفائدته وما هي مادته الأولية، وما هي طريقة صنعه إلى آخره، ولا يصرفك شيء عن التفكير به.

هذه التمارين التمهيدية يمكن أن تفسح مجالاً لنمو الشخصية ونقطة انطلاق.

محسوسية الصور:

يتعلق الأمر هنا بخطوة جديدة إلى الأمام، فمتابعة الأفكار لازمة لتدارك الوقوع في التعب الذي يحدث أحياناً أثناء المران، وسيعوض اكتساب المقدرة النفسانية بشكل واسع عن الجهود المبذولة.

- خذ محبرة أو علبة أو رسماً يضم خطوطاً تمثل شبحاً أو خيالاً، إلى غير ذلك، ضع نفسك في وضع مريح، وابدأ بأن تتطلع إليه بانتباه، بحيث تنحفر خطوطه في ذاكرتك، اطبق عينيك، وحاول أن تمثل هذا الشيء ذهنياً بأكثر ما تستطيع من التفصيل، وستتأكد في المحاولة الأولى أن الصورة دخانية هاربة، وأن خطوطها ليست واضحة في أماكن معينة على الخصوص، وبعد أن تحاول إكمالها من ذاكرتك مدة دقيقة أو دقيقتين، تطلع إلى النموذج من جديد، واعد

إغماض عينيك، وحاول إيضاح الصورة الذهنية، كرر هذا التمرين إلى أن تنجح في تمثيل الشيء على حقيقته الصحيحة، فتراه في ذهنك كما تراه بعينك.

- ضع صورة فوتوغرافية لشخص تعرفه، وبطريقة تناوبية بين النظر المنتبه والجهد الذاكري، حاول أن تؤلف صورة ذهنية واضحة للصور الفوتوغرافية. وتستطيع التأكيد أنك بلغت درجة الإتقان حين تستطيع أن تجعل الصورة الذهنية نموذجاً لرسام.

- كرر العملية على صورة شخص لا تعرفه ولم تره قط.

- بدون أن تأخذ أي صورة كدليل، أعد تشكيل أمارات شخص أتيح لك أن تأملته مراراً عديدة بأدق تفاصيلها. وذلك ذهنياً، وسيبدو لك الأمر صعباً، ولكن تأكد أنك تملك في وعيك النصفي جميع العناصر اللازمة لإعادة بناء الصورة المطلوبة.

- حين تتوصل إلى تنفيذ هذا التمرين بسرعة ودقة، حاول أن تمثل الصورة في شتى معبراتها، دعها تتخذ هيئات مختلفة تعرفها أو لا تعرفها، أحنها - أدرها - كما تفعل بصورة حقيقية ثابتة، دعها تبتسم، وتحرك جفونها، تلتفت بأنظارها المنتبهة إلى ناحية أو أخرى، دعها تقول كلمة أو كلمات، كما دعها تحيا حياة سينمائية.

محسوسية صور واضحة مستمرة:

حينما تصبح إعادة البناء الذهني للشيء المطلوب واضحة تماماً، اسع لتحفظ تلك الصور الذهنية أمام عينيك دون أن تدعها تغيب عن ذهنك، وأن لا يفسد وضوحها إلا بأكثر بطء ممكن، وهذا يجب أن يجري تدريجياً، ويجب التوقف حين يستولي التعب عليك.

وبترديد التمرين مدة تتراوح بين خمس دقائق وعشر، فإن المرء يكتسب القوة النفسانية المطلوبة ليحتفظ بالتمرين أكثر وقت ممكن، والدم المندفع إلى الوجه

على إثر جهد ذهني هو دليل على أن هذا الجهد تجاوز مقدرة القائم بالعمل، ولا ينبغي تحت أي اعتبار أن تسير بسرعة لا تحتملها مقاومتك خوفاً من حدوث اختلال خطر، أما إذا سرت بتعقل وتدريج دون أن يعين وقت محدود للحصول على نتيجة ما، فإن كل فرد يستطيع أن يمتلك المران بكامله.

محاولات تطبيقية:

- ستواجه شخصاً في الغد، ففي الساعة التي تفترض فيها أنه لا زال نائماً ـ انسحب إلى غرفتك وتخيل مجيئه بوضوح تام، وجهه وقامته وتصرفاته المألوفة إلى غير ذلك، ادخل في هذا التخيل حالة المزاج التي ترغب أن تراه فيها، وحالة هذا أو ذاك من الأشخاص الذين يقتربون منه، وحالة هذا أو ذاك من التأثير الذي تريد إحداثه فيه. ارفق ذلك بالعزم في أن تفرض عليك ما تفكر به. تجنب أن توضح أفكارك بشكل قاعدة مثلاً: «أريد أن تقول لي الشيء الفلاني» بل فكر دائماً بواسطة الصور المحددة.
- كتبت رسالة إلى شخص وأهمل الجواب، تخيل أولاً خيال الفرد وإطاره، تخيله متوقفاً عن عمله وحركاته أمام صورتك التي خلقتها أمامه، وتخيل أنه ينظر إليها، استبدل صورتك برسالتك، وتخيل هذا الشخص عزم الكتابة إليك، إنه دخل إلى غرفته ليكتب إليك بسرعة.
- رجل تعرفه يجب أن يأتي ليراك، ضع في الغرفة التي ستستقبله فيها شيئاً ما بشكل مرتب تأملته طويلاً، تخيل مجيء الرجل وما سوف يفعل إذا استرعى ذلك الشيء انتباهه ووقع نظره عليه.

إنه سيزداد مفعول هذه المحاولات إذا كررت مرتين أو ثلاثاً، وبإمكانك مع ذلك أن تتخيل غيرها.

تأثيرات لمسية:

إننا نعلم أن الإدراكات الحسية تولد أفكاراً، وفي ترويض قدرة التخيل كما

في العمل، فإن التطبيق العملي يحدث مبدئياً تأثيراً فيزيائياً قوياً يمسك الإنتباه ويخلق قابلية الإقتباس، ولذلك لا يجب التمرن فقط على تجسيد الصور النظرية، بل يجب أن يشمل التمرين ما يؤثر على الحواس الأربع الباقية.

- اجلس في وضع مريح وتخيل ما سوف تشعر به إذا كانت درجة الحرارة في الغرفة تزداد تدريجياً.
- تخيل أنك تمسك بقبعة أو غيرها، وأنك تمر بأصابعك على أطرافها.
- حين تشعر بشيء من الضيق تمدد وارخ عضلاتك وحاول أن تتذكر ما تشعر به حين تكون بتمام صحتك، ولكي تبدأ عليك أن تجري هذا التمرين أثناء شعورك بتعكر مزاج بسيط، كألم عصبي مثلاً، وهذا الإيحاء الذاتي شاق، وسترى حالتك الحقيقية تصبح كالحالة التي تخيلها وذلك بصورة تدريجية، وتستطيع أيضاً بهذه الطريقة أن تعالج نفسك إذا أصابك ألم.

تأثيرات سمعية:

- بعد أن تستمع مرة أو مرتين إلى لحن موسيقي، حاول أن تتذكره ذهنياً بقدر ما تستطيع من الضبط، وإذا لم تكن من هواة الموسيقى، أو أنك لا تتمتع بذاكرة للأصوات، فلن تستطيع في باديء الأمر أن تتذكر سوى مقاطع من المعزوفة التي سمعتها، وعليك أن تثابر لأن وعيك النصفي قد سجل البقية، وستضطره بواسطة حصر الذهن إلى تذكر التأثيرات التي تسمح لك بإكمال اللحن المذكور.
- اصغ بانتباه إلى رنة جرس كهربائي أو جرس ساعة كبيرة إلى غير ذلك، وسيحدث حالاً أن ترددها ذهنياً بنوع أنك تخلق صورة كاملة للحقيقة، على أن هناك حادثاً صغيراً يمكن أن يحدث أحياناً على إثر هذا التمرين، هو أنه في اللحظة التي تريد أن تنهيه فيها، فإن الضجة التي تخيلتها تبدو أنها باقية بعامل من الوهم السمعي، ومن المهم أن تصارع هذا الوهم بشدة، ولأجل ذلك يجب أن لا تتخيل الضجة

بل الصمت. فكر في الصمت، وفكر أنك في وسط ظلمات كثيفة صامتة، وتذكر التأثير الذي تشعر به في هـذه الظلمات. أما إذا آنست من نفسك ميلاً إلى بقاء هذه الأوهام فيجب أن تناوب التمرين خمس دقائق ضجة وخمس دقائق صمتاً، وهكذا.

تاثير حاسة الشم:

- استعمل نموذجاً من العطور، وكلما قلت الرائحة المألوفة تزداد فعالية التمرين، ومن السهل عليك أن تركب عطراً أصلياً من مزيج عطور مختلفة، ولا يكفي أن تتذكر العطر لتعرفه، بل عليك أن تتوصل إلى إيهام حاسة الشم.

ومن المفيد في البدء أن تقابل بين ستة أنواع من العطور المختلفة على الأقل دون أن تتخيل أنك تشم رائحتها الواحدة بعد الأخرى، وما قيل في الفقرة السابقة عن دوام الوهم يجب أن يطبق هنا.

تأثير حاسة الذوق:

- تصور أذواقاً مميزة وسهلة كطعم الملح والسكر مثلاً، ثم اختر من المواد ما هو أكثر فرقاً دقيقاً كقاعدة للتمرين.

وتجسيد التأثيرات الذوقية يبدو أكثر صعوبـة من غيره، ولكنـه كثير الفائـدة لترويض مقدرة المخيلة الخلاقة.

تجسيد حالات النفس «الطمأنينة»:

- اختر لهذه التجربة شخصاً لك معه علاقة، وأنت تعرفه ظاهر الحزن قلق الطبع، على أن تحمل صورة له أو تذكاراً عن هيئته على الأقل. انصرف طوال خمسة عشر يوماً على الأقل وفي كل مساء إلى محاولة واعية، وفي بدء الجلسة بعد أن تتخذ وضعاً جسمانياً جامداً لا غنى عنه في سبيل العمل الذهني المنتبه، تخيل الصورة الذهنية للشخص، طابق أمارات هذه الصورة مع فكرة الحالة الدائمة المعذبة المغتمة القلقة، ثم تخيل الشخص المذكور كما يكون إذا كان هادئاً

مرتاحاً مليئاً بالإطمئنان على عكس حالته الحقيقية، وتمثله ليشعر جسمانياً أنه على خير حال، يتنفس بانتظام، خفيف الرأس، تخيله قد تحقق من وجود طاقة داخلية جديدة في نفسه، وأنه أصبح واثقاً من نفسه، أعطه ذهنياً علامات الإنبساط، ونظراً يعبر عن طلاقة وطمأنينة، وإن كنت تعلم أنه مصاب بالأرق فتمثله يغالب النعاس ويجذبه إلى النوم ميل لا يقاوم؛ أنظر جفونه تثقل وتنطبق، ورأسه ينحني شيئاً فشيئاً، وتظهر على شخصه علامات الإغفاء الهادىء المحسن المنشط. ستجد البرهان من الشخص الذي سيعلن أنه أصبح أفضل مما كان، وذلك قبل انقضاء خمسة عشر يوماً.

تجسيد حالات النفس «القلق»:

- ابدأ أولاً ببناء الصورة الذهنية للشخص، ثم قرر المطابقة بين شخصيته الخارجية وميزاته الأخلاقية، وحين ترى الشخص جيداً انقل إليه غماً فجائياً وتعكير مزاج لا يمكن معرفته، وتخيل أنه يفكر فيك وفي موضوع دعواك. كرر العملية.

إن الشخص حينما يتأكد من وجود الألم النفسي الفجائي، فسينتج عن ذلك اجتماع غير إرادي.

تجسيد حالات النفس «العطف»:

- بعد أن تبني صورة الشخص الذهنية وتكسبه ميزاته الأخلاقية والجسدية، تخيله يفكر فيك متحفظاً بفكرته لك، ولا تحاول في الجلستين أو الثلاث الأولى أن تغير ذهنيته، فهدفك أن تقيّده التفكير فيك، وبدلاً من أن تضيف صفاته الحقيقية إلى الصورة التي تمثلها له يجب أن تزيد زيادة خفيفة، شيئاً من حدة التفكير على فكرته عنك، تمثله شاعراً نحوك ببغض قد انطفأت حدته، أو بميل أو رغبة في أن يزداد معرفة بك، متشككاً بحكمه السابق عليك، إلى غير ذلك؛ وتخيل في النهاية اجتماعك به في المستقبل بحيث يكون هذا الإجتماع أكثر حباً وملاطفة،

واخلق التأثير اللطيف الذي يجب أن يشعر به حيالك.

وتحقيق هذه الأعمال أكثر سهولة من شرحها، على أن لا تنسى أن تستبدل الشخص بالفكرة، وأن تطبع ذهنيته بما يلائمك.

تجسيد حالات النفس «اللامبالاة»:

- اسع بعد المحاولة السابقة أن تبعد عنك شخصاً مزعجاً يؤذيك وجوده لسبب ما، أوح إليه مثلاً أنه يشعر بالتعب وأن الحيرة تجتاحه، وأن يشعر أن جهوده تذهب عبثاً، إلى غير ذلك.

وإذا بدا أنه يزعجك ولا يطيعك فأوح إليه المجيء إليك شاعراً بالضجر وبعاطفة اللامبالاة.

وهذا التمرين كغيره يجب أن يدوم ساعة، وأن يكرر عدة مرات قبل أن تظهر نتيجته.

ولا بأس أن نذكر أنه في كل تجربة من تجارب تجسد الحالات النفسية، أن تقوم بتحية الشخص المقصود محتفظاً بصورته الموهومة بشكل تام ودقيق.

الفصل الثالث والتسعون

الخلوة

إن دور الخلوة ما هو إلا تدريب فعال ناجح للغدة الصنوبرية، هذه الغدة التي عوضها اللسان عن قراءة الأفكار فجمدها، فاللسان لو كف عن الكلام لبدأت الغدة الصنوبرية تتنبه وتعمل عملها، وهذا ما يسمى بالدخول في الصمت، وهو تمرين قديم، أصبح معظم المتريضين الآن لا يعرفون حقيقة المقصود منه، وهم يطلقون هذا الإسم على دخول الخلوة.

قد يبدأ التمرين بالعزلة في مكان هاديء بضعة أيام بغير رؤية أي أحد، وقد يعيد الكرة حسب ما يراه من نفسه، كل مرة أكثر من سابقتها، والمدة أقلها40 يوماً، فعندما يخرج يجد نفسه أنه يستطيع قراءة الأفكار عن قرب أو عن بعد، وقد نقسم هذه التمارين إلى ثلاث درجات ثم درجة عليا.

أما الدرجة الأولى، ففيها ينقطع المتريض عن الناس أربعين يوماً من غير أن يرى أحداً، وله أن يقرأ بصوت عال ويسلي نفسه كما يشاء، وبعد انقضاء المدة المحدودة يخرج إلى الناس فيجد.أنه لعدم استخدام العقل الواعي في الإتصال بهم ـ أي الحواس الخمس ـ أصبح يقرأ أفكارهم إلى حد محدود. إن هذا التمرين كان شائعاً بين المتريضين الصوفيين والمشايخ، وهذه القوة تتلاشى تدريجياً وتختفي: وهم عادة يمزجون الخلوة بقراءة سور قرآنية أو دعاء من الأدعية أو اسم

معين من أسماء الله الحسنى مع استعمال الطيب والبخور.

أما الدرجة الثانية فيدخل المتريض الخلوة ولا يرى أحداً مطلقاً، ولا يتكلم ولا يقرأ بصوت مسموع، وقد يزيد مدة الخلوة زيادة هائلة. فهذا يستطيع أن يقرأ الأفكار ـ أي يتسلم التموجات الفكرية بسهولة ـ، وهو كذلك يفقد القوة بعد قليل إلا إذا كان يستخدمها كثيراً فتبقى مدة طويلة ثم تتناقص وتختفي، ولكنه قد يستطيع تلقي الأفكار إذا قام بعمل الإسترخاء وإخلاء الفكر في حضور الشخص المطلوب قراءة أفكاره.

الدرجة الثالثة، في هذه الدرجة يمارس المتريض الصمت والخلوة والصيام، مع الإفطار عند الغروب على خبز وقليل من زيت أو قليل من مسلوق الخضر وخبز شعير، وقد يمارس هذا العمل بعض المتصوفين والهنود، وفي هذه الدرجة يصل المتريض إلى الكشف وقوة التأثير والمقدرة على شفاء الأمراض، وهذه المقدرة تقوم على أساسين: الأعمال الكشفية التي يقوم بها، مقدرة المتريض على التأثير الفكري.

الدرجة العليا، يمارس المتريض الخلوة والصمت والصيام على أية طريقة من الطرق على حسب مدرسته، ويمارس في الوقت ذاته تمرينات معينة مثل التدريبات التأملية. وقد تطول مدة الخلوة إلى عشرة أعوام وأكثر، قد يصبح فيها المتريض قادراً على قراءة الأفكار عن قرب وعن بعد كما لو قرأ كتاباً مفتوحاً ويشفي الأمراض.

الفصل الرابع والتسعون

الغدة الصنوبرية

توجد غدة في مخ الإنسان تدعى بالغدة الصنوبرية لها عمل غير عمل الحواس الخمس، وهي تقوم بما يطلب منها من أعمال الكشف كالنظر عن بعد والسمع عن بعد والتأثير على الغائب ونقل الأفكار إلى الشخص في أي مكان، وقد يساعدها في عملها خيط خفي ينحدر من تجاويف المخ إلى تجاويف السلسلة الفقرية. لقد عجز الطب حتماً اليوم عن فهم وظيفة هذه الغدّة.

والغدة الصنوبرية هي جرم صغير على السطح الخلفي للمخ الأوسط، وهي مركبة من ساق أجوف أو عنق. ويقسم هذا العنق إلى قسمين: قسم يبرز من البطين الثالث، والقسم الخلفي يمتد حتى يندمج مع الجزء من المخ، وفي هذا القسم الخلفي من العنق الصنوبري تمر ألياف معينة، وهذا الأخير هو جزء من الذي هو جزء من المخ الأوسط، والجزء الأمامي من العنق الصنوبري ينطوي حول رباط صغير مستدير من الألياف البيضاء يسمى الشق الخلفي، وقد تحتوي الغدة رواسب المخ من فوسفات المانيزيا والنوشادر والجير وكربونات الجير.

والغدّة الصنوبرية ليست عيناً أثرية كما ذكر بعض علماء الحيوان وعلماء وظائف الأعضاء، فنبذوا البحث فيها، ولكن فيها أجهزة استلام الضوء كالعدسة والشبكة، والغدة الصنوبرية مملوءة بالفسفور ومتصلة بالمخ واختصاصه أن يتسلم

الإحساسات ومحصول الحواس الوارد من الخارج فيوزعه ويفسره، وقد نعلم أن العين مثلاً تلتقط أمواج الضوء فينقلها العصب إلى المخ فيفسرها، وإن كان هذا الجزء من المخ لا يقوم بعمله فإن العين وهي سليمة لا تنقل لصاحبها شيئاً ويصبح أعمى. وقد نلاحظ أن الغدة الصنوبرية عتيقة أصيلة في السلالات الفقرية وما زالت رغم ترقي الحواس الخمس، وهي تتردد بين الضمور والنمو.

بعد هذه النظرة الوجيزة من أجل معرفة ما هي الغدة الصنوبرية نستخلص النتيجة الآتية:

- يستعمل شل عمل العينين في التمرين على قراءة الأفكار، وذلك بواسطة فتحهما فجأة أمام نور قوي بعد إظلام أو بعد عصبهما زمناً طويلاً، ويستعمل الضغط الشديد على المقلتين لنقل الوسيط المبتديء إلى درجة الكشف.

- في التنويم المغناطيسي ينبغي أن تكون الغرفة مظلمة مضاءة بنور أحمر خافت لا تميز فيه العين البشرية المرئيات لضعفه، ومعنى هذا أن الغدة الصنوبرية تلتقط الأفكار.

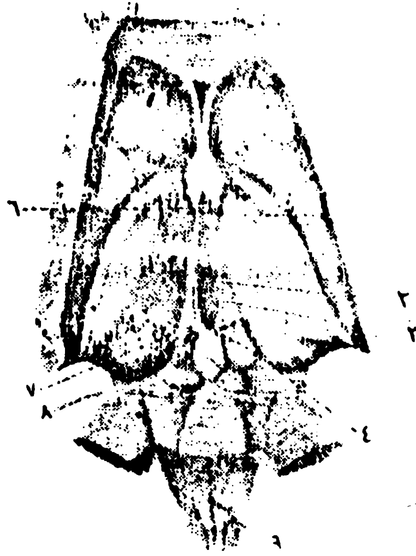
- إن ما يدعى بالمندل أو الإستنزال ـ وهو نوع من التنويم المغناطيسي ـ ينجح إذا كان الوسيط صغير السن، ومعروف أن الغدة الصنوبرية يتكلس ويضمر معظمها حوالي سن المراهقة وقبل السن تكون سليمة قابلة للقيام بعملها، ويبقى دائماً جزء منها حي يختلف حجمه في الأشخاص حسب استخدامهم لهذه الغدّة، وذلك يكون عادة بغير وعي منهم كالإعتماد على ما يسمونه «بالشعور الباطني» أو «صوت الضمير».

- ذكر الوسطاء المتعمقون أنه يوجد في المخ جسم سري يمكنه أن يكيف نفسه بحيث يلتقط أمواجاً معينة، ويذكرونه في تماثيل بوذا نبعاً من الضوء متفجراً من الرأس ـ طبعاً تلك هي «الغدّة الصنوبرية».

- يمكن القيام بتمرينات من أجل الإيحاء الذاتي لإحياء نشاط الغدة الصنوبرية،

والتمرينات السابقة الذكر كلها تقوم بدور تنشيط الغدة وإعادتها حية، وقد نعلم أنها نشيطة عند الصغار دون المراهقة.

الغدّة الصنوبرية كبيرة الحجم عند الثعبان الأعمى الذي يصطاد العصافير بتوجيه السيال إليها وهي في الجو، وفي الرجل الأكمه، وفي الطيور المهاجرة، وفي الحمام الزاجل، وفي الجمل الذي يسميه البدو الرحل بالمرشد الذي يقود القافلة إذا ضلت أو يعرف آبار الماء، والكلاب البوليسية.



(شكل 22 الغدة الصنوبرية في المخ البشري)

(١) النتوء الأمامي في المباد المخي. (٢) البطين الثالث.
(٣) حافة المهاد المخي (٤) ساق الجسم الصنوبري.
(٥) الجسم الصنوبري. (٦) الشق الأمامي.
(٧) الشق الخلفي. (٨) عصب العضلة العينية المنحرفة العليا.
(٩) النخاع المستطيل.

الباب التاسع

- القوى الخفية.
- المس والأشباح.

الفصل الخامس والتسعون

التحريك والكتابة والصوت والمجلوبات

الظواهر الفيزيقية للوساطة الروحية متعددة ونادرة الحوادث، إنها من الظواهر العقلية وأوضحها استقلالاً عن عقل الوسيط، فهي أدعى للإعتقاد بوجود وعي غريب، وقد توصف أحياناً بأنها ظاهرة موضوعية.

تحريك الأجسام الصلبة:

هي ظاهرة فيزيقية لحقيقة موضوعية أعم منها، وهي إمكان تأثير العقل أو الروح في المادة الصلبة تأثيراً مباشراً، وكثيراً ما تتخذ هذه الظاهرة في غرف الجلسات صورة رفع منضدة إلى أعلى بدون أية وسيلة مادية، وقد يرتفع الوسيط نفسه إلى أبعاد مختلفة، كما قد يتحرك أي جسم صلب من مكانه تحت بصر الموجودين في المكان.

الكتابة المباشرة:

هذه الظاهرة الفيزيقية تعني تحريك القلم على الورق تلقائياً وهو في غير متناول الوسيط، ومن الواضح أن هذه الظاهرة تعتبر من قبيل تحريك الأجسام الصلبة بغير وسيلة مادية، إلا أنه هنا يظهر وجود قدرة عاقلة غريبة عن عقل الوسيط تقوم بالكتابة المباشرة على مستوى من الأدب أو الإطلاع يفوق مستوى الوسيط، كما قد تقوم بأي نشاط علمي أو فني آخر مثل الرسم أو النحت أو ما شاكل ذلك من

الأمور الغريبة ، وقد تقوم هذه القوة العاقلة بتحريك القلم أو الجهاز الكاتب من غير أن تحتاج إلى تجسد جزئي أو كلي ، وهذا هو الأمر الهام الذي يميز هذه الظاهرة عن ظواهر «الأكتوبلازم» والتجسدات .

إن هذه القدرة العاقلة قد يكون صاحبها معروفاً أو مجهولاً ، وقد تتم هذه الظواهر تلقائياً وفي أوقات غير مألوفة ، وقد تتم أيضاً في جلسات البحث الروحي إذا توافرت الوساطة المناسبة ، وتوافرت في الوقت ذاته الرغبة والقدرة على التنفيذ من الجانب الآخر.

الصوت المباشر :

يعني ظهور صوت مسموع متميز تماماً عن صوت الوسيط، وقد يختلف عنه من حيث الذكورة أو الأنوثة والبلوغ أو الطفولة واللغة وطريقة الحديث واللكنة وكيفية النطق وكافة الصفات المميزة الأخرى مع اختلاف ظاهر في الأفكار والإتجاهات وسائر المميزات الشخصية التي قد تشير مجتمعة إلى وجود شخصية أخرى في المكان غير شخصية الموجودين ، وقد تكون هذه لشخص معين بالذات معروف لبعض الجلساء ولكنه بعيد عنهم .

المجلوبات الروحية :

تعني انتقال الأجسام الصلبة غير الجدران والأبواب المغلقة ، وربما كان الإنتقال من مسافة بعيدة هناك أو هنالك . والمجلوبات الروحية تعبير يقصد به إحضار هذه الأجسام الصلبة من خارج غرفة الجسات الروحية إلى داخلها . أما المأخوذات الروحية فتعني أخذ هذه الأجسام من مكان وجودها داخل غرفة الجلسات إلى مكان ما خارجها . وبالإضافة إلى هذه الظواهر الفيزيقية الهامة توجد أيضاً ظواهر أخرى كالعلاج المعجز لأمراض شتى عصبية وجسمية قد عجز الطب الجسدي عنها ولكنها استجابت للوسائل الوساطية . وظواهر العلاج الروحي كثيراً ما يرافقها ظهور أضواء مجهولة المصدر تتطاير في جو الغرفة ، سجلت وصورت من

قبل العلماء في بعض الجلسات الخاصة وربما حدث في بعض الجلسات تغيرات للجو وللوسيط قد تتناول أحياناً درجة الحرارة والضغط الجوي، بل قد تتغير حرارة الوسيط وسرعة نبضه ويتغير وزنه وربما أوزان من معه وأوزان بعض الأشياء المادية بدون وجود أسباب مادية لهذه التغييرات.

وقد تظهر رسومات وكتابات على الألواح الحساسة عن طريق بعض الوسطاء النادرين، بمجرد وضع اللوح الحساس بين يدي الوسيط أو على جبينه.

وأخطر الظواهر الفيزيقية على الإطلاق ظاهرة انبعاث مادة فريدة من خصائصها وفي قابليتها للتشكل والتلون هي مادة «الأكتوبلازم» وهي مادة جديدة نسبياً على المعارف الإنسانية، ولها أوضاع وألوان متعددة تتراوح بين الأبيض والرمادي والأسود، كما تتراوح في كثافتها بين كثافة الضباب أو بخار الماء، وبين الصلابة التي قد يمكنها أن ترفع جسماً صلباً ثقيلاً كالمائدة مثلاً. ولكنها تكون دائماً عند انبعاثها من جسم الوسيط في شكل ضباب باهت ثم تأخذ في التماسك والتشكل التدريجي حسب الغرض الذي يستهدفه الكائن أو الكائنات المهيمنة على الجلسة الروحية، وينبغي أن تنبعث وأن تعود في ظلام تام أو ضوء أحمر باهت، وإلا قد يتعرض الوسيط لأضرار جسمية بسبب عودة «الأكتوبلازم» بغتة للجسم. وقد ينبعث «الأكتوبلازم» عادة من فتحات الجسم وبوجه خاص من الفم والأنف والأذنين وأحياناً من مسام البشرة ومن القدمين، وتستخرج هذه المادة من الضفيرة الشمسية للوسيط أو الهالة، وأحياناً من القلب لأنه مستودع الدم، وأحياناً من فوق الكتف، أو من القدمين. ويحتاج استخراجها إلى مران طويل من الروح، وإلى غيبوبة وإذعان طويل من الوسيط، وتضيف إليها الأرواح أحياناً مادة تستخلصها من الأثير فيصبح اسمها «تلبلازم».

وقد تبين من تحليل مادة «الأكتوبلازم» أنها تتكون من خلايا آدمية ومن كلوريد الصوديوم.

الفصل السادس والتسعون

الأشباح والأرواح

إن العقل الباطن هو الشعاع الموجود في الإنسان، وهو لا يناقش، بل يقبل كل ما يصل إليه، وهو يخضع لقانون الإيحاء، وفيه كل الحكمة والقوة، وقد يولد كل إنسان وعقله الباطن تام النمو، وهو الذي يشرف على بناء جسمه منذ كان خلية واحدة، ويظل مسيطراً عليه، ويرسل الأوامر إلى المراكز العصبية فيتصل بكل خلية في الجسم، وهو نفسه كائن في الخلية الحية المنفردة التي ينشأ منها الجنين، وهو الذي يشرف على نموها لتكون إنساناً ولا تكون حيواناً آخر. فالعقل الباطن يسيطر على تكوين الجنين وبناء الجسم، ويتحكم في جميع العمليات غير الإرادية كالدورة الدموية وإفرازات الكبد والمعدة ومثل ذلك، فهي تحدث بنظام دقيق وأسرار كيميائية يعجز عنها العقل الواعي. والعقل الباطن هو المشرف الفعال على عمليات التجديد والبناء والإلتئام التي تحدث في الجسم، ومن خصائصه أيضاً القيام بالإنعكاسات أو الإستجابة العصبية للمؤثرات التي يتكرر حدوثها ـ فإن نخز إنسان أصبعك بإبرة فإنك تجذب يدك بسرعة عجيبة لا يستطيعها العقل الواعي ـ وهو سجل غرائز الجنس البشري وتجاربه، فإذا كان آباؤنا قد لبثوا بضعة آلاف من السنين وهم يتأثرون بمؤثر معين بطريقة معينة يصبح هذا التأثير غريزة، ولم يبق الآن شك في أن الغرائز والصفات البشرية تورث وتحفظ في العقل الباطن.

وفيه غيرة القوة الجبارة التي تسير الأقدار، وغيرة الخير والجمال والإيثار، وغرائز إنسان الغاب وأثرته العمياء من أجل البقاء، ونزوات الشهوات والأفكار السلبية الهدامة الخرقاء.

وهذا العقل لا يفكر ولا يستنتج، ولا يقدر ولا يوازن بين أمر وأمر لينتخب أصلهما، ولكنه يقبل قبولاً تاماً كاملاً كل ما يصل إليه ويشرع في تنفيذه في الحال حتى لو كان مستحيلاً، فإذا وصل إيحاء إليه لأسباب مرضية ينطوي على أن صاحبه ملك له رعية فلا بد أن يصير ملكاً في مستشفى الأمراض العقلية، ومن هنا نفهم أن العقل الباطن قوة ساحقة، وهو آلة ضخمة مخيفة، أيان توجهها تندفع جارفة عمياء صماء، ويمكن الوصول إلى هذه القوة الساحقة بواسطة الإيحاء، فالإيحاء الذاتي هو مخاطبتك عقلك الباطن، وكل تأثير يصل إلى العقل الباطن يسمى إيحاء.

وملخص الموضوع أن القوة العظمى الفاعلة القادرة على كل شيء أو الموجودة في كل مكان وزمان قابلة للحلول في الخلية المنفردة لتأخذ منها بهذه الخلية على قدر طاقتها ومستلزمات حياتها، ولما كانت الخلايا هي التي تكون كل مخلوق، فالعقل الباطن هو الصلة بين المخلوق وبين القوة العظمى الفاعلة يأخذ منها على قدر طاقته، وذلك يشبه الكهرباء وآلاتها، فالكهرباء غير محدودة القوة، والآلات تأخذ منها على قدر طاقتها، وهذا معنى ما ورد في جميع الكتب المقدسة في العالم من أن الإنسان شعاع من روح الله، ومن هنا نفهم بسهولة كيف يمكن أن يتصل أي عقل باطن بمثله، لأنها كلها تشترك في القوة العظمى الفاعلة التي توجد في كل مكان على شكل تموجات أثيرية غامضة، ومن خصائص العقل الباطن أيضاً أنواع الكشف كالنظر والسمع عن بعد وقراءة الأثر وتحريك الجماد عن بعد. هذه نظرة عن العقل الباطن أو اللاشعور أو اللاواعي.

أما العقل الواعي، فهو عقل الإستنتاج والإدراك، وهو عضو من الأعضاء وآلة من آلات الجسد، خاضع لقانون النشوء والإرتقاء وقانون التكيف التدريجي حسب الوسط، وقد اثبتت دراسة إنسان ما قبل التاريخ أن الجزء من المخ الذي

يقوم بأعمال العقل الواعي لم يكن له وجود في جمجمته، بل كان لهذا الإنسان مركز عصبي يجعله يقوم بالأعمال الإختيارية فيتحرك وينتقل ويحوز ما يشبع رغباته، ولكنه كان عاجزاً عجزاً تاماً عن الإستنتاج والإستقراء، ولما بدأ العقل الواعي ينمو ظهرت الرغبة بأن تزداد قدرته وخصائصه، وهذه الإرادة والرغبة ببقائهما وازدياد قوتهما بتكرار الحاجة ومطالب الحياة، أصبحتا إيحاء قوياً موجهاً إلى العقل الباطن فوصل إليه فاستجاب له وأخذ يضيف إلى المخ شيئاً فشيئاً الأجزاء التي تؤدي عمل العقل الواعي.

وهذا العقل الواعي يؤدي عمله وهو خاضع لقانون الحدود، فكل تقديره وحسبانه يقاس على الزمان والمكان، ولا يمكنه أن يدرك معنى زمن بلا نهاية أو مكان بلا حدود، وعمله يختص بالأمور التي لها مبدأ تبدأ عنده وطريق تسير فيه ثم نهاية تقف عندها، فهو لذلك لا يعرف كل شيء ولا يستطيع أن يدرك كل شيء، وهو يستطيع أن يقوم بأمور معينة ويعجز عن أمور أخرى - أي أنه متخصص ومحدود الإختصاص ككل جهاز جسدي، ولقد طال بقاؤه وهو خاضع لقانون الحدود حتى أنه أصبح لا يدرك إلا بصعوبة شديدة معنى قدرة عليا تقدر على كل شيء ولا نهاية لها ولا حد - ولقد أصبح الإدراك الواعي بالخضوع لقانون الحدود إيحاءً ناجحاً يومي بذلك القانون إلى العقل الباطن، فتقبل الإيحاء وصار العقل الباطن محاطاً بالحدود وأصبح التحديد نطاقاً خارجياً للقوة غير المحدودة، قد يظهر ذلك لأول وهلة غير منطقي ومخالفاً للحقائق، ولكن الحقيقة تدركها عندما تستوعب طبقة العقل الباطن وعمله، ويمكن أن تشبهه في هذا المقام بآلة هائلة القوة ولكنها ساكنة لا تتحرك من ذاتها، وقد يحركها طفل صغير بالضغط على هذا الزر أو ذاك وهو لا يعلم شيئاً، وقد يحركها غيره وهو يعلم عنها بعض العلم، وقد يحركها غيره وهو خبير، ولنضرب مثلاً آخر يكفينا فيه من القول، لنفرض أن ضوء الشمس العادي الأبيض هو القوة غير المحدودة، فإذا كنت في منزل له زجاج أحمر لم تدرك حواسك إلا الأشعة الطويلة الأمواج وتظهر لك حمراء، فالضوء الأبيض ينسكب

على المنزل من الخارج ويغمر مئات الملايين من الأميال من هذه الدنيا، ولكن الزجاج الأحمر لا يسمح إلا بمرور الأشعة الحمراء وأنت في داخل المنزل لا تعرف ولا تستطيع أن تصنع ما يحتاج صنعه إلى أشعة بيضاء، فلا تستطيع مثلاً أن تصور صورة فوتوغرافية أو ترى بعض الألوان على حقيقتها. فانحباس العقل الباطن داخل الحدود كبقائك في المنزل الأحمر الزجاج، وإدراك عقلنا الواعي للحدود وانطباعه عليها وخضوعه لها زمناً طويلاً هو الزجاج الأحمر الحاجز الذي يتدخل بيننا وبين القدرة التي لا نهاية لها والحكمة العليا، فإذا أمكن العقل الواعي أن يدرك ويقدر ويؤمن بقوة العقل الباطن، هذه التي لا نهاية لها سقط هذا الحاجز وسقط خضوعنا لقانون الحدود. واعتقاد العقل الواعي بقوة الباطن هو أساس علم النفس العملي ولا تستطيع بدونه أن تعمل عملاً عظيماً تتفوق به في هذا الميدان.

هذا هو السر، وهذا هو أساس أعمال السحر والتأثير عن بعد والمعجزات وشفاء المرضى. والخلاصة أن العقل الباطن قوة لا نهاية لها، ولكنها خاضعة للإيحاء مما حولها، والعقل الواعي محدود القوة، فهو يعتقد أن الممكنات محدودة، وهذا الإعتقاد أثر على العقل الباطن بطريق الإيحاء فأصبح خاضعاً للتحديد عاجزاً عن أي حركة عظمى.

بعد هذه اللمحة الخاطفة عن العقل الواعي، ننتقل إلى العقل الذاتي أو منطقة الأحلام.

هو نطاق العقل الباطن الذي يحيط به، وهو حالة الفرد العقلية حينما يكون نائماً، منطقة الظلال المسيخة وأشباح الخيال والأوهام، ومادته هي مادة الأحلام، منه يستمد الوسيط المغناطيسي وبعض أصحاب الأمراض العقلية أوهامهم العجيبة، وقد تركز تفكيرك في أمر معين فتخامرك وتناوشك أفكار أخرى لا علاقة لها بهذا الأمر، فهذا هو العقل الواعي الذاتي يتسلل ويتدخل، وهو أيضاً مملكة النسيان التي يسير عبرها الفرد حينما يستيقظ من نومه العميق، وهو الذي لا يسيطر فيه إلا العقل الباطن وحده ـ أي أن الإنسان يمر في منطقة العقل الذاتي ويعبرها أثناء

انتقاله من الباطن إلى الواعي وبالعكس. وكذلك هو مخزن الذكريات الشخصية وفيه من الحكمة مقدار يتناسب مع هذه الذكريات، فكل ما مر بالفرد مسجل فيه - وهو مثل العقل الباطن - يصدق ما يرسله إليه العقل الواعي من الرسائل، فإذا قال المنوِّم للوسيط إنه ديك رومي صدق ذلك في الحال وبدأ يتخذ أوضاع الديك ويتحرك حركته، وإذا قال له إنه سيلمس بيده جمرة ولمسه بأصبعه تلوى من الألم، وكثير من الأمراض العقلية ليس إلا تغلب أوهام العقل الذاتي، وليس معظم الأحلام إلا ذكرى تأثيرات التقطت من العقل الذاتي في فترة الإنتقال بين الواعي والباطن عند غلبة النعاس أو عند الإستيقاظ، ومن هنا يغلب أن تكون الأحلام مفككة أو منطوية على حمالة وأعمال لا يأتيها المرء في وعيه، لأن العقل الذاتي هو أيضاً منطقة الجنون، ففي كل إنسان طريق تؤدي إلى الحكمة العليا وطريق تؤدي إلى الجنون. وهذا العقل قد سمي أيضاً العقل المغناطيسي، لأننا نصل إليه بالتنويم فنعرف جميع خصائصه، وهي خصائص الوسيط النائم، فهذا العقل يمتلك قوة كشف محدودة، لأن التأثير المغناطيسي يصل عادة إلى العقل الذاتي ولا يتعداه.

أما الطريقة العلمية والتدريبات الفنية الدقيقة، فتصل إلى العقل الباطن. فالعقل الذاتي مادة عازلة بين الباطن والواعي، تمنع نفوذ الأفكار الواعية إلى الباطن وتحميه من التأثيرات الخارجية، كذلك تمنع نفوذ الأفكار الباطنية إلى الواعي، فهو لذلك مضغوط عليه من الناحيتين فيتسرب إليه من كليهما شيء من مادته، فهو يأخذ من الباطن شيئاً من قوة الكشف ويأخذ من الواعي أفكار الحياة اليومية وملابساتها.

والإيحاء الذاتي بمختلف الطرق هو زيادة الضغط العقلي الواعي ليخترق هذه المنطقة العازلة الحارسة، كما يزداد ضغط التيار الكهربائي ليعبر عازلاً من الزجاج، أو من الهواء، وهذا الضغط الواعي يكون بالتكرار والتركيز والتصور.

تدريب العقل الذاتي :

فوائد هذا التدريب هو ترتيب العقل الذاتي لراحة الأعصاب، لأن كل فكرة لها طاقة وقوة، بدليل أن كبت فكرة معينة يحدث مرضاً نفسانياً ولو بعد عشرات السنين، وهو يشبه مخزناً مملوءاً بالأتربة، فتدريبه كتنظيف هذا المخزن وترتيب محتوياته. كما يسهل مرور الفكرة من الواعي إلى الباطن، وهذا ما يسمى بالإيحاء، وتسهيل مرور الفكرة من الباطن إلى الواعي، وهذا ما يسمى بالإستلهام، وكلاهما - أي الإيحاء والإستلهام - لا بد له من عبور بحر النسيان وهو العقل الذاتي، فبواسطة تدريبه تهدأ أمواجه المتلاطمة. كما أن الأحلام تظهر واضحة بعد تدريبه ولا تنسى بسرعة كما هو المعتاد، والأحلام أهم ركن يعتمد عليه التحليل النفساني أو الشخص المتعلم لإدراك أسرار نفسه ومتاعبه الكامنة في عقله الباطن.

فهذه التدريبات هي بمثابة تحليل نفساني ذاتي وهي أربع :

التداعي الحر :

- اجلس في غرفة منعزلة واسترخِ استرخاء تاماً، ثم فكر في أي شيء من تاريخ حياتك ودونه على ورقة أمامك ملخصاً إياه في كلمة أو كلمتين، وبعد ذلك اكتب ما يخطر على بالك بالتتالي ولا تجهد نفسك وفكرك في كتابة الذكريات منتظمة، بل الغرض أن تترك الذكريات تتداعى - أي يدعو أحدها الآخر بغير أي ترتيب ولا نظام -

مارس هذا التدريب بهدوء ومن غير إجهاد نحو عشر دقائق، بعدها مزق الورقة التي كتبتها. تكرر هذا التمرين في جلسات مراراً حتى تشعر بأنك فكرت في كل تاريخ حياتك، وتذكّرت كل ما يمكن تذكره، ولا بأس في أن يمتد هذا التمرين شهراً أو شهرين أو أكثر.

التنظيم :

اجلس جلستك هذه ذاتها، ونظم تاريخ حياتك كتابة بحيث تبدأ من يوم

ميلادك فتكتب تاريخه والظروف التي تلابسه وأحوال الأسرة ومسكنها على قدر معلوماتك ثم تاريخ طفولتك والوسط الذي تربيت فيه وحالة الأسرة العقلية والمالية كما استنتجتها، وهكذا تتدرج بنظام في تحليل نفسك والعوامل التي كانت محيطة بك وأخلاق ونفسية الأشخاص والوسط الذي نشأت بينهم.

التعليل:

بعد أن تسجل التواريخ المهمة في حياتك وأطوارها بنظام، تبدأ في تعليل أخلاقك الخاصة وتفاصيلها وما عندك من نزوات أو عيوب أو شذوذ أو بالعكس، وحاول أن تعرف السبب الحقيقي الذي أدى إلى جعلك مثلاً سريع الغضب أو كثير الخجل أو قليل الإهتمام بالمادة أو مادياً، ومغرماً بالتدخين أو كارهاً له، وهكذا.

التأمل:

لا تنتقل إلى هذا الدور إلاّ بعد اتقان الأدوار السابقة، وفي هذا الدور ينبغي أن تتعود ممارسة الإنقطاع من حين إلى حين وحدك في مكان هادىء كحديقة أو مرج أو صحراء، وتجعل ذلك عادة تلازمك، فتجلس في هدوء تام وتسترخي وتتنفس تنفساً عميقاً بغير إجهاد. ثم تتأمل في الحياة وفي تواريخ الذين عرفتهم ثم انتقلوا من هذه الدنيا، وفي الغرض من هذا الوجود، ومن وجودك أنت بالذات، وفي هدفك وأغراضك الشخصية، وحاول أن تحددها وترسم مثلك الأعلى رسماً واضحاً، وليكن تأملك وتفكيرك بهدوء واسترخاء وصمت تام في سكون تام، فإن التأمل مع الصمت في الهدوء يؤدي إلى صفاء النفس. ستجد من هذا التمرين أفكاراً صائبة وإلهامات عجيبة ترتفع من عقلك الباطن إلى الواعي، وتشعر بقوة شخصية غريبة، وترى في عينيك تألقاً لم يكن لك فيه عهد، وتموت من نفسك الوساوس وتذبل أشواك الشر والحسد، ويحل محلها الصفاء والثقة بالنفس.

والآن نطوي موضوع العقل الباطن، والعقل الواعي، والعقل الذاتي وتدريباته، والتي هي في الواقع مقدمة وتبصرة لموضوعنا الحقيقي «الأشباح والأرواح».

ويمكن أن نقسم الموضوع إلى ستة أقسام:

1 - ظواهر مبالغ فيها أو مختلفة، وليس من العسير على القاريء أن يدرك هذه الحقيقة، فضعاف العقول والشخصية يكذبون ويختلفون لإكساب كلامهم ما هو غلو وسفاسف، فيلاحظ القاريء المنصف أن ما سمعه عن الأرواح والأشباح وعجائبها وظواهرها الخفية مصحوبة بأغلظ الإيمان من أصحابها، وأنهم أنفسهم لم يروا شيئاً. يلاحظ ذلك من قبيل الخيال.

2 - أوهام يعتقدها الإنسان حقيقة، مثل ذلك الذي تاه به المركب في عباب البحر أو ذاك الذي ضل طريقه وسط الصحراء، حيث كل منهما فقد الزاد والماء، فاضطربت حواسه واستثارتها الغرائز فتسمع الأذن ما لا يسمع وترى العين ما لا يرى، فيبقى صاحبها بين تكذيب وتصديق حتى يجمع في الأخير أنها حقيقة بسبب سيطرة الوهم والخوف، فتبدو الوساوس وجنون الإضطهاد بأنواعه ومركبات شخصية التائه.

ومن أشهر الأوهام أيضاً ما يصيب المصابين بأمراض نفسية فيرون أناساً يأتمرون عليهم وأشباحاً تتصاعد إلى السماء وتهبط وتحاول إيذاءهم. ولقد يعيش كثير من الناس طيلة حياتهم معيشة عادية وهم في الدرجات البسيطة من هذه الأمراض النفسية يرون في الظلام أشباحاً سائرة وظلالاً عابرة ويسمعون الهواتف تسبهم أو تمدحهم، وما ذلك إلا اندفاع العقل الباطن للتعبير عن عقدة دفينة، ويغلب على هؤلاء الناس مظاهر الطيبة والصمت، وما هي إلا ذهول الأمراض النفسية وغلبة التخاذل العصبي والتضارب الباطني.

3 - تأثير الإيحاء. والإيحاء هو إيصال الفكرة إلى العقل الباطن، وأسهل مراتب الإيحاء هي الحواس، أي تغلب قوة الإيحاء على حاستي السمع والبصر أو غيرهما، ومن أبسط طرق الإثبات هو إلقاء الوسيط أو أي شخص حساس تحت التأثير المغناطيسي وإعطاؤه إيحاء بالأيدي ولا يسمع شخصاً معيناً موجوداً بالفعل في الغرفة، ثم أيقظه الوسيط فتراه وهو في حالته الطبيعية لا يرى هذا

الشخص مطلقاً ولا يسمع صوته، ويمكن عمل تجارب لا حد لها من هذا النوع ترى منها بوضوح أن الحواس سريعة الضلال سهلة الخضوع للإيحاء، ولا نقصد هنا أن الشخص **العادي** يرى الأشباح خضوعاً للإيحاء المغناطيسي، ولكنه إيراها متى اجتمعت عليه عوامل معينة للإيحاء في اليقظة.

4 ـ غرائب هندسة المساكن، وهي تعلل سماع أصوات غريبة مجهولة ورؤية أشباح متحركة. وأشهر مثال هو سماع وقع أقدام على السلم من غير أن نرى أحداً خاصة في صميم الليل فتثير دهشة كبرى، لأن هذا المسكن قد يكون من خلفه مسكن آخر تقارب درجه درج المنزل، أو تلك القباب المزينة بالزجاج في أعلى حيث تعكس صور المارة في شكل مصغر ومقلوب، أو تلك المساكن التي يمر القطار على بعد منها، وفي الأحياء المتزاحمة ينتقل صوت الجدران إلى همس مفزع، وقس على هذه الأمثلة.

5 ـ الأعمال الإحتياطية، وهي أعمال كثيرة لا حصر لها تختلف حسب البيئة وأصحابها في الشرق وفي الغرب وفي كل زمان، يتخذونها رزقاً غير مشروع.

6 ـ ظواهر حقيقية، لها أسباب علمية، منها التنويم الذاتي، فهناك من الناس من ينوم نفسه ويقرأ فكر الزائر، ومنهم من ينوم نفسه بالتلاوة، ومنهم من يستعمل البخور، ومن طرق التنويم القديمة ما ينسب إلى استحضار الأرواح مثل طريقة «التلبيس» وهي أن يكتب المستحضر حروفاً وأعداداً على أصابع الوسيط، ويوحي إليه بأن أصابعه ستنفرج رغماً عنه عند حضور الروح، وأن جسمه سيتخشب ويجيب إذ ذاك على جميع الأسئلة، ثم يغطيه بملاءة بيضاء ويأخذ في التلاوة وإطلاق البخور، فتراه بعد برهة ينام ثم يبدأ الكلام.

ومن الظواهر المعروفة تساقط الأثاث في بعض المنازل، وقد تكلمنا عن قوة العقل الباطن في تحريك الجماد، وهي السبب الحقيقي هنا، وهذه الظاهرة تلازم عادة شخصاً معيناً، فكل بيت يحل فيه تتساقط بعض محتوياته، وأحياناً يستمر التأثير

موجوداً في المنزل حتى بعد مفارقته له، وقد لا تتساقط الأشياء إلا إذا كان هذا الشخص نائماً. وهذه الظاهرة تنتج عن كبت في العقل الباطن بسبب ثورة أو رغبة في التنفيس بطريقة لا يفهمها العقل الواعي، ويمكن علاجها بسهولة عن طريق التنويم المغناطيسي باعتبارها حالة نفسية.

ومن اللطيف أن المشتغلين بالروحانيات من المشايخ يعالجون هذه الظاهرة ـ ظاهرة تساقط الأثاث ـ بنجاح تام بطرق إيحائية أيضاً، يتخذ فيها شكلاً أو طريقة من الطرق.

بقيت مسألة ظهور أشباح الموتى، فقدنلاحظأن الشرط الأساسي لظهورها، والذي لا يمكن أن تظهر بدونه، هو أن يكون المشاهد في حالة استهواء ـ أي متقبلاً للإيحاء والفكرة ـ كأن يكون عابراً بالمقابر في سكون الليل وقد غمره الخوف، أو عند تنبهه من النوم في صميم الليل، والحل الصحيح لظهور الأشباح، أنها قوة التعبير والتجسم في العقل الباطن، وتزداد هذه القوة كلما اقترب الإنسان من الموت حيث تتعطل وظائف الجسم وتسيطر القوة الباطنية. ونلاحظ أيضاً أن كل الأشباح التي تظهر يكون أصحابها قد ماتوا ميتة عنيفة فجائية، ولهم رغبات صارخة عظيمة القوة، ولن نسمع بظهور شبح رجل مات هادئاً ميتة عادية.

فالرجل القتيل يريد عقله الباطن إرادة مشتعلة متلهفة أن يعرف العالم ما حدث له، ويكشف سر قاتله، ويعيد تمثيل منظر قتله، وهذا ما يحدث في المنازل المسكونة، يستمر فيها حتى يوجد من يتلقى الرسالة بغير فزع، وإذ ذاك يختفي الشبح إلى الأبد، وهو من أجل إنه فكرة مجسمة لعقل باطن كان حياً ثم انقضى، نرى هذا الشبح لا يؤدي إلاً معنى واحداً ورسالة واحدة، وليس له أي ذكاء آخر أو مقدرة على أي تصرف لأنه ليس إلا فكرة متجسمة. أما الذي يشعر باقتراب الموت وله ولد أو حبيب غائب يريد أن يطلعه على أمر معين كمال مخبوء، أو سر خطير مثلاً، فإن رغبته القوية تنتقل إلى أي عقل باطن، وقد ترتفع إلى الواعي متجسمة

كشبح تراه العين أو هاتف تسمعه الأذن، وقد تمضي أجيال وهي تنتقل في مملكة الخفاء.

إن العقل الباطن له مقدرة تامة على خلقَ الأشباح وتجسيم الفكرة، ولكن يجوز بأبسط تفسير أن الفكرة تنتقل إلى أي عقل باطن آخر مصحوبة الإيحاء برؤية منظر معين في مكان معين، ولا منظر هناك ولا أرواح ولا أشباح، فيرى المنظر في المكان المعين الذي كان مسرحاً للحادثة الأصلية حين وصلته الرسالة، وأصبحت حالته صالحة لإنتقال الفكر الباطني إلى الواعي بسبب السكون أو الظلام أو الرهبة أو الإنفراد، وكلما انتقلت الفكرة من باطن إلى باطن زادت دائرة انتشارها، لأنه لكل شخص اتصالات باطنية أسهل من غيره كاتصاله بإخوته أو أولاده أو خلطائه، وهذا يفسر ظهور الأشباح في مكان معين سنين طويلة، كأشباح القصور والأبراج في القلاع الأثرية وقت أن كان السجين يترك ليموت جوعاً في غرفة منعزلة.

الفصل السابع والتسعون

المس الروحي

هو غزو روح ضال أو مشاغب لهالة الإنسان في مجموعة من الإهتزازات الأثيرية التي تعلو الرأس والتي يوجد فيها العقل والمراكز المهيمنة على المجموع العصبي والحواس كلها فيسبب أمراضاً عقلية أو عصبية أو عضوية مستعصية، وقد يدفع الروح الماس الشخص الممسوس أحياناً إلى ارتكاب جريمة قتل ضد غيره أو ضد نفسه أو يدفعه إلى تناول مخدر أو مسكر حتى ينهار فيه.

هذه الشخصيات الماسة غير المنظورة تكون أرواحاً ضالة، وقد تكون أرواحاً لم تشعر بعد بانتقالها إلى عالم الروح فتلتصق بعالم المادة عن طريق تخفيض اهتزازاتها دون وعي منها وتسبب إيذاءً أو مرضاً لسكانه، وقد تكون هذه الأرواح سبباً في إيذاء أنفسها دون وعي منها. فإذن هي أرواح غازية مغزوة في آن واحد. والإنتقال على فجأة إلى عالم الروح كما في الحرب والحوادث العارضة - من الوسائل الفعالة في هذا الصدد، لأن الموت يكون فجأة، فيجهل الكثيرون من القتلى حقيقة الحال، وقد يظلون في جهلهم هذا سنين إلى أن ينبههم سكان عالم الروح ممن سبقوهم أو ينبهون في الجلسات الروحية عن طريق الوسطاء الروحيين، وكثيرون ممن يكونون قد عانوا ألماً شديداً في مماتهم يشكون ذلك في الجلسات الروحية.

والواقع أن الجسم الروحي مع حصانته ضد الآلام والأسقام المادية ينسلخ من الجسم المادي، على حين يكون الحس بالألم قد انتقل إليه من ذلك الجسم المادي عندما كان الجسمان في مدى حبل الإتِصال الأثيري الذي يصل ما بين رأس الروح ورأس الجسد، فيظل الشعور بالألم موجوداً، ويكون الروح في هذه الحالة مغزواً كذلك على هذا النمط، فهو ممسوس أيضاً، وقد تبقى حالة المس هذه طويلاً بعد انفلات هذا الحبل ـ أي بعد الموت ـ.

يقول الروحي «ملدون» في كتابه «طرح الجسم الروحي» ـ «ليس ما يدفع الروح إلى هذه الورطة مجرد حالة عقلية، بل يدفعه إليها الإنتقال الفعلي للحس خلال خط القوة ـ أي انتقال الألم الحقيقي إليه ـ ووسط هذا الخبل يظل الميت حياً في هذا الموت الذي يعانيه، فيظل مدة تطول أو تقصر، وبعبارة أخرى. يظل يعاني هذا الموت وآلامه».

وقد يغزو وهو في هذه الحالة هالة أحْد الأحياء منا فيحدث حالة من حالات المس الغريبة يمثل فيها بطريق الشخص الممسوس ما تم له في ميتته، وفي هذا تأييد ما يشاهده الرواة ويرونه عن الممسوسين من جهة، ومن جهة أخرى عن أرواح القتلى والمحروقين والغرقى والمنتحرين، وقد تظهر لأمثال هؤلاء الأرواح الضالة والمشاغبة أحداث وآثار بفعل تلك «القوة الخفية الواعية» التي تتصلب، فتستحيل قوة ملموسة تحدث صوتاً أو تقذف بالحجارة أو تبعثر الأثاث في المنازل، وما إلى ذلك من الشغب والإيذاء.

أمثال هذه الأرواح المضطربة والحائرة هي التي تسبب حالات المس الروحي للمقيمين في عالم المادة عند حدوث صدمات فجائية تُشق الهالة فتغزوها الأرواح، وتضغط دون وعي منها على المواضع المهيمنة على مراكز الحس فتسبب حالات مرضية بعيدة عن متناول الطب.

يقول السيكولوجي الدكتور «كارنجتون» في كتابه «الظواهر الروحية

الحديثة» عن المس الروحي «وأوضح أن حالة المس الروحي هي على الأقل حالة واقعية لا يستطيع العلم بعد أن يهمل أمرها ما دامت توجد حقائق كثيرة مدهشة تؤيدها، وما دام الأمر كذلك فإن دراستها تصبح لازمة واجبة، لا من الوجهة الأكاديمية فقط، بل لأن مئات من الناس يعانون كثيراً من الوقت الحاضر من هذه الحالة، ولأن شفاءهم منها يستلزم الفحص السريع والعلاج الفوري، وإذا نحن قررنا مرة مكنة المس الروحي من الوجهة النظرية انفتح أمامنا مجال فسيح للبحث والتقصي يتطلب كل ما يتطلبه العلم الحديث والتفكير السيكولوجي من العناية والحذق والجلد».

وفي خطبة ألقاها الدكتور «وبستر» في قسم الأمراض العقلية بالجمعية الطبية الأمريكية قال: «لطالما رأيت الأرواح المحدثة للجنون، بل إنني في بعض الأحيان كنت أسمع أصواتها. أما أولئك المجانين الذين قيل عنهم إن جنونهم لا رجاء فيه فقد أضاعتهم في الغالب الهيمنة الجارفة التي فرضها على الواحد منهم روح أو مجموعة أرواح».

ويحدثنا العلامة الدكتور «آرثر جـ. ولز» عميد كلية الولايات المتحدة للعلوم والبحوث الروحية في كتابه «الحياة الآن وإلى الأبد» عن ذلك المرض الجديد الذي اعترفت به كلية الأطباء الباطنيين في أمريكا مطلقة عليه اسم «المرض الإجتماعي» وليس في هذا المرض الجدير إلا اسمه، وذلك لأنه يدخل في نطاق المس الروحي، وقد قال الدكتور «ولز» «إن هذا المرض ينشأ من طول التذمّر من الحياة الإجتماعية أو المنزلية، وقد أظهر فحص 1500 حالة تقدمت للقسم الطبي «بكولمبيا» وتضمنت مرضى بأوعية القلب والبول السكري ومرضى يشكون كسوراً في العظام ـ أظهر الفحص أن نحو 80 بالمئة من هؤلاء كانوا متأثرين في الواقع بعامل روحي هو الذي سبب المرض على الأرجح، وفي هذا ينفسح المجـ للمعالجين الروحيين لا للمعالجين بالعقاقير».

وقد نجح رجال الطب الذين يؤمنون بالروحية أمثال الدكتور «ويكلانـد» الأمريكي، ومعهده لعـلاج حالات المس في «كاليفـورنيا» حتـى أنـه قال: «إنـه بالعلاج الروحي يستطيع إخلاء مستشفيات الأمراض العقلية من نصف نزلائها على الأقل».

الباب العاشر

- الحاسة السادسة.

- الذكريات وإرجاعها.

الفصل الثامن والتسعون

الحاسة السادسة والتنبؤ

عدد من الناس يملكون الحاسة السادسة، فيستعملونها من أجل الكسب، فهناك من لديهم المقدرة على كشف المعادن أو المياه أو البترول، فتستخدمهم الشركات للإنتفاع بهم، وقد يدعون «بالمقنقنين».

أما «المستبصرون» فقد تستخدمهم الحكومة في اكتشاف الفارين والضائعين، ففي الحرب العالمية الثانية نجح المستبصر الهولندي «جرارد كروازيه» في اكتشاف قبور الذين ماتوا في هذه الحرب المدمرة، وفي الحرب العالمية الأولى استخدمت المستبصرة «مسز سيدلر» من قبل الجيش الألماني، وفي ثورة الهند استعملوا الحاسة السادسة لمعرفة القوات البريطانية.

إن الإهتمام بالبحث في الحاسة السادسة أخذ يحتل مكاناً مهماً لدى الدول على الأخص الإتحاد السوفياتي وألمانيا واليابان والولايات المتحدة، حيث يستخدم في سلامة السفر الفضائي واكتشاف قوى العدو في الحرب.

إن الحاسة السادسة بجميع أوجهها يمكن أن تظهر جلياً في وقت ما، وتختفي نهائياً بسبب المرض أو مؤقتاً تحت تأثير العقاقير، وقد يعتقد البعض أن الحاسة السادسة كانت في الماضي عبارة عن قدرة وظيفية تشترك في حيازتها كل الناس،

وهي مزيج من فروع متعددة النشاط مثل خرق العادة والتخاطر والتنبؤ ومعرفة الماضي.

ومن أشهر الحساسين السوفياتي «ستيفان أوسوويكي» وهو من أبوين بولونيين، حينما كان تلميذاً في مؤسسة التكنولوجيا أحس أن له قدرة على تحريك الأشياء من دون لمسها، وقدرة التخاطر والإستبصار والتنبؤ وقراءة الرسائل داخل الظروف ومعرفة مكان وجود أدوات مسروقة وأشخاص ضائعين، وكانت له قدرة الإيحاء لأشخاص غائبين بغير تنويم، كان في إمكانه رؤية الهالة المحيطة بالجسم، وكان يستنتج من لونها حالة الشخص الصحية، كما كانت له قدرة الوجود خارج الجسد وإظهار شبحه أمام أشخاص بعيدين عن مكان وجود جسده الحقيقي. يحكي هذا الإحساس تجربة من تجاربه التي قام بها أمام الأستاذ «جلي» حيث قام بزيارة ممثلة في المسرح البولوني اسمها «ل» قال: «زرت السيدة «ل» ذات مساء وبقيت عندها ما بين العاشرة والحادية عشرة، حين رجعت إلى منزلي حيث كان الأستاذ «جلي» ينتظرني، جلست على كرسي مريح وأخذت أوحي إلى وعيي محدقاً إلى كرة زجاجية، جهدت لأرى ببصيرتي منزل السيدة «ل» وصاحبته حتى فقدت الشعور بوجود جسدي وحسبتني في منزل السيدة «ل» بجسدي الأثيري، في الوقت ذاته صرخت السيدة، ثلاث مرات ثم أشعلت الأنوار، أما أنا فشعرت أنني سابح في الهواء ورأيت السيدة وغرفتها بوضوح وربما بأوضح من الحقيقة، ثم بدأت أستفيق من الغشية».

أما الأستاذ «جلي» فكان في يده إبرة كافور كان قد حقنني بها، حيث وجد أن قلبي توقف عن الضرب، بعد أن صحوت تماماً شرعت أسرد للأستاذ «جلي» كل ما رأيت.

وفي اليوم التالي شرحت السيدة «ل» بإسهاب حادث الليلة الفائتة، وكان كل ما قالته مطابقاً لما حصل معي.

ومن المستبصرين أيضاً «ولف مسنغ» يحكي أنه حينما كان يافعاً أقنع صاحب

التذاكر بالقطار فكرياً أن لفافة الحلوى التي قدمها إليه هي تذكرة سفر. وكان مسجوناً فنوم الحراس وخرج من السجن. وكان يقوم بإغماء تخشبي حيث يفقد كل إحساس ولا يتأثر بأي عامل خارجي كأنه ميت، ثم يعود فيصحو.

ومن المستبصرين أيضاً «ميخائيل كوني» وهو ـ كومبيوتر حي ـ يمكنه معرفة مرتبة أي رقم في عدد مركب من عشرة أرقام بمجرد النظر إليه لمحة خاطفة، يمكنه أن يخمن تاريخ ولادة أي شخص يطلب ذلك منه، ومعرفة أسماء المدن والأشخاص استبصارياً ومعرفة مكان وجود الأغراض المسروقة أو المخبأة.

لقد اكتشف قدرته هذه في الثانية عشرة من عمره حيث سقطت من يد رفيق له علبة أعواد ثقاب، هم هو بالتقاط العيدان، فقال له رفيقه اتركها فلدينا ما بقي في العلبة وهو نصف العدد تقريباً، فأجابه على الفور: لا، فهناك على الأرض واحد وثلاثون عوداً. قال له رفيقه كيف عرفت عددها بلمحة؟ فأجاب: لم أعدها، ولست أعلم كيف عرفت.

إن ذاكرته البصرية كانت قوية جداً، فكان بإمكانه رسم الأشخاص الذين رآهم من الذاكرة.

أما ظاهرة التنبؤ ففحواها أن الموهوبين يمكنهم بواسطة الحاسة السادسة، وبصورة خارجة عن المنطق، التنبؤ عن حادث سوف يحصل.

وهناك أمثلة كثيرة على حصول التنبؤ وتحقيق النبوة. فهناك السيدة «هلن ستولز» من بلدة «جوبتر» في أمريكا تنبأت في جلسة واحدة سنة 1965 بموت سفير أمريكا «أدلاي ستيفنسون» في مكان عمومي قبل ستة أسابيع من ذلك اليوم، واغتيال «روبرت كينيدي» مثل أخيه «جون كينيدي» وزواج «جاكلين كينيدي» أرملة الرئيس الأمريكي الراحل من رجل أجنبي على جزيرة يونانية، وكذلك انتخاب «رتشارد نيكسون» رئيساً للولايات المتحدة، وزواج بين عائلتي «أيزنهاور ونيكسون».

يقول «ج. ب. راين» «إن أعجب ما في حاسة التنبؤ، هو عدم علاقتها بالزمان والمكان، فأكثر ما يجيء التنبؤ في الحلم متقطعاً حيناً وحيناً كاملاً، وقد يأتي أحياناً كإنذار وشعور باطني أن شيئاً سيحدث، إن علاقة العقل بالوقت لا تزال غامضة. وهناك رأيان، الأول يقول بأن التنبؤ لكونه غير مادي يؤكد الصفة المتميزة للعمل العقلي.

ويقول «جاكبسون» يمكن أن يكون في اللاوعي برنامج لحياة واعية، وبمعرفة عميقة لهذا البرنامج اكتسبها الفرد بطرق خارقة يمكنه الحصول على نتائج قد يظهرها اللاوعي بشكل حلم تنبئي، ولكن ثمة حوادث تنبئية ليست مبنية على معلومات خارقة، بل هي مستقاة من الحاضر» أما الفيلسوف «برود» فيقول إن هذا غير موجود، بينما العالم «غارنيت» يتخيل أن هناك حقلاً بين الحوادث النفسية والحوادث الطبيعية يحتوي الحالة الراهنة للكون مع رسم لحالته المقبلة، وهذا يمكن للفرد اكتشافه بواسطة الإدراك النفسي.

أما العرافون فهم في جميع البلدان، وعلى الأخص الدول المتخلفة، إن فئة من الرجال والنساء تدعي معرفة حظ الناس ومستقبلهم، فيستعملون لذلك طرقاً تختلف من عراف لآخر، وهم مشعوذون بالدرجة الأولى، غير أن بعضهم له قدرة التخاطر والإستبصار فيقرأ الأفكار للشخص، ومن خلال هذه القراءة ما على الضعيف إلا أن يصدق ما يسمع.

وقد يعتقد الضعاف بأن هؤلاء العرافين يمكنهم استغلال الأرواح لفائدتهم وأغراضهم الضعيفة، فيرشدونهم لمعرفة السارق وحادث السرقة ومعرفة الشخص الضائع والبضاعة، وما أضلهم سبيلها عن الصواب.

الفصل التاسع والتسعون

الذكريات القديمة

الذكريات القديمة التي مرت بنا عبر وجودنا الجسماني في عالم الدنيا هي أهم الوسائل التي توصلنا إلى معرفة أسلوب حياة إنسان ما، ذلك أننا إذا استعرضنا ذكريات الطفولة تمكنا أن نكشف عن المثال الأول للشخص، وهو لباب أسلوب حياته أفضل مما نستطيع الكشف عنه بأية وسيلة أخرى.

فإذا أردنا أن نعرف أسلوب حياة شخص ما صغيراً كان أو كبيراً، وجب علينا بعد أن نستمع له قليلاً إلى ما يشكو منه، أن نسأله عن ذكرياته القديمة وما مرت به من أحداث ومشاكل، ثم نوازن بينها وبين ما يذكره من الحقائق الأخرى. يقول العالم النفساني «أدلر» إن أسلوب الحياة لا يتغير قطّ في معظم أجزائه. فالشخص الواحد يظل هو بعينه محتفظاً بشخصيته وبوحدته. ويرى «أدلر» أن أسلوب الحياة يتكون عن طريق السعي وراء هدف للتفوق خاص، ومن أجل ذلك يجب أن نتوقع أن تكون كل كلمة وكل عمل وكل شعور جزءاً أساسياً من خط العمل كله، ويكون خط العمل هذا في بعض النقّط أوضح منه في البعض الآخر، وهذا ما يحدث على الأغلب في الذكريات القديمة. ولا ينبغي أن نفرق إلى حد ما بين الذكريات القديمة والحديثة، لأن الذكريات الحديثة تنطوي هي أيضاً على خط عمل مثلما تنطوي عليه الذكريات القديمة، والعثور على خط العمل في مبدأ الحياة أسهل

وأكثر هداية لنا، لأنه من السهل علينا في ذلك الوقت أن نكشف عن موضوع بحثنا، ونستطيع أن نتبين أن أسلوب الحياة الشخصية لا يتغير تغيراً حقيقياً، ويمكن أن نجد في أسلوب الحياة التي تتكون في سن الرابعة أو الخامسة ما بين ذكريات الماضي وأفعال الحاضر من صلة، ومن ثم نستطيع أن نستمسك بالنظرية القائلة، أنه في مقدورنا أن نجد في هذه الذكريات القديمة جزءاً من المثال للمريض. وإذا عاد المريض بعقله إلى ماضيه فليس ثمة شك في أن كل ما تنطق به ذكرياته سيكون من الأشياء التي يهتم بها من ناحية انفعالاته النفسية، ولذلك يكون في وسعنا أن نجد فيها باباً ننفذ منه إلى معرفة شخصيته. ولسنا ننكر أن للذكريات التي نسيت شأناً ما في أسلوب الحياة، لكن من الصعب في كثير من الأحوال أن نعرف الذكريات المنسية أو الذكريات اللاواعية كما يسميها الباحثون، على أن الذكريات الواعية واللاواعية تشترطان في أن كلتيهما تؤدي إلى هدف التفوق نفسه، وإن كلتيهما جزء من المثال الأول الكامل، لذلك يحسن أن نعرف الذكريات الواعية واللاواعية جميعاً إذا استطعنا إلى ذلك سبيلاً. ويكاد النوعان في نهاية الأمر أن يكونا متساويين في الأهمية، وكلاهما يجهله صاحبه في الأغلب، وغيره هو الذي يجب عليه أن يعمل لفهمه وتفسيره.

إن بعض الناس إذا سئلوا عن ذكرياتهم القديمة أجابوا بقولهم: لسنا نذكر منها شيئاً. وعلينا في هذه الأحوال أن نطلب منهم أن يحصروا أفكارهم وأن يحاولوا أن يتذكروا، وتراهم بعد أن يبذلوا بعض الجهد يتذكرون شيئاً، وقد يكون ترددهم هذا دليلاً على أنهم لا يريدون أن يعودوا بذكرياتهم إلى عهد بعيد في طفولتهم، وقد يؤدي بنا هذا إلى الحكم بأن هذه الطفولة لم تكن سارة، ومن واجبنا أن نرشد أمثال هؤلاء الأشخاص، وأن نلمح لهم من طرف خفي بما يعين على معرفة ما يجب معرفته، وسيكون في آخر الأمر أنهم على الدوام يتذكرون بعض الأشياء ويدعي بعض الأشخاص أن في وسعهم أن يعودوا بذكرياتهم إلى السنة الأولى من حياتهم، ولكن هذا غير مستطاع، وليس ما يذكرونه في الحقيقة إلا ذكريات خيالية على أنه لا فرق بين أن يكون ما يذكرونه خيالات أو ذكريات حقة،

فهي في الحالتين أجزاء من الشخصية. ويؤكد بعض الناس أنهم لا يعرفون على وجه التحقيق هل ما يقولونه جزء من ذكرياتهم الخاصة أو أن آباءهم قد حدثوهم به، فإنه قد تنبت في عقولهم، وهم بهذا يعينون على معرفة موضوع اهتمامهم.

ومما يعين على الوصول إلى بعض الأغراض من حالتهم أن نقسم الأشخاص أنماطاً، ثم نقول هنا أن الذكريات نفسها تنقسم أيضاً حسب هذه الأنماط، وهي تكتشف ما يمكن أن نتوقعه من سلوك نمط خاص من الناس، ولننظر قليلاً إلى حالة شخص يتذكر أنه رأى شجرة عيد ميلاد عجيبة محملة بالأنوار والهدايا وفطائر العيد، فما هو أهم شيء في هذه القصة؟ إن أهم شيء هو أنه رأى، ولم يقل لنا هذا الشخص أنه رأى؟ سبب هذا أنه يهتم على الدوام بالمرئيات، وأغلب الظن أن هذا الشخص قد كافح بعض الصعاب الخاصة بالبصر، وكان نتيجة التدريب الذي أفاده من هذا الكفاح أن أصبح يعني على الدوام بالمرئيات، ويلتفت أشد الإلتفات إليها، ولعل هذا ليس أهم العناصر التي يتكون منها أسلوب حياته، ولكنه جزء هام طريف من هذا الأسلوب، وهو يدلنا على أننا إذا ما أردنا أن نعين له عملاً من الأعمال وجب أن يكون هذا العمل مما يستخدم فيه عينيه، إن الذكريات المؤلمة التي تسبب بعض المشكلات النفسية أو العصبية بواسطة التحليل النفسي والإيحاءات الموصلة إلى معرفة أسبابها ودوافعها وما يكمن خلفها من أحداث حقيقية، تكشف عن أحوال هؤلاء وإظهار العقدة النفسية التي تحجب عنهم حقيقة وجودهم وواقعهم. وتستخدم عادة الذكريات القديمة والخيالات في الكشف عن الأسلوب الخفي لحياة الشخص، وغني عن البيان أن دراسة هذه الذكريات ما هي إلا وسيلة من طائفة جمة من الوسائل يمكن الإعتماد عليها لدرس كل شخصية، وأنها كلها تقوم على قاعدة استعمال الجزء المنفصل في تفسير الكل المتصل، وبمقدور المعالج أن يلاحظ حركات الشخص الجسمية واتجاهاته العقلية إلى جانب ذكرياته القديمة، والحركات نفسها تعبر عنهااتجاهات الشخص العقلية، وإن شيئت قل بأن الإتجاهات العقلية مطمورة فيها، كما أن هذه الاتجاهات تعبر أيضاً عن اتجاهه العام في الحياة، ذلك الإتجاه الذي يتكون منه أسلوب الحياة.

التنويم ومراجعة الذاكرة:

من الطبيعي أن يثار التساؤل حول تعليل الظواهر التي تحدث أحياناً في غيبوبة التنويم المغناطيسي، وهل هذه الظواهر التي يتكرر حدوثها في بيئات كثيرة صحيحة؟ وما هي الروابط التي بينها وبين المنوِّم؟ الذي يوحي للشخص المنوَّم بعد أن يتحقق عن طريق التحليل النفسي عما يتفاعل في أعماقه من ذكريات قد أكل الدهر عليها وشرب؟

أو افتراض تأثير لتعليل هذه الظواهر مثل القول بأن الشخص المنوَّم يتلقى جميع المعلومات المتعلقة بذكرياته عن طريق الإيحاء من المنوِّم شخصياً، ولكن هذا الإفتراض سرعان ما ينهار إذا ما أدركنا أن هذه المعلومات نفسها غالباً ما تكون غريبة حتى عن عقل المنوِّم الذي لا يعرف عنها شيئاً بالمرة، والتي قد يفاجأ بها كما قد يفاجأ بها أي شخص آخر، وقد يبذل المنوِّم جهداً كبيراً بعد الحصول عليها للتثبت من صحتها، فكيف يقال أن عقل المنوِّم كان هو المستودع الوحيد لهذه المعلومات التي قد تكون بعيدة كل البعد عن ثقافته مهما كان نوعها، وعن نواحي اطلاعه؟ ومن الغريب أن هذا الإفتراض غير العلمي وغير المطابق للوقائع الثابتة لا يزال يثار.

وبعد أن أخذ يتزايد الإقناع بدوام الحياة بعد الموت وبإمكان استحواذ أو هيمنة روحية على عقل وسيط التنويم المغناطيسي أخذ يبرز تدريجياً افتراض آخر جديد لنفي احتمال العودة للتجسد؛ وهو أن وسيط التنويم المغناطيسي قد يستمد المعلومات الصحيحة الغزيرة التي قد يقدمها من عقول كائنات سابحة في الأثير تتابع الواحد بعد الآخر في الإستحواذ على وعيه لإمداده بهذه المعلومات الغريبة من ذكريات محددة عن تجسدات سابقة من هذا العالم الأرضي. وهذا الإفتراض الثاني سرعان ما ينهار بدوره إذا ما لاحظنا أن تتابع عقول الكائنات السابحة في الأثير في الإستحواذ على وعي الوسيط من المحال أن يتكرر الواحد بعد الآخر دائماً بالترتيب الزمني ذاته كلما أعيدت التجارب ولو لعشرات من المرات وعلى مدى

سنين عديدة كما حدث في بحوث «دي روشا» و «ديرفيل» و «أندريه ديبيل» وغيرهم فإن الواحد منهم كان أحياناً يوقع نفس الوسيط خمسين مرة أو أكثر فتتابع المعلومات والوقائع بنفس الترتيب السابق، ولا يتلقى وسيط التنويم من المنوِّم أكثر من الإيحاء بإرجاع الذاكرة للوراء، أما نفس المعلومات والوقائع بموضوع هذه الذاكرة فهو لا يعلم عنها شيئاً بالطبع بما في ذلك التواريخ العامة والخاصة وأسماء الشعوب والأشخاص والأمكنة والمدن والشوارع والأنهار والجبال والتقاليد والعادات والمعتقدات والأجهزة المستخدمة والمعالم الحضارية.

ثم أن أي افتراض - حتى يكون مقبولاً علمياً - ينبغي أن يلتحم مع سائر الظواهر الأخرى المشابهة وإلا ينبغي رفضه، والمطلوب هو الوصول إلى تعليل شامل يلتئم مع ظواهر إرجاع الذاكرة في غيبوبة التنويم المغناطيسي بقدر التئامه مع الظواهر الأخرى المشابهة. ولا يوجد حتى الآن أي تعليل يصلح لمواجهة كل هذه الأمور مجتمعة يضاهي في قوته التعليل البسيط الواضح بالعودة المحتملة للتجسد.

أما الإفتراض الأخير الذي يثار، وهو أن التنويم المغناطيسي يجعل المنوِّم على صلة بالعقل الباطن للوسيط، وبالتالي يتمكن من اكتشاف محتوياته، فكل المعلومات التي قد يدلي بها هذا الوسيط مستمدة من عقله الباطن الذي لا يزال لغزاً معلقاً.

إن العقل الباطن أو اللاشعور هو المستودع الوحيد لاختبارات الماضي برمتها، سواء كانت هذه الإختبارات لا تزال تقبع في هذا العقل كذكريات محددة واضحة يمكن استرجاعها بتنويم أو غير تنويم، أم كانت قد انمحت بمرور الأيام فلم يبق منها غير درجة التطور التي وصلت إليها الذات. ومن البديهيات التي يقوم عليها علم النفس التقليدي أن كل ما ينزلق إلى العقل الباطن من معلومات، ينزلق إليه عن طريق المرور بالعقل الواعي أولاً. فإذا كانت هذه الحياة الراهنة للشخص المنوَّم مغناطيسياً تعجز - منذ الولادة حتى لحظة التنويم - عن إعطاء تعليل مقبول

عن إنزلاق هذه المعلومات إلى عقله الباطن فلا بد إذن من البحث عن مصدر آخر لتعليل وصول هذه المعلومات إليه، وهذا المصدر كما يدعي علماء الروح يكون من التجسدات السابقة التي كان عقل الوسيط فيها - غير الواعي الآن - واعياً لما يدور حوله من اختبارات وأحداث حلوة ومرة. وفي الأثير يحدث اندماج بين العقلين من وعي الإنسان فيصبح هذا الجانب وحده واعياً، وما عداه غير واع، وهكذا إلى أن تتكامل الشخصية عن طريق التجسدات المتكررة، ببطء شديد وبعد أحقاب بعيدة.

وثمة حالات نادرة عن عودة الذاكرة الواعية تلقائياً إلى صاحبها عن أحداث لا تمت بأية صلة إلى حياته الحاضرة فيروي أموراً لا يعرف أحد مصدرها في تسلسل عمليات عقله الواعي، أو ربما يروي أموراً لم يسمع عنها من قبل في حياته الحاضرة، ولا تمت بأية صلة إلى هذه الحياة، ولكن قد يثبت فيما بعد صحتها بسبل التحقيق المادية، وهناك حالات أخرى تنتمي إلى تخيل موهوم للرؤى أو للسماع.

إن هذه الظواهر النادرة أصبحت موضع اهتمام بالغ في الأبحاث الحديثة في البار السيكولوجي التي تحاول اكتشاف أغوار الذات الإنسانية بما في ذلك أغوار العقلين الواعي والباطن، سواء كان في غيبوبة التنويم المغناطيسي أم خارج الغيبوبة.

يتساءل العالم النفساني «روبرت سميث» قائلاً: «هل ستصبح نظرية الرجوع بالذاكرة إلى الوراء أجيال وأجيال حقيقة ثابتة في يوم من الأيام؟» ثم يجيب قائلاً: «ربما سيتمكن الطب النفسي أو الروحاني في المستقبل من رفع النقاب الكثيف الذي يغطي ما بعد الحياة الحاضرة أو ما قبلها لتظهر الكثير من الحقائق الخطيرة الأزلية عن الحياة الروحية. والعودة بالذكريات هي العنصر الخالد لوجودنا، وقد تصبح حقيقة مطلقة، وهذا التحول التاريخي الخطير يمكن أن يتحقق خلال اختبارات ثابتة عن الإتصال بين الإنسان الذاكر والإنسان غير الذاكر، كما يمكن أن يتحقق خلال بعض اختبارات إرجاع الذاكرة عن طريق التنويم المغناطيسي إلى

الماضي السحيق عندما تقوم أدلة لا تقبل الجدل» ويضيف «سميث» قائلاً: «ما هو الأمر الذي يمكنه أن يقيم بيئة قوية لمصلحة إرجاع الذاكرة؟ لقد حاولت وزميل لي أن نحصل على معلومات عن موضع سلعة يكون المريض قد أخفاها في مكان ما من حياته السابقة ولا يعلم عنها أحد شيئاً، ولذا ففي كل تجاربنا المغناطيسية تواجد أسئلة حول مكان سلعة لا يعرفه إلا الشخص المنوَّم. إن العلوم الخفية التي تحيط بالوجود أهملت أو ألغيت خلال قرون، وجيلنا الحاضر يحاول أن يبني قلعة من الحقائق حول هذه الموضوعات المجهولة.

لقد أخبرنا عدد وفير من المنوَّمين مغناطيسياً عن إرجاع ذاكرة للعصور الغابرة، ولا توجد لدينا سجلات قديمة للتثبت من صحة هذه الإرجاعات، وحتى الإرجاعات التي قيل أن أصحابها أمضوها في بلادنا خلال القرن الماضي وجدنا أن بحثها والتحقق من صحتها من أصعب الأمور.

ومن الواضح أن اكتشاف الإيحاءات وتفاعلها عن طريق التنويم المغناطيسي، وما أسفرت عنه من نتائج فعالة لإرجاع الذاكرة يعطينا الدليل الحقيقي عن إمكان استقلال الوعي عن الجسد في الزمان والمكان، ومن إمكان استقلال الإحساس عن أدوات الإحساس المادية مما يمهد السبيل إلى حقيقة دوام الحياة بعد فناء الجسد المادي كمطلب علمي مرتبط بباقي الحقائق التي توصل إليها الإنسان بواسطة البحث والإستقصاء، والبحث في أعماق المبدعات والموجودات العلوية والسفلية.

الفصل المائة

مثال ناطق عن إرجاع الذكريات

من الطبيعي أن يثار التساؤل حول تعليل هذه الحالة، وثمة إجماع على أن هذه الظواهر التي تحدث أحياناً في غيبوبة التنويم المغناطيسي قد تكون صحيحة على ما يبدو بالنظر إلى تكرار حوادثها في بيئات كثيرة وإلى الروابط التي بينها، وإلى السمعة النقية التي لا غبار عليها لمن قاموا بإثباتها وهم جميعهم ليسوا من أرباب عقيدة العودة للتجسد ولا يعنيهم في كثير أو قليل أن تكون هذه العقيدة صحيحة أو زائفة، محور النقاش هو الأساس في الوصول إلى تعليل صحيح حاسم لهذه الظواهر.

وإن كنت لا أريد الخوض في هذا الباب حتى لا أبتعد عن موضوع الكتاب، فإني أرى من باب طرح السؤال، أن أنقل قصة واقعية بأمانتها عن كتاب «في العودة للتجسد» للدكتور رؤوف عبيد حيث يقول: «ومن أبرز التحقيقات الأخيرة، تلك التي قام بها حديثاً الدكتور «أيان ستيفنسون» أستاذ التحليل النفسي بكلية الطب بجامعة «شارلو تسفيل» بفرجينيا بالولايات المتحدة الأمريكية، والذي بعد أن جمع حوالي ثلاثمئة حالة منها استبقى عشرين فقط بوصفها جادة تماماً وجديرة بالإستبقاء وبالتحليل العلمي التفصيلي وسردها في كتاب قيم له عنوانه «عشرون حالة ترشح لعودة التجسد» سنة 1966 . وهذه الحالات التي حققها «ستيفنسون»

منها حالة وقعت في لبنان وسبع في الهند وثلاث في سيلان وحالتين في البرازيل وسبع في جنوب آلاسكا بين هنود التلينجيت، وتحقيق كل حالة منها استغرق العشرات من الصفحات، وجرى على نمط التحقيقات الجنائية الحذرة من ناحية ضرورة تقصي الحقائق كلها، واستجواب أكبر عدد ممكن من الأشخاص المحيطين بالحالة، وإجراء أكبر عدد من المقارنات والمعاينات ووضع جميع الإختبارات الدقيقة اللازمة للإثبات أو للنفي قبل الحكم للحالة أو عليها».

وسأكتفي بحالة واحدة وقعت في لبنان. يسردها لنا الدكتور رؤوف عبيد في كتابه «العودة للتجسد» ـ قائلاً:

حالة عماد الأعور:

وكمثال أولي نقدم في إيجاز حالة منها وقعت في لبنان، والنتائج التي وصل إليها «أيان ستيفنسون» عندما زار لبنان سنة 1964 خصيصاً لتحقيقها يرافقه ترجمانه الأمريكي وهو من أصل لبناني. وهذه الحالة جرت أحداثها الأخيرة المذهلة في قرية «قرنايل» وهي خاصة بصبي لبناني يدعى «عماد الأعور» كان عمره عندئذٍ 12 سنة.

ومنذ بلغ الثانية من عمره أخذ عماد هذا يروي لوالديه وقائع منوعة عن أسرة معينة كان يعيش بينها من قبل في قرية بعيدة عن «قرنايل» تدعى «الخريبة» وبين أشقاء وشقيقات ذكر أسماءهم، ثم أخذ يسرد ذكريات محددة عن سيارة نقل بضائع وعن «أوتوبيس» وعن كلب، وعن فتاة كان يحبها ذكر اسمها وهي «جميلة».

وعندما تمكن من السير على قدميه أظهر سروراً بالغاً ودهشة فريدة لقدرته على المشي، وأخذ يسرد قصة عن سيارة دهمت رجلاً كان يسير على قدميه إلى حد أن والد عماد ظن أن ابنه عبارة من تجسد روح انسان مات بسبب صدمة سيارة في حياة سابقة.

فلما تولى «ستيفنسون» تحقيق الموضوع اصطحب الغلام إلى قرية

«الخريبة» التي كان يشير إليها في أحاديثه، حيث تعرف هناك على بيته السابق، وعلى شقيقته «هدى» التي بادرها بأن أخرج لها لسانه كما كان يفعل معها من قبل عندما كانا صغيرين فأجهشت بالبكاء ثم ميز باقي أشقائه وناداهم بأسمائهم، ثم تعرف على بندقية كان يحوزها وأخرجها من مخبئها. واستطاع عماد أن يحدد الفراش الذي مات فيه، وقرر أنهم قد غيروا موضعه وأبعدوه عن النافذة، لأنه يذكر أنه في أثناء مرضه الأخير قد عزلوه عن أشقائه مخافة العدوى، فكان يحادثهم خلال النافذة، بل لقد تذكر الغلام أن أصبع أمه قد جرحت في الباب فاتضح أن اصبعها كان لا يزال يحمل آثار هذا الحادث نفسه.

واتضح أن هذه الأسرة كان عندها شاب يدعى إبراهيم بشير أبو حمزة، وأنه توفي في 18 يوليه سنة 1949 بعد أن أصيب بسل النخاع الشوكي، وكان في الخامسة والعشرين من عمره عند وفاته، وكان قعيد الفراش عاجزاً عن المشي، وهو ما قد يفسر سلوك الطفل عماد الأعور عندما أبدى دهشته من قدرته على المشي فيما بعد.

وتبين أيضاً صحة حادثة السيارة التي دهمت شخصاً كان يسير على قدميه، واتضح أن المصاب فيها هو ابن عم للغلام ابراهيم بشير أبو حمزة، وأن الغلام قد شاهد الحادث فحسب، فلم يكن هو نفسه المجنى عليه فيه كما تصور والده الجديد. كما تبين صحة مارواه هذا الغلام ذو الذاكرة العجيبة عن سيارة نقل البضائع، وعن «الأوتوبيس» وعن «جميلة» الفتاة التي كان يحبها، والتي اتضح أنها تزوجت وكانت لا تزال على قيد الحياة الأرضية، ومما رواه عن الكلب أيضاً.

كما تعرَّف الغلام عماد الأعور على أحد جيرانه عندما كان يعيش في حياته السابقة في قرية «الخريبة» وكان في الثالثة من عمره حينئذٍ، وقد شاهده في قرية «قرنايل» وكان مرافقاً لجدته، فركض نحوه وضمه إليه بحرارة قائلاً له: أنت جاري في «الخريبة» وهو ما اتضح صحته فيما بعد، وقد شهد الأقارب والأصدقاء والجيران بصحة هذه الوقائع في تحقيق استغرق تلخيصه حوالي خمسين صفحة.

كما تأكد «ستيفنسون» من أنه لم تكن هناك أية رابطة أو أية صلة بين أسرة

عماد الأعور التي تقيم في قرية «قرنايل» وبين اسرة بشير أبي حمزة التي تقيم في قرية «خريبة» وذلك مع أن الغلام عماد الأعور كان يعيش بكل جوارحه وعواطفه مع أسرته السابقة إلى حد أنه أصر على تسمية إحدى شقيقاته في أسرته الجديدة باسم «هدى» وهو اسم شقيقته في حياته السابقة.

ومما هو جدير بالذكر أن محررين في مجلة «الحوادث» اللبنانية، هما الأستاذة غادة السمان والأستاذ غسان مكارم، بعد أن أطلعا على كتاب العالم الأمريكي ـ الذي أرشدهما إليه الدكتور سامي مكارم الأستاذ بالجامعة الأمريكية ببيروت ـ قاما في شهر فبراير سنة 1973 بتحقيق جديد في هذه الوقائع ذاتها الواردة به، فتحققا من صحتها كلها، بعد أن اتصلا بعماد الأعور الذي أصبح شاباً، وقد تجاوز العشرين من عمره، وبأفراد أسرته الحالية والسابقة، وقد ورد في هذا التحقيق الصحفي القائم بذاته: «ها هو عماد الأعور لطيف وذكي، وعيناه شفافتان» أكد الحكاية التي رواها الدكتوران سامي مكارم و «ستيفنسون». تقول أمه إنها سمعته في طفولته مرات عديدة يتحدث مع نفسه ويقول «أنا إبراهيم» وأنه كان يركب على «الكنبة» ويصفّ إخوته خلفه ليلعبوا لعبة «الأوتوبيس» فقد كان في حياته السابقة يملك واحداً منها ويحسن قيادته.

سألته: هل تعرف الآن قيادة السيارة؟

قال: أجل، إنني أقود أحياناً سيارة «فولكس فاكن» يملكها ابن عمي عفيفي.

هل علمك قيادة السيارة؟

لا، لم يعلمني أحد، ما زلت أذكر كيف أقود السيارة.

وحدثني عماد بأنه حزين لأن أمه السابقة (أم إبراهيم بشير أبو حمزة) توفيت، ولم يعلم بذلك إلا مؤخراً (أي قبيل هذا التحقيق الصحفي الأخير)... ودار بيننا حوار طويل... المهم أن اللقاء بعماد يؤكد أن كل حرف قرأته عنه كان صادقاً، خصوصاً وأن الدكتور «ستيفنسون» سبق وأجرى له تحقيقاً أين منه التحقيقات

الجنائية؟ وتأكد من أنه لم تكن هنالك أية علاقة أو أية معرفة بين أسرة عماد الأعور وأسرة أبي حمزة قبيل زيارة عماد معه «للخريبة».

ومما لا يخلو من دلالة في هذا الشأن أن الغلام عماد الأعور الذي كان في الثانية عشرة من عمره عندما جرى معه تحقيق العلامة «ستيفنسون» والذي صار في الواحدة والعشرين عندما أجرى معه هذا التحقيق الصحفي الأخير، قد أصبح يشبه في الملامح شبهاً واضحاً صورة الشاب المتوفي المرحوم إبراهيم بشير أبو حمزة، وهي لا تزال معلقة في منزل أسرته. وعندما التقطت صورة فوتوغرافية لعماد الأعور بجوار صورة المرحوم إبراهيم أبو حمزة ظهر هذا التشابه. لعل هذه الصورة الفريدة تعد من أندر الصور التي تكشف عنها التحقيقات الروحية في أي بلد، إذ أنها تمثل صورة فوتوغرافية لشخص معين بجوار صورة له هو نفسه في تجسيد مباشر سابق، وفي المنزل ذاته وفي الجبل ذاته أيضاً، وكم في الكون من عجائب تفوق في غرائبها كل قدرات التصور الإنساني.

أهم المراجع

(1) التنويم المغناطيسي، كيف تصبح منوماً مغناطيسياً ـ الدكتور جاغو ـ ترجمة الأستاذ بهيج شعبان 1955 .

(2) التنويم المغناطيسي ـ في سبيل موسوعة نفسية «أ» عرض وتقديم الدكتور مصطفى غالب 1978 .

(3) التنويم المغناطيسي ـ وضع لجنة التأليف والترجمة.

(4) التنويم المغناطيسي ـ السلسلة السيكولوجية ـ إعداد الأستاذ أبو مدين الشافعي 1946 .

(5) العلاج المغناطيسي، أو الطب الطبيعي ـ جمعية الأبحاث النفسية بأمريكا وأوروبا ـ تعريب عطاالله حنا.

(6) أسرار الظواهر الروحية والمغناطيسية، وتدريباتها العملية ـ تأليف الدكتور رمزي مفتاح 1948 .

(7) أطباء ومرضى ـ تأليف الدكتور فائق الجوهري.

(8) أصول علم النفس ـ تأليف الدكتور أحمد عزت راجح.

(9) علم النفس الفردي، أصوله وتطبيقاته ـ تأليف إسحاق رمزي 1952 .

(10) مجلة «أعماق» شهرية مختصة بالعلوم الروحية والدراسات النفسية المبسطة والتربية الإجتماعية والفلسفية عدد 2 1973 .

(11) الطاقة الروحية ـ تأليف «هنري برجسون» ـ ترجمة الدكتور سامي الدروبي 1971 .

(12) التداوي بالإيحاء الروحي ـ تأليف الدكتور أمين أرويحة 1974 .

(13) «اليوكا» تطيل عمرك ـ تأليف شري يوجندرا ـ تعريب محمد روحي البعلبكي 1967 .

(14) السيكولوجيا والروح ـ تأليف الأستاذ أحمد فهمي أبو الخير 1954 .

(15) على حافة العالم الأثيري ـ تأليف «ج. آرثر فندلاي» ـ ترجمة الأستاذ أحمد فهمي أبو الخير 1945 .

(16) دماغ الإنسان ـ تأليف «فول شوسار» ـ ترجمة الأستاذ خليل سابق ـ سلسلة «ماذا تعرف رقم 5 » 1979 .

(17) العلوم الطبيعية، للسنة الثالثة ثانوي ـ تأليف الأستاذ عبدالله سعد الدين مجر.

(18) المرشد الطبي ـ منشورات المكتبة الحديثة بيروت، مكتبة النهضة بغداد ـ إشراف الدكتور ماهر بشاي 1971 .

(19) قوة الإرادة ـ تأليف يوسف ميخائيل أسعد 1975 .

(20) العالم غير المنظور ـ تأليف الدكتور عبد الجليل راضي 1951 .

(21) الحاسة السادسة والطاقة النفسية ـ تأليف الدكتور سليمان نجار 1981 .

(22) الإنسان روح لا جسد ـ الجزء الثاني ـ تأليف الدكتور رؤوف عبيد 1966 .

(23) في العودة للتجسد، بين الإعتقاد والفلسفة والعلم ـ تأليف الدكتور رؤوف عبيد 1976 .

(24) في التسيير والتخيير، بين الفلسفة العامة وفلسفة القانون ـ تأليف الدكتور رؤوف عبيد 1976 .

الشفاء بالتنويم المغناطيسي والطاقة الروحية

شفاء من

الجنون والأشباح
توتر الأعصاب
الشلل الهستيري
الخوف والوسواس
الضيق والأرق
الوهم والانطواء
الجريمة والانتقام
الأمراض الجسمية
ما يسمى بالسحر
تفكك الشخصية
التشاؤم والانتحار
الاستبداد والاستسلام
الخمر والمخدرات
الضحك والبكاء
العادات السيئة
الأمراض المستعصية

افريقيا الشرق
الشركة العالمية للكتاب